النصائح الدينية والوصايا الإيمانية

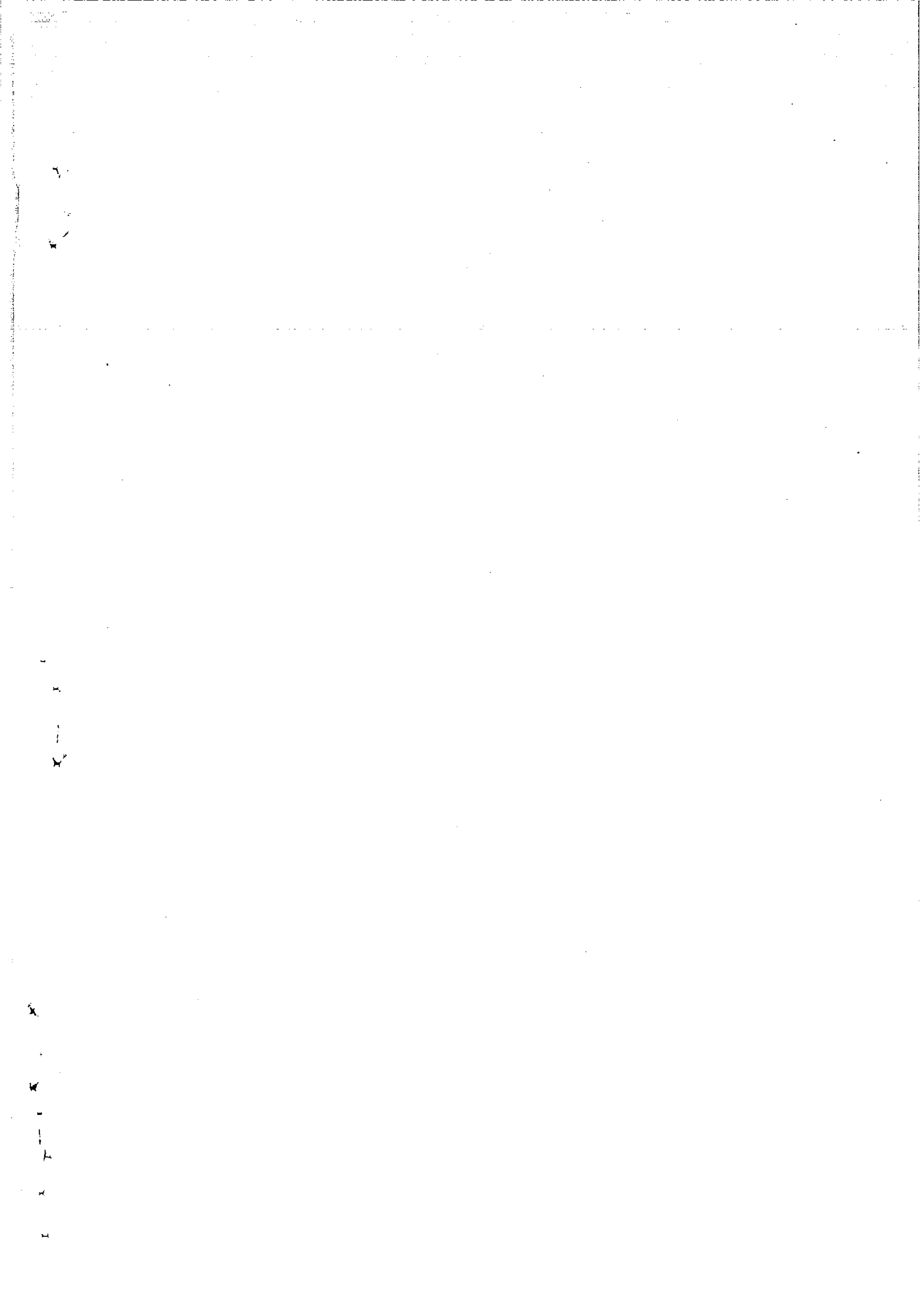
لشيخ الإسلام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد

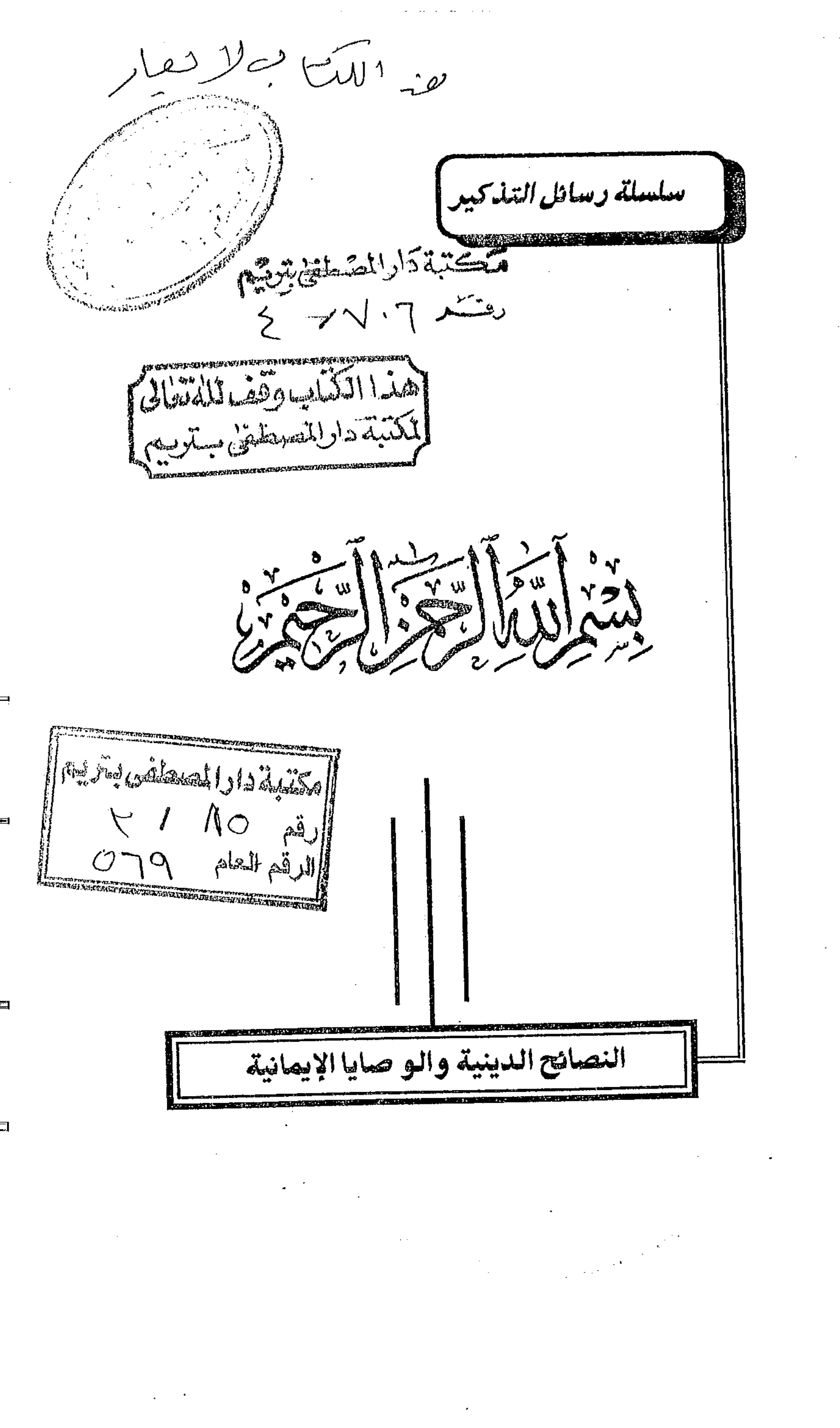
الدين النصيحة

لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

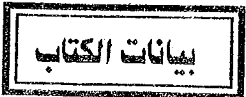
تخريج وتعليق

محمد نور الدين مربو بنجر المكي





مكتبة دار المصطفى بتريم
رقم ٤٧٠٦
هذا الكتاب وقف لله تعالى لمكتبة دار المصطفى بتريم
مكتبة دار المصطفى بتريم
رقم ٨٥ / ٢
الرقم العام ٥٦٩



الإســـــم : النصائح الدينية والوصايا الإيمانية

المؤلـــــف : الحبيب عبد الله بن علوى الحداد الشافعى

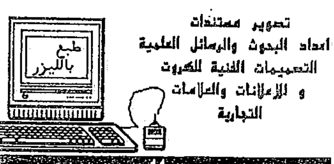
تخريج وتعليق : محمد نور الدين مربو بنجر المكى

عدد الصفحات : ٤٦٤

الناشــــر : رواد « مجلس البنجرى » للتفقه فى الدين

الطبعة الثانية : ١٤١٨هـ -١٩٩٧م

حقوق الطبع محفوظة



ودفة للكمبيوتر

١٤ش ام الغلام . بالحسين . القاهرة ت : ٥٩١٩٥١٩

هذا الكتاب لا يعار

هذه النسخة لا تُعار

هذا الكتاب وقف لله تعالى
لمكتبة دار المصطفى بتريم

النصائح الدينية
و
الوصايا الإيمانية

تأليف

قطب الدعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علوي الحداد

تخريج وتعليق

محمد نور الدين مربو بنجر المكي

مجلس البنجرى للتفقه فى الدين

شكر وتقدير

بفضل الله وتوفيقه ، فقد استطاع « **مجلس البنجرى للتفقه فى الدين** » خلال الأشهر الماضية ، أن يقوم بطبع خمسة كتب جديدة ، وإعادة طبع خمسة كتب أخرى .

وعندما عزمنا على طبع كتاب « **النصائح الدينية** » للحبيب عبد الله بن علوى الحداد ـ وذلك لدراسته خلال شهر رمضان المبارك ١٤١٧هـ تحيّرنا فى هذا الأمر ، حيث أن المادة لم تكن متوفّرة لدى المجلس .

وبعد التفكير العميق ،استشرت بعض الإخوة المحبين، وأخبرتهم بالموضوع ، وبالحل الذى توصلت إليه ـ وهو أننى سأطلب القرض الحسن من الإخوة القادرين ـ فما منهم إلا أن أبدوا استحسانهم لهذا الحل ، وفعلا قام أحدهم ـ وهو الأخ الفاضل أمين الدين ـ بالمهمة فجمع مبلغاً من الدولارات ، سهل للمجلس القيام بعملية الطباعة .

فتحية للأخ أمين الدين ، ولغيره من الإخوة ، الذين ساعدونى فى طبع هذا الكتاب وفى نشره ،ولهم منى كل شكر وتقدير ، وجزاهم الله خير الجزاء .

أخوكم

« محمد نور الدين مربو »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحـمد لله رب العـالمين ، والصلاة والسلام على المبـعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصـحابه ، ومن سار على نهـجه إلى يوم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وإيّاه نعبد وإيّاه نستعين ، على أمور الدنيا والدين .

أمـــا بعد . .

فانطلاقا من قـول المولى عز وجل : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .[سورة الذاريات آية ٥٥]

ومن قول المصطفى ﷺ : « الدين النصيحة » قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين » .

يسرُّ « مجلس البنجرى للتفقه فى الدين » أن يقدّم لطلابه ورواده الكرام ، كتاب :

« النصائح الدينية والوصايا الإيمانية »

أكبر كتب الإمام الحبـيب عبد الله بن علوى الحداد ـ رحمه الله ـ وأعظمها نفعاً ،وأكثرها انتشاراً بعد « رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة ».

ذلك المؤلف الشامل ، الجامع لكل الفـضائل ـ الظاهرة والباطنة ـ الواضح فى عبارته، القوى فى أسلوبه،المحقق فى بحثه،والموفّق فى نقله، واضح البرهان ، ظاهر البيان ، مدعـم بآيات من القرآن ، وأحاديث سيد ولد عدنان ، عليه صلوات ربى ، الحنّان ، قديم المعروف والإحسان.

يقول شيخنا الفقيه العلامة ، مفتى الديار المصرية السابق ، الشيخ

حسنين محمد مخلوف ـ رحمه الله ـ : ومن خير مؤلفات الإمام الحداد ـ رحمه الله ـ كتابه « **النصائح الدينية** » فقد وضعه ـ كما قال في خطبته ـ « بعبارة سهلة قريبة ، وألفاظ سلسة مفهومة ،حتى يفهمه الخاص والعام، من أهل الإيمان والإسلام » وضمنه ما يجب على المسلم علمه من العقائد والأحكام ، وما ينبغي له التخلق به من الفضائل، ومكارم الأخلاق، وبيّن منهج الدعوة إلى الله ، والقيام بحق الإسلام ، مؤيدًا كل ذلك بآى الذكر الحكيم ، والأحاديث النبوية ، والمأثور من أقوال الأئمة والعلماء ، بما لا يسع أحدًا جهله ، وما لا يستغنى عنه عالم ولا واعظ ولا معلم ، ولا طالب علم وهدى ا هـ .

وتسهيلا للوقوف على مباحثه ، والاستفادة من موضوعاته ، فقد أثبتنا العناوين التى وضعها شيخنا المرحوم: الشيخ حسين محمد مخلوف، والتى لم تكن موجودة فى أصل الكتاب .

كما أننا قمنا بتخريج الآيات والأحاديث الواردة فيه، تيسيرا للرجوع إلى مواضعها ، وللتعرف على درجاتها .

ونظراً إلى ضيق الوقت ، وانشغالى بأعباء التدريس، وإقامة الندوات ، وشئون المنزل والأولاد ، ولعدم توافر الكتب الحديثية ، فقد اعتمدت فى تخريج أحاديث الكتاب ، على كتاب « **الترغيب والترهيب** » للحافظ المنذرى ، و« **المغنى عن حمل الأسفار** » للحافظ العراقى ، و « **الجامع الصغير** » لجلال الدين السيوطى ، و« **مشكاة المصابيح** » للإمام التبريزى ، و « **رياض الصالحين** » للإمام النووى ، و« **كشف الخفاء**» للعجلونى ، و« **موسوعة أطراف الحديث النبوى** » للأستاذ محمد السعيد

بسيونى ، وغـيرها ، دون الرجوع إلى مصادرها الأصـلية من كتب السنن والمعاجم والمسانيد .

علماً بأنه يكفى للقـارىء العادى المستفيـد ، أن يعلم أن الحديث الفلانى ـ مثلا ـ مخرج فى كتاب كـذا ، وأنه موجود فيه ، اعتماداً على ماقاله الأئمة الحفاظ .

أما ذكر الجزء ، ورقم الحديث والصفحة ، وتاريخ الطبع ، ودار النشـر ونحوها ، فـلا يستـفيـد منهـا إلا العالم ، والبـاحث ، والطالب المتخصص .

وفى الختام ـ أسـأل المولى جلّ وعلا أن يجعل سعـينا مشكوراً ، وذنبنا مغفـورا ، وعملنا متقبـلا مبروراً ، بجاه خيـر الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

و

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

القاهرة ٢ شعبان ١٤١٧هـ ـ ١٣ ديسمبر ١٩٩٦

بقلـم

محمد نور الدين مربو بنجر المكي

خادم طلبة العلم الشريف

ترجمة المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ

نسبه وولادته ونشأته :

هو عبد الله بن علوى بن أحمد المهاجـر بن عيسى بن محمد بن على التريمى الحداد الحسينى اليمنى ، ولد ـ رحمه الله تعالى ـ بالسبير من ضـواحى مدينة (تـريم) ليلة الإثنين [1] ٥ صـفـر سنة ١٠٤٤هـ الموافق ١٦٣٤م ، وتربى فى تريم ، ولما بلغ من العـمـر نحـو الأربع سنوات ، أصيب بمرض الجدرى ، فأدّى ذلك إلى فقدان بصره ، ولكن الله عز وجل عوّض ذلك عنه بنور البصيرة ـ نور العلم والمعرفة ، واليـقين والولاية ـ فجدّ واجتهد، وقرأ على العديد من العلماء ، وأخذ من كل علم كفايته ، وكان شغوفا بالعلم والعلماء ،مولعا بكلام أهل التحقيق،دائب المجاهدة ، حتى اجـتمع له من العلوم والمعارف مـالم يجتمع لغيـره من أهل زمانه ، ومنذ صغره كان مجتهداً فى العبادة ، وطلب العلم .

يقـول ـ رحمـه الله ـ : « كنت من حـين الصـغر وأنا فى الجـد والعبادة ،وأنواع المجاهدة ، وكانت جـدتى الصالحة ـ سلمى ـ بنت السيد الولى عمر باعلوى تقول لى : ترفق بنفسك ، إذا رأت ما أنا فيه من الجد شفـقة منها على» وكـذا كان والداه يشفقـان عليه من إتعاب نفـسه بأنواع المجـاهدة ، ويقول الإمـام : « إنى أترك كثـيراً من المجـاهدات ، فى أيام بدايتى ، رعاية لوالدّى لما أرى منهما من كثرة الشفقة على » .

وكـان ـ رضى الله عنه ـ كـثـير الخـروج إلى الأودية والشـعـاب

(١) وفى بعض المراجع : ليلة الخميس .

المحيطة بتريم ، ويقول : « أود أن أنفرد لله لأجل لذة الأنس به » .

وكان فى ابتداء أمره يسير فى البلاد للقاء الصالحين ، وزيارة الأموات منهم ، وفى إقامته بزاوية مسجد « الهجيرة » يطوف كل ليلة على مساجد « تريم » كلها ، يصلى فى كل مسجد منها ما تيسر له ، وقد فتح له من حين صغره ، وكان إذا قرأ « يس » يتأثر جدًا ، ويبكى بكاء شديدًا ، ولا يكاد يحتمل قراءة هذه السورة الشريفة ، يقول السيد عبد الله بلفقيه : فيقع لنا أن فتحه فيها .

أخلاقه ومناقبه :

كان الإمام الحداد ـ رحمه الله ـ طويل القامة ، عريضا ما بين الكتفين ، ليس به بدانة ، أبيض اللون ، تعلوه المهابة والوقار ،ولم يكن فى وجهه شئ من أثر الجدرى ، الذى ذهب ببصره فى طفولته.

كان فى أكثر أوقاته مبتسما مستبشرًا مسرورًا ، يسرى هذا السرور منه إلى جلسائه ، وكان إذا ضحك تبسم ، وإذا سر واستبشر استنار وجهه كقطعة بدر ، وكان مجلسه وقورًا هادئا مطمئنا ، لا يكاد أحد من جلسائه يتكلم أو يتحرك ، حتى كأن على رءوسهم الطير .

وكان كل من حضر مجلسه ينسى الدنيا وما فيها ، وربما ذهل الجائع عن جوعه ، والمتألم عن ألمه ، والمهموم عن همه ، ولا يود أحد منهم أن ينقضى المجلس أبدا .

وكان يكلم الناس على قدر عقولهم ، وينزل كل منهم منزلته ، فكان إذا جاءه الرفيع رفعه ، وإذا جاءه من يراه الناس وضيعا آنسه وأخذ بخاطره ، وخصوصا إن كان من الفقراء .

وكــان يحب طلبــة العلم والراغــبــين فى الآخــرة ، لا يمل من مجالستهم ، ويخصهم بزيادة الإيناس والعطف ، وكان مع ذلك لا تشغله مجــالسة الخلق عن حــضوره مع الحق ، فكان يقول : « مــا جلس عندى أحد من الخلق ، فشغلنى عن ذكر الله عز وجل » .

وكــان ـ رحمــه الله ـ يحرص على شــغل مجــالسه بالقــراءة فى الكتب النافــعة ، والمذاكرة فــى العلوم الدينية ، ومــا كان كل من يحــضر مــجالســه من طلاب الآخــرة ، بل تضم العــالم والجــاهل ، فكان بذلك يحفظ مجلســه مما حرم من الكلام كالغيــبة والنميمــة ، ومما هو مباح من فضول الكلام ، ومالا فائدة فــيه ، ولا يتكلم قط إلا بذكر أو مذاكرة علم أو نصيحة مــسلم ، أو إيناسه ، أو غير ذلك من المقاصــد الصالحة، وكان يقول : « طبــيعتى تكره المذاكرة فــى أمور الدنيا وأحوالهــا من قديم . . . وتكره الظهور وتكلفات الناس » ، ويقول : « لا أحد يستشيرنى فى أمور الدنيا ، ولا يذكرها لى أبدًا ، فإنه لا ينبغى ذلك ولا يحسن ، إنما ينبغى أن تكون للآخرة فقط ، وأما الدنيا فينبغى أن يستشار فيها غيرنا . . » .

كان ـ رحمــه الله ـ قدوة للناس فى الأقوال والأفــعال ، ونموذجا للأخلاق النبوية والسجايا المحمــدية ، كان قوى الهمة والعزم فى الدين ، يأخذ فى جميع الأمور بمعاليهــا ، لم يسمع بمكرمة أو فضيلة ، إلا وشمر فى العمل بها ، وكان كــريما سخيا جوادًا ، لا سيمــا فى شهر رمضان ، وكان الــناس يتوافــدون عليه فى رمــضان من أقــاصى البلاد ، يتــبركــون بالإفطار على مائدته الممدودة ، فإنه وإن كان الضيوف وأصحاب الحاجات لا ينقطعــون مــن عنده على مــدار السنة ، إلا أن رمــضــان عند الإمــام

بالحاوى ، كان موسما يحرص الناس على حضوره .

وكان يقول : « باللُّقم تستدفع النقم » ويقول : « لو كان فى اليد والمقدرة شىء لكنّا نملأ لهم مدينتهم فقراء ومساكين فإن أول هذاالدين لم يقم إلا بضعفة المسلمين .

وكان ـ رحمه الله ـ نقى السريرة يحتمل أذى الخلق ، ولا يغضب لنفسه ، وإنما كان غضبه ـ إذا غضب ـ لربه إذا انتهكت محارمه، ويقول : « أما الحقوق التى لنا فقد سمحنا بها ، وأما الحقوق التى لله عز وجل فلا نسمح بها أبدًا » .

وكان ينهى الناس أشد النهى عن الدعاء على من ظلمهم ، وكان عنده خادم ، فكلما فعل الخادم شيئا يغضبه أعطاه الإمام عطية ليزيل غضبه عليه ، فكان الخادم يقول : « ليته يغضب علىّ كل حين » .

وكان فى معاملاته متبعا للسنة ، يأخذ بعلم ويعطى بعلم مع الورع الكامل والتحرز من الشبهات، وكان إذا استأجر أجيرًا ضاعف له الأجرة ، وزاده فوق أمله ، وفوق مقتضى عمله ، وكان يحب إنشاء المساجد ، ففى « النويدرة » بنى مسجداً سماه مسجد« الأوابين»وفى « بسيون » مسجد « باعلوى » وفى « السبير » مسجد « الأبرار » وفى « الحاوى » مسجد « الفتح » أو « التوابين » وفى « شبام » مسجد « الأبدال » وفى « مدودة » مسجد « الأسرار » وبنى مساجد أخرى بنواح متفرقة كثيرة .

وكان ـ رحمه الله ـ جم التواضع ، يظهر ذلك فى أقواله وأشعاره ومكاتباته ، وقد كتب إلى الحبيب على بن عبد الله العيدروس ذات مرة : « أدعو لأخيكم الضعيف إلا من الأمل فى عفو الله ، وقوة الطمع فى

الخفيات من ألطافه ، وجميل ستره على التقصير عن القيام بحقه إلى الغاية والنهاية » .

عباداته ومجاهداته :

لم يعرف عن الإمام الحداد - رحمه الله - أنه صلى أيا من الصلوات الخمس منفرداً ، ولا فى غير أول الوقت ، ولا استعجل فى صلاته ، ولا ترك قيام الليل ، وكان يبالغ فى النهى عن الكلام أثناء انتظار الصلاة ، وينكر على من يفعل ذلك إنكاراً شديداً ، وينهى أصحابه أن يكلموه حين خروجه للصلاة ، ويقول : « فإنا نخرج للصلاة باجتماع وحضور وقطع الهم عما سواها » ، ويقول : « ما شرعت النوافل قبل الصلاة إلا ليحصل فيها اجتماع القلب على الله ، حتى يدخل الصلاة بحضور وإقبال على الله » .

وكان يحافظ على الرواتب القبلية والبعدية ، والأدعية والأوراد المأثورة ، ويصلى الضحى ثمانى ركعات ، وقبلها الإشراق أربعا ، ويصلى صلاة الأوابين عشرين ركعة بعد سنة المغرب ، ثم صار فى آخر الأمر يصليها أربعا بتسليمة واحدة ، وفى يوم الجمعة كان كثيراً ما يصلى الفجر فى المسجد الجامع ، ويعتكف إلى صلاة الجمعة ، طلباً لفضيلة التبكير .

وكان لا ينام إلا قليلا ، وكان نومه خفقات ، وكان من عادته تأخير الوتر إلى قريب الفجر ، وكان فى الغالب ينام قليلا بعد صلاة القيام ، ثم يتوضأ للوتر وصلاة الصبح ، وكان كثير الأذكار ، وخصوصا « لا إله إلا الله » بحيث لا يفتر عنها قط ، ويسرد منها الأعداد المعدودة ، والألوف المعقودة ، وكان يدخلها فى خلال كلامه ، فربما خاطب أحدا

وأتى بها عشرًا ، مدة إجابة ذلك المخاطب بالكلمة والكلمتين .

وكان ـ رحمه الله ـ كثير الصيام ، لا سيما فى الأيام الفاضلة كالإثنين والخميس ، والأيام البيض ، وعاشوراء ، وعرفة ، والست من شوال ، إلى أن أعجزه الكبر .

أما فى رمضان ، فقد قال لأحد أصحابه ناصحاً : « إن رمضان شهر عمل ، فاترك فيه العلم يكون فى غيره ، فإن رمضان لمجرد العبادة ، ألا ترى كيف يترك الناس فيه التدريس إلا إن كان بعد العصر ، تذكيراً للأصحاب إذا جلست معهم ، فاجتهد فيه فى العمل وتنظيف الباطن » .

وكان لا يظهر من أعماله إلا ما كان ضروريا ، ليكون قدوة للآخرين ، فيقول :« إنا لا نظهر شيئا من أعمالنا بالقصد وإن كنا بحمد الله لا نخشى الرياء ـ ولكن كما قال الصدّيق ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [1].

وكان يقول : « قد عملنا بجميع السنة النبوية ، ولم نغادر منها شيئا قط ، سوى تبقية الشعر على الرأس » وقد فعل الإمام ذلك فى نهاية عمره ، وترك شعره حتى وصل إلى شحمة أذنيه كما كان يفعل المصطفى ﷺ .

وكان ـ رحمه الله ـ كثير الزيارة **لسيدنا هود** ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وقبره عليه السلام معروف بـ « حضرموت » وقد زاره الإمام ثلاثين مرة كلها فى شهر شعبان ، وكان يسير بجميع من عنده من

(١) سورة يوسف : الآية ٥٣ . .

القرابة والفقراء والزائرين ، ويمكث غالبـا ثلاثة أيام من اليوم الثانى عشر من شعبان إلى مغـرب ليلة النصف ، وفى طريقه إلى زيارة سيدنـا هـود ـ عليه السـلام ـ يمر على « عينات » فيزور الشـيـخ الكـبير « أبا بكـر بن سالم » والشيخ « أحمد بن الفـقيه المقدم » وكان يزور مـقبرة « بشار» بعد صلاة العصر كل جمعة وكـذلك بعد عصر الثلاثاء ، ويقول : « كنا أولا مقتصرين على زيارة الجمعة فـقط ، فرأى بعض أصحابنا الفقيه المقدم فى المنام فقال له :« قل للسيد عبد الله الحداد : زيارة الجمعة فقط لا تكفى ، فرتبنا زيارة الثلاثاء لذلك » .

أمـا فى بداياته ، وقـبل أن يظهـره الله ،ويلتف الناس حـوله ، فكانت زياراته أكثر من ذلك ، وكثيراً منها ليلا .

كراماتــه :

وللإمام الحداد ـ رحـمه الله ـ كرامات كثيـرة ، ولكنه كان شديد الكراهة لإظهـارها ، بل كان ينكر وقوعـها منه كـثيراً ، حـتى أن بعض أصحابه سنة ١١٠٨هـ أظهر له مصنفا فى أحواله، وفيه شئ من كراماته ، فشدّد عليه النكير ، وأمره أن يغسله ، ومن **كراماته** :

* أن أحد تلامذته ـ وهو الشـيـخ حسين بن محمـد بافضل ـ كان معه حين حج ، واتـفق أنه لما وصل إلى المدينة مرض مرضا أشـرف فيه على الموت ، وكشف السـيد الحداد أن حيـاة الشيخ حسين قـد انقضت ، فجمع جماعة من أصحابه،واستوهب من كل واحد منهم شيئا من عمره، فأول من وهبه السيد عمر أمين فقال: وهبته من عمرى ثمانية عشر يوما ، فسئل عن ذلـك ؟ فقال : مدة السفـر من طيبة إلى مكة اثنا عـشر يوما ،

وستة أيام للإقامة بها ، ولأنها عدة اسمه تعالى « حى » ووهبه الآخرون شيئا من أعمارهم ، وكذلك صاحب الترجمة وهب له من عمره فجمع ذلك وكتبه فى ورقة ، وتوجه إلى قبر النبى ﷺ ، وسأله الشفاعة فى ذلك ، وحصل له أمر عظيم ،ثم انصرف ـ وهو مشروح الصدر ـ قائلا : قد قضى الله الحاجة واستجاب ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(1).

فشفى الشيخ حسين من ذلك المرض ، وعاش تلك المدة الموهوبة له حتى أن الشيخ عبد الله الحداد ـ وهو بتريم ـ آلى أن الشيخ حسين يموت فى هذا العام ، فمات كذلك فى مكة المكرمة .

* **ومن كرامته** : أنه كاشف جماعة بما خطر فى قلوبهم فى حضرته، وخطر لبعضهم لما لقن جماعة الذكر ولم يلقنه أنه تمنى أن يلقنه ذكراً من الأذكار ، فقال له عند ذلك : خطر لك كذا وكذا ، فقال : نعم ، قال : ليس هذا وقته .

* وأتاه بعضهم حال قدومه لمكة ، وعادة السيد أن يسأل كل من أتاه : عن اسمه، ونسبه، ويلين له القول ، ولم يسأل هذا البعض عن ذلك ، فتألم لذلك ، وقال فى نفسه: أما يخاف السلب هذا السيد؟ فقال السيد عند ذلك الخاطر: السلب حق ، ولكن الله تعالى حفظنا منه .

ثناء العلماء عليه :

قال العلامة محمد خليل المرادى : السيد عبد الله بن علوى الشهير كسلفه بالحداد ، الفائق على الأمثال والأنداد ، الذى شيد ربوع

(1) سورة الرعد : الآية ٣٩ .

الفضل وشاد ، حفظ القرآن العظيم ، واشتغل بتحصيل العلوم، وصحب أكابر العلماء وأخذ عنهم ، وكف بصره - وهو صغير - وتفقه على جماعة منهم : القاضى سهيل بن أحمد باحسن ، وحفظ الإرشاد ، وعرضه عليه مع غيره ، ومنحه الله تعالى حفظا يسحر الألباب ، وفهما يأتى بالعجب العجاب ، وفكرًا يستفتح ما أغلق من الأبواب ، ولازم الجد والاجتهاد فى العبادات ، وأضاف إلى العلم العمل ، وشب فى ذلك واكتهل ، ا هـ « سلك الدرر (٣/ ٩١) »

وقال الشيخ يوسف النبهانى : عبد الله بن علوى الحداد إمام أئمة العارفين ، وعين أعيان العلماء العاملين .

وقال السيد محمد الشلى فى « المشرع الروى» : يعامل من جنى أو جفا بالصفح والوفا ،والمودة والصفا ، وإذا أتاه من أخطأ طريق السلامة والنجاة ، وخسر آخرته ودنياه ، نهض له بالعناية والاجتهاد والمساعدة على هدايته بكل حال ، حتى يوصله إلى نهاية الآمال ويصلح ما مضى فعله بحسن الاستقبال .

وقال الحبيب أحمد بن زين الحبشى : « كان آخذاً بالعفو ، آمرا بالمعروف ، معرضا عن الجاهلين » .

ويقول الشيخ طه بن حسن السقاف : ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد ، داعيا إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأقبل عليه الناس وانتشر صيته فى البلدان ، وانتفع به القاصى والدانى ، فنفع الله به الكثير ، وأرشد الجم الغفير ، وانتشرت دعوته فى كل مكان ، وانتفع الناس بوعظه وكتبه .

مشايخه وتلاميذه :

أخذ ـ رحمه الله ـ عن علماء عصره ، وفى مقدمتهم :

* السيد الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب العلامة عقيل بن عبد الرحمن السقاف ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب العلامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلى ـ رحمه الله ـ.
* الإمام العلامة السيد محمد بن علوى السقاف ـ رحمه الله ـ.

وممن أخذ عنه وتتلمذ على يديه :

* ابنه السيد الحبيب حسن بن عبد الله الحداد ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب العلامة أحمد بن زين الحبشى ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب العلامة محمد بن زين بن سميط ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب العلامة عمر بن زين بن سميط ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب على بن عبد الله السقـاف ـ رحمه الله ـ.
* الحبيب محمد بن عمر بن طه الصافى السقاف ـ رحمه الله ـ.

وغيرهم

مؤلفاته

انتشرت مؤلفات الإمام الحداد فى الأمة انتشاراً كبيراً ، وكان لها أثر بالغ فى جذب القلوب إلى الحق ، وتهذيب النفوس ، والإجابة على التساؤلات التى كثيراً ما تدور بأذهان طلبة العلم .

وقد أوتى الإمام وفرة العلم والعقل ، والحكمة وقوة الحفظ ، فجاء قوله فصلا ، وبيانه شافيا كافيا .

وقد طبعت مؤلفاته مراراً في مختلف بلدان العالم الإسلامى ، وغير الإسلامى ، وترجم بعضها إلى اللغات الملايوية ، و الانجليزية والسواحلية ، وقد عنى بطبعها فى القاهرة مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء بها ، شيخنا العلامة الفقيه حسنين محمد مخلوف العدوى ـ رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً ـ .

هذا وإليكم بيان بأسماء هذه المؤلفات :

- النصائح الدينية والوصايا الإيمانية .
- رسالة المذاكرة مع الإخوان والمحبين من أهل الخير والدين .
- رسالة آداب سلوك المريد .
- إتحاف السائل بأجوبة المسائل .
- رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين فى سلوك طريق الآخرة
- سبيل الادّكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقص له من الأعمار .
- الدعوة التامة والتذكرة العامة .

- الفصول العلمية والأصول الحكمية .
- كتاب الحكم .
- النفائس العلوية فى المسائل الصوفية .
- المجموع « اشتمل على مكاتباته وديوان شعره ووصاياه وحكم »
- الدر المنظوم لذوى الفضل والفهوم ـ ديوان شعره ـ

وقد قام بطبع ونشر معظم هذه المؤلفات دار « النشر » للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ببيروت .

وفاته :

قال الشيخ أحمد الشجار : « لم يزل سيدنا ـ رضى الله عنه ـ مواظبا على عوائده كلها : من حضور الصلوات وترتيب الأوراد ، ومجالس القرآن فى البكر والعشيات ، إلى عشية يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١١٣٢هـ وقد حصل معه بعض الألم وكان ذلك يعاوده ، ومع بداية هذا المرض لم يتمكن من الخروج للصلوات والدروس كما كان دأبه ، ولكن صار خروجه منقطعا . كلما أحسّ بشئ من العافية والقوة خرج إلى أن صار ـ بتزايد المرض عليه ـ لا يتمكن من الخروج البتة ، وبدأ الناس يتزاحمون على بابه ويريدون عيادته . . » .

وفى ضحى يوم العيد جاءه السيد زين العابدين العيدروس و أخوه ، وذكر لهما رؤيا رأى فيها السيد على بن عبد الله العيدروس بعد وفاته ، وأولها بأنه قريب اللحوق به .

وبقى الإمام أياما لا يسمح للناس بالدخول عليه ، وقد يسمح لهم لفترات وجيزة فيصافحهم ويدعو لهم ، ثم بعد ذلك لا يستقبل إلا الخواص من أصحابه، حتى كان الثامن عشر من شوال ، وكثر الطامعون فى

الزيارة ، فأرسل إليهم قائلا : « أمـا أنا فلست متكلفا لأجلكم الجلوس ، ولا أريدكم تدخلون على وأنا مضطجع ، فادعوا لى وأنا أدعو لكم »

وكان فى مرضه كثيراً ما يذكر حديث : « ***كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم*** » .

وفى اليـوم الأربعين من مرضـه وفى ليلة الثـلاثاء فاضت روحـه الطيبة إلى بارئها ، وانتقل الإمام إلى الآخرة ببيته الذى فى « الحاوى » وله من العمر ٨٨ سنة وتسعة أشهر إلا ثلاثة أيام . .

ولم يُعلموا أحـداً بموته إلا بعد الفجـر ، وبدأوا فى الغسل وقت الضحى ، وقام بذلـك ابنه السيد « **الحسن** » وساعده أحـد أصهاره ، ولما صلوا العصـر صلوا عليه صلاة الجنازة ، ثم حـملوه فى النعش ، والناس يتنافسـون على حمله ، ولم يبلغـوا المقبـرة إلا قرب اصفـرار الشمس من شدة الزحام ، وما فرغوا من الدفن إلا بعد الغروب ، ثم نصبوا على قبره خيمته الكبيرة التى كان ينصبها فى زيارته لنبى الله « **هود** » ـ عليه السلام ـ وجلس تحتـها الذين يقرءون القـرآن ، إذ عادة أهل « حضرمـوت» القراءة على القبـر ثلاثة أيام ، ولم تمض ساعة من ليل أو نهـار إلا ويفد ناس لم يشهـدوا الصلاة عليه ، فـيصلون على القـبر ، ويدعون لأنفـسهم وله ، ويترضون عنه ، ويترحمون عليه .

وأما عن محل قبره ، فقد أخبر السيد الفاضل « على عيديد » أنه كان قـد صحب الإمام عبـد الله فى إحدى زياراته لمقبـرة « بشار » وذلك قبل وفاته بسنوات عديدة ، فلما خرج من قبة الشيخ « عبد الله العيدروس » خطا خطوات إلى الموضع الذى أصبح فيما بعد مرقده، فوقف فيه وقال :

« بسم الله ، رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » .

رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مـثواه ، وجمعنا وإياه فى مستقر رحمته ، بجاه سيـدنا محمد وآله وصحبه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأكرم ، على آله وصحبه وسلم .

[والحمد لله رب العالمين]

مصادر ترجمته :

١) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عـشر لأبى الفضل محمد خليل بن على المرادى (٣/ ٩١).
٢) كـشف الظنون عن أسـامى الكتب والفنون لحـاجي خليـفـة (٥/ ٣٩٢) .
٣) فهرست الخديوية (٢/ ١٥٦) .
٤) حضرموت عبر أربعة عشر قرنا للسيد على الكاف.
٥) المشرع الروى فى مناقب السادة الكرام آل أبى علوى للشلى.
٦) غاية القصد والمراد فى مناقب الإمام الحداد للسيد محمد سميط.
٧) جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهانى (٢/ ٢٦٣) .
٨) معجم المؤلفين للأستاذ رضا كحالة (٦/ ٨٥) .
٩) الإمام الحـداد مجـدد القرن الثانى عـشر الهـجرى للدكـتور مصطفى حسن البدوى

كتبه الفقير

محمد نور الدين مربو بنجر المكي

القاهرة : ١٩ / ١٢ / ١٩٩٦ م

٨ شعبان ١٤١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا با العلى العظيم ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم

الحمد رب العالمين ، الذى جعل الدعـوة إلى الهدى والدلالة على الخير والنصـيحة للمسلمين من أفـضل القربات ، وأرفع الدرجات ، وأهم المهـمات فى الدين ، وذلك سـبيل أنبـياء الله والمرسلين ، وأوليـائه الصالحـين ، والعلماء العـاملين الراسخين فى العلم واليـقين ، وصلى الله وسلّم على سيدنا ومولانا محمد الرسول الأمين ، والحبيب المكين ، خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيـد السابقين واللاحقين ، وعلى آله وأصحابه المخلصين الصادقين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فقـد قال رسـول الله ﷺ : « **إنما الأعمـال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مـانوى ، فمن كانـت هجرته إلى دنيا يصيبهـا ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه** » [رواه البخارى ومسلم] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **الدين النصيحة** » قالوا : لمن يارسول الله؟ قال : « **لله ولكتابه ولرسـوله ولأئمـة المسلمين وعـامـتهم** » [رواه مسلم] [1].

وهذا كتاب ألفناه وجمعنا فيه نُبذا من النصائح الدينية ، والوصايا الإيمانية ، وقـصدنا بذلك النفـع والانتفاع ، والتـذكر والتـذكير لأنـفسنا ولإخواننا من المسلمين ، وقد جـعلناه بعبارة سهلة قريبـة ، وألفاظ سلِسَة مـفهـومة ، حـتى يفهـمه الخـاص والعام ، من أهل الإيمان والإسـلام ،

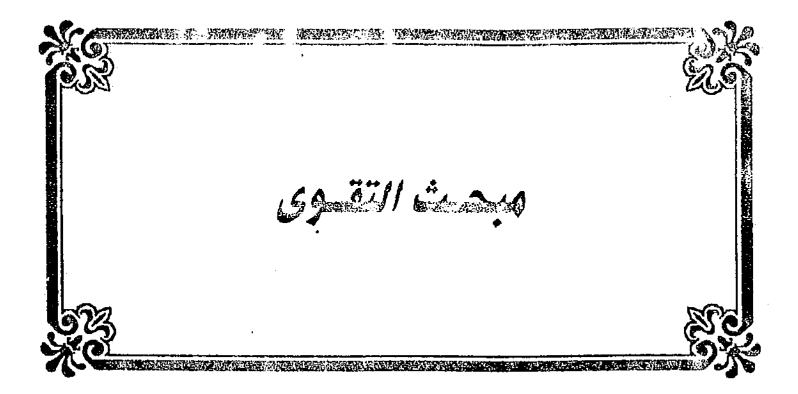
(١) والبخارى، والترمذى، والنسائى، وأحمد ، والطبرانى ، والدارمى ، وغيرهم.

وسميناه كتـــاب:

[النصائح الدينية والوصايا الإيمانية]

نسأل الله تعـالى أن يجعله خالصـاً لوجهه الكريم ، ومـقربًا إلى جـواره فى جنات النعـيـم ، وأن يعظم النفع به لنا ولـكافـة إخـواننا من المؤمنين ، فإنه ولىٌّ ذلك والقـادر عليه ، وحسبنا الله ونعم الـوكيل وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *



مبحث التقوى

التقوى سبب للسعادة والفلاح

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾[(١)]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾[(٢)]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾[(٣)].

فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ أمر منه عز وعلا لعباده المؤمنين بتقواه ، وكأنه سبحانه قد جمع في التقوى جميع الخيرات العاجلة والآجلة ، ثم أمر عباده المؤمنين بها ليفوزوا ويظفروا بما جعله فيها من الخير والصلاح ، والسعادة والفلاح ، رحمة بعباده المؤمنين وكان بالمؤمنين رحيما .

« والتقوى » وصية الله رب العالمين للأولين والآخرين ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾[(٤)].

فما من خير عاجل ولا آجل ، ظاهر ولا باطن ، إلا والتقوى سبيل موصِّل إليه ، ووسيلة مبلِّغة له ، وما من شرٍ عاجل ولا آجل ، ظاهر ولا باطن، إلا والتقوى حرز حريز ، وحصن حصين للسلامة منه، والنجاة من ضرره .

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٧.
(٢) سورة النساء : الآية ١٢٢.
(٣) سورة آل عمران : الآيات ١٠٢ - ١٠٥.
(٤) سورة النساء : الآية ١٣١.

وكم علّق الله العظيم فى كتابه العزيز على التقوى من خيرات عظيمة ، وسعادات جسيمة ، فمن ذلك ـ المعيَّة الإلهية الحفظية اللطيفة ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ومن ذلك ـ العلم اللَّدُنِّى قال الله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [2]

ومن ذلك ـ الفرقان عند الاشتباه ووقوع الإشكال ، والكفارةُ للسيئات ، والمغفرةُ للذنوب ؛ قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[3] .

ومن ذلك ـ النجاة من النار ؛ قال الله تعالى :

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾[4] ، وقال : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[5] .

ومن ذلك ـ المخرج من الشدائد ، والرزقُ من حيث لا يَحتسب ، واليسر وعظَم الأجر ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾[6] ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[7] ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[8] .

ومن ذلك ـ الوعد بالجنة ؛ قال الله تعالى :

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .
(٣) سورة الأنفال : الآية ٢٩ .
(٤) سورة مريم : الآية ٧٢ .
(٥) سورة الزمر : الآية ٦١ .
(٦) سورة الطلاق : الآية ٢ .
(٧) سورة الطلاق : الآية ٤ .
(٨) سورة الطلاق : الآية ٥ .

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[٢] ، ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣] ، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[٤] ، ﴿ إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾[٥] .

ومن ذلك ـ الكرامةُ فى الدنيا والآخرة ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٦] .

فجعل الكرامة عنده بالتقوى . لا بالأنساب ، ولا بالأموال ، ولا بشىء آخر ، وكم وعد الله ورسوله على التقوى : من خيرات وسعادات، ودرجات وحسنات ، وصلاح وفلاح ، وغنائم وأرباح ،يطول ذكرها ويتعذر حصرها .

ومن أحسن ما قيل فى المعنى

من يتَّق الله فذاك الـــذى سِيق إليـه المتجرُ الرابحُ

وقيل أيضـاً :

من عـرف الله فلم تُغنِه معرفـةُ الله فذاك الشقـى

ما ضرَّ ذا الطاعةِ ما نالـه فى طاعة الله ومـاذا لَقِى

ما يصنع العبدُ بعزِّ الغِنى والعزُّ كلُّ العـز للمتقـى

أقوال العلماء فى التقوى

قال العلماء ـ رضوان الله عليهم ـ: التقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ظاهراً وباطناً ، مع استشعار التعظيم لله،

(١) سورة مريم : الآية ٦٣.
(٢) سورة الرعد : الآية ٣٥.
(٣) سورة ق : الآية ٣١.
(٤) سورة القلم : الآية ٣٤.
(٥) سورة الطور : الآية ١٧.
(٦) سورة الحجرات : الآية ١٣.

والهيبة والخشية والرهبة من الله.

وقال بعض المفسرين ـ رحمهم الله ـ فى قوله تعالى :

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ : هو أن يُطاع فلا يُعصَى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر . انتهى .

ولن يستطيع العبد ولو كان له ألفُ ألفِ نَفْس إلى نفسه ، وألف ألف عُمْر إلى عمره ـ أن يتقى الله حق تقاته ، ولو أنفق جميع ذلك فى طاعة الله ومحابِّه ؛ وذلك لعظم حق الله تعالى على عباده ، ولجلال عظمة الله ، وعلوّ كبريائه ، وارتفاع مجده ، وقد قال أفضل القائمين بحق الله وأكملُهم محمد ﷺ فى دعائه ، اعترافاً بالعجز عن القيام بإحصاء الثناء على الله : « *أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك* » (١).

وقد بلغنا أن لله ملائكةً لم يزالوا منذ خلقهم الله فى ركوع وسجود ، وتسبيح وتقديس ، لا يفتُرون عنه ، ولا يشتغلون بغيره ؛ فإذا كان يوم القيامة يقولون : سبحانك ربَّنا ولك الحمد ، ما عرفناك حق معرفتك ، ولا عبدناك حق عبادتك .

وقد قال بعض العلماء: إن قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ منسوخ بقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾(٢).

وقال بعضهم : الآية الثانية مبيِّنة للمراد من الآية الأولى لا ناسخة لها ؛ وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالى ، فإن الله تعالى ـ وله الحمد ـ لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، وإن كان له ذلك لو أراده وأمر به ، لأن له أن يفعل فى ملكه وسلطانه ما يشاء ، ولكنه سبحانه قد خفّف

---

(١) [حديث صحيح ، رواه مسلم ، والأربعة عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ] .
(٢) سورة التغابن : الآية ٦١.

ويسرَّ ، كـما قال تعـالــى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾(١) ، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾(٢).

قال الإمام الغزالى(٣) - رحمـه الله - فى « الإحيـاء » : لما نزل قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ

---

(١) سورةالنساء : الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٣) هو حجـة الإسلام أبو حامـد محمد بن مـحمد بن مـحمد الطوسى الغـزالى، أحد الأعـلام، أخذ عن إمـام الحرمين ولازمـه ، حتـى صار أنظر أهل زمـانه ، وجلس للاقراء فى حياة إمامه ، وصنّف التصانيف مع التـصون والذكاء المفرط، والاستبحار فى العلم، تولى نظامية بغداد ، فدرّس بها مدة، ثم تركها وحج ورجع إلى دمشق . وأقام بها عشـر سنين ، وصنّف فيها كتبـا ، ثم سار إلى القدس والأسكندرية ، ثم عاد إلى وطنه بطوس مقبلاً على التصنيف، والعبادة ، ونشر العلم ، بحيث لا يمضى لحظة من أوقاته إلا فى طاعة : من التـلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث ، وإدامة الصوم ، والتهجد ، ومجـالسة أهل القلوب ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ، وهو قطب الوجـود ، والبركة الشـاملة لكل موجـود، يتقرب إلى الله تـعالى به كل صديق ، ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق.

قال الأسنوى فى « طبقاته » : الغزالى إمام باسمه تنشرح الصـدور ، وتحيا النفوس ، وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس ، وبسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤس . ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ ، وكـان والده يغزل الـصوف ويبـيعـه فى حانوته ، فلمـا احتضر أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفى صالح، فعلمهما الخط وأدبهما، ثم نفذ منه ما خلّفه أبوهما وتعذر عليه القوت ، فقال : لكما أن تلجآ إلى المدرسة ، قال الغزالى فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت . ثم ارتحل إلى أبى نصر الإسماعيلى بجـرجان ، ثم إلى إمام الحرمين بنيسابور ، فلما مـات إمامه خرج إلى العسكر ، وحضر مجلس نظام الملك ، وكان مجلسـه محط رحال العلماء، ومقصد الأئمة والفصحاء، فوقع للغزالى أمور تقتضى علو شأنه، من ملاقاة الأئمة، ومجاراة الخصوم ، ومنـاظرة الفحول ، فأقـبل عليه نظام الملك ، وحل منه محلا عظـيما ، فعظمت منزلته ، وطار اسـمه فى الآفاق ، ونفذت كلمته ، وعظمت حشـمته حتى غلبت على حشمة الأمراء والوزراء.

من تصانيـفة :« البـسيط» و« الوسـيـط » و « الوجيز» و« المـستـصـفى » و « منهاج العابدين » و« بداية الهداية » و« إحياء علوم الدين »و « المنقذ من الضلال »وغيرها.

توفى - رضى الله عنه - فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ .

راجع « طبقات ابن قاضى شهبة » (١/ ٢٩٣) ، « شذرات الذهب » (٤/ ١٠) .

تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [١] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم ؛ فجاءوا إليه وقالوا : يا رسول الله ، كُلِّفنا مالا نطيق ! وفهموا من الآية المؤاخذة والمحاسبة حتى على حديث النفس! فقال لهم عليه السلام : « *أتريدون أن تقولوا كما قالت بنو إسرائيل : سمعنا وعصينا ! ولكن قولوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير* » فقالوا ذلك ، فأنزل الله : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾الآية [٢].

فحكى ذلك عنهم وما بعده من دعائهم: بأن لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ ، وأن لا يحمل عليهم الإصر؛ إلى آخر ما أخبر به عنهم ، فاستجاب لهم وخفف ويسّر ورفع الحرج - فله الحمد كثيرا - وبيّن ذلك عليه السلام بقوله : « *تجُوِّز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، وما حدَّثوا به أنفسهم مالم يقولوا أو يعملوا* » [٣].

تمنى الموت على الإسلام

وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أمرٌ منه سبحانه بالموت على الإسلام ، وهو دين الله الذى أخبر فى كتابه أنه الدِّين عنده ، وأنه لا يقبل من أحد سواه ، وأنه الدين الذى رضيه لرسوله ولعباده المؤمنين ؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٦] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٤.
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٥.
(٣) [رواه أصحاب السنن وغيرهم بألفاظ متقاربة] .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .
(٦) سورة المائدة : الآية ٣ .

وليس يقدر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام ، ولكن قد جعل الله له سبيلا إلى ذلك ، إذا أخذ به كان قد أتى بالذى هو عليه ، وامتثل ما أمر به ، وهو أن يختار الموت على الإسلام ، ويحبّه ويتمناه ، ويعزم عليه ، ويكره الموت على غيره من الأديان ، ولا يزال داعياً متضرّعاً وسائلا من الله أن يتوفاه مسلماً ؛ وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام : ﴿ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[١] .

وعن السحرة حيث آمنوا فتوعدهم فرعون بالعقوبة : ﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[٢] .

وحكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه أوصى بنيه ، وعن يعقوب أنه أوصى بنيه ـ عليهم السلام ـ بالموت على الإسلام فقال تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٣] .

الطاعات تقوّى الإسلام والمعاصى توهنه

وعلى الإنسان الاجتهاد فى حفظ إسلامه ، وتقويته بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى ، فإن المضيِّع لأوامر الله متعرض للموت على غير الإسلام ؛ فإنَّ تركه لذلك دليل على استهانته بحق الدين ، وعلى الاستخفاف به ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر .

وعليه أيضاً أن يجانب المعاصى والآثام ، فإنها تضعف الإسلام وتوهنه ، وتزلزل قواعده وتعرِّضه للسلب عند الموت ، كما وقع ذلك ـ والعياذ بالله ـ لكثير من الملابسين لها ، والمصرِّين عليها .

وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا

(١) سورة يوسف : الآية ١٠١ . (٢) سورة الأعراف : الآية ١٢٦ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٣٢ .

بآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[١]، ما يدل على ذلك ؛ فتأمله ، وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب محارمه ، وإن وقعت فى شىء منها فتب إلى الله تعالى منه ، واحذر كل الحذر من الإصرار عليه .

سؤال حسن الخاتمة والخوف من سوئها

ولا تزَل سائلا من الله حسن الخاتمة ، وقد بلغنا أن الشيطان ـ لعنه الله ـ يقول : قصم ظهرى الذى يسأل الله تعالى حسن الخاتمة ، أقول : متى يُعجَب هذا بعمله ! أخاف أن قد فَطِن .

وأكْثِر من الحمد والشكر لله على نعمة الإسلام ، فإنها أعظم النعم وأكبرها ؛ فإن الله تعالى لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبدا ، ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه ، ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا ، لم يضره ذلك؛ لأن الأول يموت فيصير إلى النار ، وهذا الثانى يموت فيصير إلى الجنّة .

وعليك أن لا تزال خائفاً وجِلا من سوء الخاتمة ، فإن الله مقلِّب القلوب ، يهَدى من يشاء ، ويضل من يشاء ، وفى الحديث الصحيح : « *والذى لا إله غيره إن أحدكم لَيعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم لَيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها* » الحديث[٢].

وفيه غاية التخويف لأهل التقوى والاستقامة ، فضلاً عن أهل التفريط والتخليط ، وكان بعض السلف الصالح يقول : والله ما أمن أحد على دينه أن يُسلب إلا سُلب ، وقد كان السلف الصالح ـ رحمه الله

---

(١) سورة الروم : الآية ١٠ .

(٢) [رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وأحمد ، وغيرهم] .

عليهم - فى غاية الخوف من خاتمة السوء مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم ، حتى قـال بعضهم : لو عـرض علىَّ الموت على الإسلام بباب الحـجرة ، والشهادةُ ببـاب الدار - يعنى الشهادة فى سبـيل الله - لاخترت الموت على الإسلام على باب الحجرة على الـشهادة على باب الدار؛ لأنى لا أدرى ما الذى يَعرِض لقلبى فيما بين الحجرة إلى باب الدار! .

وقال آخر لبـعض إخوانه : إذا حضرنى الموت فـاقعد عند رأسى وانظر ؟ فإن رأيتنى قدْ متُّ على الإسلام فخذ جميع ما معى فبِعْه ، وخذ به سكّراً ولَوْزاً وفرِّقـه على الصبيان ، وإن رأيتنى قد مـتُّ على غير ذلك فأعلم الناس ليصلى علىَّ من أراد أن يصلى على بصيرة - وكان قد ذَكر له علامة يعرف بها الفرق بين الأمرين - قال: فرأيته قد مات على الإسلام ، وفعل مـا أمره به من التصدق على الصـبيان - وحكاياتهم فى ذلك كـثيرة مشهورة .

الختم بالسوء للعصاة والمبتدعة غالباً

(واعلـم) أنه كثـيراً مـا يختم بالسـوء للذين يتهاونـون بالصلاة المفروضة ، والزكاة الواجبة ، والذين يتـتبَّعون عورات المسلمين ، والذين ينقصون المكيـال والميزان ، والذين يخدعون المسلمين ويغُشـونهم ويلبِّسون عليهم فى أمور الدين والدنيـا ، والذين يكذِّبون أولياء الله وينكرون عليهم بغيـر حق ، والذين يدَّعون أحـوال الأولياء ومقـاماتهم من غيـر صدق ، وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة .

ومن أخوف مـا يخاف منه على صـاحبه سـوء الخاتمة **البدعةُ فى الدِّين ، وكـذلك إضـمـار الشك فى الله ورسـوله واليـوم الآخـر** ،فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رَحِم.

اللهم يا أرحم الراحـمين ، نسـألك بنور وجـهك الكريم ، أن تتوفنا مسلمين ، وأن تلحقنا بالصالحين، فى عافية يارب العالمين .

الأمر بالاعتصام بحبل الله والنهى عن التفرّق

وقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾، أمرٌ بالاعتـصام بدين الله ، وهو التـمسك والأخـذ به ، والاستـقامة عـليه ، والاجتماع على ذلك ، ونهىٌ عن التفرق فيه ؛ لأن الجماعة رحمة والفرقة عذاب ، ويد الله مع الجماعة ، كما قال عليه الصلاة والسلام(١) .

ولما كان قِـوام هذا الدين الشريف وأصله بالاجـتمـاع ، والمعاونة واتحاد الكلمة ، كان الافتراق فيه وعدم المسـاعدة على إقامته موجبا لوهْنه وضعفه ؛ فظهر أن الاجتمـاع فى الدين أصل كل خير وصلاح ، والتفرق فيه أصل كل شرٍ وبـلاء .

الشكر على نعمة الألفـة

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ، أمـرٌ بشكره تعالى على نـعمـة الألفة التى أنعم الله بهـا عليـهم بعـد العـداوة الشـديدة الـتى كانـت بين الأوس والخـزرج ـ وهـم أنصار الله ورسـوله ـ خصوصـا ، وبين سائر العـرب عمومـا ؛ فإنهم إنما كانوا يقتتلون ويتناهبون ، ويظلم بعضهم بعضا حتى بعث الله فيهم رسوله وأنزل عليه كتـابه ؛ فجمع به شتَـاتَهم ، وألّف بين قلوبهم ، وأزال به ما

(١) فعن ابن عـمـر ـ رضى الله عنهما ـ قـال : قال رسول الله ﷺ : « *لن تجتمع أمتى على الضـلالة ، فعليكم بالجماعة ، فإن يد الله مع الجمـاعة* » . [رواه التـرمذى ، والطبرانى ، والحاكم ، والبيهقى ، وغيرهم]

كان بينهم من الضغائن والعداوات ، والفتن والمقاطعات ، فأصبحوا بنعمته إخوانا فى دينهِ ، ونصرة رسوله ، وتعظيم شعائره ، وقد ذكر الله تعالى ذلك فى معرِض الامتنان على رسوله عليه السلام فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١] .

وقد كانوا من قبل أن يبعث الله إليهم رسوله على شفا حُفرة من النار ، وذلك بما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأصنام ؛ فأنقذهم الله منها بما شرعه لهم من توحيده والعمل بطاعته ؛ فطلب الله منهم سبحانه أن يشكروه على ذلك ، ويعرفوا حق نعمته عليهم فى إنقاذهم من الضلالة ، واجتماعهم بعد الفرقة ،وحذَّرهم فى ضمن ذلك من موجبات الفرقة ، والاختلاف بعد الاجتماع والائتلاف : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢] . أى تزدادون هدًى إلى هداكم؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[٣] .

وجوب الدعوة إلى الخير

وقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ أى جماعة ﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ أمرٌ بالدعوة إليه ، وهو ـ أعنى الخير على الجملة ـ الإيمانُ والطاعة، والدعوة إلى ذلك منزلة عند الله رفيعة ، وقربةٌ إلى الله عظيمة؛ قال ﷺ : « *من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ*

---

(١) سورة الأنفال : الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .
(٣) سورة محمد : الآية ١٧ .

آثام من تبعه من غير أن ينقص من آثامهم شيء »[١].

وقال عليه السلام : « الدّالُّ على الخير كفاعله »[٢].

فمن جعل الدعاء إلى الخير دأْبَه وشُغْلَه فقد أخذ بحظ وافر من ميراث رسول الله ﷺ ، وسار على سبيله التي قال تعالى فيها : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٣].

فلم يكن شغله عليه السلام فى جميع أوقاته غير الدعوة إلى الله بقوله وفعله ؛ ولذلك بعثه الله ، وبذلك أمره ؛ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾[٤].

فأقرب الناس من رسول الله ﷺ وأولاهم به فى الدنيا والآخرة أحرصهم على هذا الأمر ، وأكثرهم شُغلا به ، وأتمهم دخولا فيه ـ أعنى به الدعوة إلى الخير المفسر بالإيمان والطاعة ، والنهى عن ضدَّيهما اللذين هما الكفر والمعصية ـ.

وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وقوله تعالى : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، [معطوف على ما قبله] « والفلاح » هو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة .

والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر : من أعظم شعائر الدّين ، وأقوى دعائم الإسلام ، وأهمّ الوظائف على المسلمين ، وبها قِوام الأمر

(١) [حديث صحيح. رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وغيرهم].

(٢) [رواه الطبرانى ، والخطيب ، والطحاوى ، والخرائطى ، وأبو نعيم ، وغيرهم ورواه مسلم ، والترمذى ، وأحمد بلفظ : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »].

(٣) سورة يوسف : الآية ١٠٨.

(٤) سورة الرعد : الآية ٣٦ .

وصلاح الشأن كله، وبإهمالهما تَتَعطل الحقوق، وتَتَعدَّى الحدود ، ويخفى الحق ويظهر الباطل .

« والمعروفُ » عبارة عن كل شىء أمر الله بفعله ، وأحبَّ من عباده القيامَ به .

« والمنكرُ » كل شىء كره الله فعله، وأحب من عباده تركه .

والقيامُ بذلك ـ أعنى الأمر والنهى ـ لابدَّ منه ، ولا رخصة فى تركه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان* »[١] .

وفى رواية أخرى « *ليس وراءَ ذلك* ـ يعنى الإنكار بالقلب ـ *من الإيمان مثقال ذرة* » .

وقال عليه الصلاةُ والسلام : « *ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « *والذى نفسى بيده ، لتَأمرنَّ بالمعروف ، ولَتنهوُنَّ عن المنكر، ولَتأخذنّ على يد الظالم ، أو لَيبعثنَّ الله عليكم عقاباً من عنده* »[٣] .

وقال عليه السلام : « *إذا هابت أمتى أن تقول للظالم : يا ظالم ؛ فقد تُودِّع منها* »[٤] ، ومعنى ذلك : فقد ذهب خيرها ، ودنا هلاكها .

التعللات الباطلة فى تركهما

ولا يقبل الله تعالى الأعذار الباردة ـ والتَّعَلُّلات الكاذبة التى يتعلل بها أبناء الزمان فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وأبو دواد ، والترمذى ، وابن ماجه . وأحمد ، وغيرهم] .
(٢) [رواه أحمد ، والترمذي واللفظ له، وابن حبان] .
(٣) [رواه أبو داود ، والترمذى وقال :حديث حسن] .
(٤) [رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد] .

كقولهم : إنه لا يُقبل منّا مهـما أمرنا أو نهينا ، أو أنه يحصل لنا بواسطة الأمر والنهى أذى لا نطيقه ، وأشبـاه ذلك من توهمات من لا بصيرة له ، ولا غيرة على دين الله .

وإنما يجوز السكوت عند تحقق وقوع الأذى الكثير ، أو تيقن عدم القبول ؛ ومع وجـوب ذلك فالأمر والنهى أفضلُ وأولى ، غـير أنه يسقط الوجوب .

والعجبُ أن أحـدهم إذا شُتم أو أخـذ من ماله ولو شيـئاً يسـيراً تضيق عليه الدنيا ولا يمكنه السكوت ، ولا يتعلّل بشىء من تلك التعللات التى يتعلّل بها فى السكوت على المنكرات ، فـهل لهذا محمل ، أو وَجْهٌ سوى أن أعراضهم وأموالهم أعزُّ عليهم من دينهم .

وإذا سلمنا لهم أنه لا يُسمع منهم إذا أمروا أو أنكروا ، فما الذى يحملهم على مـخالطة أهل المنكر ومـعاشرتهم !؟ وقـد أوجب الله عليهم تركهم ، والإعراض عنهم ،مهما لم يسـتجيبوا لله ورسوله، وقد ثبت أن الذى يشاهد المنكرات ولا ينكرها مع القدرة شـريك لأصحابها فى الإثم، وكذلك الذى يرضى بها وإن لم يكن حـاضراً عندها ، بل وإن كان بينه وبين الموضع الذى تُعمل فيه مثل ما بين المشرق والمغرب [1] .

والذى يخـالط أهل المنكر ويعاشـرهم - وإن لم يعمل بعـملهم - معدودٌ عند الله منهم، وإن نزلت بهم عقـوبة أصابته معهم [2] ، ولا ينجو

---

(١) روى أبو داود عن عرس بن عميـرة الكنـدى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « *إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها وكرهها* » وفي رواية : « *فأنكرها* » *كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها* » .

ويقول المصطفى ﷺ : « *من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ، ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها* » [رواه ابن عدى] .

(٢)وفى الحديث : « *إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه عمهم الله بعقاب* »[رواه النسائى] .

ويقول النبى ﷺ : « *ما من قوم يعـمل فيهم بالمعاصى ، ثم يقـدرون على أن يغيروا ، ثم لم يغيّروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب* » [رواه أبو داود] .

ولا يسلم إلا بالنهى، ثم بالمجانبة والمفارقة لهم إن لم يقبلوا وينقادوا للحق.

والحبّ فى الله لأهل طاعته ، والبغضُ فى الله لأهل معصيته ، من أوثق عُرى الإيمان ، وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أحدث بنو إسرائيل الأحداث ، نهتهم علماؤهم فلم يستمعوا لهم ، فخالطوهم بعد ذلك وواكلوهم ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم [(١)].

وفى قصة أهل القرية التى كانت حاضرة البحر : أنهم لما استحلوا الاصطياد المحرّم عليهم يوم السبت، تفرقوا ثلاث فرق: ففرقة اصطادوا واستحلوا ما حرم الله عليهم ، وفرقة أمسكوا ونهوهم ولم يفارقوهم ، وفرقة فارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم بعد النهى لهم ، فلما نزلت العقوبة عمت الأولى، وكذلك الثانية، لإقامتهم مع أهل المعصية وإن لم يعملوا بعملهم ، ونجت الفرقة الثالثة ، وذلك قوله تعالى :

﴿ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[(٢)]، فمسخهم الله قردةً ولعنهم ،كما فى الآية الأخرى : ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾[(٣)]، وتكون الهجرة والمجانبة لأهل المعاصى عند الإياس من قبولهم للحق .

لا يجوز البحث عن المنكرات المستورة

(واعلم) أنه ليس بواجب على أحد أن يبحث عن المنكرات المستورة حتى ينكرها إذا رآها ، بل ذلك محرم لقوله تعالى :

(١) [هذا الحديث رواه المؤلف بالمعنى ، وهو فى سنن أبى داود ، والترمذى] .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٦٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ٤٧ .

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[١] ، ولقول النبى عليه السلام : « من يتتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته .. الحديث»[٢] .

وإنما الواجب هو الأمر بالمعروف عندما ترى التاركين له فى حال تركهم ، والإنكار للمنكر كذلك ، فاعلم هذه الجملة ؛ فإنا رأينا كثيراً من الناس يغلطون فيها .

وجوب التحفظ والاحتياط فى الأمور

ومن المهمِّ : أن لا تصدِّق ولا تقبل كل ما يُنقل إليك من أفعال الناس وأقوالهم المنكرة ، حتى تشاهد ذلك بنفسك ، أو ينقله إليك مؤمن تقىٌّ لا يجازف ، ولا يقول إلا الحق ، وذلك لأن حسن الظن بالمسلمين أمر لازم ؛ وقد كثرت بلاغات الناس بعضهم على بعض ، وعمَّ التساهل فى ذلك ، وقلّت المبالاة ، وارتفعت الأمانة ، وصار المشكور عند الناس من وافقهم على هوى أنفسهم ،وإن كان غير مستقيم لله ! والمذمومُ عندهم من خالفهم وإن كان عبداً صالحاً ، فتراهم يمدحون من لا يستأهل المدح ، لموافقته إياهم ،وسكوته على باطلهم ، ويذمّون من يخالفهم وينصحهم فى دينهم !!

هذا حال الأكثر إلاَّ من عصمه الله ؛ فوجب الاحتزار والتحفظ والاحتياط فى جميع الأمور، فإن الزمان مفتون ، وأهله عن الحق ناكبون، إلا من شاء الله منهم وهم الأقلّون .

وجوب الحكمة فى الدعوة إلى الحق

(واعلم) أن الرفق واللطف ، ومجانبة الغلظة والعنف ، أصلٌ كبير فى قبول الحق ،والانقياد له ، فعليك بذلك مع مَن أمرتَه أو نهيته أو

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٢) [رواه البيهقى فى « الدلائل » ورواه أحمد بلفظ : « من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته »] .

نصحتَه من المسلمين ، وأحسِن السياسة فى ذلك ، وكلّمه خالياً ، ولِنْ له جانباً ، واخفض له جناحاً ، فإن الرفق ما كان فى شئ إلا زانه ، ولا نُزع من شئ إلا شانه ؛ كما قال عليه السلام ، وكما قال الله تعالى لرسوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] .

النهى عن التفرّق والاختلاف

وقوله تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ... ﴾ ، نهىٌ من الله لعباده المؤمنين عن التشبه بالمتفرقين المختلفين فى دينهم من أهل الكتاب ﴿ وَأُوْلَئِكَ ﴾ الذين اختلفوا فى دينهم ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فاستعظم ـ رحمك الله ـ جداً عذاباً سمّاه الإله العظيم عظيماً ، وتفكّر فيه وانج بنفسك منه ، وذلك بملازمة الكتاب والسنة ، ومجانبة الزيغ والبدعة ، والآراء المختلفة ، والأهواء المتفرقة .

الفرقة الناجية من فرق هذه الأمة

(واعلم) أنه كما تفرق أهل الكتاب واختلفوا فى دينهم ، فقد تفرقت هذه الأمة ، واختلفت أيضاً على وفق ما أخبر به رسول الله ﷺ فى قوله : « *افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلّها*

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

فى النار إلا واحدة »[1].

وقد افتـرقت هذه الأمة على هذا العدد من زمـان قديم ، وتمّ ما وعد به الصادق الأمين على وحى الله تعـالى وتنزيله ﷺ ، ولما سئل عليه السلام عن الفـرقة الناجيـة مَن هى ؟ قال : « *التى تكون على مثل مـا أنا عليه وأصحابى* »، وأمر عليه السـلام عند الاختلاف بلزوم السواد الأعظم ـ وهو الجمهور الأكثر ـ من المسلمين .

ولم يزل أهل السنة ـ بحـمـد الله تعالى ـ من الزمـان الأول إلى اليوم هم السـواد الأعظم ، وصح أنهم الفرقة الناجيـة بفضل الله لذلك ، ولملازمتـهم للكتاب والسنه ، وما كـان عليه السلف الصالح من الصـحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

العقيدة التى بها النجاة

(**وبعد**) فإنا ـ والحمد لله ـ قد رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبياً ورسولا ، وبالقرآن إماماً ،وبالكعبة قبلة ، وبالمؤمنين إخوانا.

وتبرّأنا من كل دين يخالف دين الإسلام ، وآمنّا بكل كتاب أنزله الله ؛ وبكل رسـول أرسله الله ، وبملائكة الله ، وبالقدَر خـيره وشـره ، وباليوم الآخر ، وبـكل ما جاء به محمـد رسول الله ﷺ عن الله ، على ذلك نحيـا وعليه نموت ، وعليـه نبعث إن شـاء الله من الآمنين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، بفضلك اللهم يا رب العالمين .

وقد قال رسول الله ﷺ :« *ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبياً* »[2].

---

(١) [حديث صحـيح.رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والبيـهقى ، والطبرانى ، وغيرهم] .

(٢) [حديث صحيح . رواه أحمد ، ومسلـم ، والترمذى عن العبـاس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبيا ، كان حقاً على الله أن يرضيه* »[1] .

شرح حديث رضيت بالله ربا

(واعلموا) ـ معاشر الإخوان ـ أنه من رضى بالله ربًا ، لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره له، وبمُرِّ قضائه، وأن يقنع بما قسمه له من الرزق، وأن يداوم على طاعته على فرائضه ، ويجتنب محارمه ، ويكون صابرًا عند بلائه ، شاكرًا لنعمائه ، محبًا للقائه ، راضياً به ، وكيلاً ووليًا وكفيلا ومخلصاً له فى عبادته ، ومعتمداً عليه فى غيبته وشهادته ، لا يفزع فى المهمّات إلا إليه؛ ولا يعوّل فى قضاء الحاجات إلا عليه ـ سبحانه وتعالى .

ومن رضى بالإسلام ديناً : عظّم حرماته وشعائرَه ، ولم يزل مجتهدا فيما يؤكده ويزيده رسوخا واستقامة من العلوم والأعمال ، ويكون به مغتبطاً ، ومن سلبه خائفاً ، ولأهله محترما ، ولمن كفر به مبغضاً ومعادياً .

ومن رضى بمحمد ﷺ نبيًا : كان به مقتدياً ، وبهديه مهتدياً ولشرعه متّبعاً ، وبسنته متمسّكاً ، ولحقه معظّماً ، ومن الصلاة والسلام عليه مكثراً ، ولأهل بيته وأصحابه محبّا ، وعليهم مترضّيا ومترحّما ، وعلى أمته مشفقاً ، ولهم ناصحاً .

فينبغى لك أيها المؤمن : أن تطالب نفسك بتحقيق هذه المعانى التى ذكرناها فى معنى قولك « *رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا* » وكلِّف نفسك الاتصاف بها ، ولا تقنع منها بمجرد القول ، فإنه قليل الجدوى ، وإن كان لا يخلو عن منفعة .

---

(١) [رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، ورواه أيضاً أبو داود ، والنسائى ، والحاكم بأسانيد جيدة] (أفاده الإمام النووى فى « الأذكار »).

وكذلك فافعل فى جميع ما تقوله من الأذكار والأدعية ونحوها ، وطالب نفسك بحقائقها ، والاتصاف بمعانيها ، مثال ذلك : أن تكون عند قولك « *سبحان الله* » ممتلئ القلب بتنزيه الله وتعظيمه ، وعند قولك « *الحمد لله* » ممتلئ القلب بالثناء على الله تعالى وشكره ، وعند قولك « *رب اغفر لى* » ممتلئاً من الرجاء فى الله أن يغفر لك ، ومن خوفه أن لا يغفر لك ؛ فقس على ذلك .

واجتهد فى الحضور مع الله ، وتدبَّر معانى ما تقوله ، واجتهد فى الاتصاف بما يحبه الله منك ، والاجتناب لما يكرهه .

وجوب إصلاح القلب

واصرف عنايتك إلى أمر القلب والباطن ،فقد قال عليه السلام : « *إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم* » (١)

فحقق قولك بعملك ، وعملك بنيتك وإخلاصك ، ونيتك وإخلاصك بتصفية ضميرك وإصلاح قلبك ، فإن القلب هو الأصل وعليه المدار .

وفى الحديث ـ « *ألاَ إن فى الجسد مُضغة، إذا صلحت صلح سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهى القلب* » (٢) .

فوجب الاهتمام به وصرف العناية إلى إصلاحه وتقويمه ، وهو ـ أعنى القلب ـ سريع التقلب ؛ كثير الاضطراب ،حتى قال عليه الصلاة والسلام فيه : « *إنه أسرع تقلُّبا من القِدر إذا استجمعت غليانها* »(٣).

---

(١) [حديث صحيح . رواه أحمد ، و مسلم ، وابن ماجه ، وغيرهم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) متفق عليه ، وهو جزء من الحديث المشهور : « *إن الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشتبهات* »] .

(٣) لم أعثر على من خرّجه ، وروى ابن أبى الدنيا فى « الإخلاص » والحاكم =

وكان عليه السلام كثيرا ما يدعو: « *يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك* »[1]

ويقول: « *إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ؛ إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها* »[2]، وكان عليه السلام إذا حلف واجتهد فى اليمين يقول: « *لا ، ومقلّب القلوب* »[3].

وقال تعالى حاكيا عن إبراهيم خليله عليه السلام: ﴿ **وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾[4].

فاحرص كل الحرص - رحمك الله - على أن تأتى ربك بالقلب السليم ،من الشرك والنفاق ، والبدعة ومنكرات الأخلاق ، مثل الكبر والرياء ، والحسد ،والغش للمسلمين ، وأشباه ذلك .

واستعن بالله واصبر ، واجتهد وشمّر ، وقل كثيرا : ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾[5].

فبذلك وصف الله الراسخين فى العلم من عباده المؤمنين .

التحذير من قسوة القلب وغفلته

(وإياك) والقسوة ، وهى غلظ القلب وجموده حتى لا يتأثر

= والبيهقى فى « الشعب » عن أبى عبيد حديث : « *إن قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلب فى اليوم سبع مرّات* » قال جلال الدين السيوطى: ضعيف .

(١) [رواه أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، والطبرانى ، وغيرهم] .

(٢) [حديث صحيح . رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والطبرى ، وغيرهم . قال السيوطى فى « الجامع » : حديث : « **إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء** » . رواه أحمد ، ومسلم عن ابن عمر - رضى الله عنهما] .

(٣) [حديث صحيح. رواه أحمد ، والبخارى ، وأبو داود ،والترمذى ، والنسائى ، والطبرانى ، والبيهقى ، والدارمى ، وغيرهم » .

(٤) سورة الشعراء : الآيات ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ . (٥) سورة آل عمران : الآية ٨ .

بالموعظة ، ولا يرقّ ولا يلين عند ذكر الموت والوعد والوعيد ، وأحوال الآخرة ، قال ﷺ : « *أبعد الأشياء من الله تعالى القلبُ القاسى*»[(١)] .

وقال عليه السلام: « *من الشقاء أربع : قسوة القلب ، وجمود العين ، والحرص ، وطول الأمل* »[(٢)]، فاحترز من هذه الأربع .

وفى الحديث الآخر : « *واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل* » [(٣)] .

والغفلة دون القسوة ، وهى مذمومة ،وفيها غاية الضرر.

والقلبُ الغافل: هو الذى لا يستيقظ ولا يتنبّه إذا وردت عليه المواعظ والزواجر ، ولا يلتفت إليها من غفلته وسهوه ، واشتغاله ولعبه ولهوه ، بزخارف دنياه ، واتّباع هواه ، قال الله تعالى لرسوله الصلاة والسلام : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[(٤)]، فنهاه عن أن يكون من أهل الغفلة ، كما نهاه عن طاعة الغافلين والسماع منهم فى قوله تعالى :﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[(٥)] .

ومن الغفلة أن يقرأ العبد القرآن الكريم أو يسمعه ، فلا يتدبره ولا يتفهم معانيه ، ولا يقف عند أوامره وزواجره ، ومواعظه وقوارعه ، وكذلك أحاديث الرسول عليه السلام ، وكلام السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ .

ومن الغفلة أن لا يكثر ذكر الموت وما بعده من أمور الآخرة ،

(١) [رواه الديلمى فى « مسند الفروس » لكن بلفظ : « *أبعد الناس من الله القلب القاسى* »] .

(٢) [رواه البزار « أفاده الحافظ المنذرى »] .

(٣) [رواه الترمذى ، والخطيب ، ولفظ الثانى : « *اعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب ساه* »] .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٢٠٥ . (٥) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

وأحوال أهل السعادة وأهل الشقاوة فيها،ولا يدمن على التفكّر فى ذلك .

ومن الغفلة أن لا يكثـر مجالسة العلمـاء بالله وبدينه ، المذكِّرين بأيامـه وآلائه ووعـده ووعيـده ، المحرِّضـين على طاعتـه وعلى اجـتناب معصيته بأقوالهم وأفعالهم ، ومن لم يجدهم فكتبـهم التى صنفوها تُجزِى عن مجالستـهم عند فقدهم ؛ على أن الأرض لا تـخلو ـ إن شـــاء الله ـ منهم ، وإن عمّ فـساد الزمـان ، وتفـاحش ظهور البـاطل وأهله ، وأدبر الخاص والعام ، وأعرضـوا عن الله وعن إقامة الحق إلا من شاء الله وقليل مـا هم ؛ وذلك لقـول النبى عليـه السـلام : « ***لا تزال طائفـة من أمـتى ظاهرين على الحق لا يضرهـم من ناوأهم حـتى يأتى أمر الله*** »[(١)]، مع أخبار وآثار كثيرة تدل على أن الأرض لا تخلو فى كل زمان عن عصابة من أهل الحق ، مستقيمين على كـتاب الله تعالى والسنة ، غير أنهم يقلّون جدا فى آخر الزمان ؛ وقد يسـتترون حتى لا يعرفهم ويهـتدى إليهم ، إلا الطالب الصادق ، والراغب المخلص ـ والله تعالى أعلم .

خير القلوب النقية من الباطل والشرّ كله

(واعلموا مـعاشـر الإخوان) ـ أيدكم الله ـ أن خـيـــر القلوب وأحبها إلى الله : ما كان لطيفـا نقياً من الباطل والشكوك ، ومعانى الشر كلها ، واعيا للـحق والهدى ، ومـعانى الخير والصـواب ، وفى الحديث « ***القلوب أربعـه : قلب أجرد فيـه سراج يزهر فـذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس فـذلك قلب الكافر، وقلب مـربوط على غلافـه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفّح فيه إيمان ونفاق ، فـمَثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء العذب ، ومثَل النفاق فـيه مـثل القرحـة يمدها القيح والصـديد ، فأى المادتين غلبت عليه ذهبت به*** »[(٢)] .

---

(١) [حديث صحيح • رواه أحمد ، والبخارى ،ومسلم ، وأصحاب السنن إلا النسائى ، والحاكم ، والبيهقى ، والخطيب وغيرهم] .

(٢) [رواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى « الصغير » وأبو نعيم] .

(قلت) : والظاهر أن هذا القلب الأخير ، وصفُ قلوبِ أهل التخليط والتفريط من عامة المسلمين ، وفى الحديث أيضاً : « *إن الإيمان يبدو فى القلب لمعة بيضاء ثم تزيد حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق يبدو فى القلب نكتة سوداء ثم تزيد حتى يسودّ القلب كله* » [(١)] .

نسأل الله العافية والوفاة على الإسلام لنا وللمسلمين .

وإنما يزيد الإيمان بالمداومة على الأعمال الصالحة ، والإكثار منها مع الإخلاص لله .

وأما النفاق ـ فزيادته بالأعمال السيئة : من ترك الواجبات ، وارتكاب المحرمات ، كما قال النبي عليه السلام : « *من أذنب ذنباً نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صُقل قلبه ، وإن لم يتب زاد ذلك حتى يسودّ قلبه* » [(٢)]، فذلك الرّان الذى قال الله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [(٣)].

فلاشئ أشر وأضر على الإنسان فى الدنيا والآخرة من الذنوب ، ولا يكاد يخلص إليه سوء ، ويناله مكروه إلا من جهتها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[(٤)] .

فينبغى للمؤمن أن يكون على نهاية الاحتراز منها ، وفى غاية البعد عنها ، وإن أصاب منها شيئاً فليبادر بالتوبة منه إلى الله ، فإنه تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ويعلم ما تفعلون ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، ظلموا أنفسهم فعرّضوها لسخط الله بالوقوع فى معصيته ، ثم بالإصرار عليها بتركهم التوبة منها ، التى أمرهم ربهم بها ووعد بقبولها ، ووصف نفسه بذلك فقال تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ

---

(١) لم أعثر على من خرّجه .

(٢) [حديث صحيح . رواه أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] لكن بلفظ : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة » .

(٣) سورة المطففين : الآية ١٤ . (٤) سورة الشورى : الآية ٣٠ .

وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[١] .

فتأمّلوا - رحمكم الله - هذه الآية ، وما جمعت من المعانى الشريفة والأسرار اللطيفة ، الباعثة على الخوف والرجاء والرغبة والرهبة ، وغير ذلك . ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الآية[٢] .

خير القلوب أصفاها وأصلبها وأرقها

وقال على - كرم الله وجهه - : إن لله فى الأرض آنية ألا وهى القلوب فخيرها أصفاها وأصلبها وأرقها ، ثم فسر ذلك فقال : أصفاها فى اليقين ، وأصلبها فى الدين ، وأرقُّها على المؤمنين .

(**قلت**) : واليقين عبارة عن تمكن الإيمان من القلب واستيلائه عليه ، وهو الطمأنينة التى سألها إبراهيم عليه السلام ربه فيما أخبر عنه بقوله : ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[٣].

فبان من هذا أن اليقين غاية الإيمان ونهايته وفى الحديث : « *اليقين هو الإيمان كله* »[٤]، وما نزل من السماء أشرف من اليقين وكفى باليقين غِنًى .

وقال عليه السلام : « *سلوا الله اليقين والعافية فإنه ما أوتى أحد بعد اليقين أفضل من العافية* » [٥] .

---

(١) سورة غافر : الآية ٣ . (٢) سورة غافر : الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٠ .

(٤) [قال الصغانى : موضوع كما نقله القارئ اهـ (قلت): وهو مذكور فى « المغنى » للعراقى و« والدر المنثور » و « تذكرة الموضوعات » للفتنى و « ميزان الاعتدال » و « لسان الميزان » و « اتحاف السادة المتقين » ففى « المغنى » قال الحافظ العراقى : حديث « *اليقين الإيمان كله* » أخرجه البيهقى في الزهد ، والخطيب فى « التاريخ » من حديث ابن مسعود بإسناد حسن ، « الإحياء » (١ / ٧٢)] .

(٥) [الحديث بهذا المعنى مروى في البخارى ، وسنن أبى داود ، وسنن الترمذى ، وابن ماجه ، ومسند الإمام أحمد ، والسنن الكبرى ، والمعجم الكبير ، ومصنف ابن أبى شيبة ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ، ومشكل الآثار] .

وأما الصلابة فى الدين فهى القوة فيـه ، والثبات عليه ، والغيرة له حتى يقول الحق وإن كان مُـراً ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، وبذلك وصف الله أحِباءَه فى قوله : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ الآيةَ ، والتى قبلها [١].

وبذلك وصف رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال فيه : « *أقواكم فى دين الله عـمر ، قوله الحق ، ومـاله فى الناس من صديق* » [٢].

وقـد كـان ـ رضى الله عنه ـ من أصلـب المؤمنين فى دين الله ، وأشدهم أخـذاً به فى حق نفسـه وفى حق غيره ؛ حـتى صارت الأمـثال تُضرب به فى عدله ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وقيامه بالحق على القريب والعبيد ـ رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ـ .

وأما الرقة على المؤمنين ـ فأن يكون رحيماً بهم ، مشفقاً عليهم ، وذلك من أشـرف الأخلاق ، وأفضل الخـصال ، وبه وصف الله رسـوله فقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣].

وقال رسول الله ﷺ : « *الراحمون يرحمهم الرحمن* [٤] . *ومن لا يَرحمْ لا يُرحمْ* [٥]».

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

(٢) [الحـديث بهذا المعنى رواه الإمـام أحمـد ، والتـرمذى ، وابن مـاجه ، وأبو حـاتم ، والحاكم ، والبيهقى ، وابن عساكر ، وأبو نعيم ، وغيرهم] .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

(٤) تتمـة الحديث : « ارحـموا من فى الأرض يرحـمكم من فى السمـاء » وهو حديث صحيح ، مسلسل بالأولية ، رواه البـخارى فى « الكنى » والأدب المفرد » وأحمد ، والحمدى ، وأبو داود ، والترمذى ، والبيهقى ، والحاكم] .

(٥) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والبخارى، ومسلم، وأبو داود ، والترمذى] .

وقال أيضاً : « *إن أبدال أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ، بل بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة بكل مسلم* » (١) .

(قلت) : ولا يفـهـم من هذا أن الأبدال ليـسـوا بمكثـرين من الصلاة والصـيام ، بل كـانوا مكثرين منهـما ومن غيـرهما من الأعـمال الصالحة ، ولـكن هذا الأوصاف التى وصفهم بهـا نبى الله صلى الله عليه وسلم قدَّمتهم إلى الله وقرَّبتهم إليه ، لفضلهـا وشرفها أكثر من غيرها من بقيـة أعمالهم الصالحـة ، لأنها من أعمال القلوب ، وأوصـاف السرائر ـ فافهم .

رجحان أعمال القلوب على أعمال الجوارح

(واعلم) أنها لا توزن أعمال القلوب بأعـمال الجوارح فى الخير والشر ، إلا وترجح أعـمال القلوب رجحـانا بيِّنا على أعمـال الجوارح ، وتزيد عليها زيادة كثيرة .

ومن هذه الحيـثية فَضَلَ أهل التـصرف المعتنون بتزكـية القلوب ، والمهتمون بما يخصّها من الأوصاف والأعمال الصالحة ـ غيرهم من طوائف المسلمين من العبَّاد والعلماء ، الذين ليس لهم من العناية بأمر الباطن مثل ما لأهل التصوف ؛ والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

الرحمة بالمسلمين من رقة القلب

والرحـمـة بالمسـلمين أمـر واجب وحق لازم ، **وهى بالضعفاء والمسـاكين وأهل البلايا والمصـائب أولى وأوجب** ، ومن لم يجد فـى قلبه عند مشاهدة ضـعفاء المسلمين وأهل البلاء منهم ، رقة ورحمـة فهو غليظ القلب ، قـد غلبت عليـه القسـوة ، ونزعت منه الرحمـة ، « **ولا تنـزع**

---

(١) [رواه أبو نعيم فى « الحلية » عن ابن مسعود ـ مرفوعاً ـ ورواه المنذرى فى « أربعينه » وتبعه أبو عبد الله المُسلمى فى « تخريجـها » عن أبى سعيد الخدرى] . « الكشف » (١ / ٢٥ ، ٢٦) .

الرحمة إلا من شقى » كما قال عليه السلام [(١)].

فإن وَجد مع ذلك ـ أعنى هذا القاسى ـ فى نفسه تكبرا وأنفة واستنكافاً من مخالطة أهل الضعف والمسكنة من المسلمين ، فسُحقا له وبُعداً! ومقتا من الله ! قد حلّ به ما استوجب من الطرد عن باب الله ، ويكون فى جملة المتكبرين المنازعين لله تعالى ، وقد قال عليه السلام : « *لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر* » [(٢)].

البكاء من خشية الله من رقة القلب

ومن الرقة : خشوع القلب وكثرة البكاء من خشية الله ، وذلك وصف شريف ، ومسعى حميد ، به وصف الله أنبياءه ، والذين أوتوا العلم من عباده فقال تعالى : ﴿ **إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** ﴾[(٣)]، وقال تعالى : ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** ﴾[(٤)].

وقد عدّ عليه السلام فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : « *رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه* »[(٥)].

وقال عليه السلام : « *كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله* » [(٦)]ـ يعنى فى الجهاد ـ .

وكان البكاء الخالص من خشية الله عزيزاً جداً حتى صار بهذه المنزلة من الله مع كثرة من يبكى من الناس ، حتى ورد عنه عليه السلام :

---

(١) [وهو حديث حسن . رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن حبان ، والحاكم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] راجع « الجامع الصغير » (٢ / ٢٠٢) .

(٢) [حديث صحيح رواه مسلم] .

(٣) سورة مريم : الآية ٥٨ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٠٩ .

(٥) [حديث صحيح . رواه أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى وغيرهم] .

(٦) [رواه بهذا المعنى ، أبو نعيم فى « الحلية » والأصبهانى ، وهو مذكور فى « الاتحافات السنية » و« كنز العمال » و « الدر المنثور » وغيرها ، قال السيوطى : وهو حديث حسن] .

« لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضَّرع ، وحتى يلج الجمل فى سَمّ الخياط »(١) ، وفى رواية *« من خرج من عينه مثل رأس الذباب من خشية الله »*(٢) .

وقد سّوى عليه السلام بين الدمع من خشية الله وبين الدم يهراق فى سبيل الله ،وورد : *« لو أن باكياً بكى فى أمة لرحمهم الله ببكائه »*(٣) .

فتبين بما ذكرناه أن البكاء كثير ، وأن الذى يكون من خشية الله فقط من البكاء قليل ، فابك من خشيــة الله ، فإن لم تبك فتباك ، وإياك والرياء والتصنع والتزين للمخلوقين ،فتسقط بذلك من عين رب العالمين .

استدرار الدمع بتذكر أهوال الآخرة

وإن عزّ عليك البكاء فتذكَّر ما بين يديك من أهوال الآخرة التى أنت ملاقيها من غير شك ولا ريب ، إن كنت قد آمنت بالله ، وبما جاء به محمد رسول الله ﷺ ، فسوف تبكى لا محالة إن كان لك قلب يفقه، وعقل يعقل ، فإن لم يكن لك شئ من ذلك فاعدُد نفسك فى الأنعام السائمة فى المراعى ، والبهائم الراتعة فى الكلأ ، فإن الله تعالى إنما خاطب أهل القلوب وذكَّرهم ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ **كِتَابٌ**

---

(١) [رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد] وقوله : « لا يلج » : أى لا يدخل .

(٢) [رواه ابن ماجه ، والبيهقى ، وأبو نعيم ، والأصبانى] وقوله : « رأس الذباب » أى دمعت العين قليلاً .

(٣) [هذا جزء من الحديث الذى رواه البيهقى مرسلاً، وروى عن الحسن البصرى،وأبى عمران الجونى، وخالد بن معدان غير مرفوع وهو أشبه،هذا وإليكم الحديث كاملاً : « **ما اغرورقت عين بمائها إلا حرّم الله سائر ذلك الجسد على النار ، ولا سالت قطرة على خدّها فيرهق ـ أى يغطيه بشدة ـ ذلك الوجه قتر ـ أى دخان صاعد ـ ولا ذلة ، ولو أن باكيا بكى فى أمة من الأمم رُحموا. وما من شئ إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة،فإنه تُطفأُ بها بحار من نار** » « الترغيب والترهيب » (٤/ ٢٣١) .

(٤) سورة ق : الآية ٣٧ .

أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾[١] ، وفى غير موضع من الكتاب العزيز : ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾[٢] ، وهم أولو العقول ، فانظر كيف نفى التذكر عن غيرهم .

كما خص الله تعالى بالتذكُّر أهلَ الإنابة وهم الراجعون إليه ، وأهلَ الخشية وهم الخائفون منه ، وأهلَ الإيمان وهم المصدقون به وبرسوله وبوعده ووعيده ، فقال تعالى : ﴿ هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ۝ سيذكر من يخشى ۝ ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[٥] .

فشرع التذكُّرَ وأمر به رسوله عموماً ، وخص بنفعه المؤمنين من عباده ، وكان ذلك لهم حُجَة عنده ومَحجَّة إليه ، كما كان على الآخرين حجةً قائمة مدحضة لحججهم الباطلة ، فإنهم أعرضوا بعد العلم ، وأنكروا بعد المعرفة ، ولم يستجيبوا لله ورسوله ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾[٦] ، ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ﴾[٧] .

فهذا وصف من دعاه ربه إلى توحيده وطاعته على لسان رسوله فأبى واستكبر ، ووجحد وكفر ، ومن آمن بلسانه وصدّق بظاهره ، وأنكر بقلبه فهو المنافق ، الذى له ما للكافر ، وعليه ما عليه من غضب الله ولعنته .

(١) سورة ص : الآية ٢٩ .
(٢) فى الأصل « وما يتذكر » والصواب ما أثبتناه سورة البقرة : الآية ٢٦٩ .
(٣) سورة غافر : الآية ١٣ .
(٤) سورة الأعلى : الآيتان ٩ ، ١٠ .
(٥) سورة الذاريات : الآية ٥٥ .
(٦) سورة فصلت : الآية ٥ .
(٧) سورة فاطر : الآية ٤٢ .

شدة خطر المعاصى

ومن آمن بقلبه ولسانه ، وضيّع ما فرض الله عليه من طاعته ، وارتكب ما حرّم عليه من معصيته ، فأمره فى غاية الخطر ، ويخشى عليه ـ إن لم يتداركه الله بالتوفيق لتوبة خالصة قبل مماته ـ أن يلتحق بالمنافقين والكافرين ،ويكون معهم فى نار الله الموقدة : ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ﴾[(1)] .

فاثبُت أيها المؤمن المطيع على طاعة ربك ، واستكثر منها ، واصبر عليها ، وأخلص له فيها ، ودُمْ على ذلك حتى تلقاه جلّ وعلا ، فيرضيك ويرضى عنك ، ويحلك دار كرامته : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾[(2)] .

وجوب المبادرة بالتوبة

وانزع أيها المؤمن العاصى عن معصيتك ، وتب إلى ربك منها من قبل أن ينزل بك الموت،فتلقى ربك دنساً خبيثاً ،فتكون كما قال الله : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾[(3)] .

ولا تأمن إن لم تبادر بالتوبة من عصيانك أن ينزل الله بك عقاباً من عقابه ، فإن العاصين لربهم متعرضون لذلك فى كل وقت ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(4)] .

---

(١) سورة الهمزة : الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ . (٢) سورة الرعد : الآية ٣٥ .
(٣) سورة طه : الآية ٧٤ . (٤) سورة النحل : الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

اللهم اجعلنا يا كـريم بتذكيرك منتفـعين ، ولكتابك ورسولك متـبعين ، وعلى طاعـتك مجتـمـعين ، وتوفّنا ياربنا مسلمين ، وألحـقنا بالصالحين ، ووالدينا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

خطـر طول الأمـل

(واعلموا معاشرَ الإخوان) ـ أيقظ الله قلوبنا وقلوبكم من الغفلة ووفّقنا وإياكم للاستعداد للنقلة ، من الدار الفانية إلى الدار الباقية ـ أن من أضر الأشياء على الإنسان طولَ الأمل .

ومعنى طول الأمل : استشعـارُ طول البقاء في الدنيا حتى يغلب ذلك على القلب ، فيأخذ فى العمل بمقتضاه ، وقد قال السلـف الصالـح ـ رحمة الله عليهم ـ : من طال أمله ساء عمله .

وذلك لأن طول الأمـل يحـمل على الحـرص على الدنـيا ، والتشمير لعمارتها ،حتى يقطع الإنسـان ليله ونهاره بالتفكر فى إصلاحها ، وكيـفيـة السعى لهـا تارةً بقلبه ، وتارةً بالعـمل فى ذلك ، والأخذ فـيه بظاهره ، فيصير قلبه وجسمه مـستغرقَيْنِ فى ذلك ، وحينئذ ينسى الآخرة ويشتـغل عنها ، ويسـوِّف فى العمل لهـا ، فيكون فى أمـر دنياه مـبادراً ومشـمِّراً ، وفى أمر آخرتـه مسوِّفاً ومـقَصِّراً ، وكـان الذى ينبغى له أن يعكس الأمر ، فيـشمِّر للآخرة التى هى دار البقاء ومـوطن الإقامة ، وقد أخبره الله تعالى ورسولـه ﷺ أنه لا ينالها بدون السعى والطلب والجدّ فى ذلك ، والتشمير له .

وأما الدنيـا فهى دار زوال وانتقـال ، وعن قريب يرتحل منها إلى الآخرة ويُخلِّفهـا وراء ظهره ، وليس مأموراً بطلبها والحـرص عليها ، بل هو منهى عنه فى كتاب الله تعالى ، وفى سنة رسوله ﷺ ، ونصيبه المقدَّر له منهـا لا يفوته ولو لم يطلبـه ، ولكنه لمـا طال عليه الأمل حـمله على الحرص على الـدنيا والتسويـف فى الآخرة ، فلا يخطـر له أمرُ الموت ، ووجوب الاستعداد له بالأعمال الصـالحة ، إلاَّ وَعَدَ نفسه بالفراغ لذلك

من أشغال الدنيا فى أوقات مستقبله ، كأنَّ أجله فى يده يموت متى شاء ، وهذا كلّه من شـؤم طول الأمـل ، فـاحـذروه رحـمكم الله ، واجـعلوا التسويف والتأخير فى أمور الدنيـا ، والمبـادرة والتشمير فى أمور الآخرة ، كما قال النبى عليه السلام : « *اعمل لدنياك كأنك لا تموت أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك ميت غدا* »[1].

واستشعِرُوا قـربَ الموت ، فإنه كما فى الحديث : « *أقرب غائب ينتظر* »[2]، وما يدرى الإنسان! لعلّه لم يبق من أجله إلا الشـىء اليسير ، وهو مقبل على دنياه ، ومعرِضٌ عن آخرته ، فإن نزل به الموت وهو على تلك الحالة رجع إلى الله وهو غـير مستـعد للقائه ، وربما يتمنـى الإمهال عندما ينزل الموت به فلا يجاب إليه ، ولا يمكَّن منه ، كما قال الله تعالى :

﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)** ﴾[3].

فلا يطيل الأمل ويسوِّف العمل ، ويغـفُل عن الاستعداد للموت إلا أحمقُ مغرورٌ ، وقد قال رســول الله ﷺ : « *الكيِّـس من دان نفسـه ـ يعنى حاسبها ـ وعَمِل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى* »[4].

فطول الأمل من اتِّباع هوى النفس والانخداع بأمانيها الكاذبة.

وقال بعض السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ : لو رأيتم الأجل

---

(١) راجع « السلسلة الضعيفة » للألبانى (٢ / ٢٢٦) .

(٢) [رواه التـرمـذى من حـديث أبى هريرة ـ رضى الله عنـه ـ لكن بلفظ : « *... هل تنتظرون إلا فقراً منسـياً ، أو غنى مطغياً ، أو مـرضاً مفسداً ، أو هرمـا مُفنداً ، أو موتا مجهزاً ، أو الدجّال ، فشر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمر* »].

(٣) سورة المؤمنون : الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم عن شداد ابن أوس ـ رضى الله عنه ـ] .

ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره .

وقال آخر: كم مستقبل يوماً لم يستكمله، ومؤمِّل غداً لم يدركه .

وقال آخر : ربّ ضـاحك ملء فيه ولعل أكفـانه قد خرجت من عند القصار .

وفي الحديث : « *ينجـو أول هـذه الأمـة بالزهـد واليقين ، ويهلك آخرُها بالحرص وطول الأمل* »[1] .

وقال على[2] ـ رضى الله عنه ـ : أخـوف ما أخاف عليكـم أتباعُ

---

(١) [ورد بهذا المعنى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعاً : « *صلاح أول هذه الأمة بالزهادة واليقين ، وهلاك آخرها بالبخل والأمل* » . [رواه الطبـراني ، وإسناده محتمل للتحسين ، ومتنه غريب] ورواه ابن أبى الدنيا ، والأصبهانى كلاهما عن طريق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « *نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل* »] .

(٢) هو أبو الحسن علـى بن أبى طالب بن هاشم بن عبد منـاف القرشى الهاشـمى أحد خلفاء الراشـدين ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وأمـه فاطمة بنت أسـد بنت هاشم بن عبد المناف الهاشمية ، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة ، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين ـ وأبو السبطين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة ـ أصحاب الشورى ـ الذين توفـى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وأحد العلمـاء الربانيين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ، وأحد السابقين إلى الاسلام .

ولد ـ رضى الله عنه ـ قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح ، فربّى فى حجر النبى ﷺ ولم يفارقـه ، وشهد معـه المشاهد إلا غزوة تبـوك ، وكان اللواء بيده فى أكـثر المشاهد ، وأعطاه ﷺ الراية يوم خيبر ، وأخـبر أن الفتح يكون على يديه ، ومناقبه وأحواله فى الشجاعة ، وآثاره فى الحروب كثيرة مـعروفة مشهورة ، حتى قال الإمام أحمد : لم ينقل لأحد من الصحابة وما نقل لعلى .

روى عن رسول الله ﷺ « ٥٨٦ حديثاً » ، روى عنه بنـوه الثلاثه : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ،وابن مسعود ،وأبو موسى،وابن عمر ، وابن عباس ، وعبد الله ابن الزبير ،وزيد بن أرقم،وصهيب ،وجابر بن عبد الله ، وأبو هريرة وآخرون.

ومن التابعين خلائق مشهورون ، ونقلوا عن ابن مـسعود قال : كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على بن أبى طالب .

وقال ابن المسيب : ما كان أحد يقول : سلونى غير على .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أعطى عـلى تسعة أعشار العلم ، ووالله لقد =

الهوى وطولُ الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل

= شاركهم فى العشر الباقى .
وقال : وإذا ثبت لنا الشئ عن على لم نعدل إلى غيره .
قال الإمام النووى : وسؤال كبار الصحابة له ، ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله فى المواكن الكثيرة ، والمسائل المعضلات مشهور .
ومن خصائصه : قوله ﷺ : « *لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه* » فلما أصبح رسول الله ﷺ غدوا كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال رسول الله ﷺ : « *أين على بن أبى طالب ؟* » فقالوا : هو يشتكى عينيه ، فأتى به ، فبصق فى عينيه ، فدعا له فبرأ ، فأعطاه الراية .
[أخرجه الشيخان وغيرهما] .
وعن جابر قال : لما دفع النبى ﷺ الراية لعلى يوم خيبر ، أسرع ، فجعلوا يقولون : ارفق ، حتى انتهى إلى الحصن ، فاجتذب بابه ، فألقاه على الأرض ، ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً حتى أعادوه.[رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل فى « المسند »] .
وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن .
وعن على ـ رضى الله عنه ـ قال : لقد عهد إلىّ النبى ﷺ : « *أنْ لا يحبّك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق* » [رواه الإمام أحمد ، ومسلم] .
ومن مأثورات كلامه فى الزهد قوله:الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب .
وفى « المسند » للإمام أحمد ، وغيره أنه قال : لقد رأيتنى وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع ، وإن صدقتى لتبلغ فى اليوم أربعة آلاف دينار . وفى رواية : أربعين ألف دينار .
وعن بريدة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « *إن الله أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم* » قيل : يا رسول الله سمّهم لنا ، قال : « *على منهم ـ يقول ذلك ثلاثا ـ وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان ، وأمرنى بحبهم . وأخبرنى أنه يحبهم* » [رواه الترمذى] .
قال سعيد بن المسيب : لما قتل عثمان جاءت الصحابة وغيرهم إلى دار على فقالوا نبايعك ، فأنت أحق بها ، فقال : إنما ذلك إلى أهل بدر ، فمن رضوا به فهو الخليفة ـ ، فلم يبق أحد إلا أتى عليا ، فلما رأى ذلك ،خرج إلى المسجد ، وصعد المنبر ، وكان أول من صعد إليه فبايعه : طلحة ثم بايعه الباقون .
وقد أخبره رسول الله ﷺ بأنه سيقتل ، ونقلوا عنه آثار كثيرة تدل على أنه ـ رضى الله عنه ـ علم السنة ، والشهر ، والليلة التى يقتل فيها .
وكان قتل سيدنا على فى ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الأصح وقول الأكثيرين .
« تهذيب الأسماء » (٢ / ٣٤٤) « الإصابة » (٤ / ٤٧٤) .

فُينسى الآخرة ، ومن نسى الآخرة لم يعـمل لها ، ومن لم يعمل لها قدم إليها ـ وهو مفلس ـ من الأعمـال الصالحة التى لا نجاة ولا فوز فى الآخرة بدونها ، فـإن طلب عند ذلك أن يُرَدَّ إلى الدنيا ليـعمل صالحـاً حِيلَ بينه وبين ذلك ، فيـعظمُ عند ذلك تحسُّره وندمه حـيث لا ينفع النـدم ، وفى وصية رسـول الله ﷺ لابن عمر ـ رضى الله عنهمـا ـ : *« كن فى الدنيـا كأنك غـريب أو عابر سبيل »*[1]،

وفى ذلك غايةُ الحثّ على قِصر الأمـل ، وقلة الرغبة فى الدنيا، وكان ابن عـمر يقول : إذا أصبـحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسـيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك[2] .

أصناف الناس فى الأمل ثلاثة

(واعلم) أن الناس فى الأمل على ثلاثة أصناف:

الصِّنف الأول ـ وهم السابقون من الأنبـياء والصديقين ، لا أمل لهم أصلاً ، فهم ، على الدوام مستشـعرون لنزول الموت بهم ، مستعدون له بالإقبـال الدائم على الله وعلى طاعتـه ، متفـرّغون عن أشغـال الدنيا بالكلية ؛ إلا ما كان منهـا ضرورياً فى حق أنفسهم ، أو فى حق من لابُدَّ لهم منه من أتبـاعـهم ، وقـد صاروا فى الإقـبـال على الله وعلى الدار الآخرة بحيث لو قـيل لأحدهم : إنك ميّتٌ غداً لم يجد مـوضعاً للزيادة على ما هو عليه من العمل الصالح ، لانتهائه فيه إلى الغاية القصوى التى ليس وراءها غاية ؟ وكذلك لا يـجد شيئا يتـركه لأنه قد ترك كلّ شىء لا يحب أن ينزلَ به الموتُ وهو ملابس له .

وإلى ماذكرناه من حال هذا الصِّنف الشريف الإشارةُ بقوله ﷺ: *« والذى نفسى بيده ـما رفعتُ قدمى فظننت أنى أضعُـها حتى أقبضَ ، ولا*

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، والترمذى ، وابن ماجه ، والطبرانى ، وغيرهم] .

(٢) تكملة الحديث السابق .

رفعتُ لقمةً فظننت أنى أسيغها حتى أغصّ بها من الموت ..» [(١)]، وكان عليه السلام ربّما يتيمم والماء منه قريب ؛ فيقال له فى ذلك فيقول : لا أدرى ! لعلى لا أبلغه [(٢)].

والصنف الثانى - وهم المقتصدون من الأخيار والأبرار - لهم أمل قصير لا يلهيهم عن الله وعن ذكره، ولا ينسيهم الدارَ الآخرة ، ولا يشغلهم عن الاستعداد للموت، ولا يحملهم على عمارة الدنيا وتزيينها ، والاغترار بزخارفها وشهواتها الفانية المنغِّصة ، ولكنهم لم يُعطُوا من القوة مثل ما أعطى الصِّنف الأول من دوام الاستشعار لنزول الموت فى كل وقت ، ولو دام عليهم ذلك لتعطلت عليهم أمور معايشهم التى لا بدّ لهم منها ، وربما تتعطل عليهم أمور آخرتهم من غلبة الذهول والدّهَش عليهم ؛ فإن استشعار نزول الموت على الدوام أمر عظيم لا تستقل بحمله إلا قوة النبوة أو الصديقية الكاملة ، ومن هذه الحيثية يقال : إن من الأمل رحمة ، أعنى هذا الأمل الذى لولا وجوده لتزلزلت أمور الدين والدنيا ، وإلى ذلك الإشارة بما بلغنا أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم عليه السلام يوم الميثاق من ظهره ورأت الملائكة كثرتهم قالوا : ياربنا ، لا تسعهم الدنيا ! فقال تعالى : « إنى جاعل موتا » فقالوا : لا يهنؤُهم العيش ؟ فقال : « إنى جاعل أملاً » .

---

(١) الحديث كاملاً . قال أبو سعيد الخدرى : اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر ، إن أسامة لطويل الأمل ، والذى نفسى بيده ، ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفرىّ لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ، ولا رفعت قدحا إلى فىّ فظننت أنى واضعه حتى أقبض ، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت** » .

قال العراقى : أخرجه ابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو نعيم فى « الحلية » والبيهقى فى « الشعب » بسند ضعيف] .

(٢) [الحديث بهذا المعنى أخرجه ابن المبارك فى « الزهد » وابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » والبزار بسند ضعيف] « أفاده الحافظ العراقى » .

وعن النبى عليه السلام : « *إن الملائكة يقولون لأهل الميت إذا انصرفوا عن قبره : انصرفوا إلى دنياكم أنساكم الله موتاكم*[(١)] » .

والملائكةُ عليهم السلام لا يدعون للمؤمنين بالشرّ الذى هو طول الأمل المذموم ؛ بل بالخير الذى هو قِصر الأمل ـ أعنى القَدْر الذى لا يلهى عن الآخرة ، ويتيسر معه القيام بالمعايش التى لا غنى عنها ؛ والله أعلم .

والصنف الثالث ـ وهم المغرورون والحمقَى الذين طال عليهم الأمل جدا حتى أنساهم الآخرة ، وألهاهم عن ذكر الموت ، وأقبلوا بقلوبهم على محبة الدنيا ، والحرص على عمارتها ، وجمع حُطامها ، والاغترار بزخارفها وزينتها ، والنظر إلى زهرتها التى نهى الله نبيه عليه السلام عن مدّ العين إليها فقال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾[(٢)] .

فترى أحدهم لا يكاد يذكر الآخرة ، ولا يتفكر فيها ، ولا يخطر له أمر الموت وقرب الأجل ، وإن خطر له نادراً لم يؤثر فى قلبه شيئاً ، وإن خاف من تأثيره فيه صرفه عنه ، وأدخل على نفسه ما ينسيه ذلك ، حتى لا يتشوّش عليه إقباله على الدنيا ، والتمتع بلذاتها وشهواتها .

والأملُ على هذا الوجه هو الأمل المردى المذموم على الإطلاق ، وصاحبه من الخاسرين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله ، وسوف يقول عندما ينزل الموت به ويعاين الآخرة : ﴿ **رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ** ﴾[(٣)] ، على وفق ما ذكر الله فى كتابه حيث يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ**

---

(١) [لم أعثر على من خرجه] . (٢) سورة طه : الآية ١٣١ .
(٣) سورة المنافقون : الآية ١٠ .

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾[1].

وقد بلغنا أن ملك الموت عليـه السلام يظهر للإنسان عندمـا يبقى من أجله شيء يسير فـيخبره به فيقـول له : يا ملك الموت ، أخِّرنى قليلا لأتوب إلى ربى وأستـغفره ، فيـقول له الملك : قد طالما أخِّرتَ وعُـمِّرت فلم تتب ولـم ترجع إلى ربك حـتى الآن ، وقـد انقـضـت المدة وبلغتَ الأجلَ الذى كتبه الله لك ؛ فلا سبيل إلى التأخير .

قال بعض العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ : فلو كانت الدنيا بأسرها لهذا الإنسان وأمكنه أن يشترى بها ساعة واحدة يزيدها فى عمره ، ويعتذر فيها إلى ربه لفعل .

ثم إن الغـفلة عن الآخرة والإعـراضَ عنها بالكلِّيـة إقبـالاً على الدنيا واشتغالاً بها ، قد يكون سـببه طول الأمل كما ذكرناه ، وقد يكون سبـبه شكاً فى الآخرة ، وترددا فى كونـها حقا ـ والعـياذ بالله من ذلك ـ فإنه من الكفر بالله ورسوله .

والعلامةُ المميزة للغافل عن الآخرة بين أن يكون سببُ غفلته طول الأمل أو الشك ، هى أن الغـافل الذى يكون سبب غفـلته طول الأمل إذا مـرض أو حصل له شيء يتـوقع عنده قـرب الموت يكثـر ذكر الآخـرة ، ويتحـسر على ترك العمل لها ، ويتـمنى أن يعافى ليعمل صـالحاً، والذى تكون غفلته عن الشك لا يظهر عـليه عند المرض ونحوه شيء مما ذكرناه ؛ بل يظهر عليه التأسُّف على فراق دنياه ، والتخوُّف على أولاده وأمواله أن تضيع من بعده ؛ وأشباه ذلك مما يدل على قصور النظر والرغبة فى أحوال الدنيا .

---

(١) سورة المنافقون : الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

فاعتــبر هذا ـ رحمك الله ـ فى نفسك ، وفى غـيرك حتى تعظه وتنصحه إن شممتَ منه روائح الشك فى الدار الآخرة .

فليس الشك فى الآخرة فى الذم والخطر بمنزلة طول الأمل ، وإن كان طول الأمل المنسى للآخرة مذموماً جدا.

استحباب الإكثار من ذكر الموت

(واعلم) ـ أن الإكثار من ذكر الموت مستحبٌ ومرغَّب فيه ، وله منافعُ وفوائـدُ جليلة منها : قـصَر الأمل ، والزهدُ فى الدنيـا ، والقناعةُ منها باليسير ، والرغبةُ فى الآخـرة ، والتزودُ لها بالأعمال الصالحة ؛ وقد قال رسول الله ﷺ : « *أكثروا من ذكر هاذم اللذات* »[1] يعنى الموت.

وكان عليه السلام يقوم من الليل فينادى : « *جاء الموت بما فيه ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ..* » الحديث[2].

ولما سئل صلوات الله عليـه عن الأكـيـاس من الناس مَن هم ؟ قال : « *أكثـرهم للموت ذكراً ، وأحسنـهم له استعداداً ، أولئك الأكـياس*

---

(١) [حديث حسن . رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم وابن حبان ، والخطيب ، وغيرهم من غير زيادة « من » قال فى « الكشف » : رواه ابن حـبان ، والحـاكم وصحـحاه ، وابن السكـن ، وابن طاهر ، وأعله الدارقطنى بالإرسـال ، ولفظه عند العسكـرى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ مر رسـول الله ﷺ بمجلس من مـجالس الأنصـار وهم ـ يمرحون ويضـحكون ، فـقال : « *أكثروا ذكر هاذم اللـذات ، فإنه لم يذكـر فى كثيـر إلا قلّله ، ولا فى قليل إلا كـثره ، ولا فى ضيق إلا وسّعه ، ولا فى سعة إلا ضّيقها* » .
ورواه البيـهقى عن أبى سعـيد الخدرى ـ رضى الله عـنه ـ بلفظ دخل رسول الله ﷺ المسجد ، فرأى ناسا يكْشرونَ ـ أى يضحكون ـ فقال : « *لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات الموت ، وأنه لم يأت على القبر يوم ، إلا وهو يقـول : أنابيت الوحدة ، وبيت الغربة ، أنا بيت التـراب ، أنا بيت الدود* » وفى رواية للعسكرى : « *أما إنكم لو أكـثرتم من ذكر هاذم اللذات لشـغلكم عما أرى ، الموت ، فأكـثـروا من ذكر هاذم اللذات ...* » الحديث « كشف الخفا » (١ / ١٨٨ ، ١٨٩)] .

(٢) [اخرجه الترمذى من حديث أبى بن كعب وحسّنه] . « أفاده العراقى » .

ذهبوا بشرف الدنيا ونعيم الآخرة»[(١)].

(قلت) : وليس ذكر الموت النافع هو أن يقول الإنسان بلسانه : الموتَ الموتَ فقط ؛ فإن ذلك قليل المنفعة وإن أكثر منه ؛ بل لابد مع ذلك من تفكير القلب واستحضاره عند ذكر الموت باللسان ، كيف يكون حاله عند الموت وأهواله وسكَراته ، ومعاينته أمور الآخرة ، وما الذى بقى من أجله وبِمَ يُختم له ، وكيف كان حال من مضى من أقرانه وأصحابه عند الموت ، وإلى أىِّ مصير صاروا !! وأشباه ذلك من الأفكار والأذكار النافعة للقلب والمؤثرة فيه .

قال بعض السلف : انظر كل شىء تحب أن يأتيك الموت وأنت عليه فالزمه ، وكل شىء تكره أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه .

فتأمل - رحمك الله - هذه المقالة ؛ فإنها عظيمة النفع لمن عمل بها . والله الموافق . لا ربَّ غيره .

وأما كراهة الموت فأمر طبيعى لا يكاد الإنسان ينفكُّ عنه ؛ وذلك لأن الموت مؤلم فى نفسه ، ومفرِّق بين الإنسان وبين محبوباته ومألوفاته من دنياه .

ولما قال رسول الله ﷺ : *« من أحبَّ لقاء الله أحبَّ لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »*[(٢)]. قالت له عائشة [(٣)] - رضى الله

---

(١) [حديث حسن . رواه ابن أبى الدنيا ، والطبرانى ، وابن ماجه ، والبيهقى عن عبد الله ابن عمر - رضى الله عنهما - قال المنذرى : وذكره رزين فى كتابه بلفظ البيهقى من حديث أنس - رضى الله عنه - ولم أره] « الترغيب » (٤ / ٢٣٨) .

(٢) [حديث صحيح ، رواه أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والبيهقى ، والدارمى ، وغيرهم ، عن أبى موسى ، وعبادة ، وعائشة ، وأبى هريرة - رضى الله عنهم -] .

(٣) هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر - رضى الله عنها - وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس ، فقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت ست ، وقيل : سبع - ودخل بها وهى بنت تسع =

عنهـا ـ : يارسـول الله ، كلنا نكره الموت ؟ فـقال علـيه السـلام : « *إن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برحمة الله فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه*

= وكان دخوله بهـا في شوال في السنة الأولى من الهجرة ، و قـبض رسول الله ﷺ وهي بنت ثمان عشر سنة .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما توفيت خديجـة قالت خولة بنت حكيم ـ امرأة عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنها ـ وذلك بمكة ـ : أي رسـول الله ، ألا تتزوج ؟ قال : « من ؟ » قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيّباً ، قال : « فمن البكر ؟ » قالت : بنت أحب خلق الله إليك : عائشة بنت أبي بكر ، قال : « ومن الثيّب ؟ » قالت : سودة بنت زمعة ، آمنت بك واتبعـتك ، قال : « فاذهبي فاذكـريهما عليّ » فجـاءت فدخلت بيت أبي بكر ، فوجـدت أم رومان ، فقـالت : ما أدخل الله عليكم من الخيـر والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ قـالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قالت : وَدِدتُ ، انتظرى أبا بكر ، فجاء أبو بكر فذكرت له ، فقال : وهل تصلح له وهي بنت أخيه ؟ فرجعت ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، قال : قولي له : « أنت أخي في الإسلام ، وابنتك تحلّ لي » فجاء ، فأنكحه ـ وهي يومئذ بنت ست سنين ـ [أخرجه ابن أبي عاصم] .

وكانت تكنى أم عـبد الله ، كناها رسول الله ﷺ بابن أختها عـبد الله بن الزبير ، وهي من أكـثر الصحابة رواية للحـديث ، روى لها عن رسول الله ﷺ « ٢٢١٠ حديثا » وروى عنها خلـق كثير من الصحابة والتابعين ، وفضائلها ومناقبها كثيرة مشهورة .

وفي « الصحـيح » كان الناس يتحرّون بهـداياهم يوم عائشة ، قـالت : فاجتمع صـواحبي إلى أم سلمة .. الحـديث ، وفيه : فقال في الـثالثة : « لا تؤذوني في عـائشة ، فـإنه والله ـ مـا نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها » .

وقال ﷺ : « عائشة زوجتي في الجنة » [رواه الشيخان ، وغيرهما] .

وعنها قـالت : أعطيت خلالاً ما أعطيتـها امرأة : ملكني رسـول الله ﷺ وأنا بنت سبع ، وأتاه الملك بصورتي في كفـه لينظر إليها ، وبنى بي لتسع ، ورأيت جبـريل ، وكنت أحبَّ نسائه إليه ، ومرضته ، فقبض ولم يشهده غيري والملائكة . [رواه ابن سعد] .

وفي رواية : ولم ينكح بكراً غـيري ، ولا امـرأة أبواها مـهاجـران غيـري ، وأنزل الله براءتي من السماء ، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ، وكـان يصلي ـ وأنا معترضة بين يديه ـ وقبض بين سحري ونحري في بيتي ، وفي ليلتي ، ودفن في بيتي . [أخرجه ابن سعد] .

قال الشعبي : كان مسروق إذا حدّث عن عائشة قال: حدثتني الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله .

وعنه قال : رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيا في العامة .

وعن أبي موسى قال : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما .

توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة (٥٧هـ) وقيل: سنة (٥٦هـ) وقـيل : سنة (٥٨) وصلى عليهـا أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ وأمرت أن تدفن بالبقيع ليـلاً ، فدفنت من ليلتهـا بعد الوتر واجتمع على جنازتهـا أهل المدينة وأهل العوالي ، وقالوا : لم نر ليلة أكـثر ناسا منها ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ « تهذيب الأسماء » (٢ / ٣٥٠) « الإصابة » (٨ / ٢٣١) .

وإن الكافر إذا حضـــره الموت بُشّر بعذاب الله فكره لقـــاء الله وكره الله لقاءه [١] » .

وفى وصف المؤمن المحبوب المذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام عن الله : « *ما تقرّب المتقرّبون ..* » فساق الحـديث إلى أن قال « *وما تردّدت فى شىء أنا فاعله كترددى فى قبض نفس عـبدى المؤمن يكره الموت وأكره مَساءَته ولابد له منه* » [٢].

فانظر كيف وصفه بكراهيـة الموت مع كمال إيمانه ، وعلّو منزلته عنده تعالى ـ تعلّم صحة ما ذكرناه،وقيل فى أخبار موسى عليه السلام : « **أنه لطَم ملَك الموت حين جاءه ليقبضه فأخرج عينه** » [٣] .

نعم ، قد تخفى كراهيـة الموت حتى لا تحسّ فى حال قوة إشراق أنوار المعرفة واليقين ، ويكون ذلك لأهله فى وقت دون وقت .

وأما الأمر العـام فى أهل الإيمان: فهو أنهم يحبّـون الموت لما فيه من لقاء الله ، والمصيـر إلى الدار الباقية ، والخروج مـن الدنيا محلٍّ الفتن والمحن ، ويكرهون المـوت بالنفس والطبع ؛ لـمـا فـيـه من الألم وفـراق المحبوبات ، وكلما كان الإيمان أقوى كانت الكراهية أقلّ ، ومقتضى الطبع أضعف ، وبالعكس ، فتفطّن لذلك ، والله يتولى هداك .

طول العمر فى الطاعة مطلوب

وأما طول العـمر فى طاعة الله فهـو محبـوب ومطلوب ؛ لقوله

---

(١) قـوله : قالـت له عائشـة . . إلخ هذه الزيادة مـوجـودة فى رواية الإمـام أحمـد ، والترمذى ، والنسائى ، والبيهقى .

(٢) [حديث صحيح . رواه البخـارى ، والبيهقى فى « السنن » بلفظ : « *ما تقرّب إلىّ عـبدى بشئ أحب إلىّ مما افـترضت عليـه* » وذكـره بتلك اللفظ الذى ذكـره المؤلف صاحب « الاتحاف » (٨ / ٤٧٧) .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والإمام أحمد ، وأبو عوانة] .

عليه السلام : « *خيركم من طال عمره وحسن عمله* »[1] .

وكلما كـان العمـر أطولَ فى طاعة الله كـانت الحسنات أكـثرَ ، والدّرجات أرفع ، وأما طوله فى غير طاعة الله فبلاءٌ وشرٌّ : تكثر السيئات وتتضاعف الخطيئات.

ومن زعم من الناس أنه يحب طول البقاء فى الدنيـا ليستكثر من الأعمال الصالحة المقرِّبة إلى الله تعالى ـ فإن كان مع ذلك حريصاً عليها ، ومشمِّرا فيـها ، ومجانباً لما يشغل عنها من أمور الدنـيا ؛ فهو بالصادقين أشبه ، وإن كان متكاسلا عنها ، ومسـوِّفاً فيها ـ أعنى الأعمال الصالحة ـ فهـو من الكاذبين المتعلِّلين بما لا يغنى عنه؛ لأن مـن أحب أن يبقى لأجْل شىء يكون فى غاية الحـرص على ذلك الشىء ، مخافة أن يفـوته ويحال بينه وبينه ، سِيِّمـا والعمل الصـالح لا يمكن إلا فى الدنيـا، ولا يتـصور وجوده فى غيرِها البتّةَ ، لأن الآخـرة دارُ جزاء وليست بدار عمل ، فتفكرّ فى ذلك جداّ عـسى الله أن ينفعك به ، واستـعن بالله واصبر ، واجتـهد وشمِّر ، وبادر بالأعـمال الصالحة من قبـل ألاّ تجد إليها سبـيلا ، واغتنم فسحـة المَهل من قبل أن يَفجأك الأجل ؛ فـإنك غرض للآفات ، وهدَف منصوبٌ لسـهام المنيّات ، وإنما رأس مالك الذى يمكنك أن تشـترى به من الله سعادة الأبد هذَا العمرُ .

(فإياك) أن تنفق أوقاته وأيامَـه وساعاته وأنفاسَـه فيما لا خـير فيه، ولا منفـعة ؛ فيطول تحسرك ، ويعظُم أسـفك بعد الموت إذا عرفت قدر الفائت وتحققته .

وقد وردِ أنه تُعرض على الإنسان فى الآخرة ساعات أيامه ولياليه

---

(١) [عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ أن رجـلا قال : يا رسول الله ، أى الناس خـير ؟ قال : « من طال عـمره وحسن عـمله » قال : فأى الناس شـرٌ ؟ قال : « **من طال عمره وساء عمله** » رواه الترمذى وقال : حديث حـسن صحيح ، والطبرانى بإسناد صحيح ، والحاكم ، والبيهقى فى « الزهد » وغيره .

وعن عبـد الله بن بسر ـ رضى الله عنه ـ قال : قـال رسول الله ﷺ : « **خير الناس من طال عمره وحسن عمله** » رواه الترمـذى وقال : حديث حسن] . « التـرغيب والترهيب » (٤ / ٢٥٤) .

فى هيئة الخزائن كلّ يوم وليلة أربع وعشرون خزانة بعدد ساعاتهما ؛ فيرى الساعة التى عمل فيها بطاعة الله خزانة مملوءة نوراً ، والتى عمل فيها بمعصية الله مملوءةً ظلمة ، والتى لم يعمل فيها بطاعة ولا معصية يجدها فارغة لا شىء فيها ، فيعظم تحسره إذا نظر إلى الفارغة أن لا يكون عمل فيها بطاعة الله ، فيجدَها مملوءة نورا ، وأما التى يجدها مملوءة ظلمة فلو قضى عليه أن يموت عند النظر إليها من الأسف والحسرة لمات غير أنه لا موت فى الآخرة(١) .

فالعامل بطاعة الله يكون فيها فرحاً مغتبطاً على الدوام ، يزيد فرَحه واغتباطه على مر الأيام ، والعامل بمعصية الله ترِحٌ مغموم ، لا يزال يزداد ترَحه وغمُّه إلى غير نهاية .

فاختر لنفسك ـ رحمك الله ـ مادمت فى دار الاختيار ، ما ينفعها ويرفعها ؛ فإنك لو قدْ مُتَّ خرج الأمر عن اختيارك .

خطر التسويف في الطاعات

وبادر ولا تسوّفْ ، فإن التسويف شرٌّ ، والإنسان معرّض لآفات وشواغلَ كثيرة ، قال ﷺ : ***« اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابَك قبل هَرَمك، وصحتَك قبلَ سَقَمك ، وفراغَك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك »***(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام : ***« بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا ، وصِلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذِكركم له »***(٣).

---

(١) قال الحافظ العراقى : الحديث بطوله لم أجد له أصلا . « الإحياء » (٤/ ٣٩٥) .

(٢) [حديث حسن . رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، وابن أبى الدنيا عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ و الإمام أحمد ، والبيهقى فى « الشعب » وأبو نعيم فى « الحلية » وابن المبارك فى « الزهد » مرسلاً من رواية عمرو بن ميمون] .

(٣) [رواه ابن ماجه ، وهو جزء من الحديث الذى رواه جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : ***« يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصِلواْ الذى بينكم وبين ربكم***=

وقال عليه السلام : « **نعمتـان مغبون فـيهما كثـير من الناس : الصحةُ والفراغُ** »[1].

(قلت) : فالمغبون فيهما من أوتيهـما فعاش صحيحاً فارغا: يُنفق صحته وفراغه فى الغفـلات والبَطالات ، أو فى معاناة الأشغال الدنيويات الملهيـات عن ذكر الله ، وعن الأعمـال الصالحات ، وإنما يسـتبين له أنه مغبـون بعد الموت حين يعاين ما فـاته من الدرجات العُلى ، التى لو أنفق فى طلبها صحته وفراغه لنالها.

قال علىّ - كرم الله وجهه - : الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا.

وقـال الله تعـالى : ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ** ﴾[2]، وقـال النبى عليه السـلام : « **ليس يتـحسـر أهل الجنة إلا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله فيها** »[3].

وذلك إذا رأوا قـدر الفائت بسـبب الغـفلة فى تلك الساعـة من القرب والنعيم ، وأمـا من أنفق صحته وفراغه فى معـاصى الله ومساخطه فهو خـاسر ممقوت وليس بمغبـون ، إنما المغبون من ينفقـها فى البطالات والمباحات .

وقـد يكون مـعنى الغبن فى الصـحة والفـراغ : أن لا يعطاهمـا الإنسان فـيبتلى بالأمـراض، أو الضعف ، وكثـرة الأشغال ، فـلا يتمكن بسبب ذلك من الأعمال الصالحات، التى يتـمكّن منها الأصحاء الفارغون فافهم ههنـا قوله تعالى : ﴿ **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[4].

= *بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا* »] .

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، والترمذى ، وابن ماجـه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) سورة التغابن : الآية ٩ .

(٣) [حديث حسن . رواه الطبرانى، والبيهقى فى «الشعب» عن معاذ ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) سورة النساء : الآية ٩٥ .

وقوله عليه السلام : « *المؤمن القوىُّ خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كلّ خير ،فاحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجـز ، فإن غلبك أمـر فقل : قـدَر الله وما شاء فـعل ، وإياك و « لَوْ » فإنها تفتح عمل الشيطان* »[1] .

(قلت) : لأن « لو » لا يقولها فى الأكثـر إلا عاجزٌ كسلان ، يُفوِّت الأمور الحسنة عند التمكن منها من عـجزه وكسله ، أو معتمدٌ على حوله وقوّته ، وسعيه وحيلته ، يحـسب أنه ينجو باحترازه أو حرصه عما قضى الله عليه ، وقد قال عليه السلام : « *لا يغنى حذَرٌ من قدَر* »[2].

فتأمّل ذلك وأمعن النظر فيه ؛ فإنه معنى جليل ، تحته علم كثير. وإلى الله عاقبة الأمور .

بطلان أمانى المغفرة من غير سعى لها

وأما أمـانى المغفـرة ودخول الجنة من غـير سعى لذلـك : بفعل المأمـورات ، والمسارعـة فى الخيـرات ، مع ترك المحظورات ، ومـجانبـة السيئات ـ فهو حُمـقٌ وغرور ، وموالاةٌ للشيطان ـ لعنه الله ـ بقبول تزويره وتلبيـسه ، وترويجه لـلشر فى معـرض الخير ، قـال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) ﴾[3].

---

(١) [حـديث صحـيح . رواه مسلم ، وابن ماجه ، والإمـام أحمـد ، والبـيهـقى ، والحميدى ، وابن السنى ، وابن أبى شيبة ، وأبو عوانة كلهم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحـيح . رواه البزار ، والطبرانى ، والحاكم وصححـه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وتتـمة الحديث : « *والدعـاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البـلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة* » . (يعتلجان : أى يتصارعان ويتدافعان) . ورواه الإمام أحمد ، والطبرانى أيضاً عن مـعاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً : « لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم بالدعاء »] .

(٣) سورة النساء : الآيتان ١١٩ ، ١٢٠ .

ومن ظن أنه يُذنب ثم لا يتوب إلى الله توبة صحيحة ، وأنه تعالى يغفر له،وكذلك يتكاسل عن الطاعات ويتشاغل عنها بأمور الدنيا ، ويتوهم مع ذلك أن الله تعالى يكرمه ويرفعه فى درجات الجنة مع المحسنين ـ فهو المتمنى المغرور ، والعاجز الأحمق، وذلك لأن الله تعالى يقول ـ وقوله الحق ـ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) ﴾[١].

ثم وصف الله الذين أحسنوا بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[٢] .

واللمم : هو الصغائر من الذنوب التى لا يكاد العبد يخلو منها وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾[٣] أى لا نجعلهم سواء عندنا : لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٤].

فأبطل حسبانهم وتوهّمهم ، وذم حكمهم بذلك ـ أعنى ظنهم التسوية بينهم وبين أهل الإحسان عند ربهم ـ .

وقد وصف الله ملائكته وأنبياءه عليهم السلام ، وعباده المؤمنين فى كتابه بالأعمال الصالحة ، وبالملازمة لها ، والمسارعة فيها مع الخوف والخشية والإشفاق والوَجَل ، فقال تعالى فى الملائكة : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ إلى قوله ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[٥].

---

(١) سورة النجم : الآية ٣١ . (٢) سورة النجم : الآية ٣٢ .
(٣) سورة ص : الآية ٢٨ . (٤) سورة الجاثية : الآية ٢١ .
(٥) سورة الأنبياء : الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

وقال تعالى فى الأنبياء : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[١].

وقال أيضًا فيهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[٢].

وقال تعالى فى المؤمنين : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) ﴾[٣].

وقال أيضا فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾[٤].

ولما سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[٥] أهو أن الرجل يزنى ويسرق ثم يخاف ؟ قال : « **لا ، هو الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ..**» الحديث[٦].

ولما وصف الله بعض أعدائه وصفهم بالغرور والتمنى فقال عن واحد منهم : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[٧] يعنى

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٧ . (٢) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .
(٣) سورة الأنبياء : الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) سورة المؤمنون : الآيات ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .
(٥) سورة المؤمنون : الآية ٦٠ .
(٦) [رواه أحمد . وفي رواية للترمذي : « *هم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون ، وهم يخافون ألا يتقبل منهم* »] . « مختصر تفسير الطبرى » (٢ / ٨٤) .
(٧) سورة الكهف : الآية ٣٦ .

من جنته التى أعجب بها ، ونسى نعمة الله عليه فيها ، وتكبّر بها وافتخر على من هو خير منه من عباد الله ! فانظر ذلك فى جملة قصته التي حكاها الله عنه ، وعن العبد الصالح فى قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ إلى آخرها[١] .

وقال تعالى عن آخر من الأعداء المغرورين : ﴿ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾[٢] يعنى فى الآخرة ، فكذبه الله وتوعَّده بالعذاب وإنزاله به ، وقال تعالى عن آخر منهم : ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾[٣] .

(فانظر) ـ رحمك الله ـ بأىِّ شىء وصف الله أحبابه وأولياءه ، وبُغَضاءه وأعداءه ، فبأى الفريقين اقتديْتَ وتشبهت كنت معه ، « فإن من تشبه بقوم فهو منهم » كما ورد[٤] .

وقد تبين لك عن ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين : أنهم كانوا ملازمين لصالح العمل ، ومجانبين للسيئات والزلل ، مع الخوف من الله والوجل ، وأن الأعداء كانوا على الضدِّ من ذلك : على العصيان وترك الإحسان ، مع الغرور ، والأمن من مكر الله ، والتمنى على الله ، فاختر لنفسك صحبة خير الفريقين ، وتشبّه بهم فى الأعمال والأوصاف ، تكن معهم إن شاءَ الله .

أمانى المغفرة مع البَطالة والكسل عظيمة الضرر

(واعلم) ـ أن أَمانى المغفرة مع الكسل والبطالة من أضر شىء على الإنسان ، وقد فشت على ألسن المخلِّطين من أهل هذا الزمان ، ولذلك طوَّلنا الكلام فيها رجاء أن ينفع الله به من وقف عليه منهم ،

(١) سورة الكهف : الآيات من ٣٢ ـ ٤٤ . (٢) سورة مريم : الآية ٧٧ .
(٣) سورة فصلت : الآية ٥٠ .
(٤) [حديث حسن . رواه أبو داود ، والطبرانى] .

فينتبه مـن غفلته ، ويستيقظ من رقـدته ، عندما يعلم أن أهل النبوة وأهل الصلاح كانوا فى نهاية الخوف من الله ،حتى كان نبينا محمد ﷺ يقول : *« لو آخذنى الله أنا وابن مريم بما جنت هاتان ـ يعنى السبابة والإبهام ـ لعذبنا ثم لم يظلمنا شيئاً »*[1].

ولاشك أن الأنبيـاء والأوليـاء أعـرف بالله وبكـرمـه العظيم ، ورحمته الواسعة من غيرهم ؛ فلم يبق إلا أن يكون أهل التخليط والتفريط أولى بالخوف من كل وجه ، وعلى كل حال .

لا حجة للمتمنى المغرور

(واعلم) ـ أن المتمنى المغرور مقطوع الحجـة بأيسر مئونة ، فإذا قال : إن الله تعالى لا تضره الذنوب ، ولا تنفعه الطاعة ، وهو غنى عنى وعن عـملى ؛ فقل له : صـدقت ، ولكن الذنوب تضرُّك ، والطـاعات تنفعك ، وأنت فقـير إلى العمل الصالح ، ثم قل له : اقـعد عن الكسب والحركة والسعى للمعاش ، فإن الله تعالى قد ضمن لك الرزق ، وخزائن السموات والأرض فى قبضته؛ فسوف يقول لك: صدقت، ولكن لابد من السعى والحركة ، وقلما رأينا شيئاً يحصل بدون ذلك، فقل له : إن الدنيـا التى أمرك الله بتركها ، ونهاك عن الرغبـة فيها ، وضمن لك قدر الكفاية منها ، لا تحصل إلا بـالسعى والطلب ، والآخرة التى رغَّبك الله فـيها ، وأمرك بطلبها ، وأخبرك فى كتابه ، وعلى لسان نبيه ، بأنك لا تنجو فيها من عذابه ، وتفوز بثوابه حتى تسعى لها وتجتهد فى طلبها ، نراك مضيّعاً لها ، وغير مكترث بها، فمـا أنت إلا شاك مرتاب، أو أحمق مغرور، قد عكست الأمر ، ووضعت الأشيـاء فى غير مواضعها فـبأى حجة ، وبأى وجـه تلقى الله ، وتلقى رسـول الله ﷺ الـذى أرسله إليك يدعـوك من الدنيا إلى الآخرة !؟ فعند ذلك تنقطع حجته ، ولا يدرى مايقول .

---

(١) لم أعثر على من خرّجه .

قوة الإيمان مدعاة لكثرة الخوف

(واعلم) ـ رحمك الله ـ يقيناً أنه كلما كان الإيمان أقوى والعمل أصلح ، كان الخوف أكثر ، وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ، كان الخوف أقل ، والأمن والاغترار أغلب ؛ فاعتبر ذلك فى نفسك وفى غيرك تجده بيناً .

وعلى الجملة ، فإن المؤمن الصادق هو الذى يعمل بالصالحات ، ويخلص فيها ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله ، ويجانب السيئات ، ويبعد عنها ، ويخاف أن يبتلى بها ، ويخشى العقاب على ما عمله منها ، ويرجو المغفرة من الله بعد التوبة والإنابة إلى الله .

فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المخلِّطين، وأمره فى غاية الخطر ، فافهم هذه الجملة ، وطالبْ نفسك بها تنج وتفز إن شاء الله تعالى .

التوفيق للعمل الصالح عنوان السعادة

(واعلم) ـ أن عنوان السعادة أن يوّفق الله العبد للعمل الصالح فى حياته ، وييسره له ، وعنوان الشقاوة أن لا يُيسَّر للعمل الصالح ، ويُبتلى بالعمل السوء ؛ قال رسول الله ﷺ : *« اعملوا فكل ميسَّر لما خلق له ، من خلق للجنة يُسِّرَ لعمل أهل الجنة ، ومن خلق للنار يسر لعمل أهل النار »*[1] .

ولما قبض الله القبضتين قال لقبضة السعداء : هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، وقال لقبضة الأشقياء : وهؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون.

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والبخارى ،ومسلم ،وأبو داود ،والترمذى ، والطبرانى ، وابن حبان ، والخطيب ، وأبو نعيم] .

أحسِنْ العمل، ثم اعتمد على فضل الله دونه

(ثم اعـلـم) ـ أن المؤمن البـصـيـر بالدين ، الـراسخ فى العلم واليقـين : هو الذى يحسن العـمل لله ، ويجتهـد فى ذلك بكليـته ، ثم يعتمد على الله وعلى فضله ، ولا يعتمد على عمله وإحسانه ، وعلى هذا الوصف مضى الأنبيـاء والعلماء وصالحو السلف والخلف ـ عـليهم السلام والرحمة والرضوان ـ وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله : « *لن يدخل أحد الجنة بعمله» قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمّدنى الله برحمته* »[١].

ثم كان ﷺ يجـتهد فى الأعمـال الصالحة إلى الغـاية والنهاية ، حتى تورمت قدماه من طول القيام بالليل[٢] .

وأما الذى يجتهد فى الأعمال الصالحة ويعـتمد عليها فهو معجب بنفسه ، جرىء على ربه ، وربما يبتلى ليستـبين له عجزه وعدم صلاحيته

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، والإمام أحمد ، والبزار ، والطبرانى ، والبيـهقى ، بألفاظ مـتقاربة ، وروى مـسلسلاً ـ فى بعض ألفاظـه ـ بوضع اليد على الرأس] .

وقد رويناه عن شيخنا مـسند الحجاز الشـيخ محمد ياسين الفادانى بسنده إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : رأيت رسـول الله ﷺ وضـع يده على رأسه وقال : « *ما منكم من أحد ينجيه عـمله من النار ، ولا يدخله الجنة ، إلا برحـمة من الله عـز وجل* » قالوا : ولا أنت يا رسـول الله ؟ قال : « *ولا أنا إلا أن يتغمدنـى الله برحـمته وفضله* »] . راجع « الأحاديث المسلسلة للبنجرى » (ص ٥٦) .

(٢) عن المغيرة بن شعبة ـ رضى الله عنه ـ قال : « قام رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه ،فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ،قال : « *أفلا أكون عبداً شكوراً* » [رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان رسول الله ﷺ يصلى حتى ترم قدماه قال : فـقيل له : أتفعل هذا وقـد جاءك : إن الله غفـر لك ما تقـدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « *أفلا أكون عبداً شكوراً* » [رواه البخارى ، ومـسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه] .

لشيء من الصالحات ،لولا فضل الله ورحمته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

وكما بلغنا: أن عابداً عبد الله خمسمائة سنة، فإذا كان يوم القيامة يقول الله لـه: يا عبدى : « ادخـل الجنة برحـمـتى » فيقـول: يارب ، بل بعملى! فيأمر الله به فـيحاسب على نعمة البصر فتستـغرق جميع عبادته، وتبقى عنده نـعم الله كثيـرة ،فيأمـر به إلى النار فيـقول : يارب! أدخلنى الجنة برحمتك، فيأمر به إليها ويثنى عليه ويمدحه جل وعلا .

فقد ظهر أنه لابد من أمرين:

أحدهما : إصلاح العمل ، والثانى : الإعتماد على الله دونه.

وما أحسن ما قاله الشيخ محيى الدين عبد القـــادر الجيلانـــى[2]

---

(١) سورة النور : الآية ٢١ .

(٢) هو أبو صالح عـبد القادر بن مـوسى بن عبد الله بن يـحيى الجيلانـى الملقب بمجمع الفريقين ، وموضح الطريقين ، ومعلم العراقين ، قطب الوجود ، فاق أهل وقته فى علوم الديانة ، ووقع له القبول التام ، مع القدم الراسخ فى المجاهدة ، وقطع دواعى الهوى والنفس ، وتاب على يده معظم أهل بغداد ، وأسلم مـعظم اليهود والنصارى على يديه .

قال الشيخ موفق الـدين ـ وقد سئل عن الشيخ عبد القـادر ـ: أدركناه فى آخر عمره .. إلى أن قال : ولم أسمع عن أحد يحكى عنه الكرامات أكثر مما يحكى عنه ،ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر .

وقال ابن البخار : قـال الشيخ عبد القادر : فتـشت الأعمال كلها فما وجـدت فيها أفضل من إطعام الطعام ، أود لو كانت الدنيا بيدى فأطعمها الجياع .

وقال : الخلق حجابك عن نفسك ، ونفـسك حجاب عن ربك ، ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك .

وقال ابن السمعانى : هـو إمام الحنابلة وشيخهم فى عصره ، فقـيه صالح دين خير ، كثير الذكر ، دائم الفكر ، سريع الدمعة ، كتبت عنه ، وكان يسكن بباب الأزج فى المدرسة التى بنيت له .

ـ رضى الله عنه ـ حيث يقول فى ذلك: بك لا نَصِل، ولابد منك ـ يعنى أننا لا نصل بالعمل دون فضل الله ،ولا بد من العمل امتثالاً لأمر الله ـ .

وقال: الشيخ أبو سعيد الخراز[1] ـ رحمه الله ـ من ظن أنه بالعمل يصل فهو متعنى[2] ، ومن ظن أنه بدون العمـل يصل فهو مـتمنى ـ يعنى أن يصل إلىالله ـ .

والمتمنى :هـو الذى لا يعمل ويزعم أنه متكـل على فضل الله ، وذلك غرور وحماقة ، فإنه لا يصح منه الاتكال على الله وعلى فضله إلا مع العمل الصالح كما تقدم .

= وقال ابن رجب : ظهـر الشيخ عـبد القادر لـلناس ، وجلس للوعظ بعد العـشرين وخمـسمائة ، وحـصل له القبول التـام من الناس ، واعتـقدوا ديانته وصـلاحه ، وانتفعوا بكلامـه ، وانتصر أهل السنة بظهوره ، واشتهرت أحـواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته ، وهابـه الملوك فمن دونهم ، وصنف الشطنوفى المصرى فى أخبـار عبد القادر ومناقبه فى ثلاث مجلدات .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يتكلم فى ثلاثة عشر علماً ، وكان يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر ، وكان يفـتى على مذهب الإمام الشافعى ، والإمـام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنهمـا ـ وكانت فتواه تعرض عـلى العلماء بالعراق فتـعجبهم أشـد الإعجاب، فيقولون : سبحان من أنعم عليه .

ولد ـ رضى الله عنه ـ سـنة ٤٧٠ هـ وتوفى سنة ٥٦١ هـ دفن بـبـغـداد ـ رضى الله تعالى عنه وأرضـاه ، وجعل أسراره سارية فـينا يا الله ـ « شذرات الذهب » (٤ / ١٩٨) « الطبقات الكبرى » (١ / ١٠٨) « جمهرة الأولياء » (٢ / ٢٠١) .

(١) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادى ،صحب ذا النون المصرى ،والنباجى ، وأبا عبيد اليسرى ، والسرى السقطى ، وغيرهم .

قال أبو سعيد الخراز : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل .

وقال : صحبت الصـوفية ما صحبت فمـا وقع بينى وبينهم خلاف ، قالوا : لم ؟ قال : لأنى كنت معهم على نفسى،وحكى عنه أنه قال : كنت فى بعض أسفارى ، وكان يظهر لى كل ثلاثة أيام شئ ، فكنت آكله وأستـقل به ، فمضى ثلاثة أيام وقتا من الأوقات ، ولم يظهر شئ ، فضـعفت و جلست ، فهتف بى هاتف : أيما أحب إليك سبب أوقوة ؟ فقلت: القوة ، فقمت من وقتى ومشيت اثنى عشر يوما لم أذق شيئاً ولم أضعف .

توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ٢٧٧ هـ « الرسالة القشيرية (ص ٢٤) « جامع كرامات الأولياء » (١ / ٤٨٢) .

قال الحسن البصرى[1] ـ رحمه الله ـ : إن أمانى المغـفرة قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ـ أى من الأعمال الصـالحة ـ .

وقال أيضا: إن المؤمـن جمع إحساناً وخوفـاً ، وإن المنافق جمع

---

(١) هو أبو سعـيد الحسن بن أبى الحسن ، إمـام أهل البصرة ، و خيـر أهل زمانه ، ولد لسنتين بقيتـا من خلافة عمـر ـ رضى الله عنه ـ وكان جميلاً فـصيحاً ، جامـعا عالما رفيعا ، فقيها حجة مأمونا ، عابداً ناسكا ، كثير العلم وسيما .
قيل ليونس بن عبيد : أتعرف أحداً يعمل بعمل الحسن ؟ فقال : والله ما أعرف أحداً يقول بقوله ، فكيف يعـمل بعمله ، ثم وصفه فقال : كـان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه ، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له .
وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : إذا أراد الله بعبد خيراً فى الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد .
وكان يقول :من شرط التواضع أن يخرج من بيته فلا يلقى أحداً إلا رأى له الفضل عليه .
وقال له رجل : أشكو إليك قساوة قلبى ، فقال : ادن من مجالس الذكر .
وكان يقول: أدركنا أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرّم عليكم .
وكان يقول : لا تشتر مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد .
ويقول : ذم الرجل نفسه فى العلانية مدح لها .
وقيل له مرة : إن الفقهاء يقولون كذا وكـذا ، فقال : وهل رأيتم فقيها قط بأعينكم ، إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، البصير بذنبه ، المداوم على عبادة ربه عز وجل .
وكان يحلف الله : ما أعز أحد الدرهم إلا أذلّه الله
وكان يقول : إذا رأيت فى ولدك ما تكره فاعلم أنه شئ تراد به أنت فأحسن .
توفى بالبصـرة سنة ١١٠هـ وكانت جنازته مشـهودة ، وأغمى عليه عند مـوته ، ثم أفاق فقال : لقد نبهتمونى من جنات وعيون ومقام كريم .
ورأى بعض الأولياء لـيلة موته أبواب السمـاء مفـتحة ، وكـأن مناديا ينادى : ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض .« قاله الخانى » .
قال الشـيخ علوان الحموى فى « نسـمات الأسحـار » : لما بلغ الحسن قتل الحـجاج لسعيـد بن جبير قال : اللهم يا قـاصم الجبابرة اقصم الجبـابرة ، فما بقى إلا ثلاثة حتى وقع فى جوفـه الأكلة والدود ، فمات ، وهذه من كرامات الحـسن البصرى ، وليس بكثير عـلى مثل هذا الإمام ، فإنه سيـد الزهاد والعباد والعلماء والفـصحاء . كما قاله شيخنا البازلى .
ومن كرامـاته : أنه كان ممن يصلى الصلوات الخمس بمكة ـ يعنى وهو فى البـصرة ـ تطوى له الأرض ، فهو من أهل الخطـوة ا هـ . « شذرات الذهب » (١ / ١٣٦) « الطبقات الكبرى » (١ / ٢٥) « جامع كرامات الأولياء » (٢ / ٢١) .

إساءة وأمنا.

(قلت) : وذلك عجيب جداً ، لأن الخوف بصـاحب الإساءة أليق ، لتعرّضه بإساءته لسطوات الله ، وإنما أمن مع الإساءة لانتكاس قلبه وعمي عين بصـيرته ، ولكن : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾(١).

اللهم اهدنا،وكن لنا ياربنا وليـًا مرشداً إلـى ما تحبه منا، وترضى به عنا ، فقد فوّضنا إليك أمرنا ، وتوفّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

خطر احتجاج مرتكبي المعاصي بالقدَر

وأما الاحـتجاج بالقـدَر الذى يجريه الشـيطان اللعين على ألسنة كثير من عامة المسلمين ففيه خطر كبير : وهو أن أحدهم إذا قيل له ـ وقد ترك بعض الواجبات ، أو فعل بعض المحـرمات ـ : فعلتَ ذلك وخالفتَ أمر الله ورسوله ! فيقول : ذلك مـقدَّر علي ، ومكتوب ومقضيٌ ؛ يعذر بذلك نفسه ، ويرفع الحرج عنها ، ويحتج على الله تعالى الذى له الحجة البالغة على جميع خلقه فى كل حال ـ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ـ.

وأقول : إن قول العـاصى هذا أعظم من معصيته ، وأكـثر ضرراً عليه فى دنيـاه وآخرته ؛ لأن معنى هذه المقالة يدل من صاحبها ـ إذا قالها عن اعتـقاد باطن ـ على تزلزل قواعـد دينه من أصلها ، فمـتى يتوب هذا العاصى ، ومتى يندم على فعله القبـيح ، ومتى يستغفر منه! وهو لا يرى له فعلا ، ويرى أنه مجبور مقـهور ، ليس له اختيار ولا قدرة ، وهذا هو بعينه مذهب الجـبرية : وهم فرقة من المبتـدعين فى الدين ، يقولون بعدم الاختيار ، على ضد ما تقوله المعتزلة : وهم فرقة أخرى من أهل البدعة .

ومعتقد أهل الحق والسنة والجماعة : وسط بين هاتين الفرقتين ؛ وهو كما قال بعض العلماء : خارج من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغا للشاربين

(١) سورة الكهف : الآية ١٧ .

عقيدة أهل السنة والجماعة

ومعتقد أهل السنة ـ جعلنا الله منهم بفضله ـ : أنه لا يكون كائن صغير ولا كبير إلا بقضاء الله ومشيئته ، وإرادته وقدرته ، وأن العباد وأفعالهم خيرها وشرها خلق الله تعالى ، ثم بعد ذلك يطالبون أنفسهم بامتثال أوامر الله كل المطالبة ، ولا يرخّصون لها فى ترك شىء منها ، ويحملونها على ترك المنهيات وعلى اجتنابها رأساً ، وإن وقعوا فى شىء منها بادروا إلى الله بالتوبة والاستغفار ، وإن فرّطوا فى شىء من الأوامر بادروا بقضائه ، وتابوا إلى الله من تركه ، ولا يحتجّون لأنفسهم على الله أبدا ، ولا يعذرونها بسبق القدر ، ولا يرخّصون فى ذلك لأحد ، فإن الله تعالى وصف بعض أعدائه فى كتابه بالاحتجاج بالمشيئة ، ثم أنكر عليهم ذلك ووبّخهم عليه ،ولم يقبله منهم ، ورده عليهم وكذّبهم،فقال تعالى :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[1] .

وفى الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[2] .

فإياك والاقتداء بالمشركين فى الاحتجاج على الله رب العالمين ؟؟

وجوب الإيمان بالقدر

وحسبك من القدَر الإيمانُ به خيرِه وشرِّه ، ثم كلِّف نفسَك الامتثالَ لأمر الله والاجتناب لنهيه ، وتُبْ على الدوام من تقصيرك عن القيام بحقه تعالى ، واستعن بالله تعالى ، وتوكل عليه ، وقد قال عليه

(١) سورة الأنعام : الآيتان ١٤٨ ، ١٤٩ . (٢) سورة النحل : الآية ٣٥ .

الصلاة والسلام : « *إذا ذكر القدَر فأمسكوا* »[1] فنهى عن الخوض فيه ، لما فى ذلك من الخطر ، وكثرة الضرر.

وسأل رجل عليـا ـ رضى الله عنه ـ عن القـدَر فـقـال له فى جـوابه : هو بحر عـميق فلا تلجه ، وطريق مظلم فـلا تسلكه ، سرُّ الله قد خفى عليك فلا تُفْشِه .

وسأل رجل من ولاة الأمور محمدَ بن واسع[2] ـ رحمه الله ـ عن القدَر ؟ فقال له : جـيرانك من أهل القبور ، لك فى التفكيـر فيهم شغل عن القدَر .

وقد مضى عمل السلف والخلف من أهل الحق على الإيمان بالقدر خيره وشره ، وانـعقد إجماعهم ـ رحـمة الله عليهم ـ على ذلك ، وعلى الإمسـاك عن الاحتجـاج بالقضـاء والقدر عند ترك الأمر وإتـيان النهى ، وكانوا يرون ذلـك من أعظم المنكرات ـ أعنى الاحتـجاج بأمر الـقدر عند

---

(١) [حديث حسن . رواه الطبرانى عن ابن مسعود ، وبن عدى عنه وعن ثوبان ، وعن عمر ـ رضى الله عنهم ـ والحديث كاملاً ـ : « *إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا* »] .

(٢) الأزدى سيد القراء ، وعالم البصـرة وعابدها ، أخذ عن أنس ، ومطرف بن الشخير وطائفة ، وهو مقل ، روى خمسة عشر حديثاً ، ومناقبه مشهورة .
قال بعضهم : كنت إذا وجدت فترة أو قسوة نظرت فى وجهه ، فيذهب ذلك جميعه عنى ، أو قال شهراً .
وكان ـ رضى الله عنه ـ يلبس الصوف ، فدخل يوما على قتيبة بن مسلم ، فقال له قتيـبة : مادعاك إلى لبس الصـوف ؟ فسكت ، فقال له : الا أكلمك فـلا تجيبنى ، فقال : أكره أن أقول : زاهد فأزكى نفسى ، أو فقير فأشكو ربى عز وجل .
وكان يقول : من زهد فى الدنيا فهو مالك الدنيا والآخرة .
ويقول : من أقبل بقلبه على الله تعالى ، أقبل بقلوب العباد إليه .
وكان يقول : أدركنا الناس وهم ينامون مع نسـائهم على وسادة واحدة ويبكون، حتى تبتل الوسادة من دموعهم عشرين سنة لا تشعر امرأتهم بذلك ـ رضى الله عنهم ـ .
توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ١١٣ هـ « شـذرات الذهب » (١/ ١٦١) « الطبـقات الكبرى » (١ / ٣٢) .

ارتكاب المحرمات وتـرك الواجبات ـ فإن كنت من أهل الحق فـاقتد بهم ، واسلك سبيلهم ، وإلا فقد سمعت ما قالـه الله تعالى للمتّبعين غير سبيل المؤمنين ، واسمعه الآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1] .

(ثم اعلم) ـ رحمك الله ـ أنه لا يجوز ، ولا يصح للمؤمن أن يعتـقد فى نفســه أنه لا حرج ولا جناح عليـه إذا ترك واجبا أو فـعل أمرا محرما ، لأن القدر غـالب له وسابق عليه ، ثم إذا صدر منه فعل أو ترك لا يرضى الله به ، فإن احتج بالقدر على إقـامة العذر لنفسه وهو باق على الاختيار والتميز ، فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا .

وقد خشيت أن تكون هذه البلية قد دبَّت إلى أناس من المنسوبين إلى العلم والصـلاح ، فضلا عن غـيرهم من عامـة المسلمين ، ويكاد يدل على وجود هذا الأمـر منهم أنه لا يظهر عليهم كثير توجُّعٍ وتألمٍ وتأسّفٍ عندما يصدر من بعضهم ما يلام عليه ويذم به شرعاً .

فليتق الله مؤمن أحـس من نفسه بذلك ، وليتكلف نفـيه عنها ، وليعلم أن الله لا يعذره بالقدر ، ولا يقبل منه الاحتـجاج به مادام مختاراً أبداً .

فإذا سـمعت من أحد من المسلمين هذه الحـجة الساقطة فـازجره عنها وعـرِّفه بأن اثمه فى الاحتـجاج بالقضاء والقـدر ، على ترك الأوامر وفـعل المحـرمـات ،أعظم من إثمـه على نفـس التـرك للواجب والفـعل للمحرم، فليتق الله ولا يجمع على نفـسه بليَّتين ، ويقودها إلى سخط ربه من جهتين .

لا بأس بالتذكير بالقدر عند الابتلاء

وأمـا ذكر القـضـاء والقدر والتـذكـير به عند الـشدائد والبـلايا

---

(١) سورة النساء : الآية ١١٥ .

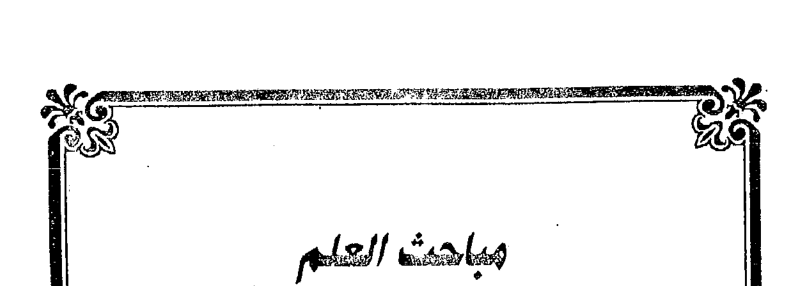
والمصائب فلا بأس به ، وهو احتجاج علـى النفس وليس احتجاجا لها ؛ لأن العـبد المبـتلى والمصاب إذا علم أن المـبتلى له هو ربه الرحـيم ، وأنه بذلك البلاء سبق عليه الكتـاب من الله ـ تحقق وأيقن أن فى ضمن ذلك له صلاحـاً وخيرا كـثيـراً ، فيحـمله العلم بذلك على الرضا والـتسليم لله الحكيم العليم ـ فـقد وضح وتبين لك أن الاحـتجـاج بالقدر عنـد الأمر والنهى محظور ومذموم ، فـاحذره ، وعند البلاء والمصائب نافع ، ولكن لمن يعـقل عن الله تعـالى ، قال الله تعـالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾[1].

وإنْ تذكّـر العبـد عند المصائب والبـلايا ما وعـد الله عليهـا من الدرجات والحـسنات ، والكفارات للسيئات ، فـذلك حسن ، وهو أنفع لعامة المسلمين وأقرب إلى أفهامهم ، لأن النظر إلى العلم الأزلى والقضـاء والقدر السابق ، يفـتقر إلى فطنة وبصيرة ، يخلو عنها كـثير من الناس ، بخلاف الوعد الأخروى فإن كل أحد يفهمه ، وكذلك الوعيد .

ومن أجل ذلك كان الـتذكيـر بالوعد والوعيـد عامَّ المنفـعة عند البلايا وعند الطاعات ، وعند المعاصى وغـير ذلك ، ولهذا ترى كتاب الله وسنة رسوله مشحـونين بذكر الوعد والوعيد ، والوعظَ والتذكـير بهما ، فـافهم هـذه الجملة وتأملـها ترشـد ، *وتوكـل علـى الله إن الله يحـب المتوكلين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.*

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحديد : الآيتان ٢٢ . ٢٣ .



مباحث العلم

العلم بما لا بدّ منه واجب على كل مسلم ومسلمة

(واعلموا معاشر الإخوان) ـ منّ الله علينا وعليكم بالعافية واليقين وسلك بنا وبكم مسالك المتقين ـ أنه لابد لكل مسلم ومسلمة من معرفة العلم ، ولا رخصة لأحد من المسلمين فى تركه أبداً ـ أعنى العلم الذى لا يصح الإيمان والإسلام بدون معرفته ـ وجملته : العلم بالله ورسوله واليوم الآخر ، والعلم بما أوجب الله فعله من الفرائض ، وبما أوجب تركه من المحرمات ، وقد قال رسول الله ﷺ : « *طلب العلم فريضة على كل مسلم*»[1].

وقال عليه السلام : « *اطلبوا العلم ولو بالصين* »[2]. والصين : إقليم بعيد من أبعد المواضع ، وقليل من الناس الذى يصل إليه لبعده ، فإذا وجب على المسلم أن يطلب العلم وإن كان فى هذا المحل البعيد[3] ،

---

(١) [حديث صحيح . رواه ابن عدى ، والبيهقى فى « الشعب » عن أنس ، والطبرانى فى « الصغير » والخطيب عن الحسين بن على، والطبرانى فى « الأوسط » والبيهقى عن أبى سعيد ،والطبرانى فى « الأوسط » عن ابن عباس ، والطبرانى فى « الكبير » عن ابن مسعود ، والخطيب أيضاً عن على ـ رضى الله عنهم ـ

وروى ابن ماجه، وابن عبد البر عن أنس ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً:« *طلب العلم فريضة علي كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب* » قال السيوطى : ضعيف .

وعنه رضى الله عنه ـ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإن طالب العلم يستغفر له كل شئ حتى الحيتان فى البحر »[رواه ابن عبد البر، قال السيوطى: صحيح] .

(٢) [قال فى « الكشف » : رواه البيهقى ، والخطيب ، وابن عبد البر ، والديلمى ، وغيرهم عن أنس ، وهو ضعيف ، بل قال ابن حبان : باطل ، وذكره ابن الجوزى في الموضوعات ، ونوزع بقول الحافظ المزى : له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن ، ويقول الذهبى فى « تلخيص الواهيات » روى من عدة طرق واهية وبعضها صالح .اهـ] (١ / ١٥٤) .

(٣) والصين يشكل جزءاً كبيراً من سكان العالم ، وموقع الصين فى جنوب شرق آسيا ، على المساحات الشاسعة يعطى لتزايد السكان قيمة ورهبة ، خاصة بعد التقدم العلمى الذى يتطور الصين به على مر سنوات مضت ، ليعطى للعالم إشارات بدء بدخولها المجالات العلمية المتقدمة جداً .

وبالجدير بالذكر ، أن الإسلام دخل الصين ، منذ العام الهجرى الأول حتى أصبح عدد المسلمين كثرة تتزايد مع مرور الأيام .

فكيف لا يجب عليه إذا كان بين العلماء ولا يلحقه فى طلبه كثير مئونة ، ولا كبير مشقة ؟؟.

فأما علوم الإسلام فترجع جـملتها إلى قول رسول الله ﷺ حين

= ولو أن العناية قد استمرت بالدعوة بالدين الاسـلامى حتى يومنا هذا ، لكان بالصين الآن ، على الأقل نصف سكانها من المسلمين ، ولكن كيف ؟
وإذا عدنا إلى كيفية انتشـار الإسلام فى العام الهجرى الأول، نجد أن المسلمين الأوائل كـانوا حريصين كل الحـرص على انتشـار دعوة الديـن الحنيف فى كل مكان من هذا العالم ، فكانت الرحلات التجارية للصينيين إلى بلاد العرب ، وكانت رحالات تجار العرب إلى سواحل الصين ، هى مجال الاحتكـاك الذى جعل الإسلام ينتقل بسرعة إلى الحدود الصينية حتى تغلغل داخلها ، بكل ما تحمل من سمات الحب فى المسلمين الأوائل ، الذين كـانوا يأسرون من يتـعامل معـهم ، بخلقهم الإسـلامى ، الذى لو عادت إلينا نحن الآن لسدنا العالم بلا منازع .
وعلى الأقل لساد الإسلام معظم جنوب شرق آسيا ، وشاركوا بملايين كثيرة من تعداد الصين الضخم ، إلا أن المسلـمين فى الصين الآن ـ ونحن فى القرن الخامس عـشر الهجـرى » ـ يزيدون عن المليون مسلم ، وهذه نسـبة قليلة بين ضخامـة العدد الذى يحـويه الصين من سكان ، ورغـم أن بالصين نحـو مليـون ونصف فـقط ، إلا أن المساجـد منتشرة هناك بالمئـات ، حيث يؤدى المسلمون فـيها شـعائرهم ، ويقيـمون احتفالاتهم الدينية ، علاوة على المعاهد الإسـلامية المنتشرة فى أنحاء الصين ، حيث يتواجد المسلمون ، وحينمـا نقول المئات فإننا نعنى الحقيقة فيمـا نقول ، فحسب آخر إحصائية ـ أى منذ ١٥ سنة ماضيـة ـ وجد أن المساجد التى تم حصرها فى الصين ، ألف وخمسـمائة مسجد ، منتشرة فى أنحاء البلاد مدنا وقرى ، ويوجد بالعاصمة بكين ـ وحدها حوالى سبعين مسجداً .
ويوجد فى شنغهاى ، خمسة وثلاثون مسجداً ، وفى هونج كونج ، والمدن الكبيرة ، مساجد كثيرة يقوم بالإشراف عليها مسلمون من أبناء الصين .
وفى شانغهاى ، رابطة إسلامية كبيرة ، تضم عدداً كـبيراً من الجمعيات الإسلامية ، وذلك لنشر الثقافة الإسلامية والإتصال بمسلمى الصين علـى امتداد مساحته الشاسعة وفى بكين يوجـد المعهد الإسـلامى الكبيـر الذى تم انشاؤه عام ١٩٥٥م ليـلتحق به المسلمون لتلقى تعـاليـم الدين الحنيف على أيدى علماء الدين الإسـلامى الراسخين فيه ، من أبناء الصين .
وتمارس الجمعيـات الإسلامية نشاطها فى حرية تامـة ، وتصدر المجلات والنشرات ، منها مـجلة « نور المحمـدية » « أنوار الإسلام » « ناقوس الإســلام » و « الهلال والنجـمة » راجع « هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة » (ص (٤١ ـ ٤٦)) .

سأله جبريل عليه السلام فى الحديث المشهور فقال له : أخبرنى عن الإسلام ـ « **أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا** » ثم قال له : فأخبرنى عن الإيمان قال : « **الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدَر خيره وشره** ..» الحديثَ بطوله[١].

وأما ما يجب علمه على كل مسلم من علوم الإيمان فيوجد فى عقائد الأئمة المختصرة التى وضعوها لعامة المسلمين ، مثل عقيدة الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ وهى جامعة نافعة ، وفيها زيادات كثيرة على القدر الواجب علمه على كل مؤمن ، ولكنها مؤكِّدات ومقوِّيات ومكملات للإيمان[٢]، وسنورد فى آخر هذا التصنيف إن شاء الله عقيدة وجيزة تشتمل على ما لابد من علمه من علوم الإيمان[٣].

وأما علوم الإسلام فتوجد فى تصانيف الأئمة من الفقهاء ـ رضى الله عنهم ـ والواجب من ذلك هو القدر الذى لا يسع مسلماً أن يجهله ، كالعلم بوجوب الصلوات الخمس ، وكيفية فعلها وشرائطها ومواقيتها والطهارة لها ، وما فيه معنى ذلك .

وكالعلم بوجوب الزكاة ، والقدر الواجب منها ، والوقت الذى تجب فيه .

والعلم بوجوب صوم شهر رمضان، وشرائط الصوم، ومبطلاته .

والعلم بوجوب الحج على المستطيع، وشروط الاستطاعة .

وبالجملة فيجب على المسلم أن يعلم بوجوب جميع الواجبات العينيَّة ، وبتحريم جميع المحرمات التى هو مستهدف للوقوع فيها :

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم فى كتاب الإيمان] .
(٢) وهى مذكورة فى « إحياء علوم الدين » (١ / ٨٩) .
(٣) راجع (ص) من هذا الكتاب .

كالزنى،واللواط ، وشرب المسكر ، وظلم الناس ، والسـرقة ، والخيانة ، والكذب ، والنميمة ، والغِيبة وأشباه ذلك .

وأما العلم بأحكام الزكاة على من لا مال له تجب عـليه الزكاة فيه فلا يجب ، وكذلك العلم بأركان الحج وشرائطه فى نفسه ، لا يجب على غير المسـتطيع ، ولا على المستطيع حتى يعزم على السـفر أو على الشروع فى الحج ، وأما العلم بوجوب الزكاة والحج عـلى كل مسلم فيجب علم ذلك على الجملة .

وأما العلم بشروط البيع والشراء والمـعاملات والنكاح فيجب على من أراد الدخول فى شىء منها أن يعلم حكم الله فـيها ، وما تصح به ، وما تفسد به ، وفى ابتدائها ، وفى الدوام عليها .

مضرة الجهل بالفرائض والأحكام

ولابدَّ له من علم ذلك ، وإلا وقع فيمـا يسخط الله عليه شاء أم أبى ، فإن الجاهل متعـرض بجهله لسخط الله ، وللوقوع فى الهلاك على كل حال ، وكيف لا يكون كذلك ، وربما يعتـقد فى بعض الواجبات أنها من المحـرمات ، أو أنهـا ليست بواجـبة، وفى بعض المحـرمات أنهـا من الواجبـات أو من الطاعات ، أو أنـها ليست بمحـرمة، وفـى ذلـك غاية الخطر ، ونهاية الضـرر على أهل الجهل ، وربما وقعوا بسـبب جهلهم فى أمور تشبه الكفر ، أو هى الكفر بعـينه كما يعرف ذلك من تأمل أحوالهم واعتبـر أفعالهم وأقوالهم ، وليس يعـذرهم الله فى شىء من ذلك ، فإنه سبـحانه قـد فرض عليهم طـلب العلم ، ويسَّر لهم الأسـباب ، وأوجب على العلماء تعليمهم ، فتقصيـرهم بعد ذلك كله اشتغالاً بالدنيا ، واتباعاً للهوى ، يزيدهم عن الله بُعداً ، ويوجب لهم عنده مقتاً وطرداً .

وهذا كله فى العلـم الواجب الذى لا يسع أحـداً من المسلمين أن يجهله .

والعجب أنك ترى الجـاهل المغرور لا يَفتُر عن طلب الدنيـا ليلاً ونهاراً ، ولا يزال متكالباً عليها ، شديد العناية بجمعها ومنعها ، والتمتع بها ، ويقيم لنفسه الأعذار الكثيرة على ذلك ، ثم تجده جاهلا بأمر دينه ، لم يطلب علماً ، ولم يجالس عالما ليتعلم منه قط ، فإن قيل له فى ذلك ، احتج لنفسه بما يَسقط به من عين الله من عدم الفراغ ، وكثرة الاشتغال ، مع أن الله - وله الحمـد - قد يسَّر له طلب العلم بوجـود العلماء ، وبقلة المئونة فى تعلم القدر الواجب من العلم ، وأمرُ الدنيا على الضد من ذلك ، فلا يكاد ينال منها شـيئاً يسيراً إلا بعـسر ومشقة ، وتعب كـثير ، فليس ذلك إلا من موت القلب ، وهوانِ الدين على الإنسان ، وقـلة الاحتفال بأمر الآخـرة ، فإنه يرى حاجـته إلى متـاع الدنيا ظاهرةً حـاضرةً ، ويرى حاجته إلى العلم بعـيدةً غائبة ، لأنه لا يحتاج إليه ولا يعـرف منفعته إلا بعـد الموت ، وهو قد نسى الموت ، ونسى مـا بعده لغلبـة الجهل علـيه ، وفقد العلم عنده .

وصاحبُ هذا الوصف من الذين قـال الله فيهم : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾[1] .

قال الحسن البصرى - رحـمه الله - يأخذ أحـدهم الدِّرهم على ظُفره فيخبرك بزِنته - يعنى من شدة مـعرفته بأمور الدنيا - قال : ولو سألته عن شروط الطهارة والصلاة لم يعرف شيئاً منها . (انتهى بمعناه) .

وعلى الجـملة - فالجـهل رأس الشـرور والبلايا كـلّها فى الدنيـا والآخرة ، ولو اجتـمع على الجاهل أعداؤه ليضــرُّوه لم يقدروا أن يضرُّوه بمثل ما قد ضرَّ به نفسَه ؛ كما قال القائل :

ما يبلُغ الأعداء من جاهل ... ما يبلُغ الجاهل من نفسـه

(١) سورة الروم : الآيتان ٦ ، ٧ .

وكما قال الآخر :

وفى الجهل قبل الموت موتٌ لأهله   فأجسادُهم قبل القبور قُبور

ثم إن الجهل المذموم على الإطلاق : هو أن يجهل الإنسان من العلم ما فرض الله عليه علمَه ؛ فاحذر أيها الأخ من ذلك ، واخرج من ظلمات جهلك إلى أنوار العلم ، وليس بواجب أن تتّسع فى العلم ، بل واجب عليك تعلُّم القدر الذي لابد لك منه ، ولا غنى لك عنه .

وجوب تعليم الأهل والأولاد الفرائض الدينية

وكما يجب عليك أن تتعلَّم فى نفسك : يجب عليك أيضاً أن تعلم أهلك وأولادك وكلٍّ من لك ولاية عليه ، فإن لم تقدر أن تعلِّمهم كان عليك أن تأمرهم بالخروج إلى أهل العلم ، حتى يتعلموا القدر المفروض منه ، وإلا أثمتَ وأثموا ـ أعنى يأثم منهم ـ من كان مكلفًا .

والقدرُ الواجب من العلم على كل مسلم ليس بكثير ، ولا يكاد يلحق الطالبَ له فى طلبه مشقةٌ إن شاء الله لسهولته ، ولأن الله تعالى يعينُه على ذلك ، وييسِّره له إذا صلحت نيته ، وله فى طلبه ثواب عظيم .

وقال ﷺ : « *من سلك طريقاً يلتمس به علماً يسّر الله له به طريقاً إلى الجنة* »(١) .

وقال عليه السلام : « *إن الملائكة لتَضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع* »(٢) .

وقال عليه السلام : « *حضور مجلس علم أفضلُ من صلاة*

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما] .

(٢) [رواه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والبيهقى عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ] .

ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وحضور ألف جنازة ..» الحديث[١] .

وقال عليه السلام : « *إن الله تكفل لطالب العلم برزقه* » [٢] .

(قلت) : وهذا تكفلٌ خاص بعـد التكفُّل العام الذى تكفَّل الله به لكل دابّة فى الأرض فى قـوله : ﴿ وَمَـا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[٣] .

فيكون معناه زيـادة التيسير ورفعَ المئـونة والكُلفة فى طلب الرزق وحصوله ، والله أعلم .

وفى الحديث الطويل الذى ذكـر فيه عليه السلام فـضلَ العلم قال فى آخره : « *يُلهَمُه السعداء ـ يعنى العلم ـ ويُحرَمُه الأشقياء* » [٤] .

وليس من شىء يجمع جميع أنواع الخير غير السعادة ، وليس من شىء يجمع جميع أنواع الشر سوى الشقاوة .

فقد علمت بما تقدم أنه لا عذر لجاهل عند الله فى ترك العلم ، وكذلك لا عذر لعالم فى ترك العمل بعلمه .

---

(١) تكملة الحديث : « فقيل يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ فقال ﷺ : « *وهل ينفع القرآن إلا بالعلم* » .
قال العراقى : حديث أبى ذر : « **حضور مجلس علم.. الخ** » ذكره ابن الجوزى فى « الموضوعات » من حديث عمر ، ولم أجده من طريق أبى ذر] .
قال فى « الترغيـب » : وعـن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « *يا أبا ذر ، لأن تغدو فتعلّم ـ أى تتعلّم ـ آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلّم بابا مـن العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة* » [رواه ابن ماجه بإسناد حسن] . (١ / ٩٧) .

(٢) [حديث ضعيف،رواه الخطيب عن زياد بن الحارث الصدائى ،وفى « الجامع الكبير » و « اتحاف السادة المتقين » (٨ / ١٥٩) ورد بلفظ : « *إن الله تكفل بأرزاقكم* »] .

(٣) سورة هود : الآية ٦ .

(٤) [رواه ابن عبد البر النمرى فى « كتـاب العلم » من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي وهـو حديث حسن ، ولكن لـيس له إسناد قوى ، وقال : وقـد رويناه من طرق شتى موقوفا ا هـ وقال الحافظ المنـذرى : ورفعه غريـب جداً ، والله أعـلم] « الترغيب » (١ / ٩٤) .

مثل الجاهل المقصر والعالم الذى لا يعمل بعلمه

ومثَلُ الجاهل المقصّر فى طلب العلم الواجب عليه ، كمثَل عبد أرسل إليه سيده كتاباً يأمره فيه بأشياء وينهاه فيه عن أشياء ، فلم ينظر فى ذلك الكتاب ، ولم يعرف ما فيه أصلاً مع القدرة على ذلك لتمكّنه منه .

ومثَلُ العالم الذى لم يعمل بعلمه ،كمثَل من نظر فى كتاب سيّده وعَلم ما فيه ، فلم يمتثل لشىء من أوامره ، ولم يجتنب لشىء من نواهيه التى نصّ عليها فى كتابه .

(فانظر) ـ رحمك الله ـ هل ترى تقصيراً أشنع من تقصير هذين العبدين فى حقّ سيِّدهما؟ وهل تقوم لهما عنده حجة أو عذر ؟ وهل أحد أحق بالعقاب والنَّكال منهما لجرائتهما ،وقلة تعظيمهما لسيدهما ؟ .

فاحذر أن تكون أحد الرجلين المشئومين : الجاهل الذى لا يتعلم أو العالم الذى لا يعمل ، فتهلك مع الهالكين ، وتخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

وأما الاتساع فى العلوم الدينية النافعة ، والاستكثارُ منها ، والزيادةُ على قدر الحاجة ـ فذلك من أعظم الوسائل إلى الله ، وأفضلِ الفضائل عند الله ؛ ولكن مع الإخلاص لوجه الله فى طلب العلم ، ومع مطالبة النفس بالعمل بما تعلم ، وتعليمه لعباد الله ، مريدا بذلك كله وجه الله والدار الآخرة .

مرتبة العلماء العاملين

وتلك المرتبة هى التى تلى مرتبة النبوة ، وجميع مراتب المؤمنين أنزل منها ، فإن العلماء العاملين هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين ، وقد قال الله تعالى فى فضل أهل العلم : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ** ﴾[1] .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

فانظر كيف قرنهم مع ملائكته فى الشهادة على توحيده ، وقيامه بالقسط وهو العدل .

وقـال تـعـالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1] أى لا يستوون : لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولكن يفضِّل الله من يعلم على من لا يعلم بدرجات كثيرة. قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[2] أى على الذين آمنوا .

وقال عليـه السلام : « ***العلمـاء ورثة الأنبيـاء . إن الأنبيـاء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم*** » الحديث [3].

وقال عليـه السلام : « ***لا حسـد إلا فى اثـنتين : رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها آناء الليل والنهار . ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار*** » [4] ومعنى الحسد ههنا :الغبطة ، وهى محمودة فى أمور الآخرة .

وقال عليه السلام : « ***فضل العالم على العـابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى*** » [5].

وفى رواية أخــرى « ***كـفضـل القمـر ليلة البـدر على سـائر الكواكب*** »[6].

---

(١) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١١ .

(٣) [رواه الإمام أحمد ، والأربعة ، وابن حبان وصححه . والحاكم ، وغيرهم عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان . والترمذى ، وابن ماجه عن ابن عمر وأبى هريرة وغيرهما ـ رضى الله عنهم ـ] .

(٥) [قال الحافظ العراقى: أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ وقال : حسن صحيح] .

(٦) [رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه . وابن حبان ، والبيهقى ، وهو قطعة من حديث أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ] .

فإذا كان فضل العالم على العابد بهذه المثابة مع أن العابد لا يخلو عن علم بعبادته ؛ ولولا ذلك لم يسمَّ عـابداً ، فكيف يكون فضل العالم على الجاهل .

وفضـائل العلم وأهله لا تحصى ، وكتـاب الله وسنةُ رسوله وآثارُ السلف الصـالح ، مشهورة ومعـروفـة فى ذلك ، والكتب مشحـونة بها ـ أعنى بفضائل العلم والعلماء ـ .

قـال عـلى ـ رضى الله عنه ـ : العلـم خيـر من المـال ، العلم يحـرسك وأنت تحـرس المـال ، والعلم يزيد بالإنفـاق والمـال ينقص به ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

فضيلة العلم إنما هى بالعمل

(واعلم) أن العالم الذى لا يعمل بعلمه مسلوب الفضيلة ، فلا ينبـغى له أن يَغْتَـرَّ بما ورد عن الله وعن رسوله فى فـضل العلم ، ويوهم نفسه أنه داخل فى ذلك بمجرد العلم من غير عمل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *تعلموا ما شئتم ، فو الله لا يقبل منكم حتى تعملوا* » [١].

وقال عليه السلام : « **من ازداد علمـاً ولـم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بُعداً** » [٢].

(١) ورد بهذا المعنى : « *تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله حتى تعملوا بما تعلمون* » [رواه ابن عدى ، والخطيب عن معاذ بن عساكر عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ] .
وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ : « تعلموا من العلم ما شئـتم فو الله لا تؤجروا بجمع العلم حتى تعملوا » .
[رواه أبو الحسن بن الأخرم المدينى فى « أماليه » قال السيوطى : حسن] .
قال الحافظ العـراقى : حديث : « *تعلّموا مـا شئتم أن تعلموا فلن يأجـركم الله حتى تعملوا* » علقه ابن عبد البر ، وأسنده ابن عدى ، وأبو نعيم ، والخطيب فى « كتاب اقتضـاء العلم العمل» من حديث معـاذ فقط بسند ضعيف ، ورواه الدارمى مـوقوفا على معاذ بسند صحيح ا هـ « الإحياء » (١/ ٦٤) « الجامع الصغير » (١ / ١٣١) .
(٢) [أخرجه الديلمى فى « مسند الفـردوس » من حديث على بسند ضعيف ، ولفظه : « *من ازداد علماً ولم يزدد فى الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً* » .

وإنما صار العـلم بتلك المنزلة الرفيـعة عند الله لما فـيه من المنفـعة العامة لجميع عباد الله ، **وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فى نفسه ، فكيف ينتفع به غيره !** قاعرف من ههنا بطلانَ الفـضيلة فى حق من يعلم ولم يعمل ، وقد قال عليه السـلام : « ***أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه*** »[١] وكان عليـه السلام يسـتعيـذ بالله من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع[٢].

وليس عند العالم الذى لا يعـمل بعلمه إلا صورة العلم ورسـمه دون معناه وحقيقته ؛ كـما قال بعض السلف ـ رحمة الله عليهم ـ : العلم يهـتف بالعمل ؛ فـإن أجابه و إلا ارتحل ـ أعنى يرتحل منه روحـه ونوره وبركتـه ـ وأما صـورته فلا ترتحـل بل تبـقى مؤكـدة للحجة علـى العالم السوء .

ثم إن كان هذا العـالم يعلِّم علمه الـناس وينفعهم به كـان بمنزلة الشمعـة تضئ للناس وهى تُحرَق ، وكالإبرة تكسـو الناس وهى عارية ؛ قال تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾[٣].

وفى الحـديث : « *إنه يؤمـر بالعالم إلى النار فـتخـرج أمعـاؤه*

= وروى ابن حبـان فى « روضة العقلاء » مـوقوفاً على الحـسن : « من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعداً » .
وروى أبو الفتح الأزدى فى « الضعـفاء » من حديث على : « ***من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضباً*** » . « الإحيـاء » (١ / ٥٩) « الجامع الصـغير» (١/ ١٦٢) « كشف الخفاء » (٢/ ٣٠٤) .

(١) [حديث ضعـيف . رواه الطبرانى فى « الصـغير » وابن عدى ، و البيهـقى فى « الشعب »] .

(٢) ويقول : « اللهم إنى أعوذ بـك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يسـتجاب لها » ، [رواه مسلم ، والتـرمذى ، والنسائى عن زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

فيدور بها فى الناس فى النار، كما يدور الحمار بالرحى ، فيطوف به أهل النار فيقولون له : ما بالك ؟ فيقول : إنى كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن الشر وآتيه .. » الحديث [(١)].

(قلت) : وهذا العالم الذى يعلّم الناس ولا يعمل خاسر ، وأمره فى غاية الخطر ؛ ولكنه أحسن حالا من الذى لا يعمل ولايعلّم الناس ، فإنه خاسر من كل وجه ، وهالك على حال ، إذ لم يبق فيه خير ولا نفع ألبتةَ ، وأخشى أن يكون من الذين قال فيهم عليه السلام : « *يؤمر بأقوام من حملة القرآن إلى النار قبل عبدة الأوثان فيقولون : يبدأ بنا قبل عبدة الأصنام ؟ فيقال لهم : نعم ، ليس من يعلم كمن لا يعلم* » [(٢)].

العالم الذى يعلم الناس الحيل شيطان مارد

فإن كان العالم مع كونه لا يعمل ولا يعلّم يدعو إلى الشر ، ويفتح للعامة أبواب التأويلات والرُّخَصِ ، ويلقّنهم المخادعات والحيَل التى يخرجون بها من الحقوق التى عليهم ، ويتوصّلون بها إلى حقوق الناس فهو شيطان مارد ، وفاجر معاند لله ورسوله ، قد استخلفه الشيطان وجعله نائباً عنه فى الفتنة والضلالة والإغواء ، وهو عند الله من الذين شبّههم بالحمير والكلاب فى الخِسّة والمهانة ، وإلا فالحمير والكلاب خير منه ؛ لأن الحمير والكلاب يصيرون إلى التراب ، وهو يصير إلى النار ؛

---

(١) [حديث صحيح متفق عليه بلفظ « *الرجل* » بدل « *العالم* »] .

(٢) ورد بهذا المعنى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « **الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان ، فيقولون : يبدأ بنا ... الحديث** » [رواه الطبرانى ، وأبو نعيم ، وقال : غريب من حديث أبى طوالة] .
قال الحافظ المنذرى : ولهذا الحديث مع غرابته شواهد ، وهو حديث أبى هريرة الصحيح : « *إن أول من يدعو الله يوم القيامة رجل جمع القرآن ليقال قارئ وفى آخره « أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة* » . « الترغيب » (١ / ١٢٤) .

قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾(٢) إلى قوله : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ (٣).

علماء السوء

وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يقول : أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم باللسان ، وقد يتمكن مثل هذا الفاجر المنافق من علم الكتاب والسنة ؛ فيكون بلاء على المسلمين وفتنة ، وفى مثله قال عليه السلام : « ***أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال*** »قيل : وما ذلك ؟قال : « ***علماء السوء*** » (٤).

وقد وصف عليه السلام أناساً يقرءون القرآن كما أنزل ، وأنه لا يجاوز تراقيهم ،وأنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمِيَّة ، (٥) وفى الحديث : « ***إن مثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحه طيب، وطعمه مُرٌّ*** » (٦).

---

(١) سورة الجمعة : الآية ٥ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٥ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

(٤) [حديث جيد . رواه الإمام أحمد من حديث أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ وعن ثوبان ـ رضى الله عنه ـ ولكن بلفظ « من الأئمة المضلّين»بدل « علماء السوء » . قال : قال رسول الله ﷺ : « *إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلّين* » [رواه الترمذى] .

(٥) [وهو مروى فى البخارى ، ومسلم ، وسنن أبى داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، وغيرها] .

(٦) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، والأربعة عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ] .

ولا يستبعد بعد هذا أن من يعلِّم العلم ظاهراً منافق فاجر ، وعلامته أن لا ينتفع بالعلم ولا ينفع به، بل يضرُّ به نفسه ويضر به غيره .

وبالجملة ـ فإن العالم العامل المعلِّم لعباد الله هو الفاضل الخيِّر المعدود من ورثة الأنبياء ، والعالم الذى لا يعمل ولكنه يعلِّم الناس الخير والعلم أمره مخطر ، وهو خير بكثير من العالم الشرير الذى لا يعمل ولا يعلِّم خيرا ، ويدعو مع ذلك إلى الشر ، بتيسير أسبابه وفتح أبوابه ، ففرِّق بين العلماء ، واقتد بخيرهم ، واتصف بصفته ، وسِرْ على سبيله تكن من المهتدين ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

علامات العالم العامل والعالم المخلط

(ثم اعلم) أن للعالم بعلمه ، المعدود عند الله ورسوله ، من علماء الدين وعلماء الآخرة : علامات وأمارات تفرِّق بينه وبين العالم المخلِّط ، المعدود عند الله ورسوله من علماء اللسان ، المتبعين للهوى ، المؤثرين الدنيا على العقبى .

فمن علامات العالم المعدود من علماء الآخرة : أن يكون متواضعاً ، خائفاً ،وَجِلا ،مشفقا ،من خشية الله ،زاهداً فى الدنيا ، قانعاً باليسير منها ، منفقاً للفاضل عن حاجته مما فى يده ، ناصحا لعباد الله ، شفيعاً عليهم ، رحيماً بهم ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، مسارعاً فى الخيرات ، ملازما للعبادات ، دالا على الخير ، داعياً إلى الهدى ، ذا صمت وتؤدة ، ووقار وسكينة ، حسَن الأخلاق ، واسع الصدر ، ليِّن الجانب ، مخفوض الجناح للمؤمنين ، لا متكبراً ولا متجبِّراً ، ولا طامعاً فى الناس ، ولا حريصاً على الدنيا ، ولا مؤثراً لها على الآخرة ، ولا جامعاً للمال ، ولا مانعاً له عن حقه ، ولافظّا ولا غليظاً ، ولا ممارياً ، ولا مجادلاً ، ولا مخاصماً ، ولا قاسياً ، ولا سَيِّء الأخلاق ، ولا ضيِّق الصدر ، ولا مداهِنا ، ولا مخادِعا ، ولا غاشاً ، ولا مقدِّما للأغنياء

على الفقراء ، ولا متـرددا إلى السلاطين ، ولا ساكتـاً عن الإنكار عليهم مع القدرة ،ولا محباً للجاه والمال والولايات؛بل يكون كارها لذلك كله ، لا يدخل فى شئ منه ،ولا يلابسه إلا من حاجة أو ضرورة .

وبالجملة ـ فيكون متصفاً بجـميع ما يحثّه عليه العلم ، ويأمره به من الأخلاق المحمودة،والأعمال الصالحة،مجانباً لكل ما ينهاه العلم عنه : من الأخلاق والأعمال المذمومة .

وهذه الأشيـاء التى ذكرناها فى وصف علمـاء الآخرة ـ يجب أن يتحلّى بها ويتّصف بها كل مؤمن ، غير أن العالم أولى بها وأحق ، وهى عليه أوجب وآكـد ؛ لأنه عَلَمٌ ، به يهتدى ، وإمام به يُقـتدى ، فإن ضل وغوَى وآثر الدنيـا على الأخرى ، كـان عليه إثمهُ ، وإثم من تـابعه على ذلك ، وإن استقام واتقّى كان له أجره ، وأجر من تابعه على ذلك .

فضل علم الباطن وعلم الوعد والوعيد

(وينبغى) للعـالم بأمـور الدين الظاهرة : أن يضـيف إلى ذلك العلْمَ بالأخـلاق الباطـنة من صفـات القلوب ، والعلْمَ بأسـرار الأعمـال وآفاتها ، والعلْمَ بالوعد والوعيد الواقعين فى الكتاب والسنة ، وذِكرَ ثواب المحسـنين وعقـاب المسيـئين ؛ فبذلـك يتم أمر العـالم ، ويكمل النفع له والانتفاع بـه ، فإن هذه العلوم التى ذكرناها لا يتم بعضـها بدون بعض ، وهى علوم السلف الصالح ، يعرف ذلك من طالع سيرهم .

أما علم الباطن ـ فلا قوام له بدون علم الظاهر .

وأما علم الظاهر ـ فلا تمام له بدون علم الباطن .

وأما علم الوعـد والوعيـد ـ فلما فيـهما من التـرغيب فى إقـامة الأوامر والفضائل ، ومن الترهيب عن الوقوع فى المحرمات والرذائل .

وقبـيحٌ بالعـالم أن يتكلـم فى حكم بعض الواجبـات ، أو فضل الخيـرات ، أو شئ من المحرمـات ، فإذا طولب عند ذلك بذكـر بعض ما

ورد عن الله وعن رسوله فى ذلك الأمر لم يقدر أن يورد شيئاً فى ذلك ، وصدور المؤمنين إنما تنشرح بكلام الله وبكلام رسوله، وبه تطمئن قلوبهم، وتنتهض هممهم .

فتأمل هذه الجملة وأحسن النظر فيها،وخذ من هذه العلوم الثلاثة قدرا صالحاً : وهى علم الأحكام الظاهرة من العبادات والمعاملات ، وعلم الأمور الباطنة من الأخلاق وأوصاف القلوب ، وعلم الوعد والوعيد - أعنى به ما ورد عن الله ورسوله فى فضل الطاعات ، وهو الوعد ، وعقاب السيئات وهو الوعيد - .

وينبغى ويتأكد على أهل العلم أن يبالغوا فى نشره وإذاعته ، وبذله وتعليمه لجميع المسلمين - أعنى العلم العام النافع علمه لكل أحد من أهل الإسلام - .

ما ينبغى للعالم فى حديثه مع العامة

(وينبغى) للعالم أن يكون حديثه مع العامة فى حال مخالطته ومجالسته لهم فى بيان الواجبات والمحرمات ، ونوافل الطاعات ، وذكر الثواب والعقاب على الإحسان والإساءة ، ويكون كلامه معهم قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ، ويزيد بياناً للأمور التى يعلم أنهم ملابسون لها ، ولا يسكت حتى يُسأل عن شئ من العلم وهو يعلم أنهم محتاجون إليه ، ومضطرون له ، فإن علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال ، والعامةُ قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علماً وعملاً ، فلا ينبغى للعلماء أن يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وإرشادهم ، فيعم الهلاك ، ويعظم البلاء ، وقلما تختبر عامياً - وأكثرُ الناس عامة - إلا وجدته جاهلا بالواجبات والمحرمات ، وبأمور الدين التى لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشئ منها ،وإن لم يوجد جاهلاً بالكل وجد جاهلا بالبعض ،وإن عَلِمَ شيئاً من ذلك وجدتَ علمه به علماً مسموعا من ألسنة الناس ، لو أردت أن تقلبه له جهلا فعلتَ ذلك بأيسر مئونة ، لغدم الأصل والصحة فيما يَعْلَمُهُ .

ما ينبغي للعالم إزاء طالب العلم منه

(وينبغى) للعالم إذا جـاءه من يطلب العلم أن ينظر فيـه ، فإن كان فـارغاً ومتأهلا لفـهم العلم فليأمره بـقراءة الكتب ، وإن كان عامـياً يقصد أن يتعلم مالابُدَّ له من العلم فليُلَقِّنه ذلك تلقينا ،ولْيعلِّمه ويفهمه ، ويختصر له الأمر ، ولا يطول عليه بقراءة الكتب التى عساه لا يفهمها ولا يفرغ لها ، ولا يحتاج لأكثر ما فيـها ، فإن حاجة العامة من العلم ليست شيئاً كثيراً .

ما ينبغي للعلماء والقضاة

(وينبغى) للعلمـاء وخصـوصـا منهم ولاة الأحكام ـ أن يعظوا عامـة المسلمين عند الاخـتصام إليـهم ، ويخوِّفـوهم بما ورد عن الله وعن رسوله من التشـديدات والتهديدات فى الدعاوى الكـاذبة ، وشهادة الزور والأيمان الفاجرة ، والمعاملات الفاسدة ، مثل الربا وغيره ، ويذكرون لهم بعض ما ورد فى الـشرع من تحريم هذه الأمـور ، وشدة العـقاب فيـها ، وذلك لغلبة الجهل ، وشدة الحرص ، وقلة المبالاة بأمر الدين .

وكم من عامّيٍ من المسلمين إذا سـمع تحريم الكذب فى الدعاوى والشهادات والأيمان ، يرجع عن شئ قد عـزم عليه من ذلك لجهله ، وقلة علمه .

وعلى الجملة ـ فيـتأكد على العلماء أن يجـالسوا الناس بالعلم ، ويحدّثوهم به ، ويبثُّوه لهم .

ويكون كـلام العالم مـعهم فى بيـان الأمـر الذى جاءوا إليـه من أجله : مثل مـا إذا جاءوا لعـقد نكاح ـ يكون كلامـه معهم فـيمـا يتعلق بحقوق النساء : من الصداق ، والنفقة ، والمعاشرة بالمعروف ، وما يجرى

هذا المجرى .

ومثل مـا إذا جاءوا لعـقد بيع وكـتاب مـسطور بينهم فى ذلك ـ يكون كلامـه معهم : فى الشـهادات ، وفى صحـيح البيوع وفـاسدها ، ونحو ذلك .

وهذا ـ والله ـ خـيـر وأولى فى هـذه المجـالس من الخـوض فى فـضول الكلام ، ومـالا تعلق بالأمـر الذى من أجله جـاءوا ـ ولا بالدين رأسا .

ولا ينبغى للعالم أن يخوض مع الخـائضين ، ولا أن يصرف شيئاً من أوقاته فى غير إقامة الدين .

وهذا الذى ذكرناه من أنه ينبـغى للعالم ويتأكد عليـه أن يجعل مجالسته ومخالطته مع عامة المسلمين مغمورة ومستغرقة بتعليمهم وتنبيههم وتذكيرهم ـ قد صار فى هذا الزمان بالخصوص من أهمِّ المهمات على أهل العلم ، لاستيـلاء الغفلة والجهل والإعراض عن العلم والعـمل على عامة الناس ، فـإن ساعـدهم أهل العـلم على ذلك بالسـكـوت عن التـعليم والتذكير ، غلب الفساد ، وعمَّ الضرر ، وذلك مشاهد لإهمال العامة أمر الدين ، وسكوت العلماء عن تعليمهم وتـعريفهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

من أدب العلماء العملُ والإخلاصُ

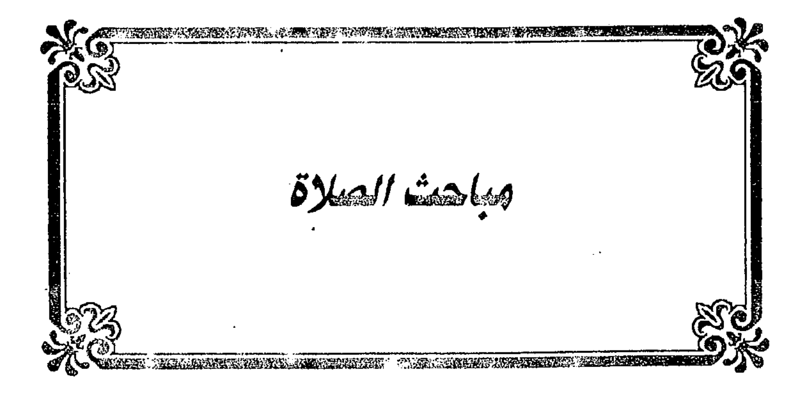
ثم إن من آكد الوظائف والآداب فى حق العالم : أن يكلّم الناس بفعله قبل قوله ، وأن لا يأمرهم بـشئ من الخير إلا ويكون من أحرصهم على فـعله والعـمل به ، ولا ينـهاهـم عن شئ من الشـر إلا ويكون من أبعدهم عنه ، وأشدّهم تركًا له ، وأن يكون مريـدا بعلمه وعمله وتعليمه وجه الله والدار الآخرة فقط ، دون شـىء آخر من جاه أو مال أو ولاية ، أو شىء من أعراض الدنيا ؛ قال ﷺ : « **من طلب علما مما يبتغى به وجه**

الله ليباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه لقى الله وهو عليه غضبان » [(١)].

اللهم انفعنا بما علّمتنا ، وعلّمنا ما ينفعنا ، وزدنا علما ، والحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من أحوال أهل النار .

* * *

(١) حديث صحيح . رواه الترمذى ، وابن أبى الدنيا ، والحاكم ، والبيهقى عن كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ ، ورواه ابن ماجه ، وابن حبان فى « صحيحه » والبيهقى عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ ، ورواه ابن ماجه أيضاً عن ابن عمر ، وأبى هريرة ـ رضى الله عنهم ـ بلفظ : « فهو فى النار » وفى رواية : « **فمن فعل ذلك فالنار النار** » وفى رواية : « **أدخله الله جهنم** » بدل قوله : « **لقى الله وهو عليه غضبان** »] « الترغيب » (١/ ١١٦) .



مباحث الصلاة

المحافظة على الصلوات المكتوبة

(**واعلموا معاشر الإخوان**) ـ فقهنا الله وإياكم في الدين ، وألهمنا رشدنا ، وأعاذنا من شر أنفسنا : أن الصلاة عماد الدين ، وأجل مباني الإسلام الخمس بعد الشهادتين ، ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد ، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له ، فكذلك لا دين لمن لا صلاة له [1] . ؛ كذلك ورد في الأخبار ـ جعلنا الله وإياكم من المحافظين على الصلاة ، المقيمين لها ، الخاشعين فيها ، الدائمين عليها ـ .

فبذلك أمر الله عباده المؤمنين في كتابه ،وبه وصفهم فقال عز من قائل : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [1].

فالصلوات هي المكتوبات الخمس : الظهر ،والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والصبح ، فتلك هي الصلوات التي لا يسع أحداً من المسلمين ترك شيء منها في حال من الأحوال مادام يعقل ، ولو بلغ به العجز والمرض إلى أقصى غاياته .

والصلاة الوسطى :هي العصر كما ورد به الحديث الصحيح [2] . ، خصها الله بالذكر لزيادة الفضل والشرف ، وذلك معروف ومشهور في الاسلام ، حتى بلغنا في سبب نزول الرخصة في صلاة الخوف : أن المسلمين كانوا مع رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، فصلى بهم عليه السلام صلاة الظهر على الوجه المعهود ، وكان المشركون قريبا منهم يرونهم ؛ فلما فرغوا من صلاتهم قال بعض المشركين : لو أغرتم عليهم وهم في صلاتهم لأصبتموهم ؛ فقال بقية المشركين : إن لهم بعد هذه الصلاة صلاة هي أحبُّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ـ يعنون العصر ـ فتزل

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٨ .

(٢) عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق : « *حبسونا عن صلاة الوسطى ـ صلاة العصر ـ ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً* » . [رواه الشيخان ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، واللفظ لأبي داود] .

جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بصلاة الخوف [(١)] .

فانظر كيف صار فضل هذه الصلاة ـ أعنى العصر ـ معلوما حتى للمشركين .

وقال تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [(٢)].

فالإنابة هى الرجوع إلى الله ، والتقوى هى الخشية من الله ، والإقامة للصلاة هى الإتيان بها على الوجه الذى أمر الله به .

وقال تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [(٣)].

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) ﴾ [(٤)].

فاستثناهم من نوع الإنسان المخلوق على الهلع والجزع عند مس الشر ، والمنع عند مس الخير له ، كأنه سبحانه يقول : إن المصلين على الحقيقة ليسوا من يهلع ويجزع ويمنع .

(قلت) لأن هذه الأوصاف من المنكر ، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [(٥)].

فالمصلى المقيم للصلاة كما أمر الله ورسوله ، تنهاه صلاته عن فعل ما يكرهه الله منه ؛ مثل هذه الصفات المذكورة وغيرها من المكاره .

---

(١) الحديث بهذا المعنى [رواه الإمام أحمد ، وأصحاب السنن عن أبى عياش الزّرقى ـ رضى الله عنه ـ] . « روائع البيان » (١ / ٥١٢) .

(٢) سورة الروم : الآية ٣١ (٣) سورة المؤمنون : الآيات ١ ـ ٩ .

(٤) سورة المعارج : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *صلوا كما رأيتمونى أصلى* »[1] .

فالمصلى على الاتباع والاقتداء برسـول الله ﷺ فى صلاته على الوجه الـذى نقله علماء الأمـة من السلف والخلف ـ رضى الله عنهم ـ : هو المصلى المعدود عند الله من المقيمين للصلاة والمحافظين عليها .

للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة

ثم إن للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة ، لا كمال للصلاة ولا تمام لها إلا بإقامتهما جميعا .

فـأما صـورتها الظاهرة : فـهى القيـام ، والقراءة ، والركـوع ، والسجود ، ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة .

وأما حقيقتها الباطنة : فمثل الخشوع ، وحضور القلب ، وكمال الإخلاص ، والتـدبّر ، والتفهُّم لمعانـى القراءة ، والتسبـيح ، ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة .

فظاهر الصــلاة : حظ البدن والجوارح . وباطـن الصلاة : حظ القلب والسرّ ، وذلك محل نظر الحق من العبد ـ أعنى قلبه وسره ـ .

قال الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ : مثل الذى يقيم صورة الصلاة الظاهرة ويغفل عن حقيقتها الباطنة ، كمثل الذى يهدى لملك عظيم وصيفة ميـتة لا روح فيهـا ، ومثل الذى يقصـّر فى إقامة ظاهر الصلاة ، كـمثل الذى يُهدى إلى الملك وصيـفة مقطوعة الأطراف ، مفقوءة الـعينين ، فهو والذى قبله متعرّضـان من الملك بهديتهما للعقاب والنكال ، لاستـهانتهما بالحرمة ، واستخفافـهما بحق الملك ، ثم قال : فأنت تُهدى صلاتك إلى ربك ، فإياك أن تهديها بهذه الصفة فتستوجب العقوبة . (انتهى بمعناه) .

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، والـبيهـقى ، والدارقطنى عن مالك بن الحويرث ـ رضى الله عنه ـ] .

وجوب كمال الطهارة للصلاة

ومن المحـافظة على الصـلاة والإقـامـة لهـا : كـمـالُ الطهـارة والاحتياط فى البدن والثوب والمكان ؛ قال عليه السلام : « *الطهور مفتاح الصلاة* » [١].

وفى الحديث الآخر : « *الطهور شطر الإيمان* » [٢].

وإسبـاغُ الوضوء ، وتثليثه من غيـر وسوسة ولا إسـراف ؛ فإن الوسوسة فى الطهارة والصـلاة من عمل الشيطان ، يلبِّس بها على من قلَّ علمه وضَعُفَ عقلُه ، كمـا قال بعض السلف : الوسوسة من جهل بالسُّنة أوخبالٍ فى العقل .

ومـذهب السلف فى الطهارات هـو المذهب المحمـود فى جمـيع الأشياء ، فإنهم القدوة ، وبهم الأسـوة ، وتجديد الوضوء لكل صلاة من السنة ، والدوامُ على الوضوء مطلقاً محبوب وفيه منافع كثيرة .

بلغنا : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير [طه]ـارة فلا تلومنَّ إلا نفسك .

وقد وردت الأحاديث الصـحيحة بأن من توضأ فـأحسن الوضوء خرجت جميع خطاياه من أعضائه،ودخل فى الصلاة نقياً من الذنوب [٣].

---

(١) قال العراقى : حديث : « مفتاح الصلاة الطهور » [أخرجه أبو داود ،والـترمذى ، وابن ماجه من حديث على ـ رضى الله عنه ـ قال الترمذى : هذا أصح شئ فى هذا الباب وأحسن] .

(٢) رواه مسلم من حديـث أبى مالك الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ والتـرمذى من حديث رجل من بنى سليم] .

(٣) كقوله ﷺ : « *إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليـها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فـإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كـان بطشتُها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشـتها رجـلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، حـتى يخرج نـقـياً من الذنوب* » [رواه مالك ، ومـسلم ،والترمـذى ،وليس عند مـالك والترمـذى غسل الرجلين] .

المبادرة بالصلاة فى أول وقتها

ومن المحافظة على الصـلاة ، والإقامة لها : المبـادرةُ بها فى أول مواقـيتها ؛ وفى ذلـك فضل عظيم ، وهو دليل على محـبة الله ، وعلى المسارعة فى مرضاته ومحابِّه ، قال عليه السلام : « *أوَّلُ الوقت رضوانُ الله وآخره عفو الله ، وإن العبد ليصلى الصلاة ولم يخرجها من وقتها ، ولما فاته من أول الوقت خير له من الدنيا وما فيها* » [١].

وقبـيح بالمؤمن أن يدخل عليـه وقت صلاته وهو على شـغل من أشغال الدنيا فلا يتركه، ويقوم إلى فريضته التى كتبها الله عليه فيؤدّيها ؛ ما ذلك إلا من عظم الغفلة، وقلة المعرفة بالله، ومن ضعف الرغبة فى الآخرة.

حرمة تأخير الصلاة عن وقتها

وأما تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها ، أويقع بعضها خارجه فغير جائز ، وفيه إثم .

والأذانُ والإقامـةُ من شعائر الصلاة ، تتـأكد المحافظة عليهـما ، وفيـهما طرد الشـيطان ، لقوله عليـه السلام : « *إذا نودى للصـلاة أدبر الشيطان* » الحديث [٢].

---

(١) حديث : « أول الوقت رضوان الله ، ووسط الوقت رحمة الله . وآخر الوقت عفو الله عز وجل ». [رواه الدارقطنى عن أبى محذورة ـ رضى الله عنه ـ] .
وعن ابن عـمر ـ رضى الله عنهـما ـ أن رسـول الله ﷺ قال : « الوقت الأول من الصلاة رضوان الله ، والآخر عفو الله [رواه الترمذى ، والدارقطنى] .
وفى رواية عنه : « فضل أول الوقت على آخره كـفضل الآخرة على الدنيا » [رواه أبو منصور الديلمى فى « مسند الفردوس »] .
قلت : الزيادة التى ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ رواه الدارقطنى من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف .

(٢) تتمة الحـديث : « وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قـضى الأذان أقبل ، فإذا ثوّب ـ أى أقام ـ أدبر ، فإذا قُضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول : اذكر كذا ، اذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل، حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلّى » [رواه مالك، والشيخان ،وأبو داود ،والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وجوب الخشوع وحضور القلب فى الصلاة

ومن المحافظة على الصلاة والإقـامة لها : حسنُ الخشوع فـيها ، وحضـورُ القلب وتدبّرُ القراءة ، وفـهم معـانيهـا ، واستشـعارُ الخـضوع والتواضع لله عند الركوع والسجود ، وامـتلاءُ القلب بتعظيم الله وتقديسه عند التكبـير والتـسبـيح ، وفى سائر أجـزاء الصلاة ، ومـجانبـةُ الأفكار والخـواطر الدنيوية ، الإعـراضُ عن حديـث النفس فى ذلك ، بل يكون الهمُّ فى الصلاة مقصـوراً على إقامتها وتأديتها كمــا أمر الله ، فإن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع والحضور لا حاصل لها ، ولا نفع فيها .

قال الحســن البصرى ـ رحمه الله ـ : كــل صلاة لا يحضر فـيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع .

وفى الحديث : « *ليس للعبد من صـلاته إلا ما عقل مـنها ،وإن المصلى قد يصلى الصلاة فلا يكتب له منها سدسُها ولا عشرُها* »[1] .

أعنى أنه يكتب له منهـا القدر الذى كان فـيه حـاضراً مع الله ، وخاشعاً له ، وقد يقلّ ذلك وقد يكثر بحسب الغفلة والإنتباه .

فالحـاضر الخـاشع فى جـميع الصـلاة تكتب له صلاته كلـها ، والغافل اللاهى فى جميع صلاته لا يكتب له شئ منها .

فاجـتهد ـ رحمك الله ـ فى الخـشوع ، والحضـور فى الصلاة ، وتدبر ما تقوله من كلام ربك فى صلاتك ، ولا تعجل إذا قرأت ، فإنه لا تدبُّر مع العجلة .

الطمأنينة فى الصلاة

وإذا ركعت وسجـدت فاطمئن ، ولا تنقُر الصـلاة نقر الدِّيك ، فلا تصح صـلاتك ، وذلك لأن الطمأنينة فى الركوع ، والاعـتدال منه ،

(١) [قال الحافظ العراقى : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن حبان ، بإسناد صحيح عن عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ] .

وفى السـجدتين ، وفى الجلوس بينـهمـا ، واجبـةٌ لابد منها فى الفـرض والنفل ـ تبطل الصلاة بتركها ـ .

والذى لا يُتم ركـوعه وسـجوده وخشـوعه فى صـلاته هو الذى يسرق الصلاة ، كما ورد به الحديث [1].

وورد : « *أن من حافظ على الصلاة وأتمها تخرج صلاته بيضاء مسفرة*[2] *، تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، والذى لا يتم الصلاة تخرج صلاته سوداء مظلمة ،تقول : ضيَّعك الله كما ضيّعتنى ، ثم تلف كما يلف الثوب الخَلِقُ فيضرب بها وجهه* » [3].

وفى الحديث : « *إنما الصلاة تمسكُنٌ وتخضُّع وتخشُّع* » [4].

ولما رأى عليه السـلام الرجل الذى يعبث بلحيتـه فى صلاته قال عليه السلام : « *لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحهُ* » [5].

فـبيَّن أن خـشـوع الجوارح من خـشوع الـقلب ، وأنه لا كـمـال للصلاة بدون ذلك ، وقد قال للسـلف ـ رضوان الله عليهم ـ : من عرف

---

(١) قال ﷺ : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » قالوا : يا رسول الله ، كيف يسرق من الصلاة ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ـ أو قال ـ لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود » [رواه الإمام أحمـد ، والطبرانى، وابن خزيمة فى « صحـيحه » والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

وقال ﷺ : « أسرق الناس الذى يسرق صلاته » قيل : يا رسول الله ، كيف يسرق صلاته ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وأبـخل الناس من بخـل بالسلام » [رواه الطبرانى فى « معاجمه الثلاثة » بإسناد جيد] .

(٢) لفظ الحـديث : « من صلى لوقـتهـا ، وأسبغ وضـوءها ، وأتم ركوعـها وسجـودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول : ... » .

(٣) [أخرجه الطبرانى من حديث أنس بسند ضعيف ، والطيالسى ، والبيهقى من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه] « أفاده الحافظ العراقى » .

(٤) [أخرجـه الترمـذى ، والنسائى ، وابن خزيـمة فى « صحيـحه » بنحـوه من حديث الفضل بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٥) [حديث ضعـيف . رواه الحكـيم الترمذى فى « النوادر » من حديث أبى هـــريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

من على يمينه وشماله وهو فى الصلاة فليس بخاشع .

وقد بلـغ الخشوع فى الصـلاة برجال من السلـف الصالح مبـلغاً عجيباً، فمن ذلك : أن أحدهم كان يقع عليه الطير وهو قائم فى الصلاة، أوساجد يحسب أنه حائط أو جماد، من شدة هدئه، وطول قيامه وسجوده.

وسقطت فى جامع البصرة أسطوانة انزعج لسقوطها أهل السوق وكان بعضهم[(١)] يصلى فى المسجـد فلم يشعر بهـا من شدة استغـراقه فى صلاته .

وكان بعضهم يقول لأهله وأولاده : إذا دخلت فى الصلاة فافعلوا ما بدالكم - يعنى من رفع الأصوات وكـثرة اللغط - فإنى لا أحسّ بكم ، فكانوا ربما يضربون بالدف عنده فلا يشعر به [(٢)] .

واحترق بيت على بن الحسين [(٣)] - رضى الله عنهما - بالنار وهو

---

(١) وهو مسلم بن يسار البـصرى ، أحد عباد البـصرة ، وفقهائها ، كـان لا يفضل عليه أحد فى زمانه ، توفى سنة ١٠٠ هـ .

(٢) قال مسلم بن يسار لأهله - حينما أراد أن يصلى -: تحدّثوا أنتم فإنى لست أسمعكم .
وكان عامر بن عبد الله من خـاشعى المصلين ، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدّث النساء بما يردن فى البيت ، ولم يكـن يسمع ذلك ولا يعقله ، وقيل له ذات يوم : هل تحـدثك نفسك فى الصـلاة بشئ ؟ قـال : نعم بوقوفى بين يدى الله عـز وجل ، ومنصرفى إحدى الدارين .

(٣) ابن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم - الملقب بزين العابدين، على الأصغر ، وأما الأكبر فقتل مع الحسين - رضى الله عنه - وعلى زين العابدين أبو الحسينيين كلهم ، ولما قتل أخوه كان عمره ١٣ سنة إلا أنه كان مريضاً نائماً على فراشه فلم يقتل .
كان - رضى الله عنه - عابداً وفيا ، وجوادا حفيا ، قال شيبة بن نعامة : كان على بن الحسين يبخّل ، فلما مات وجدوه يقوت أهل بيت بالمدينة بالسر .
وكان يقول : عبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله ، لا خوفاً ولا رغبة .
وكان لا يترك قـيام الليل لا سفراً ولا حضـراً ، ويقول : إن الله يحب المؤمن المذنب التواب .
وكان - رضى الله عنه - يثنى على أبى بكر وعمر وعثمان ويترحم عليهم .
وكان يصلى فى كل يوم و ليلة الف ركعة ، وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ فى سبـه ، فبـادرت إليه العبـيد والموالى فكفـهم عنه ، وقال : مـهلا على =

ساجد؛ فجعلوا يصيحون عليه: النار النار ياابن رسول الله؟ فلم يرفع رأسه ، فلما فرغ من صلاته قيل له في ذلك ؟ فقال : ألهتني عنها نار الأخرى .

وقيل لبعضهم (١) : هل تجد في صـلاتك ما نجـده من وساوس الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف فيَّ الأسنة (٢) أحب إليَّ من ذلك .

وقيل لآخر : هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء ؟ فقال : وهل شيء أحب إليَّ من الصلاة حتى أحدّث نفسي به فيها !

وجاء الســارق فسرق فرس الربيع بن خـيثم (٣) وهو في الصــلاة

= الرجل ، ثم أقبل عليه فقال : ماستر عنك من أمزنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ، فاستـحى الرجل فألقى إليه خمـيصته التي عليه ، وأمـر له بعطاء فوق ألف درهـم ، فقال الرجل : أشهد أنك من أولاد الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وقال ـ رضي الله عنه ـ من كتم علماً أو أخذ عليه أجراً قصراً فلا منفعة بعلمه أبداً ، وكان نفش خاتمه « القوة لله جميعاً » .

وعن عثمان بن عثمــان قال : زوّج علي بن الحسين ابنة من مولاه ، وأعتق جارية له وتزوجها ، فكتب إليه عبد الملك بن مروان يعيّره بذلك ، فكتب إليه علي : قد كان ، لكن في رســول الله أسوة حـسنة ، قد أعـتق رسـول الله ﷺ صفـية بنت حـيي وتزوجها ، وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش .

وكان ـ رضي الله عنه ـ ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعاً .

قال الزهري : علي بن الحسين أعظم الناس عليّ منة .

وقال أبو حازم : ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين .

وقال سعيد بن المسـيب : ما رأيت أودع وأورع من زين العابدين ، توفي بالمدينة سنة ١٢١ هـ ودفن بالبقيع ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ .

(١) وهو عامر بن عـبد الله بن الزبير بن العوام ، كـان عابداً فاضلاً ، ثقة مـأمونا ، قال سفيان : يقولون : إن عامر بن عـبد الله اشتـرى نفسه من الله تعـالى بسـت ديات « الطبقات الكبرى لابن سعد » (٤/ ٨٧) « الإحياء » (١ / ١٧١) .

(٢) أي الرماح . (٣) المتوفى سنة ٦٧هـ ، كان ـ رضي الله عنه ـ يأتي المسجد يهادى بين رجلين فيقول له الناس : إن الله قد رخّص لك ، فيقول : فماذا أصنع في منادى ربي ، وهو يقول : حتى على الصلاة ، وكان عمله سراً لا يطلع عليه إلا أهل بيته .

ودخل عليه رجل ـ وهو يقرأ في المصحف ـ فغطاه بكمه .

وكان يقول : كل مالا يبتغى به وجه الله تعالى يضمحل .

وكـان يكنس البـيت بنفسـه ، ولا يمكّن أهله من ذلك ويـقول : إني أحب أن آخـذ لنفسي من المهنة .

فجعل الناس يدعون عليه ، فقال الربيع :لقد رأيته حين أطلقه ، فقالوا : لو طلبته فأخذته منه ؟ فقال : كانت صلاتى أحبَّ إلىَّ من الفرس ، وهو منه فى حل .

وصلى بعض أصحاب رسول الله ﷺ فى حائط نخل له ، فجعلت الطير تطير من شجرة إلى شجرة ، وجعل ينظر إليها فألهاه ذلك عن شىء من صلاته ؛ فلما عرف ذلك من نفسه شقّ عليه ؛ فجعل ذلك الحائط كله فى سبيل الله ، لماَّ ألهاه عن صلاته .

(**قلت**) : وهذا كله لمعرفة السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ بجلالة قدر الصلاة ، وعظم موقعها من الدين .

وقد بلغنا : أن الله تعالى قسم أعمال الصلاة على أربعين ألف صف من الملائكة ، فى كل صف سبعون ألفاً : عشرة منهم قيام لا يركعون ، عشرة ركوع لا يسجدون ، وعشرة سجود لا يرفعون ، وعشرة قعود لا يقومون ، وجمع جميع ذلك لعبده المؤمن فى ركعتين يصليهما .

فانظر عظم منته وفضله على عباده المؤمنين ، وقد قال عليه السلام : « **مثل الصلوات الخمس مثل نهر غَمْر على باب أحدكم يقتحمه فى كل يوم وليلة خمس مرات ؛ أفترون ذَلك يبقى عليه من درنه شيئاً ؟ قالوا : لا** » (1) .

وقال عليه السلام : « ***الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر*** » (2) .

= وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : لقد أدركنا أقواماً كنا نعد أنفسنا فى جنبهم لصوصاً ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ « الطبقات للشعرانى » (١ / ٢٥) .

(1) [الحديث بهذا المعنى رواه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ والدرن : الوسخ] .

(2) نص الحديث : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفّارة لما بينهن ، ما لم تُغش ـ أى تفعل ـ الكبائر » . [حديث صحيح .رواه مسلم ،والترمذى، وغيرهما عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه] .

وكان أبو بكر الصديق[1] ـ رضى الله عنه ـ إذا حضر وقت الصلاة

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمير بن كعب القرشى التيمى ، خليفة رسول الله ﷺ ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامـر ابنة عم أبيه ، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهـر ، ولقب بالعتيق لعتـقه من النار ، وقـيل : لحسن وجـهه وجـماله ، روى الترمذى عن عائشـة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **أبو بكر عتيق الله من النار** » فمن يومئذ سمى عـتيقا ، وأجمعت الأئمة على تسمـيته صديقاً ، وذلك لمبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ ولازم الصدق . وصحب النبى ﷺ قبل البعثة ، وسبق إلى الإيمان به ، واستمر معه طول إقـامته بمكة ، ورافقـه فى الهجرة ، وفى الغار ، وفى المشـاهد كلها إلى أن مات ، وكـانت الراية معـه يوم تبوك ، وحجّ فى الناس فى حياة رسـول الله ﷺ سنة تسع ، واستقرّ خليفة فى الأرض بعـده ، ولقبه المسلمون « خليفة رسول الله » .

ومن مواقفه الرفيعه فى الإسلام : قـصته يوم ليلة الإسراء وثباته ، وجوابه للكفار فى ذلك ـ وهجرته مع رسول الله ﷺ وترك عياله وأطفاله ـ ورأيه يوم بدر ـ وبكاؤه حين قال رسول الله ﷺ « **إن عبـداً خيرّه الله بين الدنيـا وبين ما عند الله** » ـ وثباته فى وفاة رسول ﷺ ـ وخطبـته الناس وتسكينهم ـ واهتمـامه وثباته فى بعث جيش أسـامة بن زيد إلى الشام ـ وقيامه فى قتل أهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل ، وشرح الله صـدورهم لما شرح الله صـدره من الحق ـ وجمع القـرآن ـ ثم ختم ذلك بمهم من أحـسن مناقبه ، وأجل فـضائله ، وهو استخـلافه على المسلمين عـمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وتفـرسـه فيـه ، وكم للصـديق من مـواقف وأثر ، ومن يحصى مناقبه ، ويحيط بفضائله غـير الله عز وجل ، ولكن لابد من التذكر بنبذ من أحواله ، وجملة من حسناته .

روى للصديق عن النبى ﷺ « ١٤٢ » حديثا . روى عنه عمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبـد الرحمن ، وابن مسـعود ، وحذيفـة ، وابن عمر ، وابن عـباس ، وزيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وآخرون من الصحابة والتابعين .

وكـان ﷺ يكرمــه ويجلّه ، ويعـرّف الصحـابة مكانه ، ويثـنى عليه فـى وجهـه ، واستخلفه فى الصلاة ، وقال فى حقه : « **إن من أمن الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخـذاً خليـلاً غيـر ربى لاتخذت أبـا بكر خليلاً ، ولكن أخـوة الإسلام ومودته** » [رواه الشيخان] .

وفى « الصحيح » عن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قـال : « **عائشة** » قلت : من الرجـال ؟ قال : « **أبوها** » قلت : ثم من ؟ فذكر رجالاً .

وعن ابن جـبير بـن مطعم قال : أتت امـرأة إلى النبى ﷺ فـأمرها أن ترجع إلـيه ، قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ـ كـأنها تقول : الموت ـ فقال : « ***إن لم تجدينى فأتى أبا بكر*** » [رواه البخارى ، ومسلم] .

يقول :قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها [1] ـ يريد بالنار الذنوب ،

= ويقول المصطفى ﷺ لعمر ـ حين حصل بين أبى بكر وبينه شئ ثم اعتذر أبو بكر إليه ـ : « إن الله تعالى بعثنى إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى ـ مرتين ـ » [رواه البخارى] .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فقال : « اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان » [رواه البخارى] .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال لى رسول الله ﷺ ـ فى مرضه ـ : « ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » [رواه مسلم] .

وعنها ـ رضى الله عنها ـ وسئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلفه ؟ـ فقالت : أبو بكر ، فقيل لها : ثم من بعد أبى بكر ؟ قالت : عمر ، قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح ، ثم انتهت إلى هذا . [رواه مسلم] .

وعن محمد بن على بن أبى طالب قال : قلت لأبى : أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وخشيت أن يقول : عثمان ، قلت : ثم أنت ،قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين . [رواه البخارى] .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » [رواه الترمذى وقال : حسن غريب] .

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : *« ما من نبى إلا وله وزيران من أهل الأرض ووزيران من أهل السماء ، فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل ، وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر »* [رواه الترمذى وقال : حديث حسن] .

وعن سفيان الثورى قال : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ، وأنه قال : من قال : إن عليا كان أحق بالولاية من أبى بكر وعمر ، فقد خطّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين و الأنصار ، وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء . [رواه أبو داود بإسناد صحيح] .

والحاصل أن مناقبه لا يمكن استقصاؤه ، ولا الإحاطة بعشر معشارها ، وإنما ذكرت تلك المناقب تبركاً لهذا التعليق بذكره ـ رضى الله عنه ـ .

توفى ـ رضى الله عنه ـ فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين . « تهذيب الأسماء » (٢ / ١٨١) « الإصابة » (٤ / ١٤٤) .

(١) وورد هذا مرفوعاً من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : « يُبعَثُ مناد عند حضرة كل صلاة ، فيقول : يا بنى آدم ، قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم ، فيقومون فيتطهّرون ، ويصلون الظهر ، فيغفر لهم ما بينهما ، فإذا حضرت العصرّ فمثل ذلك ، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك ، فإذا حضرت العتمة فمثل ذلك ، فينامون فمدلج فى خير ، ومدلج فى شر » [رواه الطبرانى] .

وبإطفائها القيام إلى الصلاة ؛ فإنه مكفرٌ للسَّيئات ومُذهب لها ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١).

وقد ورد أن هذه الآية نزلت فى رجل أصاب من امرأة ما دون الزنى ، وجاء إلى رسول الله يسأله أن يقيم عليه الحد ، فلم يرد عليه حتى أقيمت الصلاة ؛ فلما فرغ عليه السلام من صلاته استحضره فقرأ عليه هذه الآية ، فقال الرجل : هذا لى خاصَّة أم للناس عامة ؟ قال : « *بل هو للناس عامة* » (٢).

(**قلت**) : وفيه دليل على أن الصغائر من السيئات تكفَّر بالصلوات وغيرها من الحسنات ، والتوبةُ منها - أعنى الصغائر - مع ذلك أتم وأحوط .

(**قلت**) : ولا حدَّ على الرجل فيما أصابه من المرأة دون الزنى : من القبلة واللمس ونحو ذلك ؛ ولكنه حسب أن عليه فى ذلك حداً والله ورسوله أعلم .

فضل المداومة على صلاة الجماعة

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها : المداومةُ والمواظبةُ على فعلها فى الجماعة ؛ وذلك لأن الصلاة فى الجماعة تفضُل على صلاته وحده بسبع وعشرين درجة ، كما ورد به الحديث الصحيح (٣).

---

(١) سورة هود : الآية ١١٤ .

(٢) [رواه ابن بشكوال فى كتابه « تفسير ما استعجم من غوامض الأسماء » بسنده إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - واسم الرجل هو نبهان التمار] . « تخريج الدلالات السمعية » (ص ٧١٣) .

(٣) فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » [رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى] .

فمن تساهل بهذا الربح الدينى الأخروى الذى لا تعب فى تحصيله ولا مشقة فى نيله ، فقد عظمت عن مصالح الدين غفلته ، وقلّت فى أمر الآخرة رغبتُه ، لا سيما وهو يعلم من نفسه كثرة ما يتحمّله من التعب ، ويقاسى من المشاق فى طلب ربح الدنيا اليسـير الحقير ؛ وإذا حصل له منه شىء تافهٌ بتعب كثـير نسى تعبه ، وعدَّ ما ناله من ربح الدنيـا الفانية غُنما جسيما ، أفلا يخشى من يعرف من نفسه هذه الأوصاف أن يكون عند الله من المنافقين ، وفيما وعـد الله به من المتشككين ! ولم يبلغنا فى جملة ما بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه صلى منفرداً ولا صلاةً واحدة !»

وقال ابن مسعود [1] ـ رضى الله عنه ـ : لقد رأيتُنا ومـا يتخلف عنها ـ يعنى صلاة الجماعة ـ إلا منافق معلوم النفاق .

---

(١) هو أبو عبـد الرحمن بن مـسعود بن غـافل بن حبيب بن سـمح بن فار بن مـحزوم الهذلى حليف بنى زهرة الكوفى،وأمه أم عبد الله بنت عبد ودّ ،أسلمت وهاجرت ، فهو صحابى بن صحابية ، أسلم عـبد الله قديماً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً ، والمشاهد بعدها ، وهو الذى أجهز على أبى جهل يوم بدر ، لازم رسول الله ﷺ ، وشهـد له رسول ﷺ بالجنة ، وكـان صاحب نعليـه ، يلبسـه إياهما إذا قـام ، فإذا خلعهما وجلس ، جعلهما ابن مسعود فى ذراعيه ، وكان كثير الولوج ـ أى الدخول ـ على رسول الله ﷺ والخدمة له ، وكان يعرف أيضاً بصاحب السواد ـ أى السرار ـ والسـواك ، والنعل ، روى له عن رسـول الله ﷺ (٨٤٨ حديثـاً) وروى عنه ابن عـمر ، وابن عـباس ، وابن الزبيـر ، وأبو موسى الأشـعرى ، وأنس ، وجـابر ، وعمران بن الحصين ، وأبو هريرة ، وغيرهم من الصحابة ، وخلائق لا يحصون من كبار التابعين .

وكان من كبار الصحـابة وساداتهم وفقهائهم ومقدميهم فى القـرآن والفقة والفتوى ، وأصحاب الخلق ، وأصحاب الاتباع فى العلم .

وهو أول من جهر بالقرآن بمكـة ،قال النبى ﷺ فى حقه : « **من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد** » ، [رواه الإمام أحمد ، والبيهقى] .

وفى « الصحيحين » عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ : « **اقرأ علىّ القرآن** » فقلت : يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « **إنى أحب أن أسمعـه من غيرى** » فقرأت عليه سـورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : « **فكيف إذا جئـنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** » قال : « **حسبك الآن** » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .

=

ولقد كــان الرجل يؤتى به على عهد رســول الله ﷺ يُهادى بين الرجُلين من الكبر حتى يُقام فى الصف [(١)] .

ولما شكا ابن أم مكتوم الأعمى[(٢)] إلى رسول الله ﷺ أنه لا قائد له ، وذكر له ما بالمدنية يومئذ من الأبار والهوامِّ ، وبُعد منزله عن المسجد

= ومن أخباره بعد النبى ﷺ أنه شـهد فتوح الشام ، وسيّره عـمر إلى الكوفة ، وكتب إليهم : بعثت إليكم عمـاراً أميراً ، وعبد الله بن مسعـود معلما ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما ، وآثرتكم بعبد الله على نفسى .

وعن عبد الرحمن بن زيد النخعى قال : أتينا حـذيفة بن اليمان ، فقلنا حدّثنا بأقرب الناس من رسـول الله ﷺ هديا ودلاً نلقاه ، فنـأخذ عنه ونسـمع منه ، قال : كـان أقرب الناس هديا ودلاً وسمتا برسول الله ﷺ ابن مسعود . لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبـد من أقربهم إلى الله زلفى . [أخرجه البخارى ، والترمذى] .

وعن على ـ كرم الله وجهه ـ مرفوعاً : « لو كنت مؤمِّراً أحداً بغير مشورة لأمّرت ابن أم عبد » .

وقال على ـ رضى الله عنه ـ قـال رسول الله ﷺ : « لرِجلُ عبـد الله أثقل فى الميزان من أحد » [أخرجه الإمام أحمد فى « مسنده »] .

وعن أبى وائل ـ رضى الله عنه ـ أن ابن مسعود رأى رجـلاً قد أسبل إزاره ، فقال : ارفع إزارك ـ وأنت يا ابن مسعود فارفع إزارك ـ فقال : إنى لست مثلك ، إن بساقى حموشـة ـ أى دقة ـ وأنا آدم الناس ، فبلغ ذلك عمر . فـضرب الرجل ، ويقول : أترد على ابن مسعود ! .

توفى ـ رضى الله عنه ـ بالـكوفة سـنة (٣٢ هـ) وقـيل : (٣٣ هـ) وهو ابن بضع وستين سنة . « تهذيب الأسماء » (١ / ٢٨٨) « الإصابة » (٤ / ١٩٨) .

(١) [رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه] .

(٢) هو عمرو بن قيس بن زائدة القريشى العامرى ، ويقال اسمه عبد الله ، المعروف بابن أم مكتوم ، مؤذن النبى ﷺ ، وأم مكتوم أمه اسـمها : عاتكة بنت عبد الله . أسلم قديماً بمكة ، وهاجر إلى المدينة قـبل مقدم رسول الله ﷺ وبعد مصـعب بن عمير ، واستخلفه النبى ﷺ ثلاث عشرة مرة فى غزواته على المدينة ، وشهد فتح القادسية .

وقتل بها شهيداً ، و كان معه اللواء يومئذ ـ هذا هو المشهور ـ وقال الواقدى : بل شهدها ، ورجع إلى المدينة فمات بها ، وهو الأعـمى الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى كتابه فى قوله : « **عبس وتولى أن جاءه الأعمى** » .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ وفضائله مشهورة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ « تهذيب الأسماء » (٢/٢٩٥) « الإصابة » (٤ / ٤٩٤) .

ليعذره عن المجيء لصلاة الجماعة ؛ فعـذره بعد ذكره لهذه الأشياء كلها ، فلما قام وذهب دعاه عليه السـلام ؛ فلما رجع إليه قال له : « ***هل تسمع حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح*** » ؟ فقال نعم . فقال له عليه السلام : « ***فهلمَّ هلا*** » [(١)]. يعني بذلك : تعال إلى الصلاة فلا عذر لك .

وقال عليه السلام : « ***من سمع النداء فـارغاً صحيـحاً فلم يجب فلا صلاة له*** » [(٢)].

وقـد هم عليه السـلام بإحراق بيـوت أقـوام عليهم بالنار كـانوا يتخلّفون عن الصلاة فى الجماعة ؛ كذلك ورد فى الحديث [(٣)].

وهو الغاية فى التشديد والتهديد لمن ترك صلاة الجماعة من غير عذر صحيح .

والعذرُ الصحيح : هو الذى لا يمكن الحضـور معه بوجه ما ، إن أمكن فبمشقة ظاهرة يعسر علـى أكثر الناس تحمُّلها ، ومع ذلك فالحضور أفضل ، والثواب فيه أكـثر ـ إلا في صُور نادرة ، مثل أن يكون عذره داء الإسهال المتواتر، ويخشى لو حضر من تلويث المسجد، وما فى معنى ذلك .

والعذرُ إنما مـعناه : سقوط الحـرج عن المعذور ، وقـد يحصل الثواب مع إسقاط الحرج لمن كـان عذره صادقاً ، وهو يودّ أن لو استطاع الحضور بأى ممكن ، ويقع فى قلبه لعدم حضوره حزن وتعب على ما فاته من طاعة ربه ،وتعظيم حرماته ؛ كما قال عليه السلام فى بعض غزواته : « ***إن أقواما خلفنا بالمديـنة ما سرنا مسيراً ، ولا قطـعنا وادياً ، إلا كانوا معنا حبسهم العذر*** » الحديث [(٤)].وكأنهم هم الذين قال الله فيهم : ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ**

---

(١) فى « المشكاة » « فَحيهلا » [رواه مسلم ، و أبو داود ، والنسائى ، وغيرهم] .
(٢) حديث صحيح . رواه الحاكم ،والبيهقى عن ابن بريدة عن أبيه ـ رضى الله عنه ـ] .
(٣) [متفق عليه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى فى « الصحيح »] .

حَزَنًا ﴾ [(١)] . ومن فى معناهم من أهل الصدق والإخـلاص ، وقوة الرغبة فيما عند الله ، وبذل النفس فما دونها فى طلب مرضاته .

(**فإياك**) أن تتخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر ناجز يمكنك أن تعتذر به بين يدى الله عـلام الغيوب ! وإن بدا لك القعـود فى بيتك لأمر رأيت فيه خـيراً وصلاحًا لك فى ديـن أودنيا ـ فاخرج إلى المســجد أوقات الصلوات لتصليها فى جماعة ، أوخذ إليك من يصلى معك فى بيتك ولو واحداً حتى تسلم من الحـرج وتفوز بالثواب ؛ فإن فضل الجمـاعة يحصل بإمام ومأموم ، وكلما كثروا كان أفضل .

وتزكو الصلاة ويزيد ثوابها خلف الأئمــة من أهل الخير والصلاح وترجح على الصلاة خلف من ليس بهذا الوصف .

فـينبغى أن تتـحـرى وتجتـهد أن تصلـى خلف الأئمة المعـروفين بالتقوى ، وهذا من حيث الأفضل والأولى ، وإلا فقد قال عليه السلام : « *صلوا خلف كل بَرٍ وفاجر* » [(٢)].

وفى المشى إلى المسجد لأجل الصلاة فيه ثواب عظيم ، وردت به الأخبار ، حتى ورد أن كل خطوة يخطوها العـبد إلى المسجد تحسب له ، وتكتب له فى حسناته[(٣)] .

---

(١) سورة التوبة الآية ٩٢ .

(٢) [رواه البيهقى ، وابن حبان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) قـال ﷺ : « *صلاة الرجل فى الجماعة تضعّف على صلاته في بيته ، وفى سوقه خمساً وعشرين درجة ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى الصلاة لا يخرجه إلا الصـلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت بها درجة ، وحطّ عنه بهـا خطيئة ... الحديث* » [*رواه الشيخان ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، ومالك فى « الموطأ » عن أبى هريرة ولفظه : « من توضـأ فأحسن الوضـوء ، ثم خرج عامـداً إلى الصلاة ، فـإنه فى صلاة مـا كان يعـمد إلى الصـلاة ، وإنه يكتب له بإحـدى خطوتيه حـسنة ، ويمحى عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسع ، فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً ، قالوا : لما يا أبا هريرة ؟ قال : من أجل كثرة الخطا* » .

وانتظار الصلاة بعد الصلاة من القُرُبات .

ومثاله : أن تصلى المغرب ثم تجلس فى المسجدلأجل العشاء حتى تصليها : والمنتظر للصلاة يعدُّ عند الله مصلياً ويكتب له ثواب المصلين ، سواء كان انتظار صلاة بعد صلاة ، أوسبق إلى المسجد قبل أن تقام الصلاة ، فقعد ينتظرها ، والذى يمكث فى محله الذى صلى فيه لا تزال الملائكة تستغفر له وتدعو له، حتى يحدث أو يتكلم ،كل ذلك قد وردت به الأخبار عن النبى ﷺ .

قال ﷺ : « *ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ فذلكم الرباط* » (١)

وقال عليه السلام : « *إنكم لن تزالوا فى صلاة ما انتظرتم الصلاة* » (٢).

وقال عليه السلام : « *بشر المشّا ئين إلى المساجد فى الظلم بالنور التام يوم القيامة* » (٣).

وورد أن مشى الإنسان إلى المسجد يكتب له ، ويجعل الله له ثوابه : خطوة يكفر بها عنه سيئةً ، وخطوة يكتب له بها حسنة ، وخطوة يرفع له بها درجة (٤) ، وكما يكتب له ممشاه إلى المسجد كذلك يكتب له

(١) [حديث صحيح . رواه مالك ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه] .

(٢) [الحديث بهذا المعنى رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والبيهقى وغيرهم] .

(٣) [حديث غريب . رواه أبو داود ، والترمذى عن بريدة ـ رضى الله عنها ـ ورواه ابن ماجه ، وابن خزيمة فى «صحيحه» و الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين عن سهل بن سعد الساعدى ـ رضى الله عنه ـ : « **لَيَبْشُرُ المشّاءون فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة** » وهذا اللفظ لابن خزيمة فى « صحيحه »] .

(٤) قال ﷺ: « *من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى ،فرجل تكتب له حسنة ، ورجل تحط عنه سيئة حتى يرجع* » [رواه ابن حبان فى « صحيحه » واللفظ له ، ورواه النسائى ، والحاكم بنحو رواية ابن حبان ، وليس عندهما « حتى يرجع »] وسبق لنا فى حديث أبى هريرة ما يدل أن كل خطوة يخطو بها درجة .

رجوعه من المسجد إلى منزله [١].

وقال عليه السلام : « *لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مجلســه الذى يصلى فيه ، مالم يحدث أو يتكلـم ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه* » [٢].

فضل الصفّ الأوّل

ومن المتأكـد الذى ينبغى الاعـتناء به ، والحرص عليـه : الملازمة للصف الأول ، والمداومةُ على الوقوف فيه ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « **إن الله وملائكته يصلون على الصفوف المقدّمة** » [٣] .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : « : *لو يعلم الناس مـافى الأذان والصفِّ الأول ثم لم يجـدوا إلا أن يستهـموا عليـه لاستهـموا* » [٤].

ومعنى الاستهام : الاقتراع .

ويحتـاج من يقصـد الصلاة فى الصف الأول لفضلـه إلى المبادرة قبل ازدحام الناس ، وسبقهم إلى الـصف الأول ؛ فإنه مهما تأخر ثم أتى

---

(١) عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحـو سيئة ، وخطوة تكتب له حسنة ، ذاهبا وراجعاً » [رواه أحمد بإسناد حسن ، والطبرانى ، وابن حبان فى « صحيحه » .

وعن أبى بن كعب ـ رضى الله عـنه ـ قال : كان رجل من الأنصـار ـ لا أعلم أحداً أبعد من المسجد منه ـ كانت لا تخطئه صلاة ، فقيل له : لو اشتريت حماراً تركبه فى الظلماء وفى الرمـضاء ـ هى الأرض الشديدة الحـرارة من وقع الشمس ـ فقـال : ما يسرّنى أن منـزلى إلى جنب المسجد ، إنـى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسـجد ، ورجوعى إذا رجعت إلى أهـلى ، فـقال رسول الله ﷺ : « **قد جـمع الله لك ذلك كله** » وفى رواية : « **لك ما احتسبت** » [رواه مسلم ، وغيره] .

(٢) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وغيرهم] .

(٣) [رواه الإمام أحمد بإسناد لا بأس به ، والطبرانى ، وغـيرهما عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ] .

وورد أيضاً : أن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف » .[رواه أبو داود ، وابن ماجه بإسناد حسن] .

(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وقد سبقوه ربما يتخطى رقابهم فيؤذيهم ، وذلك محظور ، ومن خشى ذلك فصلاته فى غير الصف الأول أولى به ، ثم يلوم نفسه على تأخره حتى يسبقه الناس إلى أوائل الصفوف ، وفى الحديث : « ***لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله*** » (١).

ومن السنة تسوية الصفوف

ومن السنن المهمة المغفول عنها تسويةُ الصفوف والتراصُّ فيها ، وقد كان عليه السلام يتولى فعل ذلك بنفسه ، ويكثر التحريض عليه والأمر به ويقول : « ***لتسوُّن صفوفكم أو ليُخالفن الله بين قلوبكم*** » (٢)

ويقول : « ***إنى لأرى الشياطين تدخل فى خلل الصفوف*** » (٣) يعني بها الفُرج التي تكون فيها .

فيستحبُّ إلصاق المناكب بالمناكب مع التسوية ، بحيث لا يكون أحد متقدِّماً على أحد ولا متأخراً عنه فذلك هو السنة .

ويتأكد الاعتناء بذلك ، والأمر به من الأئمة ، وهم به أولى من غيرهم من المسلمين ؛ فإنهم أعوان على البر والتقوى ، وبذلك أمروا ؛ قال الله

---

(١) والحديث كاملاً عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ : أن رسول الله ﷺ رأى فى أصحابه تأخرا ، فقال لهم : « **تقدّموا فأتمّوا بى ، وليأتمّ بكم من بعدكم ، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله** » [رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه] .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال قوم يتأخرون عن الصفّ الأول حتى يؤخرهم الله فى النار** » [رواه أبو داود ، وابن خزيمة ، وابن حبان إلا أنهما قالا : « **حتى يخلفهم الله فى النار** »] .

(٢) [حديث صحيح . رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، والأربعة عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ وفيه « **بين وجوهكم** » بدل « **بين قلوبكم** »] .

وفى رواية لأبى داود ، وابن حبان فى « صحيحه » : أقبل رسول الله ﷺ على الناس بوجهه فقال : « **أقيموا صفوفكم ، أو ليُخالفن الله بين قلوبكم** » قال : فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه ، وركبته بركبة صاحبه ، وكعبه بكعبه » .

(٣) لفظ الحديث : « *فو الذى نفسى بيده : إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف* » ـ يعنى أولاد الضأن الصغار ـ [رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى « صحيحيهما »] ، وفى رواية للإمام أحمد : « **فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف** » .

تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (١) .

(فعليك) ـ رحمك الله تعالى ـ بالمبادرة إلى الصف الأول ، وعليك برص الصفوف وتسويتها ما استطعت ؛ فإن هذه سنة ميِّتةٌ من سنن رسول الله ﷺ ، من أحياها كان معه فى الجنة كما ورد(٢) .

فضل الجماعة فى صلاتى العشاء والصبح

(واعلم) أن من أهم المهمات : ملازمة الصلوات فى الجماعات كما تقدم ، وهو ـ أعنى حضور الجماعة فى صلاة العشاء والصبح ـ أشد تأكيداً وأكثر فضلا ؛ لقوله عليه السلام : « *من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل كله* » (٣)

وقال عليه السلام : « **فرقُ ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يستطيعون حضور العشاء والصبح فى الجماعة** » الحديث(٤) .

وورد « *أن من صلى العشاء فى جماعة كان فى ذمة الله حتى*

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) روى السجزى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ حديث : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » . [قال جلال الدين السيوطى : ضعيف] « الجامع الصغير » (٢ / ١٦١) .
وقال فى « الموسوعة » : رواه الترمذى ٢٦٧٨ والعقيلى فى « الضعفاء » ، وذكره صاحب « الإتحاف » (١ / ١١٨) وصاحب « كنز العمال » (٩٣٣) ١هـ (٨ / ٤١) .

(٣) [حديث صحيح . رواه مالك ، ومسلم واللفظ له ، وأبو داود ، و لفظه : « *من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ، ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة* » ورواه الترمذى كرواية أبى داود ، وقال : حديث حسن صحيح] . « الترغيب » (١ / ٢٦٧) .

(٤) نص الحديث « **إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر . ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً** » [رواه البخارى ، ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وعن أبى بن كعب ـ رضى الله عنه ـ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الصبح فقال : « أشاهد فلان ؟ » قالوا : لا ، قال : « أشاهد فلان ؟ » قالوا : لا ، قال : « **إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ، ولو تعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً على الركُب** » [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم] .

يُصبح[1] . *ومن صلى الصبح فى جـماعة كان فى ذمـة الله حتى يمسى »*[2] قال عليه السلام : « *فلا يطلبنكم الله بشى من ذمته* » ينهى عن التعرض لمن هو فى ذمة الله بشىء من السوء .

وقد بلغنا : أن الحـجاج[3] مع جوره وظـلمه وتعـديه لحدود الله

---

(١) لم أعثر على من خرجه ، وورد بإسناد حسن « من صلى العشاء فى جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر » [رواه الطبراني فى «الكبير» عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ].

(٢) حديث صحيح . رواه مسلم عن جندب بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ ، ولفـظه : « من صلى الصـبح فهو ذمـة الله ، فلا يطلبكم الله من ذمـته بشئ ، فإنه من يـطلبه من ذمـته بـشئ يدركه ، ثم يـكبه علـى وجهـه فى نار جـهنم » وأبو داود ، وأحـمـد ، والترمذى ، وابن ماجه وأبو يعـلى عن أبى بكر الصـديق ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « فهو فى جوار الله » وليس فيه ذكر جماعة .

ورواه الطبرانى عن ابن عمـر ـ رضى الله عنهما ـ بلفظ : « *من صلى الغداة كان فى ذمة الله حتى يمسى* » وله عن أبى مالك الاشـجعى ـ رضى الله عنه ـ : « *من صلى الفجر فهو فى ذمة الله ، وحسابه على الله* » راجع « الترغيب والترهيب » (١/ ٢٤٠ ، ٢٧٠) « الجامع الصغير » (٢ / ١٧٤) « كشف الخفاء » (٢/ ٣٣٧) .

(٣) هو الحجـاج بن يوسف بن أبى عقيل الثـقفى الطائفى ، كان شـجاعاً مقـداماً مهيـباً متفـوها فصيحاً سفـاكاً ، ولى الحجاز سنين ، ثم العراق و خراسـان عشرين سنة ، وأقرّه الوليد على عمله بعد أبيه .

قيل لابن سيرين : رأيت حمامة بيضاء حـسنة على سرادقات المسجد ، فجاء صقر ، فاختطفها ، فقال ابن سيرين: إن صدقت رؤياك ، تزوّج الحجاج ابنة جعفر الطيار .

فلماً تزوجـها قـيل لابن سيرين : من أين أخـذت ذلك ؟ فقـال : الحمامـة امرأة ، وبياضها حسنها ، والسرادقـات شرفها ، فلم أر بالمدينة أنقى حسنا ، ولا أشرف من ابنة جعفر ، والصقر سلطان غشوم ، فلم أر أغشم من الحجاج .

توفى سنه (٩٥هـ) وله ثلاث وقيل : أربع ، أو خمس وخمسون سنة .

وكان موته بالأكلة فى بطنه ، سـوغه الطبيب لحما فى خـيط ، فخرج مملوءاً دوداً ، وسلط أيضاً عليه البـرد ، فكان يوقد النار تحته ، وتأجج حـتى تحرق ثيابه ، وهو لا يحس بهـا ، فشكا إلى الحـسن البصـرى ، فقـال : ألم أكن نهيـتك أن تتـعرض للصالحين ،فلما أخبر الحسن بموته سجد شكراً ،وقال: اللهم كما أمته فأمت سنته .

وكان قد رأى أن عـينيه قلعتـا ، وكان تحته هند بنت المهلب ، وهند بنت أسـماء بن خارجة ، فطلقهما ليتأول رؤياه بهما ، فسمات ابنه محمد ، وجاءه نعى أخيه محمد من اليمن ، فقال : هذا والله تأويل رؤياى : محمد ومحمد فى يوم واحد .

قيل : قتل الحجاج (١٢٠٠٠٠) ووجد فى سـجونه بعد موته ثلاثة وثلاثون ألفاً لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب .

« شذرات » (١ / ١٠٦) .

كان يسأل من يؤتى به نهاراً : هل صليت الصبح فى جماعة ؟ فإن قال: نعم خلى سبيله ؛ مخافة أن يطلبه الله بشىء من ذمته .

صلاة الجمعة فرض عين بالإجماع

وإذ قد عرفت من قبل ما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام من التشديدات فى ترك الجماعة من غير عذر صحيح - فاعلم وتحقّق أن المتخلف عن صلاة الجمعة بذلك الوعيد أحق ، والتشديدُ عليه فى تركها أعظم ؛ وذلك لأنها فرض عين بالإجماع .

وقد قال عليه السلام : « *من ترك ثلاث جمع من غير عذر طبع الله على قلبه* »[1] .

وسئل ابن عباس[2] - رضى الله عنهما - عن رجل يقوم الليل

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد واللفظ له ، وأصحاب السنن ، ورواه الحاكم وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى - رضى الله عنه -] .
ورواه الطبرانى عن أسامة بن زيد - رضى الله عنه - بلفظ : « من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين » .
وعن سمرة - رضى الله عنه - مرفوعاً : « من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار ، فإن لم يجد فبنصف دينار » . [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن حبان ، والحاكم. ورواه البيهقى عنه بلفظ : « فليتصدق بدرهم أو نصف درهم ، أو صاع أو مد » قال السيوطى : حديث صحيح .
وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - « من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات ، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » [رواه أبو يعلى بإسناد صحيح] .

(٢) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى ، أبو العباس ، الصحابى ابن الصحابى ، ابن عم رسول الله ﷺ والملقب بحبر الأمة والبحر - لكثرة علمه -، وأمه لبابة بنت الحارث الهلالية .
ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث ، وقيل : بخمس . وحنكه النبى ﷺ بريقه ، ودعا له رسول الله ﷺ بالحكمة والفقة فى الدين ، وعلم التأويل .
قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، وعاش ابن عباس بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشد إليه الرحال ، ويقصد من جميع الأقطار ، ومشهور فى « الصحيحين » تعظيم عمر بن الخطاب لابن عباس ، واعتداده به ، وتقديمه مع حداثة سنه، وعاش بعده ابن عباس نحو سبع وأربعين سنة ، يقصد ويستفتى ويعتمد ، وهو أحد العبادلة الأربعة : ابن عمر - وابن عباس - وابن عمرو بن العاص - =

ويصوم النهار ،ولكنه لا يحضر الجمعة والجماعة ؟فقال : هو فى النار [1]

= وابن الزبير - .
وهو أحد السبعة المكثرين فى رواية أحاديث رسول الله ﷺ ، حيث روى له عن النبى ﷺ (١٦٦٠ حديثاً) .
قال سفيان بن عيينة : كان الناس ثلاثة : ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، وسفيان الثورى فى زمانه .
وروى الترمذى من طريق ليث ،عن أبى جهضم ،عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه رأى جبريل - عليه السلام - مرتين .
كان - رضى الله عنه - أبيض طويلا مشربا صفرة جسيما وسيما صبيح الوجه ، له وفرة يخضب بالحناء ، وفى رواية « وله جمة » - وكان إذا قعد أخذ مقعد رجلين ، وكان لموضع الدمع من خدى ابن عباس أثر لكثرة بكائه .
وعن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال - وكان عنده ابن عباس - : هذا يكون حبر هذه الأمة ، أوتى عقلا وجسما ، ودعا له رسول الله ﷺ أن يفقه فى الدين .
ولما سئل ابن عمر عن شئ ؟ فقال : سل ابن عباس ، فإنه أعلم من بقى بما أنزل الله على محمد .
وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ - فإنهم اليوم كثير - قال : واعجبا لك : أترى الناس يفتقرون إليك ؟ قال : فترك ذلك وأقبلت أسأل ، فإن كان ليبلغنى الحديث عن رجل فآتى بابه - وهو قائل - فأتوسّد ردائى على بابه ، تسفى الريح على من التراب ، فيخرج فيرانى فيقول : يا ابن عم رسول الله ، ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلىّ فآتيك ؟ فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ، فعاش الأنصارى حتى رآنى - وقد اجتمع الناس حولى ليسألونى - فقال : هذا الفتى كان أعقل منى .
وعن الزهرى قال : قال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس ؟ قال : ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول ، وقلب عقول .
وعن طاوس قال : أدركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شئ فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا : هو كما قلت ، أو صدقت .
وعن مسروق قال : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس ، فإذا نطق قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .
وعن أبى وائل قال : قرأ ابن عباس سورة النور، فجعل يفسّرها ، فقال رجل : لو سمعت هذا الديلم لأسلمَتْ .
وعن الأعمش قال : خطب ابن عباس - رضى الله عنهما - وهو على الموسم ، فجعل يقرأ ويفسّر ، فجعلت أقول : لو سمعته فارس والروم لأسلمتْ . =

وليس يسع مؤمناً أن يترك الجمعة من غير عذر وهو يسمع قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

ثم إنك ترى أقواما يدَّعون الإسلام والإيمان ، ويسمعون كلام الله وكلامَ رسوله يتخلّفون عن الجمعة بغير عذر ، أو بعذر فاسد لا يصح كونه عذرا عند الله وعند رسول الله ﷺ تَسقط به الفرائض اللازمةُ ، وقد أسلفنا أن العذر المرخِّص فى ترك الجمعة هو الذى لا يمكن الحضور معه ، وإن أمكن فبمشقَّة شديدة لا يسهل احتمالها ، ويكاد يتعذر فى العادة ، وهذا فى الجمعة أولى وأولى ! فلا يتخلف عنها لغير عذر صحيح إلا منافق مرتاب ، قد أخطأ الحق والصواب ، وخرجت من قلبه أنوار التعظيم لله العظيم ، ولحقوق ربوبيته التى لا عِزّ للعبد ، ولا شرف له ولا

= وقال عبيد الله بن عبد الله : وكان ـ رضى الله عنه ـ يجلس يوما للفقه ، ويوم للتأويل ، ويوما للمغازى ، ويوما للشعر ، ويوما لأيام العرب ، وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا سائلا سأله إلا وجد عنده علماً .

وعن عطاء قال : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس : أكثر فقها ، وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده . يصدرهم كلهم من واد واسع .

توفى ـ رضى الله عنه ـ بالطائف سنة (٦٨ هـ) عن ٧١ سنة وقيل : غير ذلك .

قال ابن دينار : لما مات عبد الله بن العباس قال محمد بن على بن الحنفية : مات ربانى هذه الأمة .

وعن سعد بن جبير ، ومجاهد ، وميمون بن مهران قالوا : لما مات ابن عباس بالطائف شهدنا جنازته ، فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض فدخل فى نعشه . فالتمس فلم يوجد ، ولم يُرَ خارجاً منه ، فلما سوّى عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقرأ : « **يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** » [الفجر : ٢٧ ، ٢٨] ـ رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجمعنا وإياه فى مستقر رحمته آمين ـ « تهذيب الأسماء » (١ / ٢٧٤) « الإصابة » (٤ / ١٢١) .

(١) [رواه الترمذى] .

(٢) سورة الجمعة : الآية ٩ .

سعادة ، ولا فلاح فى الدنيا والآخرة إلا فى القيام بها ، والملازمة لها ، والمداومة عليها، بل لا نجاة ولا سلامة له من عذاب الله وسخطه إلا فى القيام بهـا ، والمحافظة عليها .

فانظر كيف يزهد هذا العبد فى سعادة نفسه وفلاحها ، ثم لا يبالى بخسرانها وهلاكها حتى يترك حقوق الله ، وما أوجبه عليه من فرائضه ! نسأل الله العافية والسلامة ، ونعوذ به من درك الشقاء وسوء القضاء .

(ثم اعلم) أن الحضور إلى الجمعة مع العذر الصحيح الذى يمكن الحضور معه أفضل ، ويدل من صاحبه على كمال التعظيم لله ولحقوقه ، وعلى تمام الرغبة فيما عند الله من ثوابه ، وشدة الرهبة من سخطه وعقابه .

فضل يوم الجمعة

(واعلم) ـ أسعدك الله ـ أن يوم الجمعة سيّد الأيام ، وله شرف عند الله عظيم ، وفيه خلق الله آدم عليه السلام ، وفيه يقيم الساعة ، وفيه يأذن لأهل الجنة فى زيارته ، والملائكةُ تسمى يوم الجمعة : يوم المزيد[1] ؛ لكثرة ما يفتح الله فيه من أبواب الرحمة ،ويفيض من الفضل ، ويبسط من الخير .

---

(١) عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذه ؟ » قال : هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، فإن الناس لكم فيها تبع ، اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد ... الحديث » .

[رواه الشافعى فى « الأم » ، والعقيلى فى « الضعفاء » وغيرهما] « اللمعة فى خصائص الجمعة » (ص ٦٦).

وفى هذا اليوم ساعة شريفة يستجاب فيها الدعاء مطلقاً [(١)] ، وهى مبهمة فى جميع اليوم ، كما قاله الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ وغيره .

فعليك فى هذا اليوم بملازمة الأعمال الصالحة، والوظائف الدينية، ولا تجعل لك شغلا بغيرها ، إلا أن يكون شغلا ضروريًا لابد منه ؛ فإن هذا اليوم للآخرة خصوصاً ، وكفى بشُغل بقية الأيام بأمر الدنيا غَبْنًا وإضاعة ! وكان ينبغى للمؤمن أن يجعل جميع أيامه ولياليه مستغرقةً بالعمل لآخرته ؛ فإذا لم يتيسَّر له ذلك ، وعوّقته عنه أشغال دنياه فلا أقلّ له من التفرغ فى هذا اليوم لأمور الآخرة .

ما يُسن فى يوم الجمعة

ومن السنَّة قراءة سورة الكهف [(٢)] ، والإكثارُ من الصلاة على

---

(١) روى الشيخان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه » وأشار بيده يقللها .

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فى هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولاً ، ذكرها جلال الدين السيوطى فى « اللمعة » (ص ٧٥ ـ ٩٧) .

(٢) يومها وليلتها ، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور بين الجمعتين » [رواه النسائى ، و البيهقى مرفوعا ، والحاكم مرفوعاً وموقوفا أيضاً ، وقال : صحيح الاسناد . ورواه الدارمى فى « مسنده » موقوفاً على أبى سعيد ، ولفظه : « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق » .

وفى « اللمعة » وأخرج عن خالد بن معدان قال : من قرأ سورة الكهف قبل أن يخرج الإمام كانت له كفارة فيما بينه وبين الجمعة ، وبلغ نورها البيت العتيق .

وأخرج ابن مردويه فى « تفسيره » بإسناد لا بأس به ، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء ، يضئ له يوم القيامة ،وغفر له ما بين الجمعتين » .

وعن على ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام ، وإن خرج الدجّال عصم منه » [أخرجه الضياء المقدسى فى « المختارة » .

النبى ﷺ فى يوم الجمعة وليلتها [1] .

فعليك بذلك ، وبالبكور إلى الجمعة ، وأقل ذلك أن تَروح قُبيل الزوال أو معه ، وليس من السـنة تأخير صلاة الجمـعة حتى يمضى نصف الوقت أو نحـوه ، بل السنة أن تصلى أول وقت الظـهر كـمـا كان عليـه الصلاة والسلام يفعل ذلك .

وكن ـ رَحـمك الله ـ حَـسَن الإصغـاء والاسـتمـاع إلى الخطبـة والوعظ ، واتعظ بما تسمعـه ، واستشعر فى نفسك أنك مقـصود ومخاطب بذلك .

تعزير من يتخلف عن الجمعة

ومن البدع المنكرات : تأخُّرُ بعض أهل الأسواق والحرف من الذين تجب عليهم الجمعة عن المجئ إليها .

ويجب على ولاة الأمور أن يحملوهم على ذلك ، ويـعاقبوا من تخلّف منهم عن الجمعة بعد التـعريف والإنذار ، ولا رخصة لولاة الأمور فى ترك ذلك وما يجـرى مجراه ، ومـا ولاّهم الله أمر عبـاده إلا ليقيـموا فيهم شعـائر دينه ، ويحملوهم على إقامة فرائضه ، واجـتناب محارمه ، وما ترتب من المصالح الدنيوية على وجود الولاة فهو تبَع لذلك ولاحقٌ به والله أعلم .

---

(١) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قـال : قال رسـول الله ﷺ : « أكثروا من الصلاة علىّ فى الليلة الزهراء ، واليوم الأزهر ، فإن صلاتكم تعـرض علىّ » [أخرجـه الطبرانى فى « الأوسط »] .

وعن أبى أمامـة ـ رضى الله عنه ـ قال : قـال رسول الله ﷺ : « أكثروا من الصلاة علىّ فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علىّ صلاة كان أقربهم منى منزلة »

أخرجه البيهـقى فى « الشـعب » ، وأخرج عن أنس ـ رضى الله عنه ـ مرفـوعاً : « أكثروا من الصلاة علىّ فى يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كتب شهيداً أو شافعاً يوم القيامة » .

وأخرج الأصـبهـانى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قـال رسول الله ﷺ : « من صلى علىّ فى يوم الجمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده فى الجنة » .

المحافظة على الرواتب والسنن

ومن المحافظة على الصلوات : حسنُ المحافظة على رواتبها وسننها التى ندب الشارع عليه السلام إلى فعلها قبل الصلاة وبعدها ؛ وذلك لأن النوافل جوابر للفرائض كما ورد .

فإذا وقع فى الفريضة نقص واختلال بسبب قلة خشوع ، أو حضور قلب ، أو غير ذلك ، كانت النوافل متممات لذلك النقصان ، ومُصْلِحات لذلك الاختلال ، ومن لم تكن له نافلة بقيت فريضته ناقصة ، وفاته الثوابُ العظيم الموعود به على فعل تلك النوافل ، وقد ورد : « أن أول شئ يحاسب عليه العبد الصلاة فإذا وجدت ناقصة يقال : انظروا ، هل له من نافلة يكتمل بها صلاته »(١)

وهذه الرواتب معروفة ومشهورة ، تُغنى شهرتها عن ذكرها»(٢) .

وجوب صلاة الوتر

ومن المتأكد فعلُه والمواظبةُ عليه : صلاةُ الوتر ؛ قال ﷺ : « إن

---

(١) [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والحاكم عن تميم الدارى ـ رضى الله عنه ـ ورواه الطبرانى فى « الأوسط » والضياء عن أنس ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » قال السيوطى : حديث حسن .

(٢) قال ﷺ : « ما من عبد مسلم يصلى له تعالى فى كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة ، أو إلا بنى له بيت فى الجنة » [رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى وزاد : « أربعا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الفجر » .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « من ثابر على ثنتى عشرة ركعة فى اليوم والليلة دخل الجنة : أربعا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الفجر » [رواه النسائى ، والترمذى ، وابن ماجه] .

وقال ﷺ : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » [رواه مسلم ، والترمذى] .

الله وتر يحب الوتر ، فأوتروا يا أهل القرآن »[1] .

فكل مسلم يُعدُّ من أهل القرآن لأنه مؤمن به ، ومطالب بالعمل بما فيه .

وقال عليه السلام : « الوتر حق ، فمن لم يوتر فليس منا »[2]

وأكثرُ صلاة الوتر إحدى عشرة ركعة ، وأقلها ركعة واحد ، ولا ينبغى الاقتصار عليها ، ولا بأس بالاقتصار على ثلاث .

ومن أوتر بثلاث كان المستحب له أن يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة : « سبِّح اسم ربك الأعلى » وفى الثانية « قل يا أيها الكافرون » وفى الثالثة « قل هو الله أحد » والمعوِّذتين[3] .

ومن أوتر بأكثر من ثلاث قرأ فيما قبل الثلاث الذى يتيسر من القرآن ، وكلما طال وكثر كان أفضلَ ، وقرأ فى الثلاث ما تقدم ذكره .

والإيتارُ من آخر الليل أفضل لمن كانت له عادة فى القيام بحيث

= وقال ﷺ : « من يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر ، وأربع بعدها ، حرّمه الله على النار » [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب] .

وقال ﷺ : « رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعاً » [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود والترمذى وحسّنه ، وابن خزيمة ، وابن حبان] .

وفى رواية : « من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسَّه النار » [رواه الطبرانى فى « الأوسط »] .

(١) [حديث صحيح أو حسن . رواه أبو داود ، والترمذى ، واللفظ له ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى « صحيحه »] .

(٢) حديث : « الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا ـ ثلاثا ـ » [رواه أحمد ، وأبو داود واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

(٣) قال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : كان رسول الله ﷺ يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات ، يقرأ فى الأولى « سبح اسم ربك الأعلى » وفى الثانية « قل يا أيها الكافرون » وفى الثالثة « قل هو الله أحد » [أخرجه ابن عدى ، و رواه الترمذى ، وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند صحيح] .

لا يفـوته إلا نادراً [١] ، ومن ليس كـذلك فإيتـاره قـبل أن ينام خيـر له وأحوط[٢] ، ومهما أوتر قبل نومه ، ثم استيقظ من الليل وقصد أن يصلى فليصل ما بدا له ، ووتره الأول كافيه .

المحافظة على صلاة الضحى

ومن السنة : المحـافظة على صـلاة الضحى ، وأقلـها ركـعتـان وأكثرها ثمـان ركعات ، وقيل : اثنتـا عشرة[٣] ، وفضلها كبـير ، ووقتها الأفضل : أن تصلَّى عند مضى قريب من ربع النهار ، قال عليه السلام . « *يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ، وكل تسـبيحة صدقة ، وكل تحميدة صـدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صـدقة ، وأمرٌ بالمعروف صدقـة ، ونهيٌ عن المنكر صدقة ، ويجزىء مـن ذلك ركـعتان يركـعهـما من الضحى* »[٤] .

وقال عليـه السلام : « *من حافظ على شـفعة الضحى غـفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زَبَد البحر* »[٥] .

---

(١) وفى الحديث الصحيح : « **اجعلوا آخـر صلاتكم بالليل وترا** » [رواه الشيخان وأبو داود من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) قال ﷺ : « **من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوّله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ،فإن صلاة الليل مشهودة ، وذلك أفضل** » [رواه مسلم] .

(٣) عن أم هانئ ـ رضى الله عنهـا ـ قالت « إن النـبى ﷺ دخل بيتـها يوم فـتح مكة . فاغتسل ، وصلى ثمانى ركعات ، فلم أر صلاة قط أخفّ منها ، غير أنه يتم الركوع والسجود » وقالت فى رواية أخرى : وذلك ضحى . [متفق عليه] .
وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قـال رسول الله ﷺ : « **من صلى الضحى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب فى الجنة** » [رواه الترمذى ، وابن ماجه ، قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه] .

(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم] .

(٥) [رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه] .
وعن معاذ بن أنس الجهنى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قعد فى مصلاه حين ينصـرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعـتى الضحى ، لا يقول إلاّ خيراً ، غفر له خطاياه ، وإن كانت أكثر من زبد البحر** » [رواه أبو داود] .

و « الشفعة » : هى الركعتان.

و « السلامى » : هى المفصل ، وفى كل إنسان ثلثمائة وستون مفصلاً بعدد أيام السنة .

وتسمّى صلاة الضحى وصلاة الأوابين[1]، كالصلاة بين العشاءين

و « الأوّاب » : هو الرجاع إلى الله فى أوقات الغفلة ، وهذا الوقتان - أعنى وقت صلاة الضحى ، وما بين العشاءين - من أوقات الغفلة .

أما الأول فلإكباب الناس فيه على المعايش والمكاسب الدنيوية ، وأما الثانى فلاشتغال الناس فيه بالرجوع إلى المنازل وتناول الأطعمة ، فمن رجع إلى الله واستيقظ لطاعته فى هذه الأوقات كان عنده بمكان .

صلاة التسبيح

ومن المستحب : صلاةُ التسبيح وهى أربع ركعات ، وقد وردت الأخبار بفضلها ، وأن من صلاها غفر الله له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر[2] .

وقال ﷺ لعمه العباس - رضى الله عنه - حين علّمه إياها : *« صلّها فى كل يوم، أوفى كل جمعة، أو فى كل شهر ،أو فى كل سنة، أو فى العمر مرة »* الحديث[3] .

---

(١) قال ﷺ : « لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أوّاب » قال : « وهى صلاة الأوابين » [رواه الطبرانى ، وابن خزيمة ، والدراوردى] .

(٢) يقول المصطفى ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه - : **« يا عباس ، يا عمّاه ، ألا أعطيك ؟ ألا أمنحك ؟ ألا أخبرك ، ألا أفعل بك ؟ عشر خصال إذا فعلت ذلك ، غفر الله لك ذنبك ، أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه ، وعمده ، صغيره وكبيره ، سرّه وعلانيته** .... الحديث . [رواه أبو داود ، وابن ماجه ، و البيهقى فى « الدعوات الكبير » ، ورواه الترمذى عن أبى رافع نحوه] .

(٣) أنظر تخريج الحديث السابق .

قال بعض العلمـاء ـ رحمة الله عليهم ـ: وهذه الصـلاة مجرَّبة لقضاء الحوائج المهمة ، وقال بعضهم : إذا صُليت ليلا كان الذى ينبغى أن تصلى بتحـرمين وتشهُّدين وتسليـمين ـ ركعتين بعد ركـعتين ـ وإن صليت نهاراً فبتحرم واحد وتشهُّد واحد ـ أربع ركعات جملةً واحدة .

ولها كيفيتان :

الأولى : أن تحرم ثم تقرأ دعاء الافتتاح ، ثم تقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خمس عـشرة مرة) ثم تقرأ الفاتحة وسورة بعدها ، ثـم تقولها (عشرا) ثم تـركع فتقولها (عـشرا) ثم ترفع فتقولها (عشرا) ثم تسـجد فتقـولها (عشرا) ثم ترفع من السجود فتقولها (عشـرا) ثم تسجد فتـقولها (عشـرا) ثم تقوم إلى الثانيـة فتقولهـا قبل القراءة (خمس عشرة) وعلى هذا السبيل إلى آخر الصلاة .

الكيفـية الثـانية: مـثل الأولى ، غيـر أنك لا تسبح بين التـحرم والقراءة ، بل بعـدها تسبح (خمس عشـرة) ثم تركع فتقولهـا (عشرا) وعلى ذلك السياق فى الأركان (عشرا ، عشـرا) وتبقّى (عشر) فتقولها بعد الرفع من السـجود الثانى ، إما قـبل القيام وإما بعده وقـبل القراءة ؛ فافهم هذا .

وفى كل ركعـة خمس وسبعون تسـبيحة ، والجـملة ثلاثمائة فى أربع ركعات .

قال العلماء : ويأتى بأذكار الركوع والاعتدال والسجود والجلوس قبل التسبيحات ، ومن نسى التسبيحات أو بعضها فى ركن أتى به فى الذى بعده .

(قلت) : وينبغى للمتنسِّك أن لا يدع هذه الصلاة فى كل أسبوع أو فى كل شهر وذلك أقله . والله أعلم .

إحياء ما بين العشاءين

ومن المسـتحب المتـأكد : إحـيـاء ما بين العـشاءين بصـلاة وهو

الأفضل، أو تلاوة قرآن أو ذكر الله تعالى: من تسبيح أو تهليل أو نحو ذلك

قال النبى عليه السلام : « *من صلى بعد المغرب ست ركعات لا يفصل بينهن بكلام عُدِلْنَ له عبادة اثنتى عشرة سنة* [١] » .

وورد أيضاً « *أن من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعةً بُنى له بيت فى الجنة* »[٢]

وبالجملة - فهذا الوقت من أشرف الأوقات وأفضلها ، فتتأكد عمارته بوظائف الطاعات ، ومجانبة الغفلات والبطالات .

وورد كراهة النوم قبل صلاة العشاء[٣] فاحذر منه ، وهو من عادة اليهود ، وفى الحديث : « *من نام قبل صلاة العشاء الآخرة فلا أنام الله عينيه* »[٤]

التنفل بعد صلاة العشاء

وحافظ على أربع ركعات بعد صلاة العشاء ؛ فإن فيها فضلاً كثيراً لقوله عليه السلام : « *أربع بعد العشاء كمثلهن من ليلة القدر* [٥]»

والركعةُ فى ليلة القدر تعدل ثلاثين ألف ركعة في غيرها من الليالى ، وهذا مفهوم بالحساب من قوله تعالى﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [٦] فتأمله .

ويكره الحديث والكلام بعد صلاة العشاء كراهة شديدة إلا فى خير وصواب ، كمدارسة علم ، أو مذاكرته ، أو النظر فيه ، وما أشبه ذلك من أعمال البر .

---

(١) [رواه ابن ماجه . وابن خزيمة فى « صحيحه » والترمذى ، كلهم من حديث عمر ابن خثعم عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

(٢) [رواه ابن ماجه عن عائشة - رضى الله عنها -] .

(٣) عن أبى برزة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها . [متفق عليه] .

(٤) لم أعثر على من خرجه .

(٥) [رواه الطبرانى فى « الأوسط »] .

(٦) سورة القدر : الآية ٣ .

فضل قيام الليل

وأما قيام الليل ففضله عظيم ، وثوابه جزيل ، والوارد فى فضله من الكتاب والسنة شىء كثير يطول ذكره ، ويعسر حصره ، قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) ﴾[1].

ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [3].

وقال تعالى فى وصف المؤمنين : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [4].

وقال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) ﴾[5] .

وقال ﷺ : « *أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل* » [6].

وقال عليه السلام : « *عليكم بقيام الليل ،فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربةٌ لكم، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الجسد* »[7].

---

(١) سورة المزمّل :الآيات ١ ـ ٤ .
(٢) سورة المزمّل : الآية ٢٠ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٧٩ .
(٤) سورة السجدة : الآية ١٦ .
(٥) سورة الذاريـات الآيتان ١٧, ١٨ .
(٦) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى، وابن خزيمة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٧) [رواه الطبرانى عن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ ورواه الترمذى ، وابن أبى الدنيا ،وابن خزيمة ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط البخارى ، عن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ من غير ذكر « ومطردة للداء عن الجسد »] .

وقال عليه السلام : « *أيها الناس ، أفشـوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِـلُوا الأرحام ، وصَلوا بالليل والناس نيـام ، تدخلوا الجنة بسلام* »[1].

وقال عليه السلام : « *صلِّ من الليل ولو كـحلب شاة* »[2].

وقال عليـه السلام : « *شـرف المؤمن قيـامُ الليل ، وعـزُّه استـغناؤه عن الناس* » [3].

وقال عليه السلام : « *من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين : ومن قـام بمائة آيـة كـتب من القـانتين، ومن قـام بألـف آية كـتب من المقنطِرين* »[4].

وفى الحديث الآخر[5] : « *القنطار اثنتا عشر ألف أوقـية ، الأوقية خير مما بين السماء والأرض*[6] » .

قال الـعلماء : من تبـارك الملك إلى آخر القـرآن ألف آية ، وفى الحديث : « *إن فى الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه* »[7]. وذلك كل ليلة .

ولو لم يرد فى فضل الليل وفضل قيامه سوى هذا الحديث لكفى.

وقال عليه السلام : « *ينزل ربنا إلى سـماء الدنيا حين يبـقى ثلث الليل الآخر فيقول:هل من داع فأستجيبَ له ، هل من سائل فأعطيهَ هل من*

---

(١) [حديث صـحيح . رواه التـرمذى وقال : حـديث حسن صـحيح ، وابن مـاجه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين] .

(٢) نص الحديث : « لابد من صلاة بليل ، ولـو حلب شاة ، وما كـان بعد صلاة العشاء فهو من الليل » [رواه الطبرانى] .

(٣) الحديث كاملاً « جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميّت ، واعمل ما شئت فـإنك مجزى به ، وأحبب من شئت فإنك مـفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعـزه استغناؤه عن الناس » [رواه الطبـرانى فى « الأوسط » عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ وإسناده حسن] .

(٤) [رواه أبو داود ، وابن خزيمة فى « صحيحه »] .

(٥) [رواه ابن حبان فى « صحيحه »] .

(٦) وفى رواية : « والقنطار خير من الدنيا وما فيها » [رواه الطبرانى بإسناد حسن].

(٧) [حديث صحيح . رواه مسلم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ] .

مستغفر فأغفرَ له »(١).

فتـأمل ـ رحـمك الله ـ هذا الحديث والذى قـبله ، وأكثـر النظر فيـهما ، لعله يـنشرح صدرك لقـيام الليل ، ويكمل نشـاطك ، وتصدق رغبتك فـيه ، وينتفى عنك الكسل والغفلة ، والإكثـار من النوم الذى فيه ذهاب بركة العمر ، وضياع الوقت ، وقد ورد فى بعض الآثار : « أن من يكثر النوم بالليل يأتى فقيراً يوم القيامة »(٢) .

وورد : « أن ركعتين فى جوف الليل كنز من كنوز البر »(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام : « أقربُ ما يكون العبد من ربه فى جوف الليل ؛ فإذا استطعت أن تكون مصلياً فى ذلك الوقت فكن» (٤).

وقال عليه السلام : « يحشر الناس فى صعيد واحد فينادى مناد : أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون ـ وهم قليل ـ فيدخلون الجنة بغير حساب ..» الحديث(٥).

(واعلم) أن قيام الليل من أثقل شىء على النفس ولا سيما بعد النوم ، وإنما يصيـر خفيـفا بالاعتـياد والمداومـة ، والصبر على المشـقة ،

(١) [حديث صـحيح . متفـق عليه، وفى رواية لمسلم : « ينزل الله سبحـانه وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول ، فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فـأعطيته ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر » وفى رواية : « إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه » .

(٢) قالت أم سليمان بن داود لسليمان : يـا بنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة . [رواه ابن ماجه ، والبيهقى ، قال الحافظ المنذرى : وفى إسناده احتمال للتحسين] .

(٣) وروى ابن نصر عن حسان بـن عطية مرسلاً : « ركعتان يركعـهما ابن آدم فى جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ، ولولا أشق على أمتى لفرضتهما عليهم » .

(٤) [حديث حسن أو صحيح . رواه الترمذى ، وابن خزيمة عن عمرو بن عنبسة ـ رضى الله عنهما ـ ولفظ الترمذى : « فمن يذكر الله فى تلك الساعة » بدل « مصليا فى تلك الوقت »] .

(٥) [رواه البيهقى عن أسماء بنت يزيد ـ رضى الله عنها ـ] .

والمجـاهدة فى أول الأمر ، ثم بـعد ذلك ينفـتح باب الأنس بالله تعـالى وحـلاوة المناجـاة له ، ولذة الخلوة بـه عز وجـل ، وعند ذلك لا يشـبع الإنسان من القـيام ، فضلا عن أن يسـتثقله ، أو يكسل عنه ، كـما وقع ذلك للصالحين من عـباد الله ، حتى قال قـائلهم : إن كان أهل الجنة فى مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفى عيش طيب .

وقال آخر [١] : منذ أربعين سنة ما غـمّنى - أى أحزننى - شىء إلا طلوع الفجر .

وقال آخر [٢] : أهل اللـيل فى ليـلهم ألذ مـن أهل اللهـــو فى لهوهم .

وقال آخر [٣] : لولا قيـام الليل ، وملاقاة الإخـوان فى الله ، ما أحببت البقاء فى الدنيا .

وأخبـارهم فى ذلك كثـيرة مشـهورة ، وقد صلى خـلائق منهم الفـجر بـوضوء العـشـاء - رضى الله عنهم - ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [٤].

(**فـعليك**) - رحـمك الله - بقيـام الليل ، وبالمحـافظة عليـه ، وبالإستكثار منه ، وكن من **عباد الرحـمن الذين يمشون على الأرض هَوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قـالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجـداً وقياما** ، واتصف ببقية أوصافهم التى وصفهم الله بها فى هذه الآيات إلى آخرها .

وإن عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه

(١) وهو على بن بكار - رضى الله عنه - .
(٢) وهو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطيـة الدارانى الذى يقول : لا ينبغى لفقير أن يزيد فى نظافة ثيابه على نظافة قلبه ، توفى سنة (٢١٥هـ) .
(٣) وهو محمد بن المنكدر الذى يقول : إنى أستحى من الله عز وجل أن أعتقد أن رحمته تعجز عن أحد من المسلمين ، ولو فعل ما فعل ، توفى سنة (١٣٠ هـ) بالمدينة .
(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .

قال الله تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾[١] أى فى القيام من الليل .

وقال عليه السلام : « *عليكم بقيام الليل ولو ركعة* »[٢] .

وما أحسن وأجمل للذى يقـرأ القرآن الكريم بالغيب أن يقرأ كل ليلة فى قيامــه بالليل شيئاً منه ، ويقرؤه عـلى التدريج من أول القرآن إلى آخره ، حتى تكون له فى قـيام الليل ختمة : إمـا فى كل شهر أو فى كل أربعين ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، على حسب النشاط والهمة .

القليل الدائم خير من الكثير المنقطع

(واعلم) أن القليل الدائم خيـر من الكثير المنقطع ، قـال عليه السلام : « *أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل* » [٣] .

وليتخـذ هذا القارىء المذكور ورداً لازماً يواظب عليه ، ويقـضيه إذا فاته ، حتى تعتاد النفس المواظبـة وتتمرن على المداومة ، ولا يفوِّته إلا لعذر .

وقد ورد : « *أن من نام عن حـزبه من الـقـرآن ، أو عن شىء منه فقرأه فيما بين الصبح والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل* » [٤] .

وكان عليــه السلام إذا منعه قيـامه بالليل عذر من مرض أوغـيره يصليه بالنهار[٥] .

ترك الصلاة من أكبر الكبائر

(ثم اعلم) أن من أنكر المنكـرات ، وأكبـر الكبائر ، وأفـحش المحرمات : ترك بعض المسلمين الصلوات المكتوبات، وقد ورد عن رسول الله ﷺ الأحاديثُ الصحيحة الكثيرة بكفر تارك الصلاة .

---

(١) سورة المزمّل : الآية ٢٠ .

(٢) [رواه الطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [حديث صحيح . متفق عليه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ] .

(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [نص الحديث عن عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ قالت : كان رسول الله ﷺ « *إذا فاته الصلاة مـن الليل من وجع أو غـيره ، صلى من الـنهار ثنتى عـشرة ركـعة* » [رواه مسلم] .

وقال عليه الـصلاة والسلام « *العـهد الذى بيننا وبينهم الـصلاةُ ؛ فمن تركها فقد كفر* »[١] .

وقال عليه الـصلاة والسلام « *من ترك الصلاة متعمِّداً فقد كفر جهاراً* »[٢]

وفى الحديث الآخر : « *من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله* »[٣] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً ، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبىّ بن خلف* » [٤].

فـقد وقع التصريح من رسول الله ﷺ بكفر تارك الصلاة ، وكذلك ورد عن الصحابة والسلف الصالح حتى قال بعضهم[٥] : ما

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى و قال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وقال : صحيح] .

(٢) [رواه الطبرانى فى « الأوسط » بإسناد لا بأس به عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [رواه الإمام أحمد ، والبيهقى عن أم أيمن ـ رضى الله عنها ـ ، ورواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى « الكبير » بلفظ : « *من ترك صلاة مكتوبة متعمداً ، فقد برئت منه ذمّة الله* »] .

(٤) [حديث جيد . رواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » وابن حبان عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٥) وهو عبد الله بن شقيق العقيلى ـ رضى الله عنه ـ : كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال ، تركه كفر غير الصلاة [رواه الترمذى] .
هذا وإليكم بعض ما ورد عن بعضهم :
قال على ـ رضى الله عنه ـ : من لم يصل فهو كافر .
وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : من ترك الصلاة فلا دين له .
وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : من ترك الصلاة فقد كفر .
وقال جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ : من لم يصل فهو كافر .

سمعت أصحاب رسـول الله ﷺ يقولون فى شىء من الأعمال : إن تركه كفر إلا الصلاة ؛ فـإياك ثم إياك وتركَ الصلاة ، أو تركَ شىء منها ! فإن فعلت ذلك فقد هلكت مع الهـالكين ، وخسرت الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

وجوب التشديد على الأهل والأولاد فى إقامة الصلاة

وكـما يجب علـيك أن تحافظ على الصـلاة ، ويحـرم عليك أن تضيِّـعها ، كذلك يجب علـيك أن تشدّد على أهلك وأولادك ، وكلّ من لك عليه ولاية فى إقامة الصلاة ، ولا تدع لهم عذراً فى تركها ؛ ومن لم يسمع منهم ويطع فهـدده وعاقبه ، واغضب عليـه أشدَّ الغضب وأعظم ، مما تغضب عليـه إن أتلف مالك ؛ فإن لم تفعل ذلك كنت من المستهينين بحقوق الله وبدينه ؛ ومن عاقبته وغضبت عليه ، ولم يمتثل وينزجر فأبعده عنك ، واطرده منك ، فإنه شـيطان لا خير فيه ولا بركـة ، تحرمُ موالاته ومعاشـرته ، وتجب معاداته ومقاطعتـه ، وهو من المحادِّين لله ورسوله ، قال الله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ** ﴾ الآية[1] .

فنفى الإيمان عن الموادِّين للمحـادِّين له ولرسوله ، وإن كانوا من أقرب الأقربين .

وغاية ما يسمح به للعـامى الغافل المستغرق مهمـا فاته الصلاة :

= وقـال أبو الدرداء ـ رضى الله عنـه ـ : لا إيمان لمن لا صـلاة له ، ولا صـلاة لمن لا وضوء له .
وقال أيوب ـ رضى الله عنه ـ ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه .
قال أبو محمد بن حزم : وقد جاء عن عـمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وأبى هريرة ، وغيرهم من الصـحابة ـ رضى الله عنهم ـ : أن من ترك صلاة فرض واحدةً مـتعمّداً حتى يخرج وقـتها فهـو كافـر مرتدّ ، ولا نعـلـم لهؤلاء من الصحابة مخالفـا . راجع « الترغيب والترهيب » (١ / ٣٧٨ ـ ٣٩٥) .

(١) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

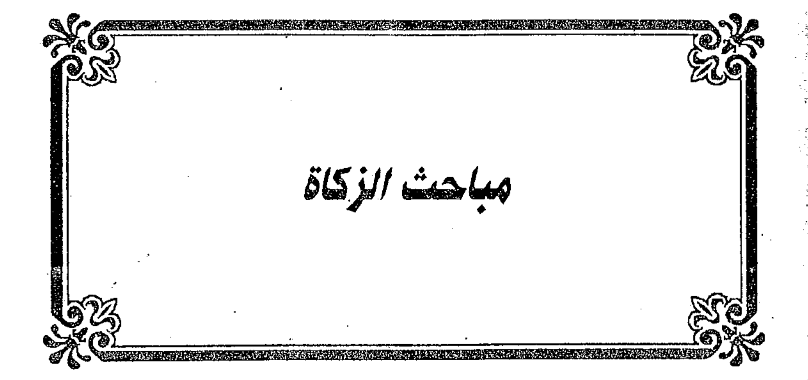
أن يقضيها مع التوبة عن العود إلى مـثل ذلك : فأما الإضاعة فلا ! كيف وعليه فى إخراج الصلاة عن وقتها إثم عظيم ، وإن بادر بقضائها .

وليس بعذرٍ الاشـتغالُ بالدنيـا ، ولا بغيرها ، عن الصـلاة حتى تفوت ، ولا عذر إلاّ النوم أو النسيان فقط .

على الولاة معاقبة تارك الصلاة

وعلى ولاة الأمور أن يحملوا العامـة على فعل الصلاة المكتوبة ، وعليهم أن يعـاقبوا من تركها كـسلاً بالقتل ؛ وذلك بعد الاسـتتابة إن لم يتب .

وعلى الولاة إثم عظيم ، وحـرج إذا سكتـوا عن ذلك مع العلم وقصروا فى القيام به ، ولا رخصـة لهم فى ترك ذلك ، وما يجرى مجراه من أمور الدين ، والحمد لله رب العالمين .



مباحث الزكاة

الزكاة أحد مبانى الإسلام الخمس

(**واعلموا**) ـ معاشر الإخـوان جعلنا الله وإياكم ممن تزكى وذكر اسم ربه فصلى ولم يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة ، التى هى خيرٌ وأبقى ـ أن الزكاة أحد مـبانى الإسلام الخمس ، وقد جـمع الله بينها وبين الصلاة فى كتـابه العزيز فقال عـزَّ من قائل : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[1] .

وقال تعالى فى وصـف عباده المؤمنين : ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾[2] .

وقـال تعـالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات .

وقال رسول الله ﷺ : « ***من كان يؤمن بالله واليـوم الآخر فليُؤدِّ زكاة ماله*** »[4] فأفهم عليه السلام أن من لم يؤدِّ الزكاة فليس بمؤمن .

(**واعلم**) أن من صلى وصام وحج ولم يُزكِّ ماله لم يقبل الله له صلاةً ولا صياماً ولا حجاً ، حتى يُخرج الزكاة ، وذلك لأن هذه الأشياء مرتبط بعضُها ببعض ، لا يقبل الله من عامل بعضها حتى يعمل بها كلها ؛ كما ورد ذلك عن الرسول عليه الصلاة السلام[5] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١٠ .   (٢) سورة الأنفال : الآيتان ٣ ، ٤ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٧١ .

(٤) [رواه الطبرانى فى « الكبير » عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٥) فعن عمارة بن حزم ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربع فرضهن الله فى الإسلام ، فـمن جاء بثلاث لم يغنين عنه شيئاً حتى يـأتى بهن جميعـاً : الصلاة ، والزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت** » [رواه الإمام أحمد ، وفى إسناده ابن لهيعة ، ورواه أيضاً عن نعيم بن زياد الحضرمى مرسلا] .

ما تجب فيه الزكاة وشروطها

(واعلم) أن الزكاة لا تجب إلا فى مال مخصوص :وهو النصاب من الذهب والفضة ، وأموال التجارة ، والحبوب والثمار ، والأنعام .

وكذالك لا تجب إلافى وقت مخصوص : وهو الحول فى النقود والتجارات والأنعام ، وعند الحصاد فى الزرع والثمار .

والواجب قدر مخصوص : وهو ربع العُشر من النقد والتجارة ، والعشر من الحبوب والثمار التى تُسقى بغير مؤونة ، ونصف العُشر فى التى تُسقى بالمؤونة .

وأما الأنعام : وهى الإبل والبقر والغنم فيطول النظر فيها ، وتفصيل ذلك فى كتب الفقه .

فيجب على صاحب المال أن يتعلّم من علوم الزكاة ما يجب عليه علمه : من معرفة النصاب ، والقدر الذى يُخرجه ، والمستحقين الذين يجب صرف الزكاة إليهم ، وما فى معنى ذلك .

فضل الزكاة

وللمزكى فى إخراج الزكاة ثواب عظيم وأجر كريم ، وله فيه منافع وفوائد دينية ودنيوية ، وفى المال بلايا وفتن وآفات يسلم منها المحافظ على إخراج الزكاة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

قال عليه الصلاة والسلام : « ***إذا أديت زكاة مالك، طيبة بها نفسك، فقد أذهبت عنك شره*** »(١) .

وكذلك لا يعرض للمال المزكّى شىء من المتالف والمهالك ؛ لقوله عليه السلام : «***ما هلك مالٌ فى بحر ولا بر إلا بحبس الزكاة*** »(٢) .

وقال عليه السلام : « ***حصِّنوا أموالكم بالزكاة ، وداوُوا مرضاكم بالصدقة*** »(٣) .

---

(١) [رواه البيهقى ، وابن خزيمة ، ورواه الطبرانى ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم بلفظ : « *إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت شره* »] .

(٢) [حديث غريب. رواه الطبرانى فى « الأوسط» عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [رواه أبو داود فى « المراسيل » عن الحسن ـ رضى الله عنه ـ وتتمة الحديث : « واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع » . ورواه الطبرانى ، والبيهقى ، وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً ومرسلاً ، والمرسل أشبه] .

فالمال المزكّى محصَّنٌ ومحفوظ فى حرز الله ؛ لأنه طيّب مبارك . والمال الذى ليس بمزكّى ضائع ، لأنه خبيث وغيرُ مبارك .

قال عليه الصلاة والسلام : « *ما خالطت الزكاة مالاً إلاّ محقته* »[1] وأى خير وأى نفع فى المال المحوق الذى قد مُحق بركته ، وبقى شره وفتنته ، والمحقُ منه ظاهر ، وهو ذهاب صورة المال ، ورجوع الإنسان بعد الاستغناء فقيراً هلوعاً جزوعاً ، متبرِّماً بقضاء الله ، وقد وقع ذلك لخلق كثير من المتساهلين بأمر الزكاة .

ومن المحق : مَحْقٌ باطنٌ ، وهو أن يكون المال فى الصورة موجوداً وكثيراً ، ولكن لا ينتفعه به صاحبه ، لا فى دينه بالانفاق وبذل المعروف ، ولا فى نفسه ومروءته بالستر والصيانة ؛ ومع ذلك يتضرر به تضرراً كثيراً بإمساكه عن حقه ، ووضعه فى غير وجهه : إما بإنفاقه فى المعاصى ـ والعياذ بالله ـ وإما فى الشهوات البهيميَّة التى لا نفع فيها ، ولا حاصل لها .

منع الزكاة من أكبر الكبائر

أما منع الزكاة فهو من أكبر الكبائر ، وقد وردت فيه عن الله ورسوله تشديداتٌ هائلةٌ ، وتهديداتٌ عظيمة ، ويخشى على مانع الزكاة من سوء الخاتمة ، والخروج من الدنيا على غير ملة الإسلام .

وقد يعاقب قبل الموت كما وقع ذلك لقارون من بنى إسرائيل حين منع الزكاة ، قال الله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾[2] .

وقد ورد « *أن المال الذى لا يزكى يتمثل لصاحبه فى موقف القيامة حية عظمية فيطوّق بها عنقه* »[3] قال الله تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا

---

(١) [رواه البزار ، والبيهقى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ] .

(٢) سورة القصص : الآية ٨١ .

(٣) يقول المصطفى ﷺ : « ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوّق به عنقه » قرأ ﷺ مصداق ذلك من كتاب الله : « *ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله .. الآية* » .

بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفِّحت له صفائحُ من نارٍ فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة* » : الحديث بطوله(٢) . وفيه « *أن صاحب الماشية التى لا يخرج زكاته تأتيه يوم القيامة أوفر ما كانت ؛ فتطؤه بأخفافها وأظلافها ، وتعضه بأفواهها وتنطحه بقرونها* » .

آداب المزكى

ومن آداب المزكى التى تتأكد عليه أن يكون طيب النفس بإخراج الزكاة فرحا مسروراً ، مستبشرا ممتنا للمستحق بقبول زكاته منه ، غير مان عليه بها ، فإن المن بالصدقة محبطٌ لثوابها ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾(٣)

ولا ينبغى للمزكى أن يكون كارهاً لإخراج الزكاة ، وليحذر من ذلك فإنه من صفات المنافقين ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾(٤) وأراد بالانفاق ههنا ، إخراج الزكاة ، وعرف سبحانه أن المنافق قد يصلى ولكن مع الكسل ، وقد يزكِّى ولكن مع الكراهية ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم .

ومن آدابه أن يخرج الزكاة من أجود ماله ، وذلك أفضل ، والواجب الإخراج من الوسط ، وأما إخراج الردىء فغير جائز إلا أن يكون المال كله كذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ

[رواه ابن ماجه ، واللفظ له ، والنسائى بإسناد صحيح ، وابن خزيمة] .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ . (٢) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم واللفظ له ، والنسائى مختصراً عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ . (٤) سورة التوبة : الآية ٥٤ .

تُنفِقُونَ ﴾[1] .

ومن الواجب على مُخرج الزكاة أن لا يفرِّقـها على مقتضى هوى نفسه ،بل على موافقة الكتاب والسنة ،ومن التفريق على مقتضى الهوى ، أن يخص بزكـاته أو بشىء منها من المسـتحقين مـن تحصل له منه منفـعة دنيوية ، من خدمة ونحوها ، فـإذا أعطاه لأنه يخدمه ، أو يختلف إليه ، أو يعظّمه كـان بذلك مسيـئاً ؛ وربما لا تقبل منه زكـاته ، وإن كان الذى أعطاه مع ذلك مستحقاً .

فأمـا إذا أعطاه لكونه من أهل الزكـاة فقط ، ولم يبـال مع ذلك أكان ينفعه ويعرفه أم لا فلا يضر ذلك ، وإن كانت له فيه منفعة وبه حاجة - أعنى المسـتحق - نبـهنا على ذلك ، لتـساهل بعض الأغنيـاء فيـه وقلة تمييزهم .

ومن المشكل أن يعطى الغنىُّ الـفقيـر شيـئا من الزكـاة ويريه فى الظاهر أن ذلك صلة لـه ، أو هدية ، أونحـو ذلك ، وكـذلك من يعطى زكـاته لأقاربه المحتـاجين الذين تجب لهم عليـه النفقـة ، مـثل الوالدين والأولاد .

وأما بقية الأقـارب الفقراء الذين لا يجب عليه نفقتـهم فيجوز له إعطاؤهم زكاته ، وهى عليـهم أفضل منها على غيـرهم ؛ لمكان القرابة ، واستشراف نفوسهم إليها منه .

وجوب زكاة الفطر

وأما زكـاة الفطر - فتجب فـى كل شهر رمـضان على كل كبـير وصغير ، وحرّ وعبد من المسلمين القادرين عليها[2] .

ومن وجبت عليه النفقة لأحد وجبت عليه فطرته .

والفطرة أربعة أمداد بمدِّه عليه الصلاة والسلام : من الثمر أو البر

---

(١) سورة البقـرة : الآية ٢٦٧ .   (٢) [كما ورد فى صحيح البـخارى ، ومسلم ، وسنن أبى داود ، والنسائى عن ابن عمر - رضى الله عنهما -] .

أو الذرة أو الشعير ، أو من قوت يقتاته الناس فى حال الاختيار .

والإخراج من النوع الذى يقتاته المخرج ، أو من أحسن منه أحسن وأفضل .

وفى زكاة الفطر تضييق يغفل عنه كثير من عامة المسلمين فيقصِّرون عن الإخراج ،ويرون أنهم غير قادرين عليه وهم من القادرين .

قال العلماء ـ رحمهم الله ـ : يباع من المتاع فى زكاة الفطر مازاد على قوت ليلة العيد ويومها ، وعلى ما لابد منه من الكسوة والمسكن ونحوهما ، وفى ذلك نهاية التضييق ، وبه جاءت الشريعة ، فليحذر المسلم من ترك الإخراج مع الاستطاعة .

حكم طلب الحاكم حمل الزكاة إليه

(ثم اعلم) أنه متى طلب السلطان العادل أن تحمل الزكاة إليه وجب ذلك ، وبرئت ذمة المزكى بدفعها إليه ، وكانت العهدة على السطان فى التفريق ، وكذلك إذا طلبها السلطان الذى ليس بعادل ؛ وذلك لخوف الفتنة وافتراق الكلمة .

ثم إن فرّق الزكاة على الذين كتبها الله لهم ـ وهم الموجودون من الأصناف الثمانية ـ أثابه الله ثوابا عظيما ، وأثاب أهل الزكاة كذلك .

وإن فرّقها على غير من أمر الله بتفريق الزكاة عليهم فى كتابه وهم المذكورون فى قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾[1] إلى آخر الآية ـ فقد أثم إثما عظيما ، وظلم ظلماً فاحشا ، وصار ظالما للأغنياء بوضعه زكاتهم فى غير موضعها ، وظالما للفقراء بمنعه إياهم حقوقهم التى كتبها الله لهم فى أموال الأغنياء من عباده ، وإنما فرض الله الزكاة لتكون طهرة للغنيِّ ، وقواما للفقير ، وبلاغا له ، فمن عمل فيها على خلاف ذلك فقد احتمل بهتانا وإثما عظيما .

وإذا أخذ الزكاة السلطان الظالم ووضعها فى غير موضعها ، وسمحت نفس المزكّى بتفريق زكاة ثانية على المستحقين كان أحوط له وأفضل ؛ وليس ذلك بواجب .

وإذْ أمكن المزكِّى أن يمنع زكاته أو شيئا منها عن أخذ السلطان

(١) سورة التوبة ٦٠ .

الظالم لهـا جار ذلك ؛ ولكن بشـرط أن لا تترتب على المنع فـتنةٌ ، ولا معصيةٌ لله : من كذب صريح ، أو يمين فاجرة ، أو نحو ذلك ، ويكون نيته فى المنع تخليص السلطان من الإثم الذى يكون عليه فى وضع الزكاة فى غير موضعها ، وإعانة الفقراء على إقامة دينهم بإعطائهم ما فرض الله لهم عليه فى ماله . وبالله التوفيق.

فضل صدقة التطوع

وأما صـدقة التطـوع والانفـاق فى وجـوه البر والخـير ابتـــغاء مرضاة الله وثوابه ، فقد ورد فى فضل ذلك من الآيات والأخبار ما يطول ذكره ، قـال الله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

وقـال تعـــالى : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[٤] فاستشـعر فى نفسك هذا الاجرَ الذى سمَّـاه الله كبيراً وكريماً ،أيّ أجـر هو ، وكذلك المضاعـفة التى لم يحصـرها الله بعدد فى قوله : ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ وفى الآية الأخرى ﴿ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[٥] .

فأطلق الكثير ولم يجعلهـا إلى حد ، فأى ترغيب من الله الجواد الكريم يزيد على هذا الترغيب : فأُفٍّ لمن لا يعقل عن الله ، ولا يفهم فى آياته حـتى غلب عليه البـخل بماله ، واسـتولى عليـه الشح بما عنده من

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٢ . (٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٤ .
(٣) سورة الحديد: الآية ٧ . (٤) سورة الحديد: الآية ١١ . (٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٥ .

فضل الله ، حتى ربما ينتهى به ذلك إلى منع الحقوق الواجبة، فضلاً عن التطوع بالصدقات، فلو كان هذا فقيرا لا يملك قليلاً ولا كثيراً كان ذلك أجملَ وأحسنَ له .

وقال عليه الصلاة والسلام فى فضل التصدق والإنفاق عن الله تعالى : « *ابنَ آدمَ أنفقْ أُنْفقْ عليك*[١] » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ما طلعت الشمس إلا وعلى جَنبيْها ملكان يقول أحدهما : اللّهم أعْطِ منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط مُمْسكاً تلفًا* »[٢].

(قلتَ) : ودعاء الملائكة مستجاب ..

ومن أمسك فلم يتلف ماله التلف الظاهر فهو تالف بالحقيقة؛ لقلة انتفاعه به فى آخرته ودنياه، وذلك أعظم من التلف الذى هو ذهاب المال .

وقال عليه السلام : « *من تصدّق بعدْل تمر من كَسْب طيب ـ ولا يقبل الله إلا طيِّبا ـ فإن الله يأخذها بيمينه فيربِّيهَا له ، كما يُربِّى أحدكم فلُوه حتى تكون مثل الجبل* »[٣] وكذلك ورد فى كسرة [٤] واللقمة من الخبز الطيب[٥] وهو الحلال ، ولا يقبل الله غيره .

وقال عليه السلام : « *يا ابن آدم ، إنك إن تَبذُل الفضل خيرٌ لك وإن تمسكه شرٌّ لك ، ولاتلام على كفاف ، وأبدأ بمن تعول ، واليد*

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحيح . متفق عليه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، وأصحاب السنن إلا أبا داود ، وابن خزيمة فى « صحيحه » عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) فعن أبى برزة الأسلمى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد ليتصدق بالكسرة تربو عند الله عز وجلّ حتى تكون مثل أحد** » [رواه الطبرانى فى « الكبير »] .

(٥) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله عز وجل ليدخل باللقمة ـ الخبز ـ وقبضة التمر ، ومثله مما ينتفع به المسكين ثلاثة الجنة : رب البيت الآمر به ، والزوجة تصلحه ، والخادم الذى يناول المسكين** » فقال رسول الله ﷺ : « **الحمد لله الذى لم ينس خدمنا** » [رواه الحاكم ، والطبرانى فى « الأوسط » واللفظ له] .

العليا خير من اليد السفلى » [1].

(قلت) : أراد عليه السلام ببذل الفضل : الفضلَ من المال ، وبالكفاف : قدرَ الحاجه من المال ، وبمن تعول : الذين تجب عليك نفقتهم، لا يجوز لك أن تضيعهم ولاتنفق عليهم ، وتتصدّق على الغير وهم محتاجون ، وباليد العليا : يد المعطى ، وذكر خيريّتها على يد الآخذ ترغيباً منه عليه السلام فى الاستغناء عن الناس ، والتصون عن مسألتهم ، والحاجة إليهم حسب الاستطاعة .

وأما إذا مسّت الضرورة فللآخذ ثوابٌ كالمعطى؛ قال عليه السلام: *« ما الذى يأخذ عن حاجة بأقلّ ثوابا من الذى يعطى من سَعة »* [2].

وقال عليه السلام : *« اتقوا النارَ ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة »*[3].

وقال عليه الصلاة والسلام : *« الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار* [4]» .

وقال عليه السلام : « ***يحشر الناس يوم القيامة أعْرَى ما كانوا قطّ ، وأجوع ما كانوا قطّ، وأعطش ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله ، ومن أطعم لله أطعمه الله؛ ومن سقى لله سقاه الله*** » الحديث [5] .

وأراد بقوله « لله » أن يفعل ذلك مخلصًا لوجه الله ، من غير

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والترمذى ، والبيهقى ، وغيرهم عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) نص الحديث عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما الذى يعطى بسعة بأعظم أجراً من الذى يقبل إذا كان محتاجاً** » [رواه الطبراني فى « الأوسط » وابن حبان فى « الضعفاء »] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان عن عدى ـ رضى الله عنه .] .

(٤) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، والطبرانى . وابن حبان ، وغيرهم] .

(٥) [رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « اصطناع المعروف » موقوفا على ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال الحافظ المنذرى : وروى مرفوعاً بهذا اللفظ] .

رياء ولا تصنُّع للناس ، ولا طلب محمدة منهم .

وقال عليه السلام : « *من أطعم أخاه حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه ، باعده الله من النار سبعة خنادق ، ما بين كل خندقين خمسمائة عام* »(١).

وقد ورد فى فضل إطعام الطعام ، وسقى الماء ، أخبار كثيرة ، فعليك بهما واجتهد فى ذلك ولا تعجز .

القليل عند الله كثير الثواب

(واعلم) أن القليل عند الله كثير ، وكل معروف صدقة ، ولا تستحقر شيئاً تفعله من الخير استحقاراً يمنعك من فعله ؛ قال عليه السلام « *لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلْق ، وتصدَّق كل يوم بشىء وإن قلّ ، واجعله من أول النهار ؛ فإن البلاء لا يتخطَّى الصدقة* » أو كما ورد (٢).

ومعناه : أن الصدقة تكون حاجزا بينك وبين ما يقصدك من البلايا .

التحذير من نهر السائل

وإذا وقف السائل عليك فلا تردَّه خائباً ولو بشىء يسير ، فإن لم تفعل أو لم تستطع فإيَّاك أن تَنهرَه أو تشتمه ، واصرفه عنك برفق ووجه طلْق ، فإن الإنسان قد يَنهر السائل نَهْرة لو أعطاه معها نصفَ ماله مثلاً كانت تلك النَّهرة أرجحَ منه ، وربما لا يساوى ثواب ما أعطاه إثم ذلك الانتهار ، ولا ترد أوّل سائل يسألك ، واحذر من ذلك .

---

(١) [رواه الطبرانى فى « الكبير » وأبو الشيخ ابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى عن عبد الله ابن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال الحاكم : صحيح الإسناد] .

(٢) ما ذكره مكوّن من عدة أحاديث (١) « **لا تحقرن من المعروف شيئاً** ... » [رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، والبيهقى ، وابن حبان] (٢) « **وتصدق كل يوم بشئ وإن قلّ** » [لم أعثر على من خرّجه] . (٣) « واجعله من أول النهار .. » نص الحديث : « **باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة** » [رواه البيهقى ، والطبرانى] .

البدء بالأقارب فى الصدقات

وإذا تصدقت فابدأ بأقاربك وأرحامك الفقراء ، وجيرانك المحتاجين ،فإنهم أولى به من غيرهم، والثوابُ فى الصدقة عليهم أكثرُ وأعظم ، قال النبى ﷺ : « *الصدقة على الأقارب صدقة وصلة* »[١].

وقال عليه السلام : « *المتعدى فى الصدقة كمانعها* » [٢].

ومن التعدى : أن تعطى صدقاتك للأجانب والأباعد ، وأنت تعلم أن أقاربك وجيرانك أحوجُ إليها.

فضل الإسرار بالصدقة

(وعليك) بصدقة السرِّ ؛ فقد ورد أن ثوابها يضاعف على ثواب الصَّدقة الظاهرة سبعين ضعفاً [٣].

وقال عليه السلام : « صدقة السر تطفىء غضب الرب »[٤] وأىّ شىء أعظم من غضبه سبحانه وتعالى ؛ وما أطفأته صدقةُ السر إلا لعظمها عنده سبحانه وتعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٥].

وإنما فُضّلت صدقة السر لأنها أقرب إلى الإخلاص الذى هو روح الأعمال ، ولأنها أبعد من الرياء المفسد للأعمال ؛ فإياك والرياء فى صدقتك ، أو فى شىء من أعمالك ، وإياك والمنَّ بالصدقة على الفقراء !

---

(١) نص الحديث كاملا : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذوى الرحم ثنتان : صدقة وصلة » [رواه النسائى ، والترمذى وحسنه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى « صحيحيهما » والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ولفظ ابن خزيمة قال: « الصدقة على المسكين صدقة،وعلى القريب صدقتان صدقة وصلة » .

(٢) [رواه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة عن أنس ـ رضى الله عنه ـ ، قال الترمذى : حديث غريب] .

(٣) ليس هذا خاصاً بالصدقة ، بل هو عام فى سائر الأعمال ، ففى « الشعب » للبيهقى من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا » . والله أعلم .

(٤) [رواه الطبرانى فى « الصغير »عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ وله شواهد ، قال السيوطى : حديث صحيح] .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٧١ .

فقد ورد فيه وعيد شديد .

عدم المطالبة بالجزاء على الصدقة

ولا تطلب ممن تتصدّق عليه مكافأةً على الصدقة بنفع منه لك ، أو خدمة ، أو تعظيم ؛ فإن طلبت شيئاً من ذلك على صدقتك كان هو حظَّك ونصيبَك منها ، وقد كان السلف الصالح يكافئون الفقير على دعائه لهم عند التصدُّق عليه بمثل دعائه ؛ مخافة نقصان الثواب ، وذلك غاية الاحتياط .

وكذلك لاتطلب من الفقير شكراً ولا مدحاً ، ولا أن تذكر للناس الذى أعطيتَه فينقص بذلك أجرك ، أو يذهب رأسا .

ولا تترك الصدقة مخافةَ الفقر أو نقصان المال ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « *ما نقص مال من صدقة* »[1] .

والتصدّق هو الذى يجلب الغنى والسَّعة ، ويدفع العيلة ، وتركُ التصدق على الضد من ذلك : يجلب الفقر ، ويذهب الغنى ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[2] .

(واعلم) أن التصدق بالقليل من المُقلّ أفضلُ عند الله من التصدق بالكثير من المكثر ؛قال عليه الصلاة والسلام : « *سَبق درهم ألفَ درهم ، قيل له: وكيف ذلك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : رجل لا يملك إلا درهمين تصدّق بأحدهما ، ورجل تصدق من عَرض ماله بألف درهم فسبق الدرهم الألف* »[3] . أو كما قال عليه السلام .

فصار الدرهم الواحد من المُقل أفضل من الألف من المكثر ، وهو

(١) [رواه الطبرانى فى « الصغير » وابن عساكر، ورواه مسلم، وغيره بلفظ : « ما نقصت صدقة من مال »] .

(٢) سورة سبأ : الآية ٣٩ .

(٣) [حديث صحيح . رواه النسائى ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - لكن بدل « ألف درهم » « مائة ألف درهم »] .

صاحب المال الكثير .

حرمة تعيير الفقراء بالفقر

ومن المذموم المحظور ـ تعيير الفقراء بفقرهم ، واستحقارُهم لأجله ـ وهو شعار الأنبياء، وحليةُ الأصفياء ـ والتكبرُ عليهم ، والاستهانةُ بهم ، والاستخفافُ بحقهم ، وتقديمُ الأغنياء لأجل الدنيا عليهم، فكل ذلك من الجرائم المحظورة فاحذر منه .

وعظِّم الناس على قدر تعظيمهم لله ورسوله ، وإقامتهم لدينه ، ومعرفتهم بحقه ، إن كانوا مع ذلك فقراء أو أغنياء .

نعم ، للفقراء عند الاستواء مع الأغنياء فى الديانة زيادةٌ لفقرهم، وانكسار قلوبهم ، وقلّة احتفال أكثر الناس بهم ، بخلاف الأغنياء ؛ فإن نفوس الغافلين ـ وهم أكثر الناس ـ من شأنها تعظيم الأغنياء لعظمة الدنيا التى بأيديهم فى نفوس أهل الغفلة .

الحث على التصدق بالمحبوب

وعليك بالتصدق والإنفاق مما تحب لتنال البر ، قال الله تعالى :

﴿لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون ﴾ (١)

قال المفسرون : البر ههنا :هو الجنة ، وعليك بالإيثار على نفسك ، ومعنى الإيثار : أن يكون عندك شيء من الدنيا وتكون محتاجاً إليه ، فتؤثر به على نفسك مُحتاجاً من إخوانك المؤمنين ، فتكون بذلك من المفلحين ، والمفلحون : هم الفائزون ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

واستبشر بالسائل إذا وقف على بابك ، فإنه هدية الله إليك ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٩٢ . (٢) سورة الحشر : الآية ٩ .

وله حق وإن جاء على فرَس كما ورد [(١)].

وأقل ذلك الردُّ بالجميل ، وباشر إعطاءَ السائل بنفسك ولو فى بعض الأوقات ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يناول السائل بيده الكريمة ، وذلك لأن الله تعالى يأخذ الصدقات بيده المقدسة من يد المتصدّق ، فتقع فى يده سبحانه قبل أن تقع فى يد السائل كماجاء فى الخبر [(٢)]، وكما قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[(٣)].

ماينبغى أن يكون عليه الفقير

(وينبغى) لمن كان فقيرا أن يصبر على فقره، ويقنع بما قسم الله له ، ويرضى عن الله فيما قضى له به من الفقر ، وليحذر أن يكون جزوعا هلوعا ، متسخطا .

قال عليه الصلاة والسلام : « ***يا معاشر الفقراء ، اعطُوا الله من قلوبكم الرضا تظفروا بثواب فقركم*** » وإلا فلا [(٤)].

وقال عليه الصلاة والسلام: « ***الفقراء الصبّر جلساء الله يوم القيامة*** » [(٥)].

وقال عليه السلام : « ***كاد الفقر أن يكون كفراً*** »[(٦)].

---

(١) [رواه أبو داود] .

(٢) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ: « *إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل* » [أخرجه الدارقطنى ، والبيهقى فى « الشعب »] .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٤ .

(٤) [ضعيف جداً . رواه أبو منصور الديلمى فى « مسند الفردوس » من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه] . « المغنى » (١٩٩/٤)] .

(٥) [لفظ الحديث : « *إن لكل شئ مفتاحاً ، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم ،هم جلساء الله تعالى يوم القيامة* » [رواه الدارقطني فى « غرائب مالك » وأبو بكر ابن لال فى « مكارم الأخلاق » وابن عدى فى « الكامل » وابن حبان فى « الضعفاء » من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] « المغنى » (١٩٩/٤) .

(٦) [رواه أبو نعيم فى « الحلية » وابن السكن فى « مصنفه » والبيهقى فى « الشعب » وابن عدى فى « الكامل » وأحمد بن منيع عن الحسن]. « الكشف » (١٤١/٢) .

قلت : هذا إذا كـان الفقيـر متسـخِّطًا لقضـاء ربه ، وغيـر قانع بقسمته ، وربما يقع مع ذلك فى بلِيَّة الاعتراض على الله تعالى فى تفضيله بعضَ عـباده على بعض فى الرزق ، ومن مـثل هذا يخشى عـلى الفقـير الذى لا صبر له ، ولا معرفة بالله عنده .

وكذلك ينبغى للفقير أن يكون شـاكراً لله ، ولمن أسدى إليه معروفا من عباد الله ، قال علـيه الصلاة والسلام : « *لا يشكر الله مـن لا يشكر الناس* »(١) .

ويكون أيضا مُثنياً على أهل المعروف ، وداعـيا لهم بالخير ، قال عليه السلام : « *من قال لمن أسدى إليه معروفا : جزاك الله خيـراً فقد أبلغ فى الثناء* »(٢) .

وينبغى للفقـير أن لا يذمَّ ويغتاب من لم يعطه شيـئاً ، فإن ذلك مذموم جداً ، والمعطى والمانع بالحقيقة إنما هوالله تعالى ، والخلق مسخَّرون تحت مشيئته ، يصرّفهم كيف شاء .

وليحذر الفـقير من كثرة التشـوُّف إلى الناس والتعلق بهم ، فإن الطمع فقر حاضر ، والمتشوِّف والمتعلّق بغير الله خائب وخاسر .

وليكن متعفِّفًا ومسـتغنيا بالله ، قال عليه السلام : « *من يستعفَّ يُعفَّه الله ، ومن يستغن يُغنه الله* »(٣) فوعدَه عليه السلام بالعفاف والغنى إذا تعفَّف واستغنى ، ووعدُ الله ورسولِه حقٌّ لا شك فيه .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد عن الأشعث بن قيس ـ رضى الله عنه ـ ورواه الطبرانى من حديث أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث حسن غـريب . رواه الترمذى ، والطبرانى عن أسـامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) الحديث كاملاً : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول،وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ،ومن يستغن يغنيه الله » [متفق عليه من حديث حكيم بن حزام ـ رضى الله عنه ـ]

وليحذر الفـقير من قوله : أعطانى فـلان كذا وهو كاذب ، يريد بذلك التلبيس على السامع لعلّهُ يعطيه ، ومن قوله : لم يعطنى فلان شيئا إذا سُئل وقد أعطاه ، مخافة أن لا يعطيَه الآخر .

وليحذر من كتمـانه ما أعطاه الله من فضله ، ومن كثرة الشكوى إلى الناس ، ومن إظهـار حاجـته إلى كل أحـد ، وقد يفـعل ذلك بعض الفقراء ويتوهم أن من سمع ذلك منـه أعطاه ، وربما فعل ذلك كاذباً فيأثم على الكذب ، وعلى أخذه ما يعطاه على التلبيس .

وهذه الأشياء وما فى معناها قد يبتـلى كثير بها من الفقراء الذين يَقل علمهم ، ويكثر فى الناس طمعهم .

ذم السؤال إلا عند الحاجة الشديدة

وأما المسألة للناس ـ فهى مذمومة جدا إلا عند الحاجة الشديدة ، وهى ـ أعنى المسألة ـ من الفواحش ، ولم يحل من الفـواحش غيرُها كما ورد .

وقد قال ﷺ : « *لا تزال المسألة بأحـدكم حتى يلقى الله وليس وجهه مزعة لحم* »[1] .

وقـال عليه السـلام : « *لا تحل المسـألة لـغنى ولا لذى مـرّة سَوى* »[2] . والمِرّة هى القوة،ومعنى الحديث أن مـن كان غنيا عن المسألَة : بمال ، أو قريب ينفق عليه ، . أو كان قوياً يقدر على الكسب والحرفة ثم يسأل ، فإنه يأثم ، وتحرم عليه المسألة .

وأما الذى يُعطيه فـلا يأثم بل يؤجر على العطاء ، ولا يأثم أحد على العطاء حتى يُعطى من يعلم أنه يستعين بما يُعطاه على معاصى الله .

(فاعلم) ذلك واحذر ـ رحـمك الله ـ وحذِّر إخوانك المسلمين من مسألة الناس عند الغنى عنها، وفقد الحاجة الشديدة إليها .

---

(١) [حديث صـحيح . رواه البخـارى ، ومسلم ، والنسائى عن ابن عـمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) [رواه الترمذى عن حبشى بن جنادة ـ رضى الله عنه ـ] .

قال عليه الصلاة والسلام : « ***لو تعلمون ما فى المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله*** »[(١)] .

وقال عليه السلام : « ***مسألة الغنى نار ، إن قـليلاً فقليل ، وإن كثيراً فكثير*** » [(٢)].

(**قلت**) وليس المراد ههنا بالغنىٍّ من له مال كثير ، بل المراد ههنا هو الغنى عن المسـألة بكسـب أو بشىء يكفـيه فـى وقتـه وإن قل ، فـإن اضطررت إلى المسألة فـاسأل ولا تُلْحف ولا تُلح ، وليكن قلبك متـعلقا بالله ، وسائلا منه ، وإذا أعطيت ما يكَفيك فى الحال الحاضر فأمسك عن المسألة ، واشكر من أحـسن إليك ، واعذر من لم يعطك شيـئـا ، فإنه لا رزق لك عنده ، ولو كـان ، لم يقـدر على حـبسـه عنك ، ولا تسـأل الإنسان وهو بين الناس على قصد أن يُعطيك حياءً منهم ، فإن فعلت ذلك وأعطاك من الحياء ، ولو سألته ـ وهو وحده ـ لم يعطك شـيئا ، فقد قال الإمام الغزالى ـ رحـمه الله ـ ما يؤخذ بالحيـاء على هذا الوجه ، لا يحل للآخذ فى الباطن ، وإن حل له فى الظاهر . (انتهى بمعناه) .

وأما إذا أعطيت شيئا من الدنيا من غير مسألة ولا استشراف نفس فخـذه ولا تردّه ، خصـوصاً إذا كنت مـحتـاجا إليـه ، ولك أن تردّه إذا علمت أن فى الرد صلاحاً لدينك أو قلبك .

فأما إذا رددت لأجل الجاه وانتشار الصيت ، وأن يقال : إن فلانا لا يقبل الـدنيا ، فقـد وقعت فى الحـرج ، فاحذر من ذلـك ، ولا تقبل الحرام ، ولا ما فيه شبهةٌ ظاهرة ، وإن جاءك بدون مسألة .

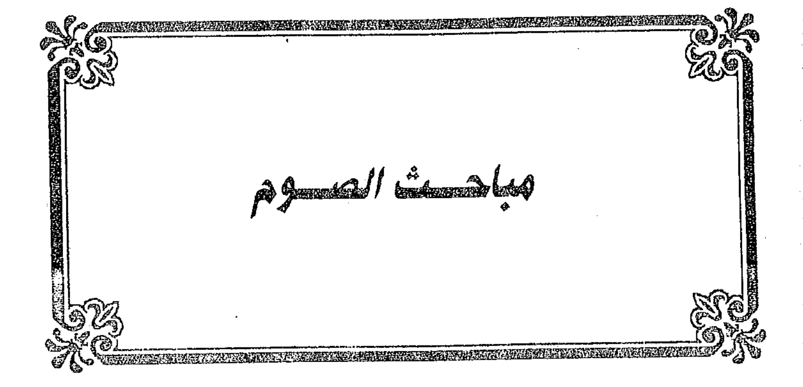
فـاعلم هذه الجملة راشـداً وبالله التـوفيق ، وهـــو حـسـبنا ونعم الوكيل .

❋ ❋ ❋

(١) [رواه النسائى عن عائذ بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [وفى رواية « مـسئلة الغنى شين » رواه الإمـام أحـمد بإسناد جـيد ، والطبـرانى ، والبزار عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ .

وعن أبى هريرة ـ رضي الله عنـه ـ قال : قـال رسـول الله ﷺ : « ***من سأل الناس أموالهم تكثراً ، فإنما يسأل جمراً ، فليستقل أو ليستكثر*** » [رواه مسلم] .



مباحث الصوم

مكانة شهر رمضان

(واعلموا معاشر الإخوان) ـ يسَّرنا الله وإياكم لليسرى ، وجنَّبنا العسرى ، وغفر لنا فى الآخرة والأولى ـ أن شهر رمضان شهرٌ ، عظيم القدر والمنزلة عند الله وعند رسوله ، وهو سيد الشهور ، فرض الله صيامه على المسلمين ، وكتبه عليهم ، فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]. اهـ أعنى شهر رمضان ـ أنزل الله كتابَه ، وجعل من لياليه ليلةَ القدر التى هى خير من ألف شهر ، والألف شُهر أكثر من ثلاث وثمانين سنة ، فتأمل حساب ذلك ، وتفكر فى نفسك أىّ ليلة هذه الليلة ! التى صارت عند الله خيراً وأفضل من هذه المدة الطويلة .

وقال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[2].

ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وما أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② ﴾. السورة إلى آخرها[3].

فعرفنا سبحانه أنه أنزل القرآن فى رمضان ، ثم إنه أنزله فى ليلة القدر منه على الخصوص ،وهذا الإنزال من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ،نزل القرآن جملة واحدة من اللوح إلى بيت العزة ، ونزل به جبريل بأمر الله على رسوله ـ عليهما السلام ـ مفرقا فى نحو ثلاث وعشرين سنة،وهى مدة الوحى إلى رسول الله ﷺ إذ أوحى الله إليه ـ وهو ابن أربعين سنة ـ وقبض عليه الصلاة والسلام عن ثلاث وستين سنة، كذلك قال العلماء المحققون من السلف والخلف.

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ . (٣) سورة القدر : الآيات ١ ـ ٥ .

فضائل شهر رمضان

و فى فضل شهر رمضان قال رسول الله ﷺ : « *رمضان إلى رمضان ، والجمعة إلى الجمعة ، والصلاة إلى الصلاة ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر* »(١) .

وقال عليه السلام فى شهر رمضان : « *هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة .* » (٢) .

وقال فيه : « *أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار* »(٣) . « *وأن الله تعالى ينظر فى أول ليلة منه إلى المسلمين ، ومن نظر إليه لم يعذبه، ويغفر لهم فى آخر ليلة منه* » (٤).

وقال جبريل لرسول الله عليهما السلام : « *من أدرك رمضان فلم يغفر له أبعده الله قل: آمين ، فقال رسول الله ﷺ آمين* » الحديث (٥)

(قلت) : وذلك لتيسر أسباب المغفرة فى رمضان أكثر منها فى

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، والبيهقى . وغيرهم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) هذا جزء من الحديث الطويل الذى رواه ابن خزيمة فى « صحيحه » والبيهقى عن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) أنظر تخريج الحديث السابق

(٤) الحديث كاملاً : عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إلى خلقه ، وإذا نظر الله إلى عبد لم يعذّبه أبداً ، ولله فى كل يوم ألف ألف عتيق من النار ، فإذا كان ليلة تسع وعشرين أعتق الله فيها مثل جميع ما أعتق في الشهر كله ، فإذا كانت ليلة الفطر ارتجت الملائكة ، وتجلّى الجبار تعالى بنوره ، مع أنه لا يصفه الواصفون ، فيقول الملائكة وهم فى عيدهم من الغد : يا معشر الملائكة يوحى إليهم ما جزاء الأجير إذا وفى عمله ؟ تقول الملائكة : يوفى أجره ، فيقول الله تعالى : أشهدكم أنى قد غفرت لهم ؟ [رواه الأصبهانى] .

(٥) تتمة الحديث : « *ومن أدرك والديه أو أحدهما ، فدخل النار فأبعده الله فقلت : آمين ـ فقال : ومن ذكرت عنده فلم يصلّ عليك فأبعده الله ، قل : آمين ، قلت : آمين* » [رواه ابن حبان ، والطبرانى ، ورواه الحاكم ، والبيهقى بمعناه ، قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى] .

غيره من الشهور ؛ فليس يحرم المغفرة فيه إلا من تفاحش إعراضه عن الله وعظمت جراءته على الله ، فاستوجب البعد والطرد عن باب الله .

نسأل الله العافية من سخطه وعذابه وجميع بلائه .

وقد ورد « *أن أبواب السماء وأبواب الجنة تفتح كلها في رمضان، وتغلق أبواب النيران ، وتقيد مردة الشياطين ، ويذهب بهم إلى البحار كي لا يفسدوا على المسلمين صيامهم وقيامهم* » (١) ، « *وينادى مناد كل ليلة من رمضان : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر* » (٢) .

وورد أيضاً: « *أن من تقرب إلى الله في رمضان بفريضة عَدلت له سبعين فريضةً في غيره ، ومن تقرَّب فيه بنافلة عدَلت له فريضة يؤديها في غيره* » (٣) .

فنوافل رمضان بمنزلة الفرائض في غيره من الشهور؛ من حيث الثواب، وفرائضُه مضاعفةٌ على الفرائض في غيره إلى سبعين ضعفاً .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه* » (٤) .

---

(١) الحديث بهذا المعنى رواه الشيخ ابن حبان في « كتاب الثواب » والبيهقي ، وليس في إسناده من أجمع على ضعفه ، وروى البخاري ، ومسلم عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتِّحت أبواب الجنة ، وغلّقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » وفي رواية لمسلم : « ... *وغلّقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين* » .

(٢) نص الحديث كاملاً : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفّدت الشياطين ، ومردة الجن ، وغلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ، و يا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة** » [رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة في « صحيحه » و البيهقى ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما] .

(٣) [رواه ابن خزيمة في « صحيحه » والبيهقى من حديث سلمان الفارسى الطويل] .

(٤) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى، وابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(قلت) : والإيمان : هو التصديق بوعد الله ، والاحتساب : هو الإخلاص لله[1] . والله أعلم .

آداب الصيام

وللصائم آداب لا يكمل صيامه إلا بها ، فمن أهمها : أن يحفظ لسانه عن الكذب والغيبة ، وعن الخوض فيما لا يعنيه ، ويحفظ عينه وأذنه عن الاستماع والنظر إلى ما لا يحل له ، وإلى مايُعد فضولا فى حقه .

وكذلك يحفظ بطنه عن تناول الحرام والشبهة ، وخصوصاً عند الإفطار يجتهد جداً أن لا يفطر إلا على الحلال .

قال بعض السلف: إذا صُمت فانظر على أىّ شىء تُفطر ، وعند مَن تفطر ؟ إشارة إلى الحث على التحرى والاحتياطِ فيما يُفطر عليه .

وكذلك يحفظ الصائم جميع جوارحه عن ملابسة الآثام ،ثم عن الفضول ؛ فبذلك يتم صومه ويزكو ؛ وكم من صائم يتعب نفسه بالجوع والعطش ، ويرسل جوارحه فى المعاصى، فيفسُد بذلك صومه ، ويضيع بذلك تعبه ؛ كما قال عليه السلام : « *كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش* »[2].

وترك المعاصى واجب على الدوام على الصائم وعلى المفطر؛ غير أن الصائم أولى بالتحفظ ، وهو عليه أوجب وآكد ؛ فافهم .

قال عليه السلام : « *الصوم جُنَّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرفث ولا يَفْسُق ولا يجهل ؛ فإن امرؤٌ شاتمه أو قاتله فليقل إنى صائم ..* » الحديث[3].

(١) قال الخطابى : قوله « احتسابا » أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتسب الأخبار ، ويتحسبها : أى يتطلبها .

(٢) [أخرجه النسائى ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الشيخان من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ]

ومن آداب الصائم ـ أن لا يـكثر النوم بالنهـار ، ولا يكثر الأكل بالليل ، وليقتصد فى ذلك حتى يجد مسّ الجوع والعطش ؛ فتتهذّب نفسه وتضعفَ شهوته ، ويستنير قلبه ، وذلك سر الصوم ومقصوده .

وليجانب الصائم الرَّفاهيـة والاكثارَ من تناول الشهوات واللذات كمـا ذكرناه ، وأقلّ ذلك أن تكون عـادته من الترفُّـه واحدةً فى رمـضان وغيره ، وهذا أقل ما ينبغى ، وإلا فللرياضة ، ومجانبة شهوات النفس أثر كبير فى تنوير القلب ، وتُطلب بالخصوص فى رمضان .

وأمـا الذين يجـعلون لهم فى رمـضـان عـادات من الترفُّـهـات والشهوات التى لا يـعتادونها فى غيـر رمضان ـ فغرور غـرَّهم به الشيطان حسداً منه لهم ، حـتى لا يجدوا بركات صومهم ، ولا تـظهر عليهم آثاره من الأنوار والمكاشـفات ، والخـشوع لله ، والانكسـار بين يديه ، والتلذذ بمناجاته ، وتلاوة كتابه وذكره .

وكانت عادة السلف ـ رحمـة الله عليهم ـ : التقليلَ من العادات والشهوات ، والاستكثار من الأعمـال الصالحات فى رمضان بالخصوص ؛ وإن كان ذلك معروفاً من سيرهم فى جميع الأوقات .

ومن آدابه ـ أن لا يكثر التشـاغل بأمور الدنيا فى شهـر رمضان ؛ بل يتفرغ عنها لعبادة الله وذكره ما أمكنه ، ولا يدخل فى شىء من أشغال الدنيا إلا إن كـان ضرورياً فى حقـه ، أو فى حق من يلزمه القـيام به من العيال ونحوهـم ؛ وذلك لأن شهر رمضان فى الشهور بمنـزلة يوم الجمعة فى الأيام .

فـينبغى للمـؤمن أن يجعـل يوم جمـعتـه وشـهره هذا لآخـرته خصوصاً .

ومن السُّنة ـ تعـجـيلُ الفطر ، وأن يكون على التـمر ؛ فـإن لم يجده فعلى الماء ، وكان عليه السـلام يُفطر قبل أن يصلى المغرب ويقول :

« *لا تزال أمـتى بخيـر ما عـجّلو الفطر وأخّـرو السحـور* »[1]، فتأخير السحور من السنة أيضاً .

وينبـغى للصائم أن يقلّـل من الأكل ولا يستكثـر منه ، وذلك حتى يَظهـر عليه أثر الصوم ، ويـحظى بسرّه ومقـصوده الذى هو تأديب النفس ، وتضعـيف شهواتها ؛ فـإن للجوع وخلوٍّ المعدة أثراً عظيـما فى تنوير القلب ، ونشاط الجوارح فى العبادة.

والشبَعُ أصلُ القـسوة والغفلة ، والكسل عن الطاعة ؛ قـال عليه الصلاة والسلام : « *ما ملأ ابن آدم وعـاءً شرًا من بطنه ، حسْبُ ابن آدم لُقيمـات يقمن صلبَه ؛ فإن كـان لا محالة فثلُثٌ لطعامـه وثلُث لشرَابه وثلث لنَفسهَ* »[2].

وقال بعضــهم : إذا شبعت البطن جاعت جـميع الجوارح ، وإذا جاعت البطن شبعت جميع الجوارح .

(**قلـت**) : وجوع الجـوارح عبـارةٌ عن طلبهـا وحرصهـا على شهواتـها ؛ فيشـتهى اللسانُ الكلامَ ، والعينُ النظرَ ، والأذنُ الاسـتماعَ ، وكذلك سائر الجوارح .

ويكون انبعاثهـا لطلب الفضول من شهواتهـا عند امتلاء البطن ، وعند خلوِّه يكون سكونهـا وهدوءُها المعبر به عن شـبع الجوارح ، وذلك مشاهد . والله أعلم .

ومن المسـتحب المتـأكّد ـ تفطـير الصـائمين ولو على تمرات ، أو

---

(١) الجزء الأول من الحديث « ... ما عجلوا الفطر » [رواه الشيـخان من حديـث سهل ـ رضى الله عنه ـ] والجزء الثانى منه « .. ما أخروا السحور » [رواه الإمام أحمد فى « مسنده » والطبرانى ، وابن عدى] .

(٢) [رواه الإمام أحمـد ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن سعـد ، والدارمى ، وغيرهم من حديث المقدام بن معدى كرب ـ رضى الله عنه ـ] .

بَشربة من الماء[1] ، قال عليـه السلام : « *من فطّر صائمـا كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىءٌ* »[2] . يعنى من أجر الصائم .

وهذا الثواب إنما يحصل لمن فطّـره ولو على الماءِ؛ فأما من أطعم الصـائم من بَعد فطره فى بيـته أو فى مـوضع آخر فليس يحـصل له هذا الثواب ، ولكن يحصل له ثواب الإطعام ، وهو عظيم ، وثوابُ من أشبع الصائم مهما أطعمه حتى يُشبعه وهو كثير .

صلاة التراويـح

وصـلاة التراويح فى كل ليلـة من رمضـان سُنَّة مأثورة ، وعـادة السلف ـ رحـمة الله عليـهم ـ توزيعُ القـرآن من أوله إلى آخـره عليهـا ، يقرءون منه فيـها كلّ ليلة ما تيسّر ، ويجعـلون الختم فى بعض الليالى من آخر الشهر ؛ فمن أمكنه أن يقتدى بـهم فى ذلك فليُشَمِّر ولا يقصر ؛ فإن الخير غنيمةٌ : ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ** ﴾[3] .

ومن لـم يتفق له الاقتداء بهم فى ذلك ، فليـحذر من التخفيف المفرط الذى يعتاده كثير من الجهلة فى صلاتهم للتراويح ؛ حتى ربما يقعون بسببـه فى الإخلال بشىء من الواجبات؛ مثل : ترك الـطمأنينة فى الركوع والسجود ، وترك قراءة الفاتحـة على الوجه الذى لابد منه بسبب العجلة ، فيصيـر أحدهم عند الله لا هو صلّى ففاز بالثواب ، ولا هو ترك فـاعترف بالتقصير وسلم من الإعجاب .

وهذه وما أشبهـها من أعظم مكائد الشيطان لأهل الإيمان ، يبطل على العامل منهم عمله مع فعله للعـمل ، فاحذروا من ذلك ، وتنبهوا له

---

(١) عن سلمان بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة ، فإن لم يجـد فليفطر على ماء ، فإنه طهور** » [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن مـاجه ، والدارمى ، ولم يذكر « فإنه بركة » غير الترمذى] .

(٢) [رواه البيهقى ، وابن خزيمة من حديث سلمان ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) سورة البقرة : الآية ١١٠ .

معاشر الاخوان.

وإذا صليتم التراويح وغيرها من الصلوات فأتموا القيام والقراءة ، والركوع والسجود ، والخشوع والحضور ، وسائر الأركان والآداب .

ولا تجعلوا للشيطان عليكم سلطاناً ؛ فإنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ؛ فكونوا منهم ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ؛ فلا تكونوا منهم .

استحباب الإكثار من البر في رمضان

واستكثروا من أعمال البر ، وأفعال الخير ما استطعتم فى شهر رمضان ؛ لفضل أوقاته وحصول المضاعفة فيه ، وكثرة الثواب ، وتيسير العمل بالخيرات.

فأما المضاعفة فلما ورد : « *أن النافلة فى رمضان يعدل ثوابُها ثوابَ الفريضة ، والفريضة فيه بسبعين فريضة فى غيره* [1]» .

فمن يسمح بفوات هذا الربح ، ويكسل عن اغتنام هذه التجارة التى لا تبور ! .

وأما تيسُّر العمل بالخير فى رمضان فلأن النفسَ الأمارةَ بالسوء مسجونةٌ بالجوع والعطش ، والشياطين المثبِّطين عن الخير المعوِّقين عنه مُصفَّدون ، لا يستطيعون الفساد ولا يتمكنون منه ؛ فلم يبق بعد ذلك عن الخيرات مانع ،ولا من دونها حاجز ، إلا من غلب عليه الشقاء ، واستولى عليه الخذلان والعياذ بالله ! فيكون رمضان وغيره عنده سواء فى الغفلة عن الله ؛ بل ربما يكون فى رمضان أعظمَ إعراضاً عن ربه وأكثر غفلة .

وكما ينبغى للمؤمن أن يستكثر من الأعمال الصالحة فى هذا الشهر ويسارع فيها ، كذلك ينبغى له أن يبالغ فى التحرّز عن المخالفات ، ويكون فى نهاية البعد عنها ؛ فإن المعاصى فى الأوقات الفاضلة يكون

(١) [رواه ابن خزيمة ،والبيهقى ،وأبو الشيخ ابن حبان عن سلمان ـ رضى الله عنه ـ] .

إثمها عظيماً ، ووزرها كثيرا ، نظير كثرة الثواب على الأعمال الصالحة الواقعة فى الأوقات الفاضلة .

فضل العشر الأواخر من رمضان وليلة القدر

وقد ورد : أنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد فى رمضان مالا يجتهد فى غيره وكان يجتهد فى العشر الأواخر منه مالا يجتهد فى غيرها من رمضان[١] .

(**قلت**) : وذلك لفضل العشر الأواخر على غيرها من الشهر ، وقد أمر عليه السلام بالتماس ليلة القدر فيها .

قال العلماء ـ رحمهم الله ـ : وهى فى الأوتار منها أرجى .

وبالجملة ، فينبغى للمؤمن الفَطن أن يكون فى كل ليلة من ليالى رمضان مستعِداً لليلة القدر ،ومستيقظاً لها ،ومداوماً على العمل الصالح ؛ فإن المقصود الذى عليه المعوّل : أن تأتْى عليه ليلة القدر وهو مستغرِق بالعمل الصالح ، ذاكر لله تعالى ، غير غافل ولا ساه ولاله ، وسواء بعد ذلك رأى ليلة القدر أو لم يرها ؛ فإن العامل فيها بطاعة الله يكون فيها خيراً من عمله فى ألف شهر ، علم بها أو لم يعلم ، وإنما قلنا : إنه ينبغى أن يتنبَّه لليلة القدر ، ويستعد لها فى كل ليلة من هذا الشهر ؛ لكثرة ما وقع بين العلماء من الخلاف فى تعيينها ، وأنها أىُّ ليلة هى ؟[٢] حتى قال بعضهم : إنها مبهمة فى جميع ليالى الشهر .

وقال بعضهم : إنها متنقّلة فى لياليه ، وليست ليلة بعينها .

(**قلت**) : وأجدنى أميل إلى هذا القول ، وأرى أنها قد تكون

---

(١) فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « **كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره** » [رواه مسلم] .

وعنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله » [متفق عليه] . (٢) ذكر الحافظ زين الدين العراقي أربعة وعشرين قولا فى تحديد وقتها فى رسالته « شرح الصدر بذكر ليلة القدر » (ص ٣٢ ـ ٤٨) .

فى غير العشر الأواخـر وإن كان وقوعها فيها هو الأكثـر ـ وعليه جمهور العلماء ـ أعنى أن ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان ـ .

تعهد الفقراء والأرامل والأيتام فى رمضان

(وينبـغى) الإكثار من الصـدقة والمواسـاة ، وتعهـد الفقـراء والمساكين ، وتفقُّـد الأرامل والأيتام فى هذا الشهر الشـريف ؛ فقد ورد « *أنه كان عليه الصلاة والسلام أجـود بالخير من الريح المرسلة ، وأنه أجود ما يكون فى رمضان* » (١)

وينبغى الإكثـار فيه من تلاوة القرآن ومدارسـته ، ومن الاعتكاف فى المسـاجد ، ولا سـيما فى العـشر الأواخـر ، إذ كـان عليه السـلام يعتكفها(٢) .

(**ثم اعلم**) أن شهر رمضان شـهر مبارك على المسلمين ، وفى اليوم السابع عـشر منه كانت « *وقعـة بَدْر* » وهو يوم الفـرقان يوم التـقى الجمعان ، وفـى رمضان كان « *فتح مكة المشـرفة* » ودخولُ الناس فى دين الله أفواجاً ، وفـيه « *ليلة القـدر* » التى هى خـير مـن ألف شهـر ، ومن أدركها وعمل فيها بطاعة الله اثنتـى عشرة سنة مثلا ، كان بمثابة من عاش فى طاعة الله ألف سنة ؛ فـهل شئ أعظم من ذلك وأجلّ قدراً ! وكم فى رمضان من البركات والخيرات !

فطوبى لمن عرف قدره ، واغتنم أوقاته وساعاته ، واستغرق لياليه

---

(١) [حديث صحيح،رواه البخارى،ومسلم من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ].

(٢) ففى « الصـحيـحين » عن عائشـة ـ رضى الله عنها ـ أنه ﷺ : « كان يعـتكف فى العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله » .

وفيهـما أيضاً عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أنه ﷺ اعتكف الـعشر الأول من رمضان ، ثم اعتكـف العشر الأوسط فى قبة تركية ، ثـم أطلع رأسه فقال : « *إنى أعـتكف العـشـر الأول ألتمـس هذه الليلة ـ يعنى ليلة القـدر ـ ثم اعـتكفت العـشـر الأوسط ، ثم أتيت فقيل لى إنها فى العشر الأواخـر ، فمن اعتكف معى فليعتكف فى العشر الأواخـر ، فقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتنى أسـجد فى ماء وطين من صبيحتها ، فالتمسوها فى العشر الأواخر ، والتمسوها فى كل وتر* » .

وأيامه بفـعل ما يقرّبه من ربه ـ ذلك فضل الله يؤتيـه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

أفضل الصيام

(واعلم) أن أفضل الصيام صيام شـهر رمضان ، وكذلك يكون الأمر فى جـميع الفـرائض ـ أعنى أنها تكون أفـضل من النوافل التى من جنسها بشئ كثير ـ لقوله عليه السلام عن الله تعالى : « *ما تقرَّب المتقرِّبون إليَّ بمثل أداء ما افترضته عليـهم ، ولا يزال العبد يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحبه ..* » الحديثَ [1] .

ثم صـوم الأشهـر الحُـرُم وهى أربعة : ذو القَـعـدة وذو الحجـة والمحرم ورجب ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [2] .

وقد ورد « *أن صوم يوم من الأشهر الحُرُم يعدل صيام ثلاثين يوماً من غيرها* [3] ، *وصيـام يوم من رمـضــان يعـدل ثلاثين يوماً من الأشــهر الحرم* » [4] .

وورد « *أن من صام ثلاثة أيام متتابعة من شهر من الحُرُم : الخميس والجمعة والسبت باعده الله من النار* » [5] .

فضل إتباع رمضان بصوم ست من شوال

ومن السنة : صيام ستٍّ من شوال عـلى أثر رمضان ، توديعاً له

---

(١) سبق لنا تخريجه . (٢) سورة التوبة ٣٦ .

(٣) نص الحديث : « *ومن صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوماً* » [رواه الطبرانى فى « الصغير » من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٤) قال الحافظ العراقى فى « المغنى » حول هذا الحديث :لم أجده هكذا ، وفى « المعجم الصغير» للطبرانى من حديث ابن عباس «من صام يوما من المحرم » الحديث السابق.

(٥) قال العـراقى : أخرجه الأزدى فى « الضـعفاء » من حـديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وفيه بدل « *باعده الله من النار* » « *كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام* » .

وجبراً للخلل إن عرض فيه للصائم ، والنوافلُ جوابرُ الفرائض .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر كله* » (١) .

فضل صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء

ومن الفضـــائل : صوم يوم عرفـة ، وهو يوم الحج ، التاسعُ من ذى الحجة ، وقد ورد أن صومه يكفِّر سنتين (٢) .

قال العلماء : وهو أفضل يوم يُصام فى السنة بعد رمضان ، ولا يستحب للحـاج أن يصومه لأجل القوة على الدعـاء فى الموقف ، والقيام بالمناسك .

وصــومُ يوم عاشــوراء ، وهو العاشـر من المحرَّم ، وقـد ورد أن صومه يكفّر سنة (٣) .

فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر

ومن المتأكد المستحب من الصيام : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ،

---

(١) [حديث صحـيح . رواه مسلم ، وأصحاب السنن الأربعـة ، والطبرانى من حديث أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ] .
وروى الطبرانى فى « الأوسط » عن ابن عمر ـ رضى الله عنهـما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » .

(٢) عن أبى قتـادة ـ رضى الله عنه ـ قال : سـئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عـرفة ؟ فقال : « **يكفّر السنة الماضـية و الباقـية** » [رواه مـــسلم واللفـظ له ، وأبو داود ، والنسائى ، و ابن ماجه ، والترمذى ، ولفظه : إن النبى ﷺ قال : « **صيام يوم عرفة إنى أحتسب على الله أن يكفّر السنة التى بعده،والسنة التى قبله** »] .
وروى الطبرانى ، والبيهقى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ يقول : « **صيام يوم عرفة كصيام ألف عام** » .

(٣) عن أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام عاشوراء ؟ فقال : « **يكفّر السنة الماضية** » [رواه مسلم وغيره] .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة بأنـها تعدل صيام الدهر [(١)] ، وإن تحرى بها الصائم الأيام البيض كان أفضل وأحسن ، لأنه ورد عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يترك صيام الأيام البيض فى حضَر ولا سفر [(٢)]، وهى الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من الشهر .

وإن صام هذه الثلاثة من غيـر البيض فلا بأس ، إلا أنها أولى ، وكذلك إذا صام هذه الثلاثة مفرقة .

وينبغى للمـتنسك أن لا يترك صـيام هذه الثلاثة من كل شـهر ، فإنه صوم خفـيف المُئونة ، عظيم الفضيلة ، وحسـبك من فضله أنه يعدل صيام الدهر ، وقد أوصـى به عليه الصـلاة والسـلام جماعة من أصحابه ـ رضى الله عنهم[(٣)] ـ .

وقال علـيه الصلاة والسـلام : ***«صـام نوح الـدهر ، وصـام داود نصف الدهر ، كان يصـوم يوماً ويفطر يوماً ـ وصـام إبراهيم الدهر وأفطر الدهر، كان يصوم ثلاثة من كل شهر»*** [(٤)] ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ .

(**قلت**) : وأفـضل الصيـام صيـام داود ، وهو أن يصوم يومـاً ويفطر يومـاً ، وهو أفـضل من صـيـام الدهر كـمـا ورد فى الأحـاديث الصحيحة[(٥)] .

---

(١) قال ﷺ : « **صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله** » [رواه البخارى ، ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) [رواه النسائى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بإسناد حسن] .

وعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا صمت من الشهر ثلاثا ، فصم ثلاث عـشرة ، وأربع عـشرة، وخمس عـشرة** » [رواه أحمـد ، والتـرمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، قال الترمذى : حديث حسن] .

(٣) عن قتـادة بن ملحان ـ رضى الله عنه ـ قال : كـان رسول الله ﷺ يأمرنا بصـيام أيام البيض ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة » [رواه أبو داود ، والنسائى] .

(٤) الحديث بهـذا المعنى رواه الطبرانى فى « الكبيـر » والبيهقى ، قـال الحافظ المنذرى : وفى إسنادهما أبو فراس لم أقف فيه على جرح ولا تعديل ، ولا أراه يعرف ، والله أعلم . « الترغيب » (٢ / ١٢١) .

(٥) قال ﷺ : « **أحب (أعدل) (أفضل) الصيام إلى الله عز وجل صوم داود : كان** =

قال الإمام الغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ : وهو ـ أعنى صوم داود عليه السلام ـ أبلغ فى رياضة النفس ، وأقوى فى مجاهدتها من صيام الدهر .

وفى صيام الاثنين والخميس من الأسبوع فضل كثير ، كان عليه الصلاة والسلام يصومهما ويقول : « *يومان تعرض فيهما الأعمال على الله ، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم* »(١) .

وصيام يوم الجمعة محبوب لفضله وشرفه ، ولكن مع الخميس أو السبت(٢) ؛ لأنه ورد فى إفراده بالصوم نهى عن النبى ﷺ(٣) .

= **يصوم يوماً ويفطر يوماً** » [رواه البخارى ، ومسلم . وغيرهما] .

(١) نص الحديث : « **تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم** » . [رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب] .

(٢) فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله : « **من صام الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة ، يرى ظاهره من باطنه ، وباطنه من ظاهره** » [رواه الطبرانى فى « الأوسط »] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة أيام ، عددهن من أيام الآخرة ، لا تشاكلهن أيام الدنيا** » [رواه البيهقى] .

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **من صام الأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، بنى الله له قصراً فى الجنة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ، وكتب له براءة من النار** » [رواه الطبرانى فى « الأوسط » و البيهقى] .

(٣) فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده** » [حديث صحيح رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم ، والأربعة إلا أبا داود ، وابن خزيمة] .

وفى رواية لابن خزيمة : « **إن يوم الجمعة يوم عيد ، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم ، إلا أن تصوموا قبله أو بعده** » .

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ دخل عليها يوم الجمعة ـ وهى صائمة ـ فقال : « **أصمت أمس ؟** » قالت : لا ، قال « **تريدين أن تصومى غدا** » ؟ قالت: لا ، قال : « **فأفطرى** » [رواه البخارى ، وأو داود] .

الحث على الإكثار من الصوم وحكمته

(وعليك) بالإكثار من الصوم مطلقاً : فإنه من أبلغ الأشياء فى رياضة النفس وكسر الشهوة ، واستنارة القلب وترقيقه ، وتأديب الجوارح وتقويمها ، وتنشيطها للعبادة ، وفيه الثواب العظيم ، والجزاء الكريم الذى لا نهاية له ولا غاية(١) .

وليس شئ من الأعمـال إلا ولثوابه حدٌ ومقـدار سوى الصوم ، فإن ثوابه لم يقـدَّر بقدر ، ولم يحدَّ بحـدٍّ ؛ قال النبى ﷺ : « *كل عمل ابن آدم يضاعف له : الحسنة بعشر أمثالها ، قال تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى بـه، يدع الإنسان طعـامه وشرابه وشـهوته من أجلى، للـصائم فرحـتان : فرحة عنـد إفطاره، وفرحة عند لقـاء ربه ، ولخلُوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك* »(٢)

فتأمل - رحمك الله تعـالى - جداً قوله تعالى : « *إلا الصوم فإنه لى وأنا أجـزى به* » وتفكر فى الوعـد بالجزاء المطلق من السـيد الكريم ، الجواد الرحيم .

---

(١) عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسـول الله ﷺ قال : « من صام يوما فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفاً » [رواه النسائى بإسناد حسن والترمذى ، وابن ماجه] .
ورواه البخارى ، ومسلم ، وغيرهما بلفظ : « ما من عبد يصوم يوماً فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً - أى سنة - » .
وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال : قـال رسول الله ﷺ : « من صام يوماً فى سبيل الله جـعل الله بينه وبين النار خندقاً كمـا بين السماء والأرض » [رواه الطبرانى فى « الأوسط » و « الصغير » بإسناد حسن .
وعن ابن عـمـر - رضى الله عنهـما - أن رسـول الله ﷺ قـال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، ويقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهـوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، قال : فيشفعان » [رواه أحمد ، والطبرانى ، وابن أبى الدنيا ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم] .

(٢) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، وغيرهما من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

وتأمل أيضـاً فى خلوف فم الصـائم الذى هو عند الله أطيب من ريح المسك ، واسـتحضـر معنى العِنْدية الإلهـية الكائنة من الطـيب بهذه المنزلة !

(قلت) : ومن أجل فضل هذا الخلوف ومكانتـه عند الله تعالى كره الاستياك للصائم بعد الزوال حتى يفطر؛ لأن السواك يزيله أو يخففه .

وقال عليه الصلاة والسلام فى فضل الصوم : « *للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون ؛ فإذا دخلوا منه أغلق* »[1] .

وقال الصلاة والسلام : « *الصوم نصف الصبر ولكل شئ زكاة ، وزكاة الجسد الصوم*»[2] وقـال عليه الـصلاة والسـلام : « *الصوم جُنة وحصن حصين من النار* »[3] .

للصوم صورة ورُوح

(واعلـم) أن للصـوم صورة وروحـاً ؛ فـأمـا صورته : فـهى الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية .

فمن أكل أو شـرب أو جامع فى نهاره وهو عـامد عالم مخـتار بطل صومه ، وإن كـان ناسياً أو جاهلاً أو مكرَهاً لم يبـطل صومه ؛ هذه هى صورة الصوم .

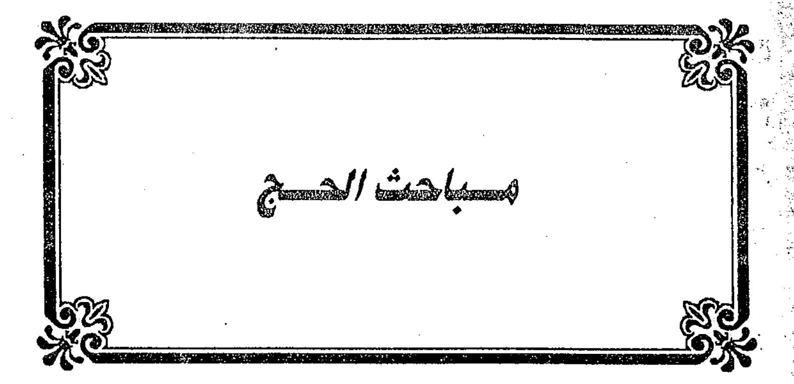
وأمـا روحه : فـهو الإمـساك عـن الآثام والمحرمـات ، والقيـام بالفرائض والواجـبات ، والذى يصوم عن الأكل والشرب والجـماع ، ولا

---

(١) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى] .
(٢) [حديث ضعيف . رواه البيهقى فى « الشعب » عن أبى هـريرة ـ رضى الله عنه ـ] « الجامع » (٢ / ٥١) .
(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمـد ، والبـيهقى فى « الشعب » عن أبى هـريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

يصوم عن المخـالفات ، وهو الصـائم الذى ليس له من صيـامه إلا العناء والتعب ، فإذا صُـمت فأحسن ، وكذلك فى جـميع أعمالك اجـتهد فى إحسانها وإكـمالها وإخلاصها ؛ حتى ينفـعك الله بها ، ويعظم لك الأجر عليها عند الرجـوع إليه ـ وله سبحانه الأمر كله ؛ فاعـبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون . لا إله إلا هو إليه المصير .

* * *



مباحث الحج

ما جاء فى فريضة حج بيت الله الحرام

(واعلموا معاشر الإخوان) ـ جعلنا الله وإياكم من الذين سبقت لهم منه الحسنى ، ومن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا ـ أن الحج إلى بيت الله الحرام أحد مبانى الإسلام ، وهو فرض لازم محتوم على كل مسلم مستطيع فى العمر مرَّةً ، وكذلك العُمْرة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(١) .

وقال الله لخليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾(٢)

وقال رسول الله ﷺ : « *بُنِى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان* »(٣) .

وقال عليه السلام : « *من مَلَك زاداً وراحلة ثم لم يَحُجَّ فلا عليه أن يموت إن شاء يهودياً أو نصرانيًا* »(٤) .

وفى هذا نهايةُ التشديد على من يترك الحج مع الاستطاعة ، فينبغى للمؤمن أن لا يؤخّر ويتكاسل ويُسوِّف ، ويتعلّل بالأعذار من سنة

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧

(٢) سورة الحج : الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، والترمذى ، والنسائى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٤) [حديث غريب . رواه الترمذى ، والبيهقى عن على ـ رضى الله عنه ـ] .

إلى سنة ، وهو مع ذلك مستطيع ، وما يدريه لعل الموت ينزل به ، أو تذهب استطاعته ، وقد استقر الحج فى ذمته ، لتمكّنه منه فيلقى الله تعالى عاصياً آثماً !

الاستطاعة فى الحج

والاستطاعة ـ أن يملك الإنسان ما يحتاج إليه فى سفره إلى الحج ذهاباً ورجوعاً : من زاد ومركوب ، وما فى معنى ذلك مما لابُدَّ منه ، ونفقة من تلزمه نفقته من الأولاد والأزواج ونحوهم، إلى وقت رجوعه .

وتختلف الاستطاعة باختلاف الناس ، وباختلاف الأماكن فى القرب والبعد ، ومن تكلّف الحجَّ شوقاً إلى بيت الله الحرام ، وحرصاً على إقامة هذه الفريضة من دين الله ، وليس بمستطيع من كل الوجوه، فإيمانه أكمل ، وثوابه أعظم وأجزل ؛ ولكن بشرط أن لا يضيِّع بسبب ذلك شيئاً من حقوق الله تعالى ، لا فى سفره ولا فى وطنه، وإلا كان آثما ، وفى حرج، مثل أن يسافر ويترك مَن فرض الله تعالى عليه نفقتَهم ضائعين لا شئ لهم ، أو يكون فى سفره متكلاً على مسألة الناس ، مشغولَ القلب بالتشوّف إليهم ، أو يضيِّع بسبب السفر شيئاً من الصلوات المكتوبات ، أو يقع فى شئ من المحرمات ؛ فمثَل من يسافر إلى الحج على هذا الوجه ـ وقد وسع الله له فى الترك حيث لم يكن مستطيعاً ـ مثلُ من يعمِّر قصراً ، ويخرب مصراً .

نبهنا على ذلك؛ لأن كثيراً من العامة يسافرون على هذا الوجه ، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله تعالى بحج بيته ، وهم فى غاية البعد عنه ؛ لأنهم لم يدخلوا الأمر من بابه ، وإذا كان هذا فى الحج المفروض ، فاعلم أنه يكون فى الحج الذى ليس بمفروض أعظم حرَجاً ، وأكثرَ تشديداً .

وكلامنا هذا فى حق العاجز الضعيف ، وأما القوىّ المستطيع فقد

ذكرنا أنه يتأكد عليه المبادرة بحـجة الإسلام ، ثم يُستحبّ له بعد ذلك أن لا يترك التطوُّع بالحج .

قــال بعض السلف ـ رحـمــة الله عليــهم ـ : أقلُّ ذلك أن لا تمر عليه خمسة أعوام إلاَّ ويحج فيها حَجَّةً .

وقد بلغنا عن الله تعالى أنه قال : « *إن عبداً صححت له جسمه ووســعت عليـه فى المعيشـة تمـضى عليه خـمـسة أعـوام ولم يَفِـدْ علىّ لمحروم* »(١) .

(**قلت**) :وإنما ينبغى للمسلم القادر : الاستكثارُ من الحج لما فيه من التعظيم لحرمات الله وشعائره التى تعظيمها من تقوى القلوب، ولما فيه من الفضل الذى وردت به الأخبار؛ قال ﷺ : « *أفضل الجهاد الحج* »(٢) .

وقال عليه السلام: « *إن الحج يهدم ما قبله* »(٣) أى من الذنوب .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من حج فلـم يَرْفُث ولـم يفــسق خرج من ذنـوبه كيوم ولـدته أمه* »(٤) والرفَثُ والفسوق : شيـئان جامعان للأقوال والأفعال القبيحة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة* »(٥) .

---

(١) [رواه ابن حبان فى « صحيحه» والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) نص الحـديث : عن عائشـة ـ رضى الله عنهـا ـ قالت : قلت : يا رسـول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ فقال : « **لكن أفضل الجهاد حج مبرور** » [رواه البخارى وغيره] .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وابن خزيمة عن ابن شمامة ـ رضى الله عنه ـ وهو جزء من الحديث الطويل] .

(٤) [حديث صحيـح . رواه الشيخان ، والنسـائى ، وابن ماجه ، والترمذى إلا أنه قال : « **غفر له ما تقدم من ذنبه** »] .

(٥) [حديث صحـيح . رواه مالك ، والشيخان ، والأربعة إلا أبا داود ، والأصـبهانى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وقال علـيه الصلاة والسلام : « *برُّ الحج إطعـام الطعـام ، ولين الكلام* »[١] .

وقال عليـه السلام : « *الحـجـاج والعـمَّار وَفْـدُ الله ، إن سـألوا أُعْطوا ، وإن دَعَوْا أُجيبوا ، وإن أنفقوا خُلِّفَ لهم* »[٢] .

الحج إنما يقبل بالمال الحلال

ومن آكد المهمات على المسافـر إلى الحج : الاجتهاد فى أن يكون زاده طيباً ، ونفقته حـلالا ، ولْيحرص كل الحرص على ذلك ؛ فإن الذى يحج بالمال الحـرام لا يقـبل الله حجـه ، وإذا لبَّى عند إحـرامه يقـول له سـبحـان : لا لبَّـيك ولا سَعدَيك ، زادك حـرام ، وراحلتك حـرام ، وحجك غـير مـبرور ، ويقـول تعالى للذى يحج بالمال الحـلال إذا لبَّى : لبـيك وسعديـك ، زادك حلال ، وراحلتك حـلال ، وحجّك مـبرور ؛ كذلك ورد الخبر[٣] .

وليكن المسـافـر إلى الحج طـيِّب النـفس بما ينفـقـه من المال فى سفره ؛ فإنها نفقة مخلوفة متبـوعة بالخير والبركة ، واليسر والسعة ، وقد ورد أن النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة[٤] .

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والطبـرانى فى « الأوسط » بإسناد حسن ، وابن خزيمة فى « صحيحه » والبيهقى ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

(٢) [رواه بهذا اللفظ البيـهقى عن عمرو بن شعيب عن أبيـه عن جده . ورواه البزار ، ورواته ثقات عن جابر ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « **الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم** » . ورواه النسـائى ، وابن ماجـه . وابن حبان فى « صحيحه » وابن خزيمة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ولفظ الأولين : « **الحجاج والعمار وفد الله : إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم** » .
وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الحجـاج والعمار وفـد الله عز وجل ، يعطيهـم ما سألوا ، ويستجيب لهم مـا دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا ، الدرهم ألف ألف** » [رواه البيهقى] .

(٣) [الحديث بهذا المعنى رواه الأصبهانى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) عن بريدة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبـعمائة ضعف** » [رواه الإمام أحـمد ، والطبرانى ، والبيـهقى ، وإسناد الإمام أحمد حسن] .

الحث على التصدق فيه على الفقراء

ومهمـا كان الحاج موسراً فليـبالغ فى توسيع النفقـة على الفقراء والمسـاكين ، وبذل المعـروف للضـعفـاء والمقلّين ، خـصـوصاً لهـؤلاء ، ولغيرهم من المسلمين عموماً ، مخلصاً فى ذلك لله رب العالمين .

آداب الحاج

(ولْيكن) فى سفره متـواضعاً متخشعاً ، متـمسكنا ، فعلى مثل هذه الأوصاف ينبـغى له أن يَفِدَ على الله الملك الجبـار المتكبر ، ولا يكون فى سفره وحجه من المسـتكبرين ، ولا من المترفِّهين ، فيكون عند الله من المطرودين، قال عليه الصلاة والسلام : « *إنما الحاج أشْعَثُ أَغْبَرُ* »(١)

وحج عليـه السلام على رَحْل رَثّ وتحـته قطيـفة رثَّة لا تـساوى أربعة دراهم(٢) ، فكلما كان الحـاج أكثرَ تواضعاً وتمـسكنا ، وأرَثَّ هيئة ـ يريد بذلك وجه الله ـ كان حجه أطَيَب وأزكى، وأجل وأكمل .

قال حجـة الاسلام الغزالى ـ رحمه الله ـ : جـعل الله السفر إلى الحج مثالا للسفر إلى الآخرة ؛ فينبغى لك أن تستحضر عند كل عمل من أعمال السفر أمراً من أمور الآخرة يوازيه ويماثله : فتتذكر عند وداع الأهل والأصحـاب عند السفـر : وداعَهم فى سكرات الموت ، ومـن أخْذِ الزاد للطريق : أخـذَ الزاد لطريق الآخـرة ، ومن بُعد الطريق وخـوف السبـاع والقُطاع فيـها : تذكر بُعـد طريق الآخرة ، وفتنة منكر ونكيـر ، وعذاب القبر .

ومن الالتفـاف فى ثياب الإحرام : الالتفاف فـى الأكفان ، ومن السعى بين الصـفا والمروة : التردد بين كـفّتى الميزان أيهـما ترجح ، ومن الموقف : موقف القيامة .

---

(١) نص الحديث : « إنما الحاج الشعث التفل » [رواه التـرمذى ، وابن ماجه من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وقال : غريب] .

(٢) [رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والأصبهانى ، والطبرانى فى « الأوسط »] .

هذا كلامه ملخصاً بمعناه ، فانظره فى مــحله ، والأمر كما ذكره ـ رحمه الله ـ ، وجزاه عن المسلمين خيراً[١] .

وينبغى للحاج إذا وصل إلى حــرم الله ـ بلــده الحرام الأمــين ـ « مكة المشرفة » زادها الله شـرفـا : أن يكون ممتلئ الـقلب بتـعظيم الله وإجلاله ،ويكون على أتم ما يمكن منه ويستطيعه من التذلل ،والتواضع ، والخـضوع ، والخـشوع ، والانكسـار لله تعالى ، ولتكن هذه الأوصـاف شعاره ودثاره فى جميع المواطن ، والمواقف الشريفة .

استحباب الإكثار من الطواف

(وينبـغى له) أن يستكثـر جداً من الطواف بالبـيت،ومن الصلاة عنده، فقد ورد « *أن من طاف أسبـوعا كان له كعـدل رقبة* »[٢] أى يعتقها لوجه الله تعالى

وورد « *أن الطائف بالبيت لا يرفع قـدمه فى طوافه ، ولا يضـعها إلا محيت عنه سيئة أو كتبت له حسنة ، أو رفعت له درجة* »[٣]

وورد أيضاً « *أنهـا تنزل فى كل يوم على الـبيت عـشـرون ومـائة رحمـة : ستون منها للطائفين ، وأربعـون للمصلين عند البيت ، وعـشرون للناظرين إليه* »[٤] .

وليكثـر فى طوافه من تلاوة القـرآن ، ومن الأذكار والأدعـية ، وخصوصاً منها الوارد فى الطواف .

(١) راجع « إحياء علوم الدين » (١/ ٢٦١ ـ ٢٧٢) .

(٢) [رواه الطبرانى فى « الكبير » ورواته ثقات] .

(٣) نص الحديث : « من طاف بالبيت ، لم يرفع قدمـا ، ولم يضع قدمـا ، إلا كتب الله له حسنة ، وحط عنه خطيئة ، وكتب له درجة » [رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وابن خزيمة فى « صحيحه »] .

(٤) [قال الحافظ العراقى : اخـرجه ابن حبان فى « الضعفاء » والبـيهقى فى « الشـعب » من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهمـا ـ بإسناد حسن ، وقال أبو حاتم : حديث منكر] .

وليكثر من استلام الحـجَر الأسود المبارك[١] ؛ فـإنه يمين الله فى الأرض يصافح بهـا عباده[٢] ، ومن الصـلاة فى الحِجْـر ؛ فإنه من البـيت تركته قريش لمّا بنته فى الجاهلية حين قصرت بهم النفقة من الحلال[٣] .

فضل ماء زمزم

وليكثر من شرب ماء زمزم ، فـإنه خير ماء على وجه الأرض ،

---

(١) « وكان ﷺ يقبله » .[رواه الشـيخان من حديث عمـر ـ رضى الله عنه ـ، والنسائى بلفظ : « **أنه كان يقبله ثلاثاً إن رآه خاليا** » .

(٢) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهمـا ـ قال رسول الله ﷺ فى الحجر : « **والله ليبعثنه الله يوم القيامة ، له عـينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشـهد على من استلمه بحق** » ، [رواه الترمذى ، وقال: حديث حسن، وابن خزيمة ، وابن حبان فى « صحيحيهما »].
ورواه الطبرانى فى « الكبـير » ولفظه : « **يبعث الله الحجر الأسـود ، والركن اليمانى يوم القيامة ، لهما عينان ، ولسانان ، وشفتان يشهدان لمن استلمهما بالوفاء** » .
وروى الإمام أحمد بإسناد حسن، والطبرانى فى « الأوسط » وابن خزيمة عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهـما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يأتى الركن** اليمانى يوم القـيامة أعظم من أبى قبـيس له لسانان وشـفتان » وزاد ابن خزيمة : « **يتكلم عمن استلمه بالنية ، وهو يمين الله التى يصافح بها خلقه** » .
وعن ابن عـباس ـ رضـى الله عنهمـا ـ قـال : قال رسـول الله ﷺ : « **نزل الحجر الأسود من الجنة ـ وهو أشد بياضا من اللبن ـ فسودته خطايا بنى آدم** » [رواه الترمذى وقال : حديث حـسن صحيح ، وابن خـزيمة فى « صحيـحه» إلا أنه قال : « **أشد بياضا من الثلج** » .
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ ـ وهو مسند ظهره إلى الكعـبة ـ يقول : « **الركن والمقام ياقوتتـان من يواقيت الجنة ، ولولا أن الله تعالى طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب** » [رواه الترمذى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى] .
وفى رواية للبـيهـقى قال : « **إن الركن والمقـام من ياقوت الجنة . ولولا مـا مسـه من خطايا بنى آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب ، وما مـسّهما من ذى عاهة ،ولا سقيم ، إلا شفى** » . وفى رواية: « **ما مـسه ذو عاهة إلا شـفى ،وما على الأرض شىء من الجنة غيره** » .

(٣) عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيدى ، فأدخلنى الحجر ، وقال : « **صلى فى الحجر إن أردت دخول البيت ، فإنما هو قطعة من البيت ، ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت** » [رواه الترمذى واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وأبو دا ود ، والنسائى] .

كما قال عليه السلام[(١)] .

وقال أيضاً : « ***ماء زمزم لما شرب له ، وإنها طعام طُعم ، وشفاء سُقم*** »[(٢)] وقد شرب منها جماعات من الأكابر لمطالب شريفة فنالوها بفضل الله وبركات رسول الله ﷺ[(٣)] .

---

(١) نص الحديث : « خير ماء على وجه الأرض : ماء زمزم ، فيه طعام الطُّعم ، وشفاء السقم ، وشر مـاء على وجه الأرض : ماء بوادى برهوت ، بقبة بحضـرموت كرجل الجراد ، تصبح تتدفق ، وتمسى لا بلال فيها » [رواه الطبرانى ، ورواته ثقات ، وابن حبان فى « صحيحه »] .

(٢) حديث : « ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تستشفى شفاك الله ، وإن شـربته لشبعك أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعـه الله ، وهى هزمة جبرائيل ـ عليه السلام ـ وسقيا الله إسماعيل ـ عليه السلام » ـ [رواه الدارقطنى ، والحاكم] .
وزاد : « و إن شربته مستعيـذا أعاذك الله ، وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إذا شرب ماء زمزم قال : اللهم إنى أسألك علما نافـعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء » وقال : صحـيح الإسناد ـ إن سلم من محمد بن حبيب الجـارود ـ قال الحافظ المنذرى : سلم منه فإنه صدوق ، قاله الخطيب البغدادى وغيره .
وعن سويد بن سعيد ـ رضى الله عنه ـ قـال : رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى ماء زمزم ، واسـتسقى منه شـربة ، ثم استقـبل الكعبة فقـال : اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمـد بن المنكدر ، عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ماء زمزم لما شرب له » اللهم وإنى أشربه لعطش يوم القيـامة ، ثم شرب . [رواه أحمد بإسناد صحيح ، والبيهقى] .
أما الجزء الثانى من الحديث وهو قوله : « وإنها طعام طعم .. الخ » [فرواه البزار عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ بإسناد صحيح] .

(٣) قال الحافظ ابن حجر : روينا فى « كتاب المجالسة » لأبى بكر الدينورى ، ثنا محمد بن عبد الرحمن ، ثنا الحميدى ، قال : كنا عند سفيان بن عيينة ، فحدثنا بحديث : « ماء زمزم لما شرب له » فقام رجل من المجـلس ، ثم عاد فقال : يا أبا مـحمد ، أليس الحديث الذى حدثتنا به فى زمزم صحيحاً ؟ قال : نعم ، قال الرجل : فإنى شربت الآن دلواً من زمزم على أنك تحدثنى بمائة حديث ، فقال له سـفيان : أقعد ، فقعد ، فحدثه بمائة حديث .
واشتهر عن الإمام الشافعى أنه شرب ماء زمزم للرمى ، فكان يصيب من كل عشرة تسعة .
وشربه الحاكم أبو عبد الله لحسن التصنيف ولغير ذلك ، فصار أحسن أهل عصره تصنيفا .
وأن الحافظ زين الدين العراقى شربه لشىء فحصل له .
وأنا شربته مرة وسألت الله ـ وأنا حـينئذ فى بداية طلب الحديث ـ أن يرزقنى حالة الذهبى فى حفظ الحديث ، ثم حـججت بعد مدة تقرب من عشـرين سنة ، وأنا أجد نفسى المزيد على تلك الرتبـة ، فسـألته رتبة أعـلى منها ، فأرجـو الله أن أنال ذلك . اهـ =

ما ينبغي في الوقوف يوم عرفة

وإذا وقف بعرفـات فليكثر من الإسـتغفـار والدعاء ، والتـضرع والبكاء ، وليـسأل الله بصدق ورغـبة ، وإقـبال وإنابة ، لنفسـه ولوالديه وأحبابه ، ولكافة المسلمين بصلاح جميع الأمور الأخروية والدنيوية ، فإنه يسأل كريماً جواداً ، بيده الخير كله ، وله خزائن السموات والأرض .

وهذا الموقف أعظم المواقف الإسلامـية وأجمعهـا ، ويحضره من ملائكة الله وعباده الصالحـين خلائق لا يحصون ، وقد ورد « *أن الله تعالى*

= قال العلماء:والظاهر أن الله تعالى قد استجاب دعاء الحافظ ، فقد نال أعلى مرتبة فى علم الحديث ،حتى صار هو المعول عليه فى هذا الشأن فى سائر الأقطار والأزمنة .
وروى ابن عساكر فى « تاريخـه » أن أبا بكر الخطيب كان يذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات ، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات :
فالحاجة الأولى : أن يحدث بتاريخ بغداد .
والثانية : أن يملى الحديث بجامع المنصور .
والثالثة : أن يدفن عند قبر بشر الحافى . اهـ
قلت : وقد نال ـ رحمه الله تعالى ـ كل ذلك ، فحدث بتـاريخ بغـداد ، وأملى فى « جامع المنصور » ودفن بجوار الإمام بشر الحافى .
وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : وقد جربت أنا وغـيرى من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض ، فبرأت بإذن الله ؛ وشاهدت من يتغذى به من الأيام دوات العدد قريبا من نصف الشهر ، أو أكثر ، ولا يجد جوعاً ، ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرنى أنه ربما بقى عليـه أربعين يوما ، وكان له قوة يجامع بها أهله ، ويصوم ويطوف مراراً . اهـ .
وفى« صحـيح مسلـم » أن أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ أقام ثلاثين مـا بين يوم وليلة ، ليس له طعام إلا ماء زمـزم فسمن ، حتى تكسرت عكن بطنه ، وما يـجد جوعاً ، فلما أخبر النبى ﷺ قال : « **إنها مباركة إنها طعام طعم** » اى تشبع شاربها .
وشربه الإمام ابن خزيمة بنية العلم النافع ، فأصبح من كبار العلماء .
وهذا جلال الدين السيوطى شربه بنية أن يصل فى الفقه لرتبة سراج الدين البلقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحـافظ ابن حجر فيـقول : فمن الله على بما أردت وزيادة ، ووصلت إلى علوم لم يصل إليها أحد من أشيـاخى ، وكملت عندى ملكة الاجتهاد بحمـد الله تعالى « حـسن المحاضرة » (١/ ٢١٥) نقـلا عن « زمزم بين عـجائب التاريخ ومكتشفات العلم » للأستاذ / على عوض عويضا .

يباهى بأهل الموقف أهل السماء ويشهـد ملائكته على أنه غفر لهم ـ أعنى لأهل الموقف ـ وأنه تعالى قبل محسنهم ووهب مسيئهم لمحسنهم »[1]

وفى بعض الآثار : أعظم الناس ذنباً من وقف بعـرفات فظن أنه لم يغفر له[2] .

وجاء فى الخبر ، أن إبليس ـ لـعنه الله ـ لا يُرى أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وما ذلك إلا لكثرة ما يرى من تنّزل الرحمة ، وتجاوز الله عن المذنبين من الواقفين بعرفات[3] .

الاشتغال بالتجارة فى الحج

ومن آداب الحاج المهـمة : أن يكون قـصده مجـرد حج بيت الله وتعظيم حرماته ؛ فـإن لم يتفق له ذلك فليحذر كل الحذر أن يسـتصحب شيـئاً من أمور الدنيا التى تشـغله عن إقامة المناسك ، وتعظيم شـعائر الله كما يجب وينبغى ، كما يقع ذلك لـكثير من الغافلين عن الله ، المشغوفين بمحبـة الدنيا من الاشـتغـال بأمور التجـارات ، والمبايعـات ، عن تعظيم الحرمات وإقامة المناسك ، وربما أفضى الأمر بـبعضهم إلى أن يجعل قصد التجارة هو الأصل ، والحج تابع له ، وهذا خطر عظيم ، وفيه ذم كثير .

وأما الاتجار فى الحج إذا لم يشغل عن إقـامته ، والإتيان به على وجهه فـلا جناح فيه ولا حرج ، وقـد أذن الله وأنزل فى شأنه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ ﴾ الآية[4] .

ولكن تجريد القصد للحج فقط هو الأفـضل ، واستصحاب شئ من أمور التـجارة الذى لا يشغل عن الحج ولا يـفرِّق القلب لا بأس به ، وما يفرق القلب ويكثر به الاشتغال عن إقامة المناسك هو المذموم ، فاحذر

(١) [الحديث بهذا المعنى رواه ابن خزيمة ، والطبرانى ، وأبو يعلى] .
(٢) [أخـرجه الخطيب فى « المتـفق والمفتـرق » وأبو منصـور الديلمى فى « المسند » من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ بإسناد ضعيف] .
(٣) [رواه الإمام مالك ، والبيهقى] . (٤) سورة البقرة : الآية ١٩٨ .

منه أيها الحاج الراغب فى أن يكون حجك مبروراً ، وسعيك مشكوراً .

ومن المذموم فى الاستئجـار للحج ما يقع لبعض العامة : من أن أحدهم يسير إلى الحج ونيتـه أن يفرغ ذمته من حجة الإسـلام حتى يصير بذلك صالحاً لأن يستأجره الناس ، حتى يحج لهم رغبة منه فى الإجارة ، وحرصاً قـبيحاً على الدنيـا ، ولعل الله تعالى لا يقبل حـجة الإسلام من الذى يكون ضميره منطويا على مثل ذلك .

فليتق الله وليحذر هذا القصد الذى لاخير فيه،وإنما ذكرناه لظهوره على بعض العامة الذين لا بصائر لهم ، فليعرّفوا به ، وليشاع ذكره .

وأما الاستـئـجار للحج فـلا بأس به ولا حرج فيـه ، ولا يخلو الأجير الذى يكون له قـصد فى زيارة البيت ، وتعظيم الحرمـات الإلهية، وإسقاط الفرض عن أخيه المسلم ، شفـقة عليه : من ثواب كثير من فضل الله تعالى[1] .

---

(١) فقد جاء : « من حج عن أبيه أو عن أمـه فقد قضى عنه حـجه ، وكان له فضل عـشر حجج » وفى رواية : « من حج عن أبويه ، أو قضى عنهـما مغرما بعث يوم القـيامة من الأبرار » .

وعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حج الرجل عن والديه تقبل منه ومنهما ، واستبشـرت أرواحهما ، وكتب عند الله براً » [خرجه الدارقطنى] راجع « القرى ص ٨٦ » .

فإن حج عن غير أبيه وأمه فجاء « أنه يكتب للحاج سبع حجاج » وهو مروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حيث قـال : « من حج عن ميت ، كتب للميت حجة ، وللحاج سبع حجـاج » وفى رواية : « وللحاج براءة من النار » [خرجه أبو ذر] « القرى ص ٨٠ » .

قال العلماء : حج الإنسـان عمن لم يحج تبرعا أفضل من حجه عـن نفسه تطوعا ، وبأجرة خلاف الأفضل ، لكنه من أطيب المكاسب ، فإنه يحـصل لغيره هذه العبادة العظيمة ، ويحصل له حضور تلك المشاهد الشريفة .

ومحل كونه خـلاف الأفضل إذا قصد بذلك الدنيا ، أمـا إن قصد الآخرة لاحـتياجه للأجرة ، ليـصرفها فى واجب أو مندوب ، ككـفاية أهله ، والتوسعـة عليهم ، أو على أهل الحـرم ، فله الثواب الكامل ، لأنه ضم أخـرويا إلى أخروى ، والأعـمال بالنيات،راجع « فتح القدير بإختصار متعلقات نسك الأجير».(ص ١٩ , ٢٠ , ٢١) .

وأما الأخير الذى ليس له قصد إلا الإجارة فقط فأمره غير خال من الخطر .

قال الإمام الغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ : ينبغى لمن يؤجر نفسه فى الحج أن يجعل قصد البيت هو الأصل ، والإجارة تابعة ، ولا يعكس فيجعل الإجارة أصلا والحج تابعاً ـ انتهى بمعناه ـ .

الحث على الإتيان بالحج على أكمل الوجوه

(وينبغى) للحاج أن يأتى بالحج على أكمل وجوهه فرضاً ونفلا مع القيام بجميع السنن والآداب ، على وفق المنقول من حج رسول الله ﷺ ويعرف ذلك من المناسك التى وضعها العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ .

ومن أحسنها ما ألفه الإمام النووى[1] ، فلا يستغنى الحاج عن استصحاب شئ منها (أى من المناسك التى ألفها العلماء) ليكون على

---

(١) المعروف « بمتن الإيضاح فى المناسك » .

والإمام النووى : هو محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الحزامى ، الفقيه الحافظ ، الزاهد ، أحد الأعلام ، وشيخ الاسلام ، ذو التصانيف المشهورة المفيدة المباركة ، ولد فى المحرم سنة (٦٣١هـ) بنوا ـ قرية من الشام ـ ونشأ بها ، وقرأ القرآن وختم وقد ناهز الاحتلام ، ثم قدم دمشق ، وحفظ « التنبيه » فى أربعة أشهر و نصف، وربع « المهذب »فى باقى السنة ،ومكث قريبا من السنتين لا يضع جنبه على الأرض ،وكان يقرأ فى يوم وليلة اثنى عشر درساً على المشاريخ فى عدة من العلوم . وتفقه على جماعة : منهم : الإمام الفقيه إسحاق بن أحمد المغربى ، وشمس الدين عبد الرحمن المقدس ، وعز الدين الإربلى ، وجدّ فى طلب العلم حتى فاق على أقرانه وأهل زمانه ، وكان على جانب كثير من العمل والصبر على خشونة . وكان لا يدخل الحمام ولا يأكل من فواكه دمشق،ويحاسب نفسه على الخطوة بعد الخطوة.
قال القاضى عز الدين ابن الصائغ : لو أدرك القشيرى النووى وشيخه كمال الدين إسحق ، لما قدّم عليهما في ذكره لمشايخها ـ يعنى الرسالة ـ أحداً ، لما جمع فيهما من العلم والعمل والزهد والورع والنطق بالحكمة .
كان ـ رحمه الله تعالى ـ محققا فى علمه وفنونه ، مدققا فى عمله وشئونه ، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ ، عارفا بأنواعه من صحيحه وسقيمه ، وغريب ألفاظه . واستنباط فقهه ، حافظاً للمذهب وقواعده وأصوله ، وأقوال الصحابة والتابعين . واختلاف العلماء ووفاقهم ، سالكا فى ذلك طريقة السلف ، وكان=

بصيرة من أمره ، وبينة من ربه ، وليزُرْ جميع المشاهد والمواضع المعظمة ، وهى مشهورة ومعروفة .

الحرص على زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وليحرص) كل الحرص على زيارة قبر سول الله ﷺ ، ولْيحذر كل الحذر من تركها مع القدرة ، وخصوصاً بعد حجة الإسلام ، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ***«من حج ولم يزرنى فقد جفانى ومن زارنى ميتاً فكأنما زارنى حياً »***[1]

فلا ينبغى للمـؤمن أن يقصر عن زيارة نبيه عليـه الصلاة والسلام إلا لعذر ناجـز ، فإن حقـه ﷺ على أمته عظـيم ، ولو أن أحدهم يجئ على رأسه أو علـى بصره من أبعد مـوضع من الأرض عن قبـره الشريف

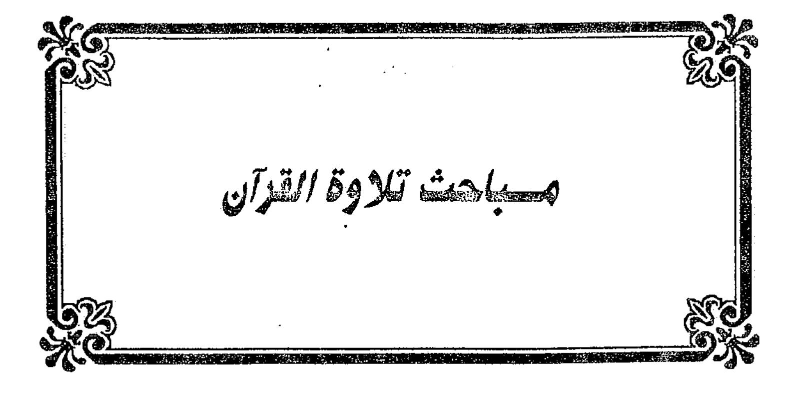
= لا يأكل فى اليوم والليلة إلا أكلة بعـد العشاء الآخرة ، ولا يشـرب إلا شربة واحدة عند السحر ، ولم يتزوج ، وكان آمراً بالمعروف ناهيـا عن المنكر ، يواجه الملوك ، وولى دار الحديث الأشرفـية بعد موت أبى شـامة ، ولم يأخذ لنفسـه من مـعلومها شيئاً ، وكان ذا وقار فى البحث مع العلمـاء ، صغر العمامة ، عظيم الشان : مات ببلده ـ نوا ـ بعد ما زار القدس والخليل فى رجب سنة (٦٧٦ هـ) ودفن بها .
من تصانيفه :« شرح المهذب » و « شرح مسلم » و « رياض الصالحين » و« الأذكار » و « الإيضاح فى المناسك » و « منهاج الطالبين » وغيرها من الكتب المفيدة .
ـ رضى الله عنه وأرضاه وجمعنا وإيـاه فى مستقر رحمتـه ـ آمين « طبقات ابن قاضى شهبة » (٢ / ١٥٣) « طبقات بن هداية » (ص ٢٢٥) .

(١) حديث : « من حـــج البـيت ولم يزرنى فـقـد جفـانى « ذكره ابن الجـوزى » فى « الموضوعات » وابن القيسـرانى فى « تذكرة الموضوعات » والمتقى الهندى فى « كنز العمال » (١٢٣٦٩) .
وأما قوله : « **ومن زارنى ميتا** ـ وفى رواية « **بعد موتى** » ـ **فكأنما زارنى حيا** » ـ وفى رواية « **فكأنما زارنى فى حيـاتى** » [فـرواه الدارقطنى ، وابن السكن وصـححـه ، والبيهقى عن حاطب ـ رضى الله عنه ـ] .
وعن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : سمـعت رسول الله ﷺ يقول: « من زار قبرى ـ أوقال ـ : من زارنى كنت له شـفيعا ، أو شهـيداً يوم القيامـة ، ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة » [رواه البيهقى ، وغيره] .
وفى رواية للبيهقى : « **ومن زارنى محتسبا إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة** » .

لزيارته عليه السلام لم يقم بالحق الذى عليه لنبيه .

جزاه الله عنا وعن سائر المسلمين أفضل ما جـزى نبيا عن أمته ، فقـد أدى الرسالة ، وأوضح الدلالة ، ونصح الأمـة ، وكشف الغـمة ، وتركنا على بيضاء نقـية ، ومحجة واضحة من الحق - ليلـها مثل نهارها - صلى الله وبارك وسلم عليـه وعلى آله أفضل مـا صلى وبارك وسلم على أحد من خلقـه وأدومه ، عدد ما علم ، وزنة مـا علم ، وملء ما علم ، كلما ذكره الذاكرون ، وسها وغفل عن ذكره الغافلون .

* * *



مــباحث تلاوة القرآن

تلاوة القرآن من أفضل العبادات

(واعلموا معاشر الإخوان) ـ جعلنا الله وإياكم من التالين لكتابة العزيز حق تلاوته ، المؤمنين به ، الحافظين له ، المحفوظين به ، المقيمين له ، القائمين به ـ أن تلاوة القرآن العظيم من أفضل العبادات وأعظم القربات ، وأجلُّ الطاعات ، وفيها أجر عظيم، وثواب كريم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[١] .

وقال ﷺ : « *أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من قرأ حرفا من كتاب الله كتبت له حسنة ، والحسنة بعشرة أمثالها ، لا أقول ألم حرف واحد، بل ألفٌ حرف ، ولام حرفٌ ، وميمٌ حرفٌ* »[٣] .

وقال عليه السلام : « *يقول الله تعالى من شغله ذكرى وتلاوة كتابى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه* »[٤] .

وقال عليه السلام : « *اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه* »[٥] .

---

(١) سورة فاطر : الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) [أخرجه أبو نعيم فى « فضائل القرآن » من حديث النعمان بن بشير ، وأنس ـ رضى الله عنهما ـ وإسنادهما ضعيف] .

(٣) [رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وقال : حديث حسن صحيح غريب] .

(٤) [أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ وقال : حسن غريب ، ورواه ابن شاهين بلفظ « **أعطيته أفضل ثواب الشاكرين** » .

(٥) [حديث صحيح . رواه مسلم عن أبى أمامه ـ رضى الله عنه ـ] .

وقـال على ـ كرم الله وجـهه ـ : من قـرأ القرآن وهو قـائم فى الصلاة كان له بكل حـرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو قـاعد فى الصلاة كان له بكل حـرف خمسـون حسنة ، ومن قرأه خـارج الصلاة وهو على طهارة كـان له بكل حرف خمس وعـشرون حسـنة ، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات .

آداب التلاوة

(واعلموا) ـ أن للتـلاوة آدابا ظاهرة وباطنة ، ولا يكون العـبد من التـالين حقـيقة ، الـذين تزكو تلاوتهم ، ويكون من الله بمكان حـتى يتأدّب بتلك الآداب ،وكلٌّ من قصر فيها ولم يتحقق بها لم تكمل تلاوته ؛ ولكنه لا يخلو فى تلاوته من ثواب ، وله فضل على قدره .

فمن أهم الآداب وآكدها : أن يكون التالى فى تلاوته مخلصاً لله تعالى ، ومريداً بهـا وجهه الكريم ، والتقربَ إليـه والفوز بثوابه ، وأن لا يكون مرائياً ولا متصنعا ، ولا مُتَـزَيّناً للمخلوقين ، ولا طالباً بتلاوته شيئاً من الحظوظ العاجلة ، والأعـراض الفانية الزائلـة ، وأن يكون ممتلئ السرِّ والقلب بعظمة المتكلم عزَّ وعلا خاضعاً لجلاله ،خاشع القلب والجوارح ؛ حتى كأنه من تعظيـمه وخشوعه واقفٌ بين يدى الله يتلو عليـه كتابه الذى أمـره فيـه ونهـاه ، وحَقٌّ لمن عرف القـرآن وعـرَف المتكلّم به ، أن يكون كذلك وعلى أتمّ من ذلـك ، كيف وقد قـال الله تعالى : ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] .

فإذا كان هكذا يكون حالُ الجبل مع جموده وصلابته لو أنزل عليه القرآن ، فكيف يكون حال الإنسان الضعيف المخلوق من ماء وطين ، لولا غفلة القلوب وقسوتها ، وقلة معرفتها بعظمة الله وعِزّه وجلاله !!

---

(١) سورة الحشر : الآية ٢١ .

وقال تعالى فى وصف الخاشعين من عباده عند تلاوة كابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[٢] .

فالتعظيم والخشوع والخضوعُ عند تلاوة القرآن من أوصاف المؤمنين الصادقين ، والعارفين بجلال الله رب العالمين ، والغفلةُ والقسوةُ والسهو واللهو عند تلاوة القرآن من أوصاف المعرضين المخلّطين ، الذين ضعف إيمانهم وقلّ يقينهم ، وخلت قلوبهم من حقائق معرفة الله ، ومعرفة كلامه .

نسأل الله لنا ولكم العافية من ذلك ، ومن جميع أنواع البلاء والمهالك .

* * *

ومن أهم الآداب وأوجبها : أن يكون فى حال تلاوته متدبرا لما يقرأ ، متفهماً له ، حاضر القلب عنده ؛ قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[٣] .

وقال تعالى فى معرض الإنكار والتوبيخ لأقوام : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٤] .

---

(١) سورة الإسراء : الآيات ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ . (٢) سورة الزمر : الآية ٢٣ .
(٣) سورة ص : الآية ٢٩ . (٤) سورة محمد : الآية ٢٤ .

وقال على ـ رضى الله عنه ـ : **لا** خـير في قراءة **لا** تدبرٌ فيـها .
وصدق ـ رضى الله عنه ـ فإن القرآن إنما نزل لِيُتَدَ بَّرَ ، وبالتدبر يفهم المراد منه ، ويتوصـل إلى العلم به والعمل بما فـيه ، وهذا هو المقصـود بإنزاله وبعْثة الرسول ﷺ به .

(**فعليك**) فى حال تلاوتك بالتدبر والتفهم ؛ فإن قليلا تقرؤه من القرآن مع التدبر والتفهم ، خيرٌ من كثير تقرؤه من القرآن بدون ذلك .

قال بـعض السلف ـ رحمـة الله عليهم ـ : لأن أقـرأ إذا زلزلت والقارعة ، أتدبرهما وأتفهمـهما أحبُّ إلى من أن أقرأ القرآن كله بلا تدبُّر وتفهُّم .

وسئل بعضهم عن قارئين : قرأ أحدهما البقرة فقط ، وقرأ الآخر البقرةَ وآل عمران ، وابتدآ معا وختـما معا ، أيهما أفضل ؟ فقال : الذى قرأ البقرة فقط أفضل .

(**قلت**) : إنما صار هذا الذى قـرأ البقـرة أكثر فـضلا ، مع أن الآخر قرأ مثله نحوا من مرتين لكون قارئ البقرة كان أكثر تدبراً وترتيلا : دلّ على ذلك استغراقه بقراءتها ذلك الوقت الذى قرأ فيه الآخر البقرة وآل عمران .

فقد تبين لك أن التدبر والتفـهم هو المقصود ، والذى عليه المعول فى حال التلاوة للقرآن الكريم ؛ فعليك به ـ رحمك الله ـ .

قال الحسن البصرى[1] ـ رحمه الله ـ : إن من كان قبلكم رأوْا هذا القرآن رسائلَ إليـهم من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفـذُونها بالنهار (انتهى).

---

(١) سبقت لنا ترجمته .
قال ابن سعد فى « طبقـاته »:كان جامعا عالماً رفيعـا فقيها حجة مأمون عـابداً ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما ، وكان يشبه بأصحاب رسول الله ﷺ . =

وكلمــا كان العــبد أوسع علمــا ومعــرفة بالله ،كــان أكثــر تدبّرا للقرآن، وأعظم فــهما فــيه ، ولذلك اتسع المجــال فى تدبر القرآن وفهــمه للعارفين بالله من العلماء الراسخين والأئمة المهتدين .

قــال أبو ذرّ ـ رضى الله عنه ـ : قــام بنا رســول الله ﷺ بقــوله تعــالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] .

وكان عمر[2] ـ رضى الله عنه ـ يقــرأ الآية فى قــيامــه من الليل

= قال أبو بردة : ما رأيت رجلاً قط لم يصحب النبى ﷺ أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ من هذا الشيخ ـ يعنى الحسن ـ .

وعن على بن زيد قال : أدركت عروة بن الزبير ، ويحيى بن جعدة ، والقسم ، فلم أر فيهــم مثل الحسن ، ولو أن الحســن أدرك أصــحاب النبى ﷺ ـ وهو رجل ـ لاحتاجوا إلى رأيه .

وخرج يومــا من عند ابن هبيــرة ، فإذا هو بالقــراء على البــاب فقال : مــا يجلسكم هاهنا ؟ تريدون الدخــول على هؤلاء الخبثــاء ؟ أما والله ، مــا مــجالســتكم إياهم بمجالسة الأبرار ، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم ، أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم .

قال حميد الطويل : توفى الحــسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجــمعة ، ففرغنا من أمره ، وحملنا بعــد صلاة الجمعة ودفناه ، فتبــع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به ، فلم تقم صلاة العصر بالجامع ، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام .

راجع « الطبقات الكبرى » لابن سعد « جمهرة الأولياء » (٢/ ٨٠) .

(١) سورة المائدة : الآية ١١٨ .

(٢) هو أبو حفص عمــر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العــزى بن رياح القرشى العدوى ، أول من سمى بأمير المؤمنين ، والمجمع على كثرة علمه ووفور عقله وفهمه ، وزهده وتواضعه ورفقه بالمؤمنين ، وإنصافه ووقوفه مع الحق ، وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ ولد ـ رضى الله عنه ـ بعد الفــيل بثلاث عشرة سنة ، وكــان شديداً على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، ثم لطف الله به فأسلم قديما ، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشــرة امرأة ، وقيل : غــير ذلك ، وكــان النبى ﷺ يقول : « **اللهم أعــز الإسلام بأحب الرجلين إليك : عــمر بن الخطاب أو عمــرو بن هشام** » وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب [رواه أبو يعلى ، وعبد بن حميد] .

وأخرج ابن سعد بسند حسن « أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى عمر أو أبا جهل قال :=

فيتدبرها حتى ربما سقط من قيامه من شدة خشيته وخشوعه ، وربما يمرض بسبب ذلك حتى يعاد .

= « اللهم اشدد دينك بأحبهما إليك » .
قـال الإمام النووى : عـمر ـ رضى الله عنه ـ أحـد السابقـين إلى الإسلام ، وأحـد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخلفـاء الراشدين ، وأحد أصهار رسول الله ﷺ وأحد كبار علماء الصـحابة وزهادهم ، روى له عن رسول الله ﷺ (٥٣٩ حديثا) روى عنه جماعة كثيرة من الصحابة ومن لا يحصون من التابعين .
وفى حقه يقول المصطفى ﷺ : « إن الله جعل الحق على لسان عمر » ويقول: « والذى نفسى بيده مـا لقـيك الشيطــان سـالكا فجـا إلا سلك فـجـا غير فـجك » [رواه الشيخان] .
وعنه قال: وافـقت ربى فى ثلاث : قلت: يا رسـول الله لو اتخذنا من مقـام إبراهيم مصلى ، فنزلت : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » وقلت : يا رسول الله يدخل على نسائك البـر والفاجر ، فلو أمرتهن يحـتجبن ، فنزلت آية الحجـاب ، واجتمع نساء النبـى ﷺ فى الغيرة ، فـقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يـبدله أزواجا خـيراً منكن ،فنزلت كـذلك [رواه الشيـخان] وفـي رواية : أسـارى بدر بدل اجتـمـاع النساء .
وسئل رسول الله ﷺ : أى الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » فقلت : من أحب الرجال ؟ قال « أبوها » قلت : ثم مـن ؟ قـال : « عمر » فــعـد رجالاً [رواه الشيخان]
وكان ـ رضى الله عنه ـ وقافا عند كتاب الله تعالى .
وعن حفصه قـالت : قال عمر : اللهم ارزقنى شهادة فى سـبيلك واجعل موتى فى بلد رسـولك ، فـقلت أنى يـكون هذا ـ فـقـال : يأتينى به الله إذا شـاء . [رواه البخارى] .
وعن ابن عمر ـ رضـى الله عنهما ـ قـال : قال رسول الله ﷺ لأبى بكـر وعمـر : « هذان سيـدا كهول أهل الجـنة من الأولين والآخرين إلا النبيـين والمرسلين» [رواه الترمذى].
وقال ﷺ : « لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب » [رواه الترمذى] .
وقـال ﷺ : « ما مـن نبى إلا له وزيران من أهل السمـاء ووزيران من أهل الأرض ، فأما وزيراى من أهل السـماء فجبريل ومـيكائيل ، وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر » [رواه الترمذى] .
وكـان ـ رضى الله عنه ـ إذا مر على مـزبلة يقف عندها ويـقول : هذه دنيـاكم التى تحرصون عليها .
وكان يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل والأيتام فقال له بعضهم: دعنى أحمل=

وقام تميم الدَّارى[1] بهذه الآية يردّدها إلى الصباح : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية[2] .

= عنك ، فقال : ومن يحمل عنى يوم القيامة ذنوبى .
ويقول : وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر لى ولا وزر علىّ .
وأبطأ يومـا عن الخروج لصلاة الجـمعـة ثم خرج فـاعتذر إلى النـاس ، وقال : إنما حبسنى عنكم ثوبى هذا ، كان يغسل وليس عندى غيره .
وكان فى وجهـه خطان أسودان من كثرة البكاء ، وأحـواله وفضائله وسيرته ورفـقته برعيته وتواضعـه واجتهاده فى الطاعة وحقوق المسلمين أشـهر من أن تذكر ، و أكثر من أن تحصر .
توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ٢٣ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقيل : كـان له خمس وستون سنة ، والصحـيح أن سن رسول الله ﷺ وسن أبى بكر وعمر وعلى وعائشة ثلاث وستون ـ رضى الله عنهم وأرضاهم ـ .
« تهذيب الأسماء » (٢ / ٣) « الإصابة » (٤ / ٤٨٤) « الطـبقات للشعرانى » (١ / ١٦) .

(١) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سويد الدارى ، يكنى أبا رقـية ، ولم يولد له غيرها كان نصرانيا ، وقـدم المدينـة فأسلـــم ، وذلك سنة ٩ هـ ، روى له عن رسول الله ﷺ (١٨ حديثاً) منهـا حديث : « الدين النصيحة » ، وفى « صـحيح مسلم » أن رسول الله ﷺ روى عنه قصة الجساسة ، وهذه منقبة شـريفة له لا يشاركه فيها غيره ، ويدخل فى رواية الأكابر عن الأصاغر .
وروى عنه جماعة من الصـحابة ، منهم : ابن عباس ، وأنس ، وأبو هريرة ـ رضى الله عنهم ـ وجماعات من التابعين .
كان ـ رضى الله عنه ـ كـثير التهـجد ، قام ليلة حتى اصبـح بآية من القرآن ، يركع ويسجد ويبكى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات .. الآية » .
قال ابن عسـاكر فى « تاريخـه » عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن تميما اشترى رداء بألف درهم ، وكان يصلى بأصحابه فيه .
وعن ثابت : أن تميمـا اشترى حلة بألف درهم ، فكان يلبســها فى الليلة التى يرجى أنها ليلة القدر .
مات بالشام ، وقبره ببـيت جبرين ـ من بلاد فلسطــين ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ
« تهذيب الأسماء » (١ / ١٣٨) « الاصابة » (١ / ٤٨٧) .

(٢) سورة الجاثية : الآية ٢١ .

وقام سعيد بن جبير[1] ـ رحمه الله ـ ليلة بقوله تعالى : ﴿ وَامْتَازُوا

(١) هو أبو عبد الله سعيد بن جبير الوالبى الفقيه البكاء ، والمفسر الدعّاء ، أحد الأعلام الواصلين .

كان رضى الله عنه ـ يبكى بالليل حتى عمش ، وروى أنه دخل الكعبة ، فقرأ القرآن فى ركعة .

وعن ورقاء قال : كان سعيد بن جبير يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء فى شهر رمضـان : وكان يؤم الناس فى شهر رمـضان فيقـرأ ليلة بقراءة ابن مسـعود ، وليلة بقراءة زيد بن ثابت ، وأخرى بقراءة غيرهما ، وهكذا أبداً .

وعن أصبغ بن زيد قال: كان لسعيد بن جـبير ديك يقوم إلى الصلاة إذا صاح ، فلم يصح ليلة من الليالى ، فأصبح سعيـد ولم يصل ، قال : فشق ذلك عليه : فقال له ماله ؟ قطع الله صوته ، قال : فما سـمع ذاك الديك يصيح بعدها . فقال له أمه : أى بنى لا تدع على شىء بعدها .

وعن معاوية بن إسحاق قال : سمعت سعيد بن جبير يقول: لئن أؤتمن على بيت من الدر، أحب إلى من أن أؤتمن على امرأة حسناء.

وعنه قال : لو فارق ذكر الموت قلبى ، خشيت أن يفسد على قلبى .

وعنه قال : من إضاعة المال . أن يرزقك الله حلالا فتنفقه فى معصية الله .

وعن خصيف قال : رأيت سعيد بن جبير صلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح قال : فأتيتـه فصليت إلى جنبه ، وسألته عن آية من كتـاب الله فلم يجبنى ، فلما صلى الصبح قال : إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلى الصبح .

وكان يقـول : من أطاع الله تعالى فهو ذاكـر ، ومن عصاه فليس بذاكر ، وإن أكـثر التسبيح وتلاوة القرآن .

وعن داود بن أبى هند قـال : لما أخذ الحجـاج سعـيد بن جبـير قـال : ما أرانى إلا مقتولاً ، وسـأخبركم أنى كنت أنا وصاحبين لى دعونا حـين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الله الشهادة فكلا صاحبى رزقها وأنا أنتظرها ، قال : فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء .

ولما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قام بين يديه فقال له : أعوذ منك بما استعاذت به مريم بنت عمـران حيث قالت : « أعوذ بالرحـمن منك إن كنت تقيا » فقال له الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جـبير ، قال : شقى بن كسير ، قال : أمى أعلم باسمى ، قال : شقيتَ وشقيتْ أمك ، قال : الغيب يعلمه غيرك ، قال : فما تقول فـى محمـد ، ؟ قال : نبى خـتم الله تعالى به الرسل ، وصـدق به الوحى ، وأنقذ به من الـهلكة ، إمام هدى ، ونبى رحـمة ، قال : فـما تقول فـى الخلفاء ؟ قال: لست عليهم بوكيل ، إنما استحفظت أمر دينى ، قال: فأيهم أحب إليك ؟ قال : أحسنهم خلقـا وأرضاهم لخالقه ، وأشـدهم فـرقا ، قال : فمـا تقول فى علىّ =

الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾[1] يرددها .

وما يحكى عن السلف الصالح فى المعنى كثير منتشر .

وكان الخوف والبكاء يغلب عليهم عند قراءة القرآن من شدة معرفتهم بالله وفهمهم فى كتابه ، وتدبرهم له ، وكان يُغْشَى على كثير

= وعثمان أفى الجنة هما أوفى النار ؟ قال : لو دخلتهما فرأيت أهلهما إذا لأخبرتك ، فما سوالك عن أمر غيب عنك ، قال فما تقول فى عبد الملك بن مروان قال : مالك تسألني عن امرئ أنت واحدة من ذنوبه ، قال : فما لك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر ما يضحك ، كيف يضحك من خلق من تراب وإلى التراب يعود ، قال : فإنى أضحك من اللهو ، قال : ليس القلوب سواء ... إلى أن قال : إنى قاتلك ، قال : إن الله عز وجل قد وقّت لى وقتا أنا بالغه ، فإن يكن أجلى قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ، ولا محيص ساعة ، وإن تكن العافية فالله تعالى أولى بها ، قال : اذهبوا به فاقتلوه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أستحفظكها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة ، فلما تولوا به ليقتلوه ضحك ، قال له الحجاج : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله جل وعلا عنك ، ثم استقبل القبلة ، فقال : « **وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلما وما أنا من المشركين** » قال : اقتلوه عن القبلة ، قال : « **فأينما تولوا فثم وجه الله ، إن الله واسع عليم** » قال : اضربوا به الأرض، قال : « **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** » قال : اضربوا عنقه ، قال : اللهم لا تحل له دمى ولا تمهله من بعدى ، فلما قتله لم يزل دمه يجرى حتى علا وفاض حتى دخل تحت سرير الحجاج ، فلما رأى ذلك هاله وأفزعه ، فبعث إلى صادوق المتطبب فسأله عن ذلك ؟ قال : لأنك قتلته ولم يحله ، ففاض دمه ولم يجمد فى جسده ، ولم يخلق الله عز وجل شيئاً أكثر دما من الإنسان ، فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع النوم ، وجعل يقول : ما لى ولك يا سعيد بن جبير ، وكان فى جملة مرضه كلما نام رآه آخذا بمجامع ثوبه ، يقول : يا عدو الله فيم قتلتنى ؟ فيستيقظ مذعوراً ويقول : مالى ولابن جبير .

قال فى « الطبقات الكبرى » : ولما قطع الحجاج رأسه قال : لا إله إلا الله مرتين ، ثم قال الثالثة فلم يتمها .

وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ا هـ .

قال ميمون بن مهران : لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ « حلية الأولياء » (٤/ ٢٧٢) « الطبقات الكبرى » (١ / ٣٦) « شذرات الذهب » (١/ ١٠٨) .

(١) سورة يس : الآية ٥٩ .

منهم عند قراءته وسماعه ، وربما مات بعضهم ، وذلك معروف في أخبارهم وسيرهم - رحمهم الله ونفعنا بهم - .

فإذا قرأت فتدبرْ وتفهَّمْ وتفكَّر وتوقَّفْ عند كل آية يكون فيها أمر من أوامر الله ، أو نهيُه ، أو وَعْد أو وعيد ، ثم انظر ، فإن وجدت نفسك ممتثلا لذلك المأمور ، مجتنباً لذلك النهي ، ومصدقاً موقِنا بذلك الوعد والوعيد ، فاحمد الله ، واعلم أن ذلك حصل لك بتوفيقه ومعونته ، وزد في الجِدِّ والتشمير ، واحترز من التساهل والتقصير ، وإن وجدت نفسك غير ممتثل لذلك المأمور ، وغير مجتنب لذلك النهى ، وغير قوى اليقين بالوعد والوعيد ؛ فاستغفر ربك وتب إليه من تقصيرك ، واعزم على امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، والزم قلبك اليقين الكامل بوعده ووعيده .

وكذلك إذا تلوت آيات التوحيد لله والتقديس له عزَّ وجلَّ ، والآيات التى فيها ذكر صفاته العليا وأسمائه الحسنى ، تقف عندها وتتدبّر ما فيها من معانى جلاله ، ورفيع مجده وكماله ، وتكون عند ذلك ممتلئ القلب بتوحيده وتقديسه ، وتعظيمه وإجلاله .

وإذا تلوت الآيات التى فيها ذكر أوصاف المؤمنين والصالحين من عباد الله تعالى ، وفيها شرح أخلاقهم المحمودة ، تتدبرها وتنظر فيها ، وتطلب نفسك بالاتصاف والتخلق بها .

وإذا تلوت الآيات التى فيها ذكر الأعداء من الكافرين والمنافقين ، وذكر أوصافهم وأخلاقهم القبيحة ، تتدبرها وتنظر : هل أنت ملابس لشئ منها ، فتتنزه عنه وتتوب إلى الله منه ، لئلا ينزل بك من الله مثل الذى نزل بهم من السخط والعقاب .

وعلى مثل هذا النحو فتدّبر فى آيات الله عند كل آية منها على حسب المناسبة والموافقة ؛ فإن آيات القرآن كثيرة ، وهى أنواع وأقسام متعددة ، وفيها العلوم الواسعة الغزيرة التى لا غاية لها ولا نهاية ، قال

الله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[٢] .

وفى الحديث « *إن لكل آية ظهراً وبطنا ، وحداً ومطلعا* » [٣].

حسن الترتيل فى التلاوة

(واستعن) على حسن التدبر والتفهم لمعانى القرآن بحسن الترتيل ، والتأنى فى حال تلاوته ، ومجانبة العجلَة والهذّ والهذرَمة ، فقد ورد النهى عن ذلك : أعنى عن الهذّ والهذرمة ،وهما عبارة عن الاستعجال ، وترك الترتيل المأمور به ؛ قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[٤] .

ولما وصفت أمُّ سلمَة وغيرها من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ قراءة رسول الله ﷺ ، وصفوا قراءةً مرتَّلة مفسرة حرفا حرفاً .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *يقال لقارئ القرآن إقرأ وارْقَ ورتِّل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها* »[٥] .

قال بعض العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ : عدد درج الجنة بعدد آى القرآن ، فتكون منزلة من يقرأ القرآن كله فى أعلى درجات الجنة ـ (انتهى بمعناه) .

(قلت) وهذا يكون للقارئ المحسن فى تلاوته ، العامل بما يقرؤه من القرآن دون القارئ المخلِّط الغافل ، دلّت على ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة فى عقاب القارئ الذى لا يعمل بالقرآن ، وإن كان

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٣٨ . (٢) سورة النحل : الآية ٨٩ .
(٣) أعثر على من خرّجه . (٤) سورة المزمل : الآية ٤ .
(٥)[حديث صحيح . رواه الترمذى ، وأبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان فى « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال الترمذى : حديث صحيح] .

يقرؤه كما أنزل فى الظاهر .

وعدد آيات القرآن الـكريم أكثر من ستة آلاف آية ، فـيكون عدد درجات الجنة بحسب ذلك على وَفق ما ذكره الـعالم الذى نقلنا قوله قريبا والله أعلم .

تحسين الصوت بالقرآن فى التلاوة

ومن المندوب إليـه تحـسين الصـوت بالقـرآن ؛ وهو مُـعين على حضور القلب وخشوعه وحُزْنه ، وباعثٌ على حسن الاستماع والإصغاء إلى القرآن ، وقد قال رسول الله ﷺ : « *حَسِّنُوا القرآن بأصواتكم* »[١] .

وقال عليه السلام : « *من لم يتغَنَّ بالقرآن فليس منا* »[٢]

وقـال عليــه الســلام فى مــعـرض الثناء علـى أبى مـوسى الأشعرى[٣] ـ رضى الله عنه ـ وقد سمعه يقرأ القرآن بصوت حسن : « *لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داو* »[٤] .

ولكن ينبغى أن يكون ذلك التحسين على وجه يليق بتعظيم القرآن واحترامه ، بحيث لا يشبَّه بالغناء ، وإنشـاد الأشعار بالألحان ، كما يفعل ذلك بعض الأغبياء .

---

(١) نص الحديث : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » [رواه أبو داود ، النسائى ، وابن مـاجه عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) رواه ابن ماجه عن سعد بن أبى وقـاص ـ رضى الله عنه ـ والحديث كاملا: « **إن هذا القرآن نزل بحـزن ، فإذا قرأتموه فـابكوا ، فإن لم تبكوا ، فـتباكوا وتـغنوا به ، فمن لم يتغنى بالقرآن فليس منا** » .

وقـال ﷺ : « **ليس منا من لم يتـغن بالقرآن** » فقـال رجل لابن أبى مليكة : يا أبا محمد : أرأيت إن لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسنه ما استطاع .

رواه أبو داود ، والحديث المذكور فى « الصحيحين » وغيرهما .

(٣) ستأتى ترجمته .

(٤) [حديث صحيح . متفق عليه] .

أكمل الأحوال فى التلاوة

(وينبغى) أن تكون فى حال تلاوتك على أكمل الأحوال : من الطهارة ، واستقبال القبلة ، وسكون الجوارح ، وقلة الالتفات ؛ مع جمع الهمّ ، وترك تفريق النظر ، وأن تكون نظيف البدن والثياب والمكان ، طيب الرائحة ، وهذا هو الأكمل الأفضل .

ولو أن القارئ قرأ وهو محدث وغير مستقبل القبلة ، أو وهو قائم أو سائر أو مضطجع جاز ذلك ، وله فى تلاوته فضل وثواب ، ولكن دون ثواب من يكون على ما ذكرناه من حسن الآداب ، وكمال الهيئات .

منزلة قارئ القرآن عند الله

(ثم اعلموا) - رحمكم الله - أن قارئ القرآن وحافظه عند الله بمكان ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « *الذى يقرأ القرآن وهو به ماهر مع السفرَة الكرام البررة، والذى يقرؤه و يتتعتع فيه ، وهو عليه شاق، له أجران* »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « *أهل القرآن هم أهل الله وخاصته* »[2] إلى غير ذلك من الفضائل التى وردت بها الأخبار الكثيرة الشهيرة .

وجوب معرفة حق القرآن

ولكن ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف للقرآن حقه ، وما يجب له من الاحترام والتعظيم ، وما يتعين عليه من الأخذ به والعمل بما فيه ، وما أرشد إليه من جميل الأوصاف ، وكريم الأخلاق وصالح الأعمال .

وهذا وإن كان مطلوبا من عامة المسلمين فهو على قارئ القرآن أوجب وآكد ، وهو به أجدر وأولى ؛ لفضله وفضل ما معه من كتاب الله وبيناته وحججه.

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، وأصحاب السنن عن عائشة - رضى الله عنها -] .

(٢) [حديث حسن . رواه أبو القاسم بن حيدر فى مشيخته عن على - رضى الله عنه - قال الحافظ المنذرى : رواه النسائى ، والطبرانى ، وابن ماجه ، والحاكم] .

قال عمر ـ رضى الله عنه ـ : يا معشـر القراء ، ارفعوا رءوسكم فقد وضَح لكم الطريق ، واستبقوا الخيرات .

وقال عـبد الله بن مسـعود ـ رضى الله عنه ـ : ينبـغى لصاحب القـرآن أن يُعـرف بليله إذ النـاس نائمـون ، وبنهـاره إذ الناس مـفطرون ، وبحـزنه إذ الناس يفرحـون ، وببكائه إذ الناس يضحكـون ، وبصمـته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون . (انتهى) .

(قلت) : مـعنى كلام ابن مـسعـود هذا ـ أنه ينبغى أن يـتمـيزّ صاحب القـرآن من غيره من عامّـةِ الناس ؛ بزيادة التشمير فى طاعة الله وكثرة المسارعة فى الخيرات ، وشدةَ الاحترازَ من الغفلة ، مع مجانبة اللهو وكمال الخشية ، والخوف من الله تعالى .

وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أيضـاً : نزل القرآن ليُعمل به فاتخذوا دراسته عملاً .

ذم القارئ الغافل

فـأما القـارئ المخّلط الغافل الـذى لا يعمل بالقـرآن ، ولا يأتمر بأوامره ، ولا ينزجر بزواجره ، ولا يـقف عند حدوده ؛ فقد ورَدت فى ذمه الأخبار ، وجاءت فى حقه تشديدات ، وتخويفات كثيرة .

قال عليه الصلاة والسلام : « *اقرأ القرآن مـا نهاك ، فإن لم ينْهك فلست تقرؤه* »[1] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من جعل القـرآن أمامـه قاده إلى الجنة ، ومن جعله وراء ظهره ساقة إلى النار* ... » الحديث[2] .

---

(١) [رواه الديلمى فى « مسند الفردوس » عن عبـد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهـما ـ] .

(٢) لم أعـثر على من خـرجه ، وورد بمعناه من قـول ميـمون بن مهران : من تـبع القرآن قاده القرآن حـتى يحل به فى الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يتبعه حتى يقذفه فى النار . « الحلية » (٤ / ٨٥) .

وقال عليه السلام : « *النار إلى فسقة القـراء أسرع منها إلى عبدة الأوثان* »[١] .

وورد « *أن القـرآن غـريب في جـوف الظالم ، وأنه كم من قـارئ يقرأ القرآن والقرآنُ يلعنه* »[٢]

يعنى لمخالفتـه له ، وعمله على خلاف ما يدعـو إليه ، وبلغنا أنه يؤمر بأناس من حملة القرآن إلى النار قبل عبدة الأصنام ، فيقولون : أيبدأ بنا قبل عبدة الأصنام ؟ فيقال لهم : ليس من يعرف كمن لا يعرف[٣] .

وفي بعض الآثار : أن قـارئ القـرآن إذا ركب المعـاصي يناديه القرآن في جـوفه : أين زواجرى ؟ أين قـوارعى ؟ أين مواعظى ؟! الأثر إلى آخره .

وقال ميمون بن مِهران[٤] ـ رحمه الله تعـالى ـ : إن أحدهم يقرأ

---

(١) سبق لنا تخريجه .

(٢) [لم أعثر على من خـرجه ، والمعروف أنه من قول ميسـرة : الغريب هو القرآن فى جوف الفـاجر ، وقـول أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : رب تالٍ للقـرآن والقرآن يلعنه] راجع « الاحياء » (١/ ٢٧٤) .

(٣) [رواه الطبراني ، وأبو نعيم من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وقـد سبق فى مبحث العلم ، وهو تكملة الحديث رقم (١)] .

(٤) هو أبو أيوب ميمـون بن مهران الرقى ، إمام أهل الجـزيرة ، حميد السـيرة ، سديد السريرة ، القاضى الفقيه ، كاتب عمـر بن عبد العزيز ، كان من العلماء العاملين ، روى عن عائشة وأبى هريرة وطائفة .
يقول عـمرو بن ميمـون : ما كان أبى بكثيـر الصيام والصـلاة . ولكنه كان يكره أن يعصى الله .
ويقول ميـمون بن مهران : كـراهة الرجل لأن يعصى الله عز وجل خيـر له من كثرة الطاعات مع الميل إلى المعاصى .
ويقول : لا تمارين عالمـا ولا جاهلاً ، فإنك إن ماريت عالماً خـزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك .
وعنه قال: ما أحب أنى أعطيت درهما فى لهو وإن لى مكانه ألفا . تخشى من فعل ذلك أن تصيبه هذه الآية :«ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » .
وعنه قـال : ثـلاث لا تبلون نفسـك بهن : لا تدخل على السـلطان وإن قلت :=

القرآن وهو يلعن نفسه، قيل له: وكيف ذلك ؟ قال : يقرأ ﴿ألا لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١] وهو يكذب . ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٢] وهو يظلم .

وفى الحديث : « إن المنافق الذى يقـرأ القران مَثَله مـثلُ الريحانة ريحها طيّب وطعمها مُرّ »[٣] .

وفيه أيضاً : « أن أقواما يقرءون القرآن كما أُنزل ، وأنه لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية »[٤].

= آمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت : أعلمـها كتاب الله ، ولا تصغين بسمعك لذى هوى ، فإنك لا تدرى ما يعلق بقلبك منه .

وعنه قال : لأن أؤتمن على بيت المال ، أحب من أن أؤتمن على امرأة .

وعنه قـال : العلماء ضـالتى فى كل بلدة ، وهم بغـيـتى ووجدت صـلاح قلبى فى مجالسة العلماء .

وعن جعفر بن برقان قال : قال لى ميمون بن مهران : يا جعفر ،قل لى فى وجهى ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره .

وعن أبى المليح قال : قـال لنا ميمون بن مهـران - ونحن حوله - يا معشـر الشبات قوتكم اجعلوها فى شبابكم ، ونشاطكم فى طاعة الله .

ويقول : لئن أتصدق بـدرهم فى حياتى ، أحب إلى من أن يتصدق عـنى بعد موتى بمائة درهم .

ويقول : كان يقـال : الذكر ذكران : ذكر الله باللسـان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند المعصية إذا أشرفت عليها .

وعن ميمون بن مهران قال: بعث الحجاج بن يوسف إلى الحسن البصرى وقد همّ به فلما دخل عليه فـقام بين يديه فقال : يا حـجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا ! قال : فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن .

وعنه قال : من سرّه أن يعلم ما منزلته غدا فلينظر ما عمله فى الدنيا فعليه ينزل .

وقال : يا ابن آدم خـفّف عن ظهرك ، فإن ظهرك لا يطيق كل الذى تحـمل عليه من ظلم هذا ، وأكل مال هذا ، وشتم هذا .

توفى - رضى الله عنه - سنة ١١٧ هـ « حلية الأولياء » (٤/ ٨٢) « الطبقات الكبرى » (١/ ٣٥) « شذرات الذهب » (١ / ١٥٤) .

(١) نص الآية « ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » سورة آل عمرن : الآية ٦١ .

(٢) سورة هود : الآية ١٨ .

(٣) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه -] .

(٤) سبق لنا تخريجه .

نسأل الله اللطف والعافية ، والتوفيق للتمسك بكتابه ، والعلم به والفهم فيه ، والعمل بما أرشد إليه ، مع حسن الخاتمة ، وحسن العاقبة فى الأمور كلها ، لنا ولأحبابنا وللمسلمين .

تعلم القرآن وتعليمه من أعظم القرب

ومن القربات العظيمة والفضائل الجسيمة : تعلم القرآن الكريم وتعليمه ، وذلك من فروض الكفايات المتأكدات ، وقد قال ﷺ : « *خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه* »[1] .

وسئل سفيان[2] الثورى ـ رحمه الله ـ ، فقيل له : الرجلُ يتعلم القرآن أحبُّ إليك ، أو يغزو فى سبيل الله ؟ فقال : بل يتعلم القرآن .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الجماعة إلا مسلماً من حديث عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى ، الفقيه الزاهد ، سيد أهل زمانه علما وعملاً ، والملقب بأمير المؤمنين فى الحديث .
ولد سنة (٩٧هـ) وخرج من الكوفة إلى البصرة ، و توفى بها سنة (١٦١ هـ) .
قال سفيان بن عيينة : أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله ﷺ : ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، وسفيان الثورى فى زمانه .
وعن المثنى بن الصباح قال : سفيان الثورى عالم الأمة وعابدها .
وعن مؤمل قال : ما رأيت عالماً يعمل بعلمه إلا سفيان .
وعن أحمد بن يونس يقول : ما رأيت أحداً أعلم من سفيان ، ولا أورع من سفيان ، ولا أفقه من سفيان ، ولا أزهد من سفيان .
وعن سفيان قال: الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفى الداء؟
ويقول : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع نه وحفظه ، والثالث العمل به ، **والرابع نشره وتعليمه .**
ويقول: ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم ، ولا نزال نتعلم العلم ما وجدنا من يعلمنا .
ويقول : لو أنى أعلم أن أحداً يطلب الحديث بنية لأتيته فى منزله حتى أحدّثه .
وعن عبد الرحمن بن مهدى قال : رأيت سفيان الثورى فى المنام ، فقلت : أى شئ وجدت أفضل ؟ قال : الحديث . [أى إذا صحت النية فيه بأى ابتغى به وجه الله والدار الآخرة] .
=

الإكثار من التلاوة بشروطها

[وينبغى] للقارئ لكـتاب الله أن يستكثـر من تلاوته آناء الليل والنهـار ، مع التدبُّر والتـرتيل ، وغاية الأدب والاحـترام ، ولْيـحذر كل

= وعنه قال : ما استودعت قلبى شيئاً قط فخاننى .
ويقول : ليس طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل .
وعن عبـد الرحمن بن مهـدي قال : لما غـسلت سفيـان الثورى وجدت فى جـسده مكتوبا « فسيكفيكم الله » .
قال البيـاضى : اخبرت أن أمير المؤمنين هارون الرشيـد قال لزبيدة : أتزوج عليك ؟ قالت زبيـدة : لا يحل لك أن تتزوج على ، قال : بلى ، قـالت زبيدة بينى وبينك من شئت ، قال : ترضين بسفيان الثورى ؟ قـالت : نعم ، قال : فوجه إلى سفيان الثورى ، فـقال : إن زبيـدة تزعم أنه لا يحل لى أن أتزوج عليـها ، وقـد قال الله تعالى : « فانكحوا مـا طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ثم سكت ، فقال سفيان : تمّم الآية ،يريد أن يقرأ « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة »وأنت لا تعدل ، فأمر لسفيان بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها .
وسأل شخص سفيان الثورى : أصافح اليهود والنصارى ؟ فقال : برجلك نعم .
ويقول : لا تجيبوا دعوة إلا دعوة من ترون أن قلوبكم تصلح على طعامه .
وقال حـذيفة المرعـشى : قال لى سـفيـان الثورى : لأن أخلف عـشرة آلاف درهم أحاسب عليها ، أحب إلى من أن أحتاج إلى الناس .
ويقول : كان المال فيما مضى يكره ، فأما اليوم فهو ترس المؤمن .
وجاء رجل إلى الثـورى فقال : يا أبا عـبد الله تمسك هذه الدنانير ؟ فـقال : اسكت لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك .
وقال سـفيـان لأبى الأحوص سـلام بن سلام : عليك بعـمل الأبطال : الكسب من الحلال ، والانفاق على العيال .
وعن عثمان بن زائدة قال : رأيت فى النوم كأنى أدخلت الجنة ، فإذا سفيان يطير من شجرة إلى شجرة وهو يقول : « تلك الدار الآخرة نجـعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .
وقال سفيان : رضى الناس غاية لا تدرك ، وطلب الدنيا غاية لا تدرك .
ويقول : ليس الزهد فى الدنـيا بأكل الجشب ـ أي طعـام غليظ ـ ولبس الخشن ، إنما الزهد فى الدنيا قصر الأمل.
ويقول : إذا لم يكن لله فى العبد حاجة نبذه إليهم ـ يعنى السلطان ـ .
ويقول : إذا دعوك لتقرأ عليهم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فلا تأتهم ـ أى السلاطين ـ .
ويقـول : لو خيـرت بين ذهاب بصرى وبـين أن أملأ بصـرى منهم لاخترت ذهاب بصرى .

الحذر من هجران التلاوة ، وترك تعهد القرآن ! فيتعرض بذلك لنسيانه الذى هو من أعظم الذنوب .

ففى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : « *عُرِضت علىّ ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها ..* » الحديث[1] .

وفى حديث آخر « *أن الذى ينسى القرآن بعد حفظه يلقى الله يوم القيامة وهو أجذم* »[2] .

وقد أمر عليه الصلاة والسلام صاحب القرآن بتعهده ، وأخبر أن القرآن أسرع تفلتا من صدور الرجال من الإبل فى عُقُلها[3] .

وقد كان للسلف ـ رحمهم الله ـ عناية تامة بقراءة القرآن ، ولهم

وقيل له : أيكون الرجل زاهدا ويكون له المال ؟ قال : نعم، إن كان إذا ابتلى صبر ، وإذا أعطى شكر .
ويقول : من جاع ولم يسأل فمات دخل النار .
ويقول : إذا عرفت نفسك لا يضرك ما قيل فيك .
وسئل عن رجل يكتسب لعياله ، ولو صلى فى الجماعة لفاته القيام عليهم ماذا يصنع ؟ قال : يكتسب لهم قوتهم ويصلى وحده .
ويقول : إذا رأيتم شرطيا نائماً عن صلاة فلا توقظوه لها ، فإنه يقوم يوذى الناس ، ونومه أحسن .
وقيل له : ألا تدخل على الولاة فتتحفظ وتعظهم وتنهاهم ، فقال : أتامرنى أن أسبح فى بحر ولا تبتل قدماى، إنى أخاف أن يترحبوا بى فأسيل إليهم فيحبط عملى .
والحاصل أن مناقبه وفضائله ـ رضى الله عنه ـ كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية وزيادة ، والله الموفق . « حلية الأولياء » (٦ / ٣٥٦) « طبقات الشعرانى » (١/ ٤١) « شذرات الذهب » (١ / ٢٥٠) .

(١) [رواه أبو داود . والترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) نص الحديث : « ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقى الله يوم القيامة أجذم » [رواه أبو داود ، والدارمى عن سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) فقال ﷺ : « تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عُقُلها » [رواه البخارى، ومسلم من حديث أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ].

فى ذلك عادات مـختلفة ؛ فـمنهم من كان يختم فى كل شـهر ختـمة ، ومنهم فى كل عشر ليال ، وفى كل ثمان ليال ، وفى كل سبع[(١)] ، ومنهم فى كل ثلاث[(٢)] ، ومنهم من كان يخـتم فى كل يوم وليلة ختمـة ، وختم بعضهم فى اليوم والليلة خـتمتين ، وبعض أربعاً[(٣)] ، وانتهى بعـضهم إلى الختم فى اليوم والليلة ثمان ختمات[(٤)] .

قال الإمـام النووى ـ رحـمه الله ـ : وهذا أكـثر مـا بلغنا ـ يعنى الختم فى اليوم والليلة ثمان مرات ـ وكـره بعضهم الختم فى أقل من ثلاثة أيام ـ أعنى المداومة عـلى ذلك ـ وقد قـال عليـه الصـلاة والسلام : « **لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث** »[(٥)] .

---

(١) أى فى كل أسبوع مرة ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ـ رضى الله عنهم ـ ومن التابعين :عبد الرحمن بن يزيد ، وعلقمة ، وإبراهيم ـ رحمهم الله تعالى ـ فهولاء ختموا فى الأسبوع مرة .
فعن قيس بن صـعصعة ـ رضى الله عنه ـ أنه قـال للنبى ﷺ : يا رسول الله ، فى كم أقرأ القرآن ؟ قال : « فى كل خمس عشرة » قال : إنى أجـدنى أقوى من ذلك قال : « ففى كل جمعة » .

(٢) وهم كثيرون ، روى أبو عبيد والإمـام أحمد بسندهما إلى سعد بن المنذر الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : يـا رسول الله ، أقرأ القـرآن فى ثلاث ؟ قال : « نعم إن استطعت » قال : فكان يقرؤه كذلك حتى توفى. [قـال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوى حسن . اهـ.

(٣) روى أبو بكر بن أبى داود أنه كـان يختم فى الليـلة أربع خـتمات ، وروى أبو عـمر الكندى فى كتابه «فى قضاة مصر » أنه كان يختم فى الليلة أربع ختمات .
ومنهم من كان يختم ثلاثاً كسُليم بن عمـر التجيبى ، فكان يقرأ القرآن فى ليلة ثلاث مـرات ، ويجامع ثلاث مـرات ، فلما مـات قـالت امرأته : رحـمك الله إن كنت لترضى ربك وترضى أهلك ، قالوا وكيف ذلك ؟ قالت : كان يقوم من الليل فختم بالقرآن ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ويعود فيـقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله ثم يغتسل ، ويعود فيقرأ حتى يختم ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح .
قال ابن كثير : كان سليم تابعـيا جليلا ثقـة نبيـلا ـ وكان قاضـيا بمصر أيام معاوية ـ رضى الله عنه ـ .

(٤) قال الشيـخ أبو عبد الـرحمن السلمى الصوفى ، قـال : سمعـت الشيخ أبا عثـمان المغـربى يقول : كـان ابن الكاتب ـ رضى الله عنه ـ يخـتم بالنهار أربع خـتمـات ، وبالليل أربع ختمات .

(٥) [رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وغيرهـم، قال الترمذى: حديث حسن صحيح].=

اتخاذ ورد من القرآن فى صلاة الليل

(وينبغى) لصاحب القرآن أن يجعل له ورداً من القرآن يقوم به فى صلاته من الليل ؛ فيتبع القرآن من أوله حتى يختمه فى صلاته من الليل ؛ إما فى كل شهر ، أو فى كل أربعين ، أو أقل أو أكثرَ حسب النشاط والتيسير ، ولا يترك ذلك ولا يكسل عنه ؛ فقد ورد فى الحديث : *« أن القرآن والصوم يشفعان فى العبد عند الله ؛ فيقول القرآن : منعته النوم بالليل فشَفِّعْنى فيه ، ويقول الصوم : منعته من الطعام بالنهار فشفِّعنى فيه فيُشَفَّعَان »*(١) .

= قال الحافظ ابن كثير : وقد ترخص جماعات من السلف فى تلاوة القرآن فى أقل من ذلك ، منهم : أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قالت نائلة بنت القرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه : إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيى الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن [وهذا إسناد حسن] .

وعن ابن سيرين ، أن تميما الدارى قرأ القرآن فى ركعة . [وعن حماد ، عن سعيد ابن جبير أنه قال : قرأت القرآن فى ركعة فى البيت ـ يعنى الكعبة ـ .

وعن علقمة أنه قرأ القرآن فى ليلة : طاف بالبيت أسبوعاً ، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثانى . ثم طاف بالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن اهـ . « فضائل القرآن » [ص ١٦٢] .

وروى السيد الجليل أحمد الدورقى بإسناده عن منصور بن زادان ـ من عباد التابعين ـ رضى الله عنه أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ، ويختم أيضا فيما بين المغرب والعشاء ، وكانوا يؤخرون العشاء قليلاً .

وروى أبو داود بإسناده الصحيح أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء

وعن منصور قال : كان على الأزدى يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان .

وعن إبراهيم بن سعد قال : كان أبى يحتبى فما يحل حبوته حتى يختم القرآن .

وعن الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ أنه كان يختم فى اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين ، وفى غيره ختمة .

وعن أبى عبد الله البخارى ـ صاحب الصحيح ـ أنه كان يختم فى الليلة ويومها من رمضان ختمة .

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، وابن أبى الدنيا ، والطبرانى ، والحاكم واللفظ له وقال : صحيح على شرط مسلم] .

وقد قال تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾[1] .

فتأكّد على القارئ للقران أن يقوم من الليل ، وأن يقرأ فى صلاته بالليل ما تيسّر من القرآن ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ﴾[2]

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين* »[3] .

قال العامرى[4] - رحمه الله - فى « بهجته »: ينبغى لقارئ القرآن أن يقرأ فى كل شهر ختمتين : ختمةً بالليل فى القيام من الليل ، وختمةً بالنهار .

قال : وهذا شئ سهل ، والمداومة عليه متيسرة . وصدق - رحمه الله - ، والموفق من وفقه الله تعالى .

استحباب ختم القرآن أول النهار أو أول الليل

(وينبغى) لمن أراد أن يختم القرآن : أن يختمه من أول الليل أو من أول النهار ، حتى يتسع وقت صلاة الملائكة عليه ، فإنه ورد فى بعض

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان ١١٣ ، ١١٤ . (٢) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

(٣) [حديث حسن. رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما -] .

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن بدر العامرى الغزى ثم الدمشقى الشافعى ولد سنة ٧٧٠ هـ بغزة ونشأ بها ، فحفظ القرآن والتنبيه ، ثم فى كبره الحاوى ، وأخذ عن الشيخ العلاء بن خلف ، وسمع عليه الصحيح ، والشريشى ، والزهرى ، وغيرهم ، ومهر فى الفقه والأصول وأفتى ودرس وله مؤلفات منها « شرح الحاوى الصغير » و « شرح جمع الجوامع » و « شرح مختصر المهمات » وغيرها .

وجاور بمكة ، وكانت وفاته بها مبطونا فى ظهر يوم الخميس سادس شوال سنة ٨٨٢ هـ وصلى عليه عند باب الكعبة ، ودفن فى المعلاة . « شذرات الذهب » (٧/ ١٥٣) « البدر الطالع » (١/ ٧٥) « معجم المؤلفين » (١/ ٢٨٥) .

الآثار : « *أن من ختم القـرآن أية ساعة من الليل صلت عليـه الملائكة حتى يصبح ، وأية ساعة من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى* »[١] .

وفى صـلاة الملائكة على العـبد كل خـيـر ، وكل سعـادة له ، ومعنى صلاتهم عليه : استغفارهم له ، ودعاؤهم له بالخير .

* * *

(وليكثر) من الدعاء عند الختم[٢] ؛ فإنها ساعة شريفة مباركة ، ومن المواطن التى يستجاب فيها الدعاء ، وتتنزل الرحمة .

قال الإمام النووى ـ رحـمه الله ـ : وينبغى أن يكون أكـثر دعائه عند الختم فى صـلاح أمور المسلمين ، وذَكَر طرفا من الأدعيـة التى ينبغى أن يدعى بها عند ختم القرآن ، وذلك فى كـتاب (التبيان) له[٣] ، وهو كتاب جليل نفيس ، جمع فيـه من آداب حملة القرآن وقراءته قدراً صالحاً لا يستغنى حامل القرآن عن معرفته والوقوف عليه .

المداومة على حزب الأسبوع مع أدب قراءته

(ومما ينبغى) المداومة عليه والتمسـك به ، سيما فى هذه الأزمنة المتأخرة : الحزب المبـارك الذى يعتاد قراءته ، والمواظبة عليـه فى كثير من البلدان ، وإقامته فى المساجد بين المغـرب والعشاء ، وبعد صلاة الفجر ، وهو معروف بحزب الأسبوع[٤] : يفتتح ليلة الجمعة ويختم يوم الخميس .

---

(١) وهو قول طلحة بن مصرف التابعى الجليل .
وعن سعد بن أبى وقـاص ـ رضى الله عنه ـ قال : « **إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإذا وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسى** » [رواه الدارمى] .

(٢) روى الدارمى بإسناده عن حميد الأعرج قـال : من قرأ القرآن ثم دعا أمّن على دعائه أربعة آلاف ملك .

(٣) « التبيان » (ص ٨٠ ـ ٨٣) .

(٤) قال الإمـام الغـزالى : أما ختم القرآن فى الاسبـوع مـرة فيقـسم القرآن سبعة أحزاب فقد حـزّب الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ القرآن أحزاباً ، فـروى أن عثمان =

وقد رُوى عن عثمان[1] ـ رضى الله عنه ـ أنه كـان يفتتـح القرآن

= رضى الله عنه ـ كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الإثنين بطه إلى طسم ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس .
وقيل : أحزاب القرآن سبعة : فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثانى خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشرة سورة ، والسابع المفصل من ق إلى آخره . اهـ « الأحياء » (١ / ٢٧٦) .

(١) هو أبو عمر ، ويقال : أبو عبد الله ، وأبو ليلى : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى ـ أمير المؤمنين ـ ثالث الخلفاء الراشدين والملقب بذى النورين ـ رضى الله عنه ـ .
ولد بعد عام الفيل بست سنين ، وأسلـم قديماً بدعوة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وهاجر الهجرتين ، وتزوج ببنتى رسول الله ﷺ : رقية وأم كلثوم ـ رضى الله عنهما ـ .
روى له عن رسول الله ﷺ (١٤٦ حديثاً) وروى عنه من الصحابة : زيد بن خالد الجهنى ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، ومن التابعين خلائق ، منهم : أبان بن عثمان ، وعبيد الله بن عدى ، وحمران ، وغيرهم .
بويع له بالخلافة غرة المحرم سنة ٢٤ هـ ، وقتل شهيداً يوم الجمعة ١٨ / ١٢/ ٣٥ هـ وهو ابن تسعين سنة ، وقيل : ثمان وثمانين . وقيل : ثنتين وثمانين ، وقيل : غير ذلك : وكانت خلافته ١٢ سنة إلا ليالى ، ودفن بالبقيع ليلاً للعجز عن إظهار دفنه بسبب غلبة قاتليه .
جاء من أوجه متواترة أن رسول الله ﷺ بشّره بالجنة ، وعدّه من أهل الجنة ، وشهد له بالشهادة .
روى الترمذى عن طلحة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل نبىّ رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان** » .
وفى « الصحيحين » عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى الحديث الطويل أن النبى ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال : « **ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة** » .
وفى «صحيح البخارى» عن أبى عبد الرحمن السلمى التابعى أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال : أنشدكم بالله ـ ولا أنشد إلا أصحاب النبى ﷺ ـ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « **من جهّز جيش العسرة فله الجنة** » فجهزتهم ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « **من حفر بئر رومة فله الجنة** » فحفرتها ، قال فصدقوه بما قال .
وهو ـ رضى الله عنه ـ أحد الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضى . =

ليلة الجمعة، ويختمه ليلة الخميس[1] .

فهذا الحـزب موافق لما روى عنه من حيث الابتـداء والختم ، أما من حيث توزيع القراءة وقسمة الأسباع ، فـهو أيضاً على مثل هذه القسمة أو قـريب منها ؛ منقـول عن عـثمـان ـ رضى الله عنه ـ وعن غيـره من السلف .

قال الفقـيه أبو عبد الله بن عـباد « شارح الحكم »[2] ـ رحمه الله تعالى ـ تعالى عند ذكره لحزب الأسبوع فى بعض رسائله ـ : هو من البدع الحسنة ، ويتأكد التمسك به فى مثل هذه الأزمنة التـى ضعُفت فيها شعائر الدين . انتهى كلامه بمعناه ، والأمر كما ذكره ـ رحمه الله ـ .

ولكن ينبغى للمداوم على هذا الحـزب المبارك ألا يغفُل عن أدبين قد أغفلهما كثير من المواظبين عليه :

أحدهما ـ أن لا يقـتصر من تلاوة القرآن علـى قراءته هذا الحزب فقط ؛ فإنه فى الأكثر يقرأ فى جماعـة ، وقد يكثرون فيكون نصيبه الذى يقرؤه منه شيئاً يسيراً .

والثانى من الأدَبْين ـ أن لا يفعل كما يفعل بعض الغافلين : وهو

= وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهمـا ـ قال : كنا فى زمن رسول الله ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحداً ، ثم عـمر ، ثم عثمان ، ثم نتـرك أصحاب رسـول الله ﷺ لا نفاضل بينهم ـ « رواه البخارى » .

وفى يوم قتله قـال : إنى رأيت رسول الله ﷺ البارحـة وأبا بكر وعمر فـقالوا لى : اصبر فـإنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصـحف ففتحه فـقتل ، وهو بين يديه ، وأعتق عشرين مملوكا ـ وهو محصور ـ رضى الله عنه وأرضـاه ـ « تهذيب الأسماء » (١ / ٣٢١) « الإصابة » (٤ / ٣٧٧) .

(١) [رواه أبو داود] .

(٢) هو أبو عبـد الله محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن مـالك بن عبـاد الرندى المالكى المعـروف بابن عـباد ، الصـوفى الشـهيـر ، والمشـارك فى بعض العلوم ، تنقل بين فـاس وتلمسـان ومـراكش وسلا وطنجـة ، واسـتقـر خطيبـا للقرويين بفـاس ، ولد سنة ٧٣٣ هـ وتوفى بفـاس ٧٩٢هـ . من مولفـاته : « تحقـيق العلامة فى أحكـام الإمامة » « الرسـائل الصغـرى » « الرسائل الكبرى » « الدرة المشيدة فى شرح المرشدة » « غيث المواهب العلمية فى شرح الحكم العطائية » . راجع « كشف الظنون » (٦/ ١٣٩) « معجم المؤلفين » (٨/ ٢٠٧) .

أن بعضهم ينعَسُ فى حال القراءة حتى لا يشعر بالمقراء الذى يدور عليه حتى يوقظوه له ، وبعضهم يأخذ فى الحديث والكلام فيما لا يعنى مع صاحبه القريب منه ، حتى يأتيه المقرأ ، وهذا مما لا ينبغى ! بل هو مكروه ومستقبح ؛ سيما إذا كان ذلك فى المساجد ، والكلامُ فيها بغير ذكر الله وتلاوة كتابه شديد الكراهة ، وقد ورد : « *الكلامُ فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب* » (١).

ونبهنا على هذين الأدبَين لأنا رأينا كثيراً من قراء هذا الحزب يغفلون عنهما ، والذى يقرأ عليه كتاب الله وهو ينعس أو يلغو ، حاله مشكل ، وأمره مخطر ؛ لأنه يصير كالمعرض عن كتاب الله تعالى ، واللاهى عنه ، فليحذر من يتقى الله ويعظِّم حرماته من ذلك .

استماع القرآن وآداب السماع

(**وينبغى**) لمن لا يحفظ كتاب الله تعالى أن يكثر من استماعه ، ومن الإصغاء عند قراءته ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من استمع إلى آية من كتاب الله كُتبت له حسنة مضاعفة ، ومن قرأها كانت له نوراً يوم القيامة* »(٣) .

وليس طلب الاستماع خاصاً بمن لا يقرأ القرآن ، بل هو عام لكل أحد من قارئ وغيره ؛ وقد قال رسول الله ﷺ لابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : « اقرأ علىّ » ، فقال له : كيف أقرأ عليك وعليك أنزل ! فقال عليه السلام : « *إنى أحب أن أسمعه من غيرى* » فقرأ عليه من أول سورة

---

(١) قال فى « الكشف » : « من تكلم بكلام الدنيا فى المسجد أحبط الله عمله » وفى رواية : « أعماله أربعين سنة » قال الصغانى : موضوع ، وقال القارى : وهو كذلك ، لأنه باطل مبنى ومعنى (٢ / ٢١٥) .

قلت : هذا الحديث ذكره السيوطى فى « لباب الحديث » (ص ٤١) « تذكرة الموضوعات للفتنى » (ص ٣٦) « الأسراء المرفوعة » (ص ٣٣٨) .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٠٤ .

(٣) [حديث ضعيف . رواه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

النساء . . » الحديث[1] .

واستمع عليه الصلاة والسلام إلى قراءة أبى موسى[2]، وإلى قراءة سالم[3]

(١) [حديث صحيح . رواه البخاري، ومسلم من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) [رواه البخاري ، ومسلم] .
وأبو موسى: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضّار بن حرب الأشعرى ، قدم على رسول الله ﷺ مكة قبل هجرته إلى المدينة ، فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر ، واستعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن وغيرهما ، واستعمله عمر على الكوفة والبصرة ، روى له عن رسول الله ﷺ (٣٦٠ حديثاً) .
وكان هو الذى فقّه أهل البصرة وأقرأهم . قال الشعبى : انتهى العلم إلى ستة : فذكره فيهم .
وقال ابن المدائنى : قضاة الأمة أربعة : عمر ، وعلى ، وأبو موسى ، وزيد بن ثابت ـ رضى الله عنهم ـ
وقال الحسن : ما آتاها ـ يعنى البصرة ـ راكبٌ خيرٌ لأهلها منه ـ يعنى من أبى موسى ـ .
وعن أنس قال : كان لأبى موسى سراويل يلبسه بالليل ، مخافة أن ينكشف .
توفى ـ رضى الله عنه ـ بمكة أو بالكوفة سنة (٥٠ هـ) وقيل (٥١ هـ) وقيل غير ذلك ـ وهو ابن ثلاث وستين ـ «تهذيب الأسماء» (٢٦٨/٢) « الإصابة » (١٨١/٤) .
(٣) هو أبو عبد الله سالم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أحد السابقين الأولين ، كان من أهل فارس من اصطخر ، وهو من فضلاء الصحابة والمهاجرين ، أعتقه مولاته بثينة ـ امرأة أبى حذيفة وتبناه ـ فيقال له قريشى وأنصارى وفارسى لما ذكر . وكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه . فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة . فلما أنزل الله : ﴿ أدعوكم لآبائهم ﴾ [الأحزاب : ٥] رد كل أحد تبنّى ابنا إلى أبيه . ومن لم يعرف أبوه ردّ إلى مواليه .
وثبت فى « الصحيح » أنه هاجر من مكة إلى المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ ، فكان يؤم المهاجرين الأولين بالمدينة ، لأنه كان أكثرهم قرآنا .
وكان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يثنى عليه كثيراً حتى قال حين أوصى قبل وفاته : لو كان سالم حيا ما جعلته شورى .
وثبت فى « الصحيح » أن سهلة بنت سهيل بن عمرو ـ امرأة أبى حذيفة ـ جاءت إلى النبى ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إن سالماً بلغ مبلغ الرجال ، وعقل ما يعقلون ، وأنه يدخل علينا ، وإنى أظن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئاً . فقال : « أرضعيه تحرمى عليه ، ويذهب ما فى نفس أبى حذيفة » فرجعت إليه . فقالت : إنى أرضعته ، فذهب ما فى نفس أبى حذيفة .
شهد ـ رضى الله عنه ـ بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وقتل يوم اليمامة شهيداً ، وكان لواء المسلمين معه يومئذ .
=

مولى أبى حذيفة ثم قال : « *الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله* »[١] وإلى قراءة ابن مسعود أيضاً هو وأبو بكر وعمر ، ثم قال : « *من سرّه أن يقرأ القرآن رَطْباً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عَبْد* »[٢] وهو ابن مسعود . ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

قراءة السور والآيات الواردة فى فضلها أحاديث صحيحة

(**ومما ينبغى**) المحافظة عليه ويتأكد : قراءة السُّور والآيات التى وردت الأخبار بفضائلها ، وجزالة الثواب فى تلاوتها ، والحث على المواظبة عليها فى بعض الأوقات .

فمن ذلك قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلة الجمعة ؛ ففى الحديث : « *إن من قرأها غفر له إلى الجمعة الأخرى ، وسطع له نور من قدمه إلى عَنان السماء* »[٣] وفى رواية : « *أضاء له من النور ما بينه وبين*

= وروى الشيخان ، والترمذى ، والنسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعاً : « خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل » .

وعن عبد الرحمن بن سابط ـ أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ احتسبت على النبى ﷺ فقال : « ما حَبَسَك ؟ » قالت : سمعت قارئا يقرأ فذكرت من حسن قراءته ـ فأخذ رداءه وخرج ، فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة ، فقال : « الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك » [رواه أحمد ، والحاكم ، وابن ماجه] .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ : والأحاديث الصحيحة فى فضله كثيرة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ « تهذيب النووى » (١ / ٢٠٧) « الاصابة » (٣/ ١١) .

(١) [حديث صحيح . رواه أبو داود من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ] .

(٢) [حديث حسن صحيح . رواه الإمام أحمد ، والنسائى ، والترمذى ، وابن ماجه من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) نص الحديث : « **من قرأ سورة الكهف قبل أن يخرج الإمام كانت له كفارة فيما بينه وبين الجمعة ، وبلغ نورها البيت العتيق** » [رواه الحاكم ، والبيهقى من حديث خالد ابن معدان .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء ، يضئ له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين** » .

البيت العتيق »[١] .

وورد : « *أن من حفظ عشر آيات من أول الكهف ثم خرج الدجال عصم من فتنته »*[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام فى سورة البقرة : « *اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطَلة »*[٣]

وورد : « أن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يقربه شيطان ثلاثا »[٤] .

ومن ذلك قراءة سورة يس المباركة ؛ قال عليه الصلاة : « *يس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له »*[٥] .

وورد : « *أن من قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات »*[٦] .

ومن ذلك قراءة سورة تبارك الملك كل ليلة ، قال عليه الصلاة والسلام : « *هى النافعة والمنجية من عذاب القبر »*[٧] .

---

(١) [رواه الحاكم ، والبيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى من حديث أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم من حديث أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ هو بعض من الحديث . والبطلة : السحرة] .

(٤) نص الحديث : « لكل شئ سناما ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها فى بيته ثلاث ليال ، ومن قرأها نهاراً لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام » [رواه ابن حبان فى « صحيحه » من حديث سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) تتمة الحديث : « اقرءوها على موتاكم » [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، والحاكم و صححه] .

(٦) [حديث غريب . رواه الترمذى] .

(٧) الحديث كاملاً : أن بعض أصحاب النبى ﷺ ضرب خباءه على قبر ـ وهو لا يحسب أنه قبر ـ فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ضربت خبائى على قبر ـ وأنا لا أحسب أنه قبر ـ فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبى ﷺ : « هى المانعة ، هى المنجية ،تنجيه من عذاب القبر » [رواه الترمذى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

وورد « *أنها فى قلب كل مؤمن* »[١] وأنها شفعت فى رجل فغفر له[٢] .

وكـان عليـه الصـلاة والسـلام لا ينام كـل ليلة حـتى يقـرأ ألَم السجدة، وتبارك الملك[٣] .

ومن ذلك قراءة سورة الدخـان ، قـال عليه الصـلاة والسلام : «*من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفوراً له* »[٤] .

وقال فى سورة الواقعة : « *من قرأها كل ليلة لم تصبه فاقة* »[٥] .

وقال فى سورة إذا زلزلت : « *إنها تعدل نصف القرآن* »[٦] .

وفى سورة ألهـاكم التكاثر : « *إن من قـرأها كان كـمن قـرأ ألف آية*»[٧] .

---

(١) قال ﷺ : « **وددت أنها فى قلب كل مؤمن** » ـ يعنى تبارك الـذى بيده الملك [رواه الحاكم وقال : هذا إسناده عند اليمانيين صحيح] .

(٢) قال ﷺ : « **إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهى : تبارك الذى بيده الملك** » . [حديث صحيح . رواه أصحـاب السنن الأربعة ، وابن حبان ، و الحاكم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحـمـد ، والترمـذى ، والدارمى من حديـث جابر ـ رضى الله عنه ـ قال الترمذى : حديث صحيح] .

(٤) نص الحديث : « **من قرأ حم (الدخـان) فى ليلة ، أصبح يستـغفر له سـبعون ألف ملك** » [رواه الترمذى من حـديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وقال : هذا حديث غريب] .

وفى رواية له : « **من قرأ حم (الدخان) فى ليلة الجمعة غفر له** » .

(٥) [رواه البيـهقى فى « الشـعب »] . وكان ابن مـسعود ـ رضى الله عنه ـ يأمـر بناته يقرأن بها فى كل ليلة [رواه البيهقى أيضاً فى « الشعب »] .

(٦) الحديث كاملاً : « **إذا زلزلت : تعـدل نصف القـرآن ، وقل هو الله أحد : تعـدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون : تعدل ربع القرآن** » .

[رواه الترمذى، والحاكم، قال الترمذى: حديث غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد] .

(٧) عن ابن عمر ـ رضى الله عنهمـا ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم ؟** » قالوا : ومن يستطيع ذلك ؟ قال : « **أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهـاكم التكاثر** » [رواه الحاكم ، والبيـهقى ، ورجـال إسناده ثقات إلا عقبة] .

وفى قل هو الله أحـد : « *إنها تعـدل ثلث القرآن* »[١] « *وأن من قرأها عشر مرات بنى له قصر فى الجنة* »[٢] .

وورد الحثّ على قـراءتهـا بعد كل صـلاة عـشرَ مـرات ، وعند الصباح ، وعند المساء ، وعند الـنوم ، ووردت قراءتها مع المعوِّذتين ثلاث مرات[٣] ، وفى ذلك حفظ من الآفات ، وكفاية لجميع المهمات .

وقال عليه الصلاة والسلام فى الفاتحة : « *إنها أعظـم سورة فى القرآن ، وأنها السبع المثانى والقرآن العظيم ، وأنها أنزلت هى وآية الكرسى وخواتـيم سورة البقرة من كنز العرش ، وأن الفاتحـة لما قرئت له ، وأنـها رقية حق* »[٤] .

---

(١) عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قـال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن ؟ » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : « **قل هو الله أحد : تعدل ثلث القرآن** » [رواه مسلم ، وغيره] .

(٢) تتمـة الحديث : « **ومن قرأهـا عشرين مـرة بنى له بها قـصران فى الجنة . ومـن قرأها ثلاثين مرة بنى له بها ثلاثة قصور فى الجنة** »فقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: والله يا رسول الله . إذا لنكـثـرن قصورنا ؟ فقـال رسول الله ﷺ: « **الله أوسع من ذلك** » وفى رواية : « **أكثر وأطيب** » [رواه الإمام أحمد ، والدارمى] .

(٣) فعن عبـد الله بن خبيب ـ رضى الله عنه ـ قال : خرجنا فى لـيـلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ، فأدركناه ، فقال: « قل » قلت : ما أقول ؟ قال : « *قل هو الله أحد » والمعوذتين حين تصبح وحين تمسى ثلاث مرات . تكفيك من كل شـئ* » [رواه الترمذى ، وأبو داود ، والنسائى] .

(٤) حديث أن الفاتحـة أعظم سورة ، وأنها السبع المثانى . . . [رواه البخـارى وأصحاب السنن إلا الترمذى من حديث أبى سعيد بن المعلّى] .

وأما كونها « أنزلت هى وآية الكرسى . . . » .

« **وأنها لما قرئت له**» [فرواه البيهقى فى « شعب الإيمان » وأصله فى الصحيح ، وفى رواية له : « **فاتحة الكتاب شفاء من كل داء** » .

وروى سعـيد بن منصـور فى « سننه » والبـيـهقى فى « شـعبه » عـن أبى الخدرى مرفوعاً : « **فاتحة الكتاب شفاء من السم** » .

وقوله « **وأنها رقية حق** » فمخرّج فى « مسند الإمام أحمد ، والكتب الستة لكن من غيـر زيادة « حق » : وبالزيادة ففى « المسند » لـلإمام أحمـد ، والنســائى ، وأبى داود ، وابن السنى ، والحاكم ، والبيهقى .

وورد فى آية الكرسى « *أنها سيدة آى القرآن* »[١] وأن « *من قرأها بعد كل صلاة مكتوبة لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا أن يموت* »[٢] .

وأن « *من قرأها عند النوم لم يقربه شيطان حتى يصبح* »[٣] .

وورد « *أن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه* »[٤]

وقال عليه الصلاة والسلام : « **علموهما نساءكم وأبناءكم فإنهما صلاة وقرآن ودعاء ..**» الحديث[٥] .

وقال علىّ ـ رضى الله عنه ـ : ما أعلم أحداً يعقل دخل فى الإسلام ينام حتى يقرأ بالثلاث الآيات من آخر سورة البقرة ـ يعنى : ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ ـ إلى آخر السورة .

وأما الآيتان المذكورتان فى قوله عليه السلام« من قرأ بهما فى ليلة كفتاه » فهما من قوله تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ** ﴾ إلى آخر السورة[٦] .

قال العلماء فى معنى قوله عليه السلام « كفتاه » : أى كفتاه ما أهمَّه ، أو كفتاه من قيام الليل .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ:يجوز أن يكون المراد «بكفتاه »: أى ما أهمه ، ومن قيام الليل جميعا . (انتهى بمعناه) .

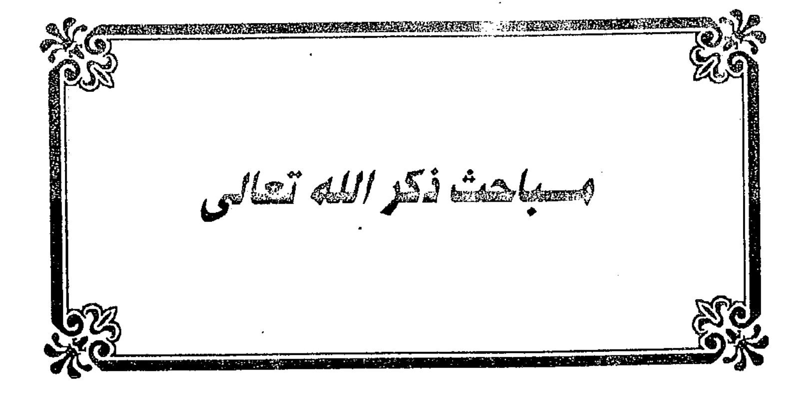
وهذا الباب منتشر ، وما ورد فيه كثير معروف عند أهل العلم،

---

(١) [حديث صحيح .رواه الترمذى،والحاكم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) [حديث صحيح . رواه النسائى ، وابن حبان ، والطبرانى من حديث أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٣) [رواه البخارى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٤) [حديث صحيح . رواه الشيخان من حديث عقبة بن عمرو الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ] .
(٥) [رواه الدارمى مرسلاً من حديث جبير بن نفير] .
(٦) سورة البقرة : الآيات ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

والقصدُ الإشارة إلى بعض المُهم من ذلك ، ليتمسك به الراغبون فى الخير فيفوزوا بما ترتّب عليه من جزيل الثواب ، ومن الحفظ والكفاية للآفات ، والله الموفق والمعين ، لا ربٍّ غـيره ، ولا إله سـواه ، وحسـبنا الله ونعم الوكيل .

* * *



مــباحث ذكر الله تعالى

فضل ذكر الله سبحانه وتعالى

(واعلموا) معاشر الإخــوان ـ جعلنا الله وإياكم من الذاكرين له كثيرا ، ومن الذين لا تُلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله ـ أن الذِّكر لله من أعظم الأمور والفضائل ، وأفضل القربات وأوصل الوسائل ، قال الله عزَّ من قائل : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[4] .

وقال رسول الله ﷺ : « *قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرّب إلىّ شبْراً تقـرّبت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هَرْوَلة* »[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ألاَ أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق ، ومن أن تلقَوْا عدوّكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم ؟* » قالوا: بلى . *قال:* « *ذكر الله* »[6] .

وقال عليه السلام : « *ما عمل ابن آدم عملا أنجى له له من عذاب*

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٢ . (٢) سورة الأحزاب : الآيات ٤١ ، ٤٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٢٠٥ . (٤) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٥) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والأربعة إلا أبا داود من حديث بى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٦) [حديث حسن . رواه الإمام أحمد ، وابن أبى الدنيا ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى من حديث أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ] .

الله من ذكر الله »[١] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « لَذكْر الله بالغداة والـعشىّ أفضل من حَطْم السيوف فى سبيل الله تعالى ، ومن إعطاء المال سَحًّا »[٢] .

وقال علـيه الصلاة والـسلام : « مثَلُ الذى يـذكـر الله والذى لا يذكره مثلَ الحى والميت[٣] ، ومثلُ الشجرة الخضراء بين الشجر اليابس،[٤] . وذاكرِ الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارِّين »[٥] .

وما ورد فى الأمـر بالذكر وفى فضله من الآيات والأخـبار يطول ذكره ويتعذّر حصره .

أفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان معا

قـال العلمـاء ـ رحمـهم الله ـ : أفـضلُ الذكر مـا كـان بالقلب واللسان جـميعاً ، وذكـرُ القلب على انفراده أفضلُ من ذكـر اللسان على انفراده . انتهى .

(قلت) : ومعنى ذكـر القلب : أن تكون صورةُ الذكـر الجارى على اللسان حاضرةً فيه وجارية علـيه ؛ مثل : ما إذا قال الذاكر بلسانه : لا إله إلا الله يكون كذلك قـائلا لها بقلبه ، وقد يكون مـعنى ذكر القلب

(١) [رواه مالك ، والترمـذى ، وابن ماجه ، و ابن أبى شيبة فى « مـصنفه » والطبرانى من حديث معـاذ بإسناد حسن ، ورواه ابن أبى الدنيا ، والبيـهقى بلفظ : « وما من شئ أنجى من عذاب الله من ذكـر الله ، قالوا : ولا الجهاد فى سبـيل الله ؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع »] .

(٢) [قال الحـافظ العراقى : رويناه من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ بسند ضـعيف فى الأصل ، وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى « التمهيد »] .

(٣) [حديث صحيح .رواه البخارى ،ومسلم من حديث أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) نص الحديث : « ذاكر الله فى الغافلين مثل الشجرة الخضراء فى وسط الشجر الذى قد تحات ورقه » [رواه أبو نعيم فى «الحلية»من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٥) [رواه الطبرانى ، والبيهقى فى « الشعب » وأبو نعيم ، وابن عدى] .
ورواه مسلم ، وأحـمد ، والتـرمذى بلفظ « ذاكر الله فى الغـافلين بمنزلة الصابر فى الغازين » .

أن يكون معنى الذكر الجارى على اللسان حاضرا فيه ؛ مثل : أن يقول بلسانه : لا إله إلا الله ويكون معنى هذه الكلمة الشريفة الذى هو انفراد الحق بالإلهيَّة حاضراً فى قلبه ، والله أعلم .

قال حجة الإسلام ـ رحمه الله ـ : الذكر على أربع مراتب : الأولى ـ ذكر اللسان فقط . والثانية ـ ذكر القلب مع اللسان تكلّفا . والثالثة ـ ذكر القلب طبعاً وحضورُه مع اللسان من غير تكلف .

والرابعة ـ استيلاء المذكور على القلب واستغراقه به .

قال : والمرتبة الأولى قليلة النفع وضعيفة الأثر ـ يعنى بها ذكر اللسان مع غفلة القلب . (انتهى كلامه بمعناه) .

ولا شك أن ذكر اللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة والنفع ، ولكنه خيرٌ من ترك الذكر رأساً .

قيل لبعض العارفين : إنا لَنذكر الله ولا نجد حضوراً ؟ فقال : أحمدوا الله الذى زيّن جارحة من جوارحكم بذكره ـ يعنى بها اللسان ـ .

فينبغي لمن أخذ فى الذكر بلسانه أن يتكلّف إحضار قلبه مع اللسان ، حتى يصير ذاكراً بهما جميعاً تكلُّفاً فى أول الأمر ، ثم لا يزال يواظب على ذلك حتى يذوق القلبُ لذَّة الذكر ، وتشرق عليه أنواره ؛ فعند ذلك يحضر بلا تكلف ولا مئونة ، بل ربما صار إلى حالة لا يمكنه معها الصبر عن الذكر ، ولا الغفلة عنه .

آداب الذكر

(ثم اعلموا) ـ رحمكم الله ـ : أن للذكر آداباً ، وأن حضور القلب مع اللسان حالَ الذكر هو أهمها وآكدها ، فعليكم به ، فإن الذاكر لا يكاد يصل إلى شئ من فوائد الذكر وثمراته المقصودة إلا بالحضور .

ومن آداب الذكر : أن يكون الذاكر لله على أكمل الآداب وأحسن الهيئات ظاهراً وباطناً ، وأن يكون على طهارة ونظافة تامّة ، وأن يكون

فى حال ذكره خاشعاً لله ، معظِّماً لجلاله ، مستقبلاً للقبلة ، مطرِقاً ساكنَ الأطراف كأنه فى الصلاة .

ثم إن المطلوب من العبد : أن لا يزال ذاكراً لله فى جميع أحواله وعلى دوام أوقـاته ، فإن أمكنه الدوام على هذه الآداب التى ذكـرناها من الطهارة والاسـتقبال وغيـرهما فى دوام أحواله كمـا هو شأن أرباب الخلوة والانقطاع إلى الله تعـالى ـ فَعلَ وداوم ، وإن لم يمكـنه الدوام على ذلك وهو الأكـثر والأغلب ـ فـينبغى له أن يجـعل له وقتـاً معـيَّناً يجلس فـيه للذكر، متأدِّباً بهـذه الآداب التى ذكرناها ، وبما فى معناها مما لم نذكره ، ثم لا يزال فى بقية أوقاته ذاكراً لله : قائماً وقاعداً ومضطجعاً من غير حَدّ ولا تقـييـد ؛ كمـا قـال تعـالى : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾(١).

التحذير من الغفلة عن الذكر

(وليحذر) من الغفـلة عن الذكر فى وقت من الأوقـات ؛ فإن الغفلة عن الله كثيـرة الضرر ، قال النبى ﷺ : « *من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترَة* »(٢) انتهى .

ومعنى الترة : الحسرة ، وقيل:التَّبِعة .

وربما تسلّط الشيطان على الغـافل ، واستولى عليه بسـبب غفلته عن ذكر مولاه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾(٣) .

وقال تعالى ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾(٤) .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٠٣ .

(٢) [رواه الإمـام أحمـد ، وأبو داود ، وابن أبى الدنيـا ، والنسـائى ، وابن حبـان من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٣٦ . (٤) سورة المجادلة : الآية ١٩ .

ومن شأن المؤمن أن يذكر ربّه كثيراً ، كما أن وصف المنافق أن لا يذكر ربه إلا قليلا ، قال الله تعالى فى وصف المنافقين : ﴿ **يرٍاءون الناس ولا يّذكرون الله إلا قليلا** ﴾[(١)] .

وفى ملازمة الذكر والمداومة عليه طرد للشيطان ، وقطع لوسوسته كما ورد « ***أن الشيطان جاثم على قلب العبد ، فإذا ذكر الله خنَس ، وإذا غفل وسوس له*** »[(٢)] .

فينبغى ويتأكد المواظبة والملازمةُ لذكر الله على دوام الأوقات ، وفى عموم الأحوال ، قال عليه الصلاة والسلام للرجل الذى قال : يا رسول الله : قد كثرت علىّ شرائع الإسلام ، فمُرْنى بشئ أتشبّث به ؟ فقال له : « ***لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله*** »[(٣)] .

من فضائل الذكر : إمكان المداومة عليه

وقد عدّ العلماء ـ رحمهم الله ـ من فضائل الذكر وأرجحيته على غيره من الأعمال الصالحة ، أنه تُمكِنُ المداومة عليه فى جميع الأوقات والأحوال ، لأنه غير مؤقَّت بوقت ، بل هو مأمور به على الدوام ، ويتعاطاه المحدث والجنُب ، والمشغولُ والفارغ ، ولا هكذا غيره من الصلاة والصوم والتلاوة ، فإن لها شرائطَ تتوقَّف عليها ، وأوقات لا تصح إلا فيها .

وأفضلُ الأعمال الصلاةُ وهى ممنوعة فى نحو ثلث النهار : من بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس ، ومن بعد صلاة العصر إلى

---

(١) سورة النساء الآية : ١٤٢ .

(٢) رواه البخارى تعليقا عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ورواه ابن أبى الدنيا ، وابن عدى ، وأبو يعلى ، والبيهقى من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « **إن الشيطان واضع خَطْمه ـ أى فمه ـ على قلب ابن آدم ، فإنه ذكر الله خَنَس ، وإن نسى التقم قلبه** » .

(٣) [حديث حسن غريب . رواه الترمذى واللفظ له ، وابن ماجه ، و ابن حبان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .
قوله « أتشبث به » أى أتعلق .

الغروب ، والصومُ ممنوع إلا فى النهار .

وقراءةُ القرآن الكريم ممنوعة على صاحب الجنابة ، وغـير محبوبة من صاحب الأشغال التى تُفَرِّق القلب بحيث لا يجتمع معها قلبه ، وذلك لحرمة القرآن وجلالته .

وأما الذكر فـقد وسّع الله الأمر فيـه رحمةً لعبـاده ومِنّةً عليهم ، ومع ذلك فالمئونة فـيه قليلة ، والكلفة خفيـفة بالنسبة إلى غيـره ، فَفضل الذكر من هذه الحيثيات غيرَه من الأعمال، وإن كان لبعضها فضل عليه من حيثيات أخرى .

فمن خصـوصيات الذكر خـفةُ المئونة فيـه مع فضله ، وأنه يمكن المداومة عليه ، حتى إنه ينبغى لمن يكون على حـالة يكره له فيها أن يذكر الله بلسانه مثل الخـلاء والجماع ، أن لا يغفُل عن ذكـر الله بقلبه ، كذلك قال العلماء بالله ـ رحمهم الله ـ .

فلا تزل ـ رحمك الله ـ ذاكراً وإن كنت صانعاً ومـحترفاً وملابساً لشئ من أشـغال الدنيـا ، فلازم الذكـر مع ذلك بقلبك وبلسانك حـسب الإمكان .

الذكر سراً وجهراً

وإن ذكـرت الله تعالى فى سِـرِّكَ ، وبحيـث تسمع نفـسك فقـد أصبت وأحسنت ، قال عليه الصلاة والسلام : « *خير الذكر الخفىِّ ، وخير الرزق ما يكفى* »[1] وفى الآية الكريمة : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ الآية[2] .

وإن جهـرت بالذكر مع الإخلاص لله فـيه ، ولم تشـوِّش بسبب ذلك على مُـصَلٍّ ولا قارئ بـحيث تَخْلط عليـهالصـلاة وقراءته فـلا بأس

(١) [حديث صحيح . رواه الإمـام أحمد ، وابن حبان ، والبيهـقى من حديث سعد ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٠٥ .

بالجهر ، فلا منع منه بل هو مستحب ومحبوب .

فضل الاجتماع على الذكر

وإن كان ذلك مع جماعة اجتـمعوا لذكر الله على وَفق ما ذكرناه من الإخــلاص وعدم التـشويش على المصلين والتــالين ونحوهم ، فــذلك مندوب إليه ومرغب فيه ، وقد وردت بفضله الأخبار .

قال عليه الصلاة والسلام : « *ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يذكـرون الله تعـالـى يريدون بذلك وجـه الله تعـالى إلا غــفـر لهم ، وبدّل سيئاتهم حسنات* »[١] .

وقال عليه الصلاة ولاسلام : « *ما قعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفّتهم الملائكة ، وغشيـتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهـم الله فيمن عنده* »[٢] .

وقال عليه الصلاة ولاسلام : « *إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا* » قيل : ومـا رياض الجنة ؟ قال: « حِلَقُ الذكر » . وفى روايـة « *مجالس الذكر* »[٣] .

وورد فى الحـديث الطويل الذى أوله : « *إن لله ملائكةً سيّارةً فى الأرض يطلبون مجالس الذكر* .. » ثم ساق الحديث إلى أن قال فى آخره ـ

(١) نص الحـديث : « ما مـن قوم اجتـمعـوا يذكرون الله عـزوجل ، لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات » [رواه الإمام أحمد و رواته محتج بهم فى الصحيح إلا ميمون المرائى ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبـرانى من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ وروواه البيـهقى من حديث عبد الله بن مغفل ـ رضى الله عنه ـ] .
ورواه الطبـرانى عن ســهل بن الحنظـلية ـ رضـى الله عنه ـ بلفظ : « *ما جلـس قوم مجلساً يذكـرون الله عز وجل فيه ، فيقـومون حتى يقال لهم : قوموا قـد غفر الله لكم وبُدِّلت سيئاتكم حسنات* » .

(٢) حديث صحيح . رواه مسلم ، والتـرمذى ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة و أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب] .

« فـيقـول الله للمـلائكة أشـهـدكم أنى قد غـفـرت لهم (أى للذاكـرين) وأعطيتهم ما يسألون ، وأعذتهم مما يستعـيذون ، فتقول الملائكة: فيهم فلان عبد خَطَّاء وإنما مرَّ فـجلس معهم ، فيقول تعـالى : هم القوم لا يَشقَى بهم جليسهم .. » الحديث [1] وهو مشهور .

مداومة الصوفية علي الذكر

وقد اخـتار جـماعـة من أهل طريقة الـتصوُّف الجـهرَ بالـذكر ، والاجتماعَ لذلك ، ولهم فى ذلك طرائقُ معروفة ، واختار آخرون الإسرارَ به ، والجميعُ على خيـر من ربّهم ، وسداد مـن طرائقهم ـ رحـمهم الله ونفع بهم ـ .

ثم إن أهل هذه الطريقـة ـ أعنى طريقـة التـصوف ـ لا يعـدلون بالذكر شيئاً ، وعليه تعويلهم ، وفيـه شغلهم بعد إقامة الفرائض واجتناب المحارم ، وبه يـأمرون المريد والسالـك لطريقهم ، ويأخـذون عليه العـهد بالمدوامة عليـه والملازمة له ، مع شرائط وآداب لهم فى طريقـهم ، الذكرُ أهمُّها وآكدُها .

فضائل انواع من الذكر

والذكر على أنواع كثيـرة ، ولكل نوع منها فضل وثواب عظيم ، وفيه فوائد ومنافع جمّةٌ ، وله ثمرات وآثار شريفة .

فمن أفضل أنواع الذكر بل هو أشرفها وأفضلها: *« لا إله إلا الله »* قال النبى عليـه الصلاة والسلام : *« أفـضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفـضلُ الدعاء الحمدُ لله »* [2] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « أفضلُ ما قلت أنـا والنبيون من

---

(١) [حديث صحيح . رواه الشيخان من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحـيح . رواه النسائى ، وابن ماجه ، وابن حبـان ، والحاكم من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ قال الحاكم : صحيح الإسناد] .

قبلى : لا إله إلا الله »[1] .

وقال عليـه السلام فـيما يرويه عـن الله تعالى : « **لا إلــه إلا الله حِصنى ومن دخل حِصنى أَمِنَ من عذابى** »[2]

وقال عليه الصلاة والسلام : « **جـدِّدوا إيمانكم** » قالوا : وكيف نجدد إِيمانا ؟ قال : « **أكثروا من قول لا إله إلا الله** »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **سبحان الله نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب** »[4] .

وورد : أن عموداً من نور واقفٌ بين يدى الله ؛ فإذا قال القائل : لا إله إلا الله اهتز ذلك العمـود ، فيقول الله تعالى اسكن فيـقول : كيف أسكن ولم تغفر لقائلها ، فيقول الله تعالى : قد غفرت له فيسكن[5] .

وورد أيضاً : « **أن العـبد إذا قـال : لا إله إلا الله ، لم تمرّ لا إله إلا الله على سيئة فى صحـيفـته إلا مـحتـها ، حتى تجـد حسنةً فـتسكن إلى جنبها** »[6] .

وورد أيضاً : « **أنه لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن فى كَفّة ولا إلا إلا الله فى كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله** »[7]

---

(١) [رواه الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ،وقال:حسن غريب] .

(٢) نص الحـديث القـدسى : « إنى أنا الله لا إله إلا أنا ، من أقـر لى بالتـوحيـد دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عـذابى » [رواه الشيرازى فى « الألقاب » عن على ـ رضى الله عنه ـ] « الاتحافات » (ص ٤٠) .

(٣) [حديث حـسن . رواه الإمام أحمد ، والطبـرانى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى ـ رضى الله عنهما ـ وقال : حديث غريب] .

(٥) [رواه البزار عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وهو غريب] .

(٦) الحديث بهذا المعنى رواه أبو يعلى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ .

(٧) [رواه البزار ، والحاكم من حديث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

وما ورد فى فضل هذه الكلمة كثير شهير ، والقصدُ الإشارة دون الاستقصاء ، ويكفى فى معرفـة فضلها أنها الكلمة التى يدخل بها الإنسان فى الإســلام ، ومن خُتم له عند الموت بـهـا فــاز بالسعــادة الأبدية التى لا شقاوة بعدها .

اللَّهمّ يا كريم : نسألك أن تحيينا وتميتنا وتبعثنا على قول « لا إله إلا الله » مخلصين ، ووالدنيا وأحبابنا والمسلمين آمنين .

وقال ﷺ : فى « *لا إله إلا الله وحده لا شـريك له ، له الملك وله الحمـد ، وهو على كل شئ قدير ، من قـالها عشـر مرات كان كـمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام* »[1] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من قـال لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحمـد ، وهو على كل شئ قدير ، فى كل يوم مائة مرة كانت له عدْلَ عـشر رقاب ، وكتبت له مائة حسـنة ، ومُحيت عنه مائة سيئة ، وكانت لَه حـرْزاً من الشيطان يومَه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضلَ مما جاء به إلاَ رجل عَمِل أكثر منه* »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « *من قال لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه ، له الملك وله الحمـد ، وهو على كل شئ قدير ، لم يسـبقـها عمل ، ولا يبقى معها خطيئة* »[3] .

فضل صيغ أخرى للذكر

ومن أفضل أنواع الذكر وأجمعها قول : « *سبحان الله ، والحمد لله ،ولا إله إلا الله ، والله أكبر* » .

فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام : « *أنها خير الكلام وأحبه إلى*

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومـسلم ، والترمذى ، والنسائى من حديث أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحيح . متفق عليه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ] .

الله تعالى »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لأن أقول سبحان الله ،والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحبُّ إلى مّما طلعت عليه الشمس »[2]

وقال عليه السلام . « لَقيت إبراهيمَ عليه السلام ليلةَ أُسرِى بى فقال : يا محمد،اقرأ على أمتك السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيّبة التُّرْبة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان[3] ،وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام فى هذه الكلمات الأربع : « من قالهن غُرست له بكل واحدة منهن شجرة »[5] أى فى الجنة .

وقال عليه الصلاة والسلام لأبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ:« قل: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ فإنهن الباقيات الصالحات ، وهنّ يَحططْنَ الخطايا كما تحطُّ الشجرة وَرقها »[6] .

---

(١) نص الحديث : « أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا يضرك بأيهن بدأت » [رواه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ] .
وعن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : « أفضل الكلام : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » [رواه أحمد ، ورواته محتج بهم « الصحيح »] .

(٢) [حديث صحيح. رواه مسلم،والترمذى من حديث أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) جمع قاع ، وهو فى الأصل : المكان المستوى الواسع فى وطأة الأرض ، يعلوه ماء السماء فيمسكه ، ويستوى نباته .

(٤) [حديث حسن . رواه الترمذى ، والطبرانى فى « الصغير » و « الأوسط » من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [رواه الطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وإسناده حسن لا بأس به فى المتابعات ، ورواه ابن ماجه بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ولفظه : « يا أبا هريرة ، ما الذى تغرس ؟ قلت: غراساً ، قال :« ألا أدلّك على غراس خير من هذا ؟ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، تغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة » .

(٦) تتمة الحديث : « وهى من كنوز الجنة » [رواه الطبرانى بإسنادين أصلحهما فيه عمر ابن راشد ، وبقية رواته محتج بهم فى الصحيح ، ولا بأس بهذا الإسناد فى المتابعات ، ورواه ابن ماجه من طريق عمر أيضاً باختصار] .

وقال عليه الصلاة والسـلام فى : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : « *إنها كنز من كنوز الجنة* »(١) « *وإنها دواء من تسعة وتسعين داء أدناها الهَمّ* »(٢) .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من كانـت لله عليه نعـمة وأحبَّ بقاءها فليُكثر من : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم* »(٣) .

ومن أنواع الذكر الفاضلة قول : سبحان الله وبحمده ، قال عليه الصلاة والسلام :« *أحبُّ الكلام إلى الله ، سبحان الله وبحمده* »(٤)

وسئل عليه الســلام : أىُّ الكلام أفضلُ ؟ قال : « *ما اصطفى الله لملائكته : سبحانَ الله وبحمده* »(٥) .

وقال علـيه الصلاة والـسلام : « *من قـال سبحـان الله وبحـمده غرست له نخلة فى الجنة* »(٦) « *ومن قالها مائة مـرة كُتبت له ألفُ حسنة ، وحُطّت عنه ألفُ خطيئة* » (٧)

وقـال ﷺ : « *من قـال حين يصـبح وحين يمسى : سبـحـان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القـيامة بأفضلَ مما جاء به إلا أحد قال*

---

(١) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والأربعة من حديث أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ]

(٢) [رواه الطبرانى فى « الأوسط » والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

(٣) [رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والنسائى ، والترمذى إلا أنه قال : « **سبحان ربى وبحمده** » وقال : حديث حسن صحيح] .

(٥) [حديث صحيح ، رواه مسلم من حديث أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٦) [رواه البزار بإسنـاد جيد من حـديث عبد الله بن عـمرو ـ رضى الله عنهـما ـ ورواه الترمذى وحسنه ، وابن حبان ، والحاكم بزيادة « العظيم » ـ سبحان الله العظيم ـ من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٧) [رواه الشيخـان بلفظ : « من قال : « **سبـحان الله وبحمده فى يوم مـائة مرة حطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر** » .

وورد فى « صحيح مسلم » و « سنن الترمذى ، والنسائى » ما يقارب لفظ الذى ذكره المؤلف : يقول المصطفى ﷺ : « **أيعجز أحـدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟** » فـسأله سـائل من جلسـائه : **كيف يكسب أحدنا ألف حـسنة ؟ قـال : « يسبّح مـائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة** » .

مثل ما قال أو زاد عليه »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحانَ الله وبحمده ، سبحانَ الله العظيم* »[2] .

وعن أم المؤمنين جُوَيْرية[3] - رضى الله عنها - : أن النبى ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضْحَى وهى جالسة تسبِّح فقالَ : « *ما زلت على الحالة التى فارقتك عليها ؟* » قالت : نعم، قال النبى ﷺ : « *لقد قلتُ بعدك أربعَ كلمات (ثلاث مرات) لو وُزِنت بما قلت منذُ اليوم لَوزنتهنّ : سبحان الله وبحمده عددَ خلقه ، ورِضاَ نفسه ، وزِنَةَ عرشه ، ومِداد كلماته* »[4] .

فضل الاستغفار

ومن أنواع الأذكار الكثيرة الخير والبركة ، العظيمة الفضل والثواب : الاستغفار ، والصلاة على النبى المختار ، والدعاء .

(أما الاستغفار) فقال الله عز من قائل فى فضله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ الآية[6] .

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى، ومسلم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

(٢) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والأربعة إلا أبا دواود من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

(٣) هى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب الخزاعية المصطلقية ، كانت امرأة حسناء جميلة ولما دخلت على رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، أنا جويرة بنت الحارث - سيد قومه - وقد أصابنى من البلاء ما لم يَخْفَ عليك - حيث وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس - وقد كاتبت على نفسى ، فأعنّى على كتابتى ، فقال : « أو خير من ذلك ؟ أؤدّى عنك كتابك وأتزوّجك ؟ » فقالت : نعم ، ففعل ذلك . [أخرجه ابن إسحاق] .

(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والأربعة] .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٣٣ .

(٦) سورة هود : الآية ٣ .

وقـال تعالى فيما حكـاه عن نبيّه نوحٍ عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من لزم الاستغفارَ جعل الله له من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب* »[٣] .

وقال عليه السلام : « *طُوبَى لمن وَجد فى صحيفته استغفاراً كثيرا* »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من قال أستغفر الله فى كل يوم سبعين مرةً غفر الله له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أوأمَةٌ يذنب فى كلّ يوم وليلة أكثرَ من سبعمائة ذنب* »[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة* »[٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ألا أخبركم بدائكم ودوائكم؟ ألاَ إن داءكم الذنوبُ ،ودواءكم الاستغفارُ* »[٧] .

---

(١) سورة نوح : الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ . (٢) سورة النساء : ١١٠ .

(٣) [حديث صحيح . رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى من حديث عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٤) [رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، والبيهقى من حديث عبد الله بن بسر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [رواه ابن أبى الدنيا ، والبيهقى ، والأصبهانى من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ] .

(٦) [حديث صحيح . رواه البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٧) [رواه البيهقى . وقد روى عن قتادة من قوله ، وهو أشبه بالصواب] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *قال إبليس : وعـزَّتك وجلالك يا ربِّ لا أبرح أغوى عـبادك مـا دامت أرواحُهم فى أجسادهم ، فـقال الله : وعزَّتى وجلالى لا برحتُ أغفر لهم ما استغفرونى* »(١) .

وقال عبد الله بن عمر(٢) ـ رضى الله عنهما ـ : كـنا نَعُدُّ لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد (مائة مرة) : « *ربِّ اغفر لى وتب علىَّ إنك*

(١) [رواه الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، الصحابى الزاهد . أسلم مع أبيه قبل بلوغه ، وهاجر قـبل أبيه وهو ابن عشر سنين ، وعرض على النبى ﷺ ببدر فاستصغره ثم بأحد فكذالك ، ثم بالخندق فأجازه ، ثم شهد ما بعد الخندق من المشاهد مع رسول الله ﷺ .

ولد ـ رضى الله عنه ـ سنة ثلاث من المبعث النبوى فيـما جزم به الزبير بن بكار . وتوفى وله من العمر ٨٧ سنة .

وهو أحـد المكثرين فـى رواية أحاديث رسـول الله ﷺ ، وكـان شديد الاتبـاع لآثار رسول الله ﷺ ، حـتى أنه ينزل منازله ، ويصلى فى كل مكان صلى فيـه ، و يبرك ناقته فى مبرك ناقته ، وأن النبي ﷺ نزل تحت شجرة ، فكان ابن عمر يتعاهده بالماء لئلا تيبس .

روى له عن رسول الله ﷺ (١٦٣٠ حـديثا) ، وروى عنه أولاده الأربعـة : سالم وحمزة وعبد الله وبلال ، وخلائق لا يحصـون من كـبار التابعين وغيرهم . ومناقبه ـ رضى الله عنه ـ كثيرة مشهـورة ، بل قل نظيره فى المتابعة لرسول الله ﷺ فى كل شئ من الأقوال والأفعال ، وفى الزهادة فى الدنيا ومقاصدها ، والتطلع إلى الرياسة وغيرها .

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : مات ابن عمر وهو مثل عمر فى الفضل . ومن وجه آخر عنه : كان عـمر فى زمان له فيه نظراء ، وكان ابن عـمر فى زمان ليس له فيه نظير .

وعن سعيد بن المسيب قال : لو شهدت لأحد من أهل الجنة لشهدت لابن عمر .

وعن طاوس : ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر .

وكان ـ رضى الله عنه ـ كثير الصدقة ، فربما تصدق فى المجلس الواحد بثلاثين ألفا ، قال نافع : كـان ابن عمر إذا اشـتد عجبـه بشئ من ماله تقـرب به إلى الله تعالى ، وكان رقيقـه قد عرفوا ذلك منه ، فربما لزم أحدهم المسجـد ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعـتقه ، وأعتق جارية له يقـال لها : رمثة كان يحبـها ، وقال : سمعت الله تعالى يقول: ﴿ **لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون** ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

وعن زيد بن أسلم قال : جـعل رجل يسبّ ابن عمر ـ وابن عمر سـاكت ـ فلما بلغ باب داره التفت إليه ، فقال : إنى وأخى عاصما لا نسب الناس .

وعن مالك قال : كـان إمام الناس عندنا بعد عمر زيـد بن ثابت ، وكان إمام الناس عندنا بعد زيد ـ ابن عمر .

أنت التواب الرحيم »[1] .

(فعليك) ـ رحمك الله ـ بالإكثار من هذا الذكر المبارك ، الذى كان من رسول الله ﷺ بهذه المنزلة .

وبلغنا أن الإمام أحمد بن حنبل[2] ـ رحمه الله ـ رؤى بعد موته

= وعن عقبة بن مسلم : أن ابن عمر سئل عن شئ؟ فقال : لا أدرى ، ثم قال : أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسوراً فى جهنم ؟ تقولون : أفتانا بهذا ابن عمر .
وفى « الزهد » للبيهقى بسنده : أنه ما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلا بكى ، ولامرّ على ربعهم إلا غمض عينيه .
وكان ـ رضى الله عنه ـ إذا فاتته صلاة العشاء فى الجماعة أحيا بقية ليله ـ وفى رواية ـ إذا فاتته صلاة فى جماعة صلى إلى الصلاة الأخرى .
وكان يسرد الصوم ، وهو أحد الصحابة الساردين للصوم ، منهم : عمر ، وابنه ، وأبو طلحة ، وحمزة بن عمرو ، وعائشة ـ رضى الله عنهم ـ .
ومر ابن عمر براع فقال : هل من جزرة ؟ قال : ليس ههنا ربها ، قال : تقول له : إن الذئب أكلها ، قال: فاتق الله ، فاشترى ابن عمر الراعى والغنم ، وأعتقه ووهبها له .
ومناقبه ـ رضى الله عنه ـ كثيرة مشهورة ، وفيما أوردناه خير وكفاية .
توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بثلاثة أشهر .
« تهذيب الأسماء » (١ / ٢٧٨) « الإصابة » (٤ / ١٥٥) .

(١) [رواه الإمام أحمد ، والأربعة إلا أبا داود] .

(٢) هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى المروزى شيخ الأمة ، وعالم أهل عصره، الإمام البارع ، المجمع على جلالته وإمامته وورعه وزهادته وحفظه ووفور علمه وسيادته ، فكان إماما فى الحديث وضروبه ، إماما فى الفقه دقائقه ، إماما فى السنة ودقائقها ، إماما في الورع وغوامضه ، إماماً فى الزهد وحقائقه .
ولد ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة (١٦٤ هـ) ونشأبها إلى أن توفى سنة (٢٤١ هـ) ورحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة وغيرها ، وسمع من سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وآخرون ، وروى عنه البخارى ومسلم، وأبو داود، وأبو زرعة الرازى، والبغوى، وابن أبى الدنيا، وخلائق لا يحصون.
قال إبراهيم الحربى : رأيت ثلاثة لم نر مثلهم أبداً : أبو عبيد القاسم ما مثلته إلا بجبل نفخ فيه الروح ، وبشر بن الحارث ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلا ، وأحمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم الأولين من كل صنف يقول ما شاء ويمسك ما شاء .
وقال قتيبة بن سعيد : لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثورى، والأوزاعى ، ومالك ، والليث بن سعد ، لكان هو المقدم . =

= وعن الهيثم بن جميل قال: وددت أنه نقص من عمرى، وزيد فى عمر أحمد بن حنبل.
وقال الشافعى : ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمى .
وقال أبو حاتم : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة .
وكـان ـ رحمـه الله ـ يحفظ ألـف ألف حديث ، ويضـرب به المثل فى اتبـاع السنة واجتناب البدعة ، وكان إذا مشى فى الطريـق لا يمكن أحداً يمشى معه ، وكان يحيى الليل كله منذ كان غلاماً ، وكان من أصبر الناس على الوحدة ، لا يراه أحد إلا فى المسجـد أو جنازة أو عيادة ، وكان ورده كل يوم وليلة ثلثـمائة ركعة ، فلـما ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلى مائة وخمسين ركعة .
ولما قدم للسيـاط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له أبو الهيثم الـعيار . فوقف عنده وقال : يا أحـمد ، أنا فـلان اللص ضربت ثمـانية عشـر ألف سوط لأقـر ما أقررت ـ وأنا أعـرف أنى على الباطل ـ فـاحذر أن تقلق وأنت علـى الحق من حرارة السوط ، فكان الإمام أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص . وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه .
قال الـفضـيل بن عيـاض ـ رضى الله عنه ـ حبس الإمـام أحمـد ـ رضى الله عنه ـ ثمانية وعـشرين شهراً ، وكان فـيها يضرب كل قليل بالسيـاط إلى أن يغمى عليه ، وينخس بالسـيف ، ثم يرمى على الأرض ، ويداس عليه . ولم يزل كـذلك إلى أن مات المعتصم .
قال أحمد بن عسال : لما حمـلت مع أحمد إلى المأمون : تلقانا الخادم ـ وهو يبكى ويمسح دموعـه ـ وهو يقول : عز علـىّ يا أبا عبد الله مـا نزل بك ، قد جرّد أمـير المؤمنين سيـفا لم يجرده قط ، وبسط نطـعا لم يبسطه قط ، ثم قـال : وقرابتى من رسول الله ﷺ لارفعت الـسيف عن أحمد وصاحـبه حتى يقولا: القـرآن مخلوق ، فجثا أحمـد على ركبتيه ، ولحظ السماء بعينيـه ودعاء ، فما مضى الثلث الأول من الليل إلا نحن بصيحة وضـجة ، فأقبل علينا خادمه وهو يقـول : صدقت يا أحمد ، القرآن كلام الله غير مخلوق ، قد مات ـ والله ـ أمير المؤمنين ، وكان قد لقبه قبل أن يدخل المدينة رجل من العباد ، فقال : احذر يا أحمد أن يكون قدومك مشئوما على المسلمين ، فإن الله تعالى قد رضى بك لهم وافداً، والناس إنما ينظرون إلى ما تقول ، فيقولون به ، فقال أحمد : حسبنا الله ونعم الوكيل .
وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول لا تكتبوا العلم عمن يأخذ عليه عرضا من الدنيا .
قال قتـيبة بن سعـيد : بموت أحمـد بن حنبل تظهر البدع ، وبموت الشافـعى ماتت السنن ، وبموت الثورى مات الورع .
توفى ـ رضى الله عنه ـ ليلة الجمعة ١٢/ بيع الأول/ ٢٤١ هـ وله سبع وسبعون سنة .
قال ابن أبى حاتم : سمعت أبا زرعـة يقول : بلغنى أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذى قام الناس فيه للصـلاة على أحمد بن حنبل ، فبلغ مقام ألفى ألف وخـمسمائة ألف (٢٥٠٠٠٠٠) .

فى المنام فذكر : أن الله نفعه كثيراً بكلمات سمــعها من سفيان الثورى[1] ـ رحمه الله ـ وهى هذه : *اللَّهم يا ربَّ كلِّ شئ ، بقدرتك على كل شئ، اغفر لى كل شئ ، ولا تسألنى عن شئ* . انتهى بمعناه .

فعليك أيضاً بالإكثار من هذه الكلمات المباركات .

ومن المأثور : « *من استغــفر الله كل يوم للمؤمنــين والمؤمــنات (سبعــاً وعشــرين مــرّة) صار من العــباد الذيــن بهم يُرحـم الخلق ، وبهم يُمطرون ويرزقون* » وهذه صفة الأبدال من رجال الله وعباده الصالحين[2] .

فضل الصلاة والسلام على النبى ﷺ

(وأما الصلاة) على رسول الله ﷺ ففضلها عظيم ، ونفعها في الدنيا والآخرة للمكثرين منها كـثير ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[3]

فناهيك بما نصَّ الله فى هذه الآية تشريفــاً لنبيه وتعظيمـا ، وحثًّا لعباده المؤمنين على الصلاة والتسليم عليه وتحريضاً .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من صلى علــىّ واحــدة صلى الله عليه عشراً* »[4] .

قال بعض العلماء المحقـقين ـ رحمهم الله ـ : لو صلى الله على

= قال الوركانى : أسلم يوم وفاة أحمد بن حنبل عـشرون ألفاً من اليهود والنصارى ، والمجوس ، وأحوال الإمام أحـمد ـ رحمه الله ـ أكثر من أن تحصـر ، وفيما أوردناه خير وبركة .

« تهـذيب الأسـمــاء » (١ / ١١٠) « حلية الأولـياء » (٩ / ١٦١) « طبـقـات الشعرانى الكبرى » (١ / ٤٦) « شذرات الذهب » (٢ / ٩٦) .

(١) سبقت لنا ترجمته ـ رحمه الله ـ .

(٢)[قال جلال الدين السيوطى: ضعيف رواه الطبرانى عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ].

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .

(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم ،والأربعة إلا ابن ماجه ، وابن حبان فى « صحيحه » من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

العبد فى طول عمـره مرة واحدة لكفاه ذلك شرفاً وكـرامة ؛ فكيف بعشر صلوات على كل صلاة يصليها المسلم على نبيه ! ؟ (انتهى) .

فالحمد لله على عظيم فضله وجزيل عطائه .

وقال عليـه السلام : « *من صلىّ علىّ صـلاة صلى الله عليـه بهـا عشر صلوات ، ورفع له بهـا عشر درجات ، وكتب له بها عـشر حسنات ، وحطَّ بها عنه عشر خطيئات* »[1]

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهـم علىّ صلاةً* »[2] .

وقال عليه السلام : « *من قال : اللّـهم صلِّ على محـمد ، وأنزله المقعد المقرَّب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتى* »[3] .

وقال عليه السلام : « *من قال : جزى الله عنَّا محمداً ما هو أهله ، أتعب سبعين كاتباً ألفَ صباح* »[4] .

وقال عليـه الصلاة والسـلام : « *صلوا علىّ حـيثـما كنتم ، فـإن صلاتكم تبلغنى* »[5] .

وورد : « *أن لله ملائكة سـيّاحين فى الأرض يبلغونه عليـه السلام*

---

(١) [رواه الإمام أحمد ، والنســائى ، وابن حبان ، والحاكم من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ ورواه النسائى أيضاً . والطـبـرانى ، والبزار عن أبى بردة بن نيار ـ رضى الله عنه ـ مع زيادة : « مخلصاً من قلبه »] .

(٢) [رواه الترمذى ، وابن حبان من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال الترمذى : حسن غريب] .

(٣) [قال الحافظ المنذرى : رواه البزار ، والطبـرانى فى « الكبير » و « الأوسط » وبعض أسانيدهم حسن] .

(٤) [رواه الطـبـرانى فى « الكبـير » و« الأوسط » من حـديث ابن عبـاس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٥) [حديث حسن . رواه الطبرانى فى « الكبير » من حديث الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ] .

صلاة من يصلّى عليه من أمته »[١] .

وورد : « *أنه لا يسلّم عليه أحد من أمته إلا ردّ الله عليه روحه الشريفة حتى يَردَّ عليه »*[٢] .

وقد ورد فى السلام عليه المضاعفة بالسلام من الله عشر مرات على المسلِّم عليه كما ورد فى الصلاة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *رَغِم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلّ علىّ* .. » الحديث[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من ذُكرت عنده فأخطأ الصلاةَ علىّ أخطأ طريق الجنة »*[٤] .

وقد أمر عليه السلام بالإكثار من الصلاة عليه فى يوم الجمعة خصوصاً ، قال عليه الصلاة والسلام : « *أكثروا من الصلاة علىّ يومَ الجمعة ، فإن صلاة أمتى تعُرض علىّ فى كل جمعة فأقربهم منى منزلة أكثرهم علىّ صلاة »*[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *صلوا على فى الليلة الغَرّاء واليوم الأزهر »*[٦] يعنى ليلة الجمعة ويومها .

---

(١) [رواه النسائى ، وابن حبان من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ لكن بدل قوله « صلاة من يصلى عليه » « السلام »] .

(٢) [رواه الإمام، وأبو داود من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) تتمة الحديث : « ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ، ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر ، فلم يدخلاه الجنة » [رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وقال : حديث حسن غريب] .

(٤) [رواه الطبرانى من حديث حسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ وروى مرسلا عن محمد بن الحنيفية] .

(٥) [رواه البيهقى بإسناد حسن من حديث أبى أمامة ـ رضي الله عنه ـ] .

(٦) [حديث ضعيف . رواه ابن عدى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ والبيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ورواه الطبرانى فى « الأوسط » عنه بلفظ « أكثروا من الصلاة علىّ فى الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإن صلاتكم تعرض على » ، =

(فينبغى) لكل مؤمن أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ فى دوام الأوقات ، وفى ليلة الجمعة ويومها خصوصاً ، وليجعل السلام عليه مع الصلاة ؛ فقد أمر الله بهما جميعا .

وفى الحديث عن الله تعالى أنه قال لـه عليه الصلاة والسلام : « *من صلى عليك صلّيت عليه ، ومن سلّم عليك سلمت عليه* »[1] .

وينبغى لمن صلّى وسلّم على نبيه أن يصلّىَ ويسلِّم على آله بعده ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام يحب لهم ذلك ، وقد وردت به الأحاديث ، وجاء فى بعض الآثار : « *أن الصلاة التى لا يصلى فيها على الآل تسمى الصلاةَ البتراء* »[2] . والله أعلم .

الدعاء وفضله وآدابه

(وأما الدعاء) ـ فقد أمر الله به وحثّ عليه ورغَّب فيه ، فقال عزّ من قائل كريم : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦** ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[5] .

= ورواه ابن ماجه بسند حسن من حديث أبى الدرداء بلفظ : « *أكثروا من الصلاة علىّ فى يوم الجمعة فإنه يوم مشهور تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلى علىّ إلا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها* » .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً : « أكثروا من الصلاة علىّ فى يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » [رواه البيهقى بإسناد حسن] .

(١) [رواه ابن أبى الدنيا فى « كتاب الشكر »] .
(٢) لم أعثر على من خرّجه .
(٣) سورة الأعراف : الآيتان ٥٥ ، ٥٦ . (٤) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .
(٥) سورة غافر : الآية ٦٠ .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١) .

وقال النبى ﷺ : « *الدعاء هو العبادة* »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام « *الدعاء سلاح المومن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض* »(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *لا يردُّ القضاء إلا الدعاء ،ولا يزيد فى العمر إلا البرّ* » (٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام « *الدعاء مُخُّ العبادة* »(٥) .

وقال : « *لا يهلك مع الدعـاء أحـد ، والدعــاء ينـفع مما نـــزل ومما لم ينزل* »(٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة* ،

---

(١) سورة غافر : الآية ٦٥ .

(٢) [حديث صحيح . رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ،وابن ماجه ،وابن حبان ، والحاكم من حديث النعمان بن بشير ـ رض الله عنه ـ] .

(٣) [رواه الحاكم وقال : صحـيح الإسناد من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ورواه أبو يعلى من حديث على ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) تتمة الحديث : « **وإن الرجل ليحرم الرزّق بالذنب يذنبه** » [رواه ابن حبان ، والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح الإسناد] .

(٥) [رواه الترمذى وقال : حديث غريب] .

(٦) حديث : « **لا يهلك مع الدعاء أحد** » [رواه ابن حبان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ] .

وقـوله : « **والدعــاء ينفع مما نزل وممـا لم ينزل** » فهـو جزء من الحـديث الذى رواه الترمذى ، والحـاكم من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قـال : قال رسول الله ﷺ : « **منِ فتح له منكم باب الدعاء فـتحت له أبواب الرحمة ، وما سئـل الله شيئاً ـ يعني ـ أحب إليه من أن يسأل العـافية** » وقال : قـال رسول الله ﷺ : « **إن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء** » .

واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه »[١] .

وأمرَ عليه الصلاة والسلام بتعظيم المسألة وبجزمها ، وأن لا يقول العبـد : اللهم اغفر لى إن شئت بل يَعـزم المسألة[٢] ، ويُعظم الرغبة[٣] ، ويلح فى المسألة[٤] ، ويوقن بالإجابة ، ويكون عند دعاءه حاضر القلب مع ربه ، خائفاً من الرد من حيث غفلته عن مولاه ، وتقصيره فى القيام بحقه ـ وطامعاً فى الإجابة ونيل الرغبة ، لكمال الجود وصدق الوعد .

وقد ورد : *« أن الله حَيىٌّ كريم ، يستحى من العـبد إذا رفع إليـه يديه أن يردَّهما فارغتين »*[٥] .

وورد أيضاً : *« أنه لا يدعو الله داع إلا استجاب به ؛ فإما أن يعجِّل له ما سـأل ، وإما أن يدفع عنه من البلاء أعظمَ من ذلك ، وإمـا أن يدَّخر له فى الآخرة ما هو أفضلُ وأكمل »*[٦].

(فينبغى) للعبد أن لا يزال داعياً ومتـضرّعاً فى رخائه وشدته ، ويسره وعسره ، ولا يستبطئ الإجـابة ، ولا ييأس ، فقد يكون لله تعالى سرٌّ وخيـرٌ فى تأخير بعض الأمور ، ويكون للعـبد فى ذلك صلاح ونفع

(١) [رواه الترمذى ، والحاكم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
قال سفيـان بن عيينة : لا يمنعكم أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفـسه ، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله : « إذ قـال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون قال: إنك من المنظرين » .

(٢) قال ﷺ: « لا يقل أحدكم إذا دعا:اللهم اغفر لى إن شئت ،اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسألة،فإنه لا مكره له » [متفق عليه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ].

(٣) [رواه مسلم ، و قال ﷺ:« إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شئ » [أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) فكان ﷺ إذا دعـا دعـا ثلاثا وإذا سأل سـأل ثلاثاً . [رواه مـسلم من حـديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [حديث صحيح . رواه أبو داود ، والترمذى وحسّنه ،وابن ماجه ، والحاكم وقال : إسناده صحيح على شرطهما] .

(٦) الحديث بهذا المعنى [رواه الإمام أحمـد ، والبزار ، وأبو يعلى ، والحاكم من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنهما ـ] .

من حيث لا يشعر ؛ فليدْعُ ويفوِّضْ .

وكلما سأل ربه شيئا فليسأل معه اللُّطفَ والعافية وصلاحَ العاقبة . وليسأل الله كلَّ مـا يشاء مما فيه رضاه من أمـور الآخرة والدنيا ، ومن كل جليل وحقير .

ولا يغـفل عن أكل الحلال ؛ فـإنه من أهم الشرائط لاسـتجـابة الدعاء، كما فى الحديث الصحيح : « *ثم ذكَر الرجلِ يطيل السَّفَر ، أشْعَثَ أغْبر ، يمدُّ يديه إلى السماء : يا ربِّ يا ربِّ ! ومَطعَـمُه حرام، وملبسه حرام ، وغذِىَ بالحرام ؛ فأنّى يستجاب لذلك* »[1] !

وقال بعض السلف : الدعاء كالمفـتاح ، وأسنـانه لُقَم الحلال . (انتهى) .

(**وينبـغى**) للإنسـان أن لا يغـفُلِ عن الدعاء فـى أوقات الشـدة والرخاء، قال عليـه الصلاة والسلام : « *تعرَّف إلى الله فى الرخـاء يَعرفْك فى الشدة* »[2] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من سره أن يـستجـيب الله له عند الشدائد والكُرَب فليكثر من الدعاء فى حالة الرخاء* »[3] .

وبالجملة ، فـالدعاء من أعظم ما أنعم الله به على عـباده ، حين أمرهم به وحرَّضهم عليه ؛ حتى إنه عز وجل يغضب على من لم يسأل ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « *من لم يسأل الله يغضب عليه* »[4] .

وكما ينبـغى للإنسان أن يدعو لنفسه بالخيـر وبالنجاة من الشر ،

---

(١) [حديث صـحيح . رواه الإمام أحـمد ، ومسلم من حـديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث حسن . رواه أبو القاسم بن بشـــران فى « أماليــه » من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) حديث حسن . رواه الترمذى ، والحاكم من حديث أبى هريرة ـ رضي الله عنه] .

(٤) [رواه البخارى فى «الأدب المفرد»والترمذى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه].

ينبغي له أن يدعو بمثل ذلك لوالديه ولأحبابه وللمسلمين .

(**وليحذر**) كل الحذَر من الدعاء بالشر على نفسه أو على أولاده أو على ماله أو على على أحد من عباد الله ، وإن ظلمه فليكِلْ أمره إلى الله، ولْيرض بنصرة الله له ؛ وفى الحديث : من « ***دعا على من ظلمه فقد انتصر*** »[1] .

ولا خير فى الدعاء بالشر على خادم ولا غيره ، ولْيجعل بدل الدعاء عليه الدعاء له ، كما هى صفة عباد الله الرحماء .

دعوات مأثورات

وفى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ : أنه كان عليه الصلاة والسلام يستحب من الدعاء الجوامعَ الكوامل[2] ، ويَدَع ما سوى ذلك .

فمن الدعوات النبويات الجامعات : « ***اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة*** »[3] ، « **اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة** »[4] ، « ***اللهم ارزقنى طيبا واستعملنى صالحاً*** »[5] ، « ***اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى*** »[6] ، « ***اللهم***

---

(١) [حديث ضعيف . رواه الترمذى من حديث عائشة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) نص الحديث: « كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك » [رواه أبو داود بإسناد جيد] .

(٣) عن العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ قال ـ : قلت يا رسول الله علمنى شيئاً أسأل الله تعالى ، قال : « **سلوا الله العافية** » فمكثت أياما ثم جئت فقلت : يا رسول الله ، علمنى شيئاً أسأل الله تعالى ،فقال : « ***يا عباس ، يا عم رسول الله ، سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة*** » [رواه الترمذى وقال : هذا حديث صحيح] .

(٤) [هذا الدعاء رواه الإمام أحمد ، والبخارى فى « تاريخه » و ابن حبان ، والحاكم من حديث بسرة بن أرطاة ـ رضى الله عنه ـ وهو حسن] .

(٥) أخرج الحاكم من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ « **كان النبىﷺ يدعو: اللهم ارزقنى حلالاً لا تعاقبنى فيه ،وقنعنى بما رزقتنى،واستعملنى به صالحا تقبله منى** » .

(٦) [هذا الدعاء رواه الترمذى وقال : حديث حسن من رواية عمران بن الحصين ـ رضى الله عنه ـ] .

إنى أسـألك الهدى والتـقى والعفـاف والغنى »[١] ، *« اللهم كـما حسَّنت خَلقى فحسِّن خلُقى»*[٢] *« اللهم اجعل سـريرتى خيرا من علانيـتى،واجعل علانيتى صالحة »*[٣] ، *« اللهم إنى أسألك علما نافعاً ، وأسألك رزقا طيباً ، وأسألك عملا متقبلا »*[٤] *« اللهم اجعل خيـر عمرى آخره ، وخـير عملى خواتمه ، وخـير أيامى يوم لـقائك »*[٥] ، « اللهم أرنى الحق حـقـا وارزقنى اتباعه ، وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه »[٦] ، *« اللـهـم اسـتر عوراتنا وآمن روعاتنا »*[٧] ، *« اللهم ربـنـا آتنا فى الدنيـا حـسنة ، وفى الآخـرة حسنة ،وقنا عذاب النار »*[٨] .

(ولْيفتح) الدعـاء بالحمد لله والثناء عليه ، ثـم الصلاة والسلام على النبى وعلى آله ، ولْيختم دعاءه بمثل ذلك ، ثم لْيقل بعده آمنين .

ولْيكثر العبـد جداً من سؤال العافية فى الدنيـا والآخرة،فقد ورد فى الحديث :*« أنه ما سئل الله شيئاً أحب إليـه من أن يسأل العافية فى الدنيا والآخرة »*[٩] ؛

فهى من أجمع الدعوات وأفضلها . والله ولى التوفيق .

ثم إنه قـد ورد عن رسول الله ﷺ من الأذكـار والأدعية المطـلقة والمقيدة بالأوقات المتعاقبة ، والأحوال المتـغايرة ما كثر وانتشر ، وقد رتّبها

(١) [رواه مسلم فى«صحيحه»والترمذى،وابن ماجه،عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) [رواه الإمام أحمد ، وابن السنى من حديث أبى مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .
(٣) [هذا الدعاء رواه الترمذى فى « سننه »] .
(٤) [هذا الدعاء رواه ابن ماجه ، وابن السنى عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ] :
(٥) عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : كان النـبـى ﷺ يقول إذا انصرف من الصـلاة : « اللهم اجعل خير عمرى آخره،وخير عملى خواتمه ،واجعل خير أيامى يوم ألقاك » [رواه ابن السنى] .
(٦) لم أعثر على من خرجه .
(٧) [رواه الإمام أحمد فى « مسنده » عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ] .
(٨) [هذا الدعاء رواه الشيخان عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قـال : كان أكثـر دعاء النبى ﷺ: اللهم ربنا آتنا . . .] .
(٩) نص الحديث : « من فتح له منكم باب الدعاء فتـحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئا ـ يعني أحب إليه ـ من أن يسأل العافية » . [رواه الترمذى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

عليه الصـلاة والسلام لأمته ، ورغـبهم فيهـا ؛ فتكون سبـباً لهم إلى نيل الخير والخيرات ، والسلامة من الشر والآفات ، الواقعة بمشيئة الله في تلك الأحوال والأوقات .

فمـن حافظ عليـها نجا وسـلم ، وفاز وغنم ، ومن فـرّط فيـها وأهمل العمل بها فلا يلومنّ إلا نفسه « **وما ربك بظلام للعبيد** » .

وقد جمع الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى « ***كتاب الأذكار*** »[1] له جملة مـستكثرة من ذلك ، وضم إليـها من الإيضاح والبيـان ، ونفائس الأحكام ، ومهـمات الفوائد مـا يطمئن به القلب ، وينشـرح له الصدر ـ شكر الله سعيه ، وجزاه عن المسلمين خيراً .

وذكر أيضاً صاحب «عدة الحصن الحصين »[2] فيها من ذلك طرفاً صالحا ـ رحمه الله ـ .

وقد جـمعنا لأصـحابنـا من أذكار الصـباح والمسـاء خاصة نـبذة مختصرة مباركة إن شاء الله ـ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

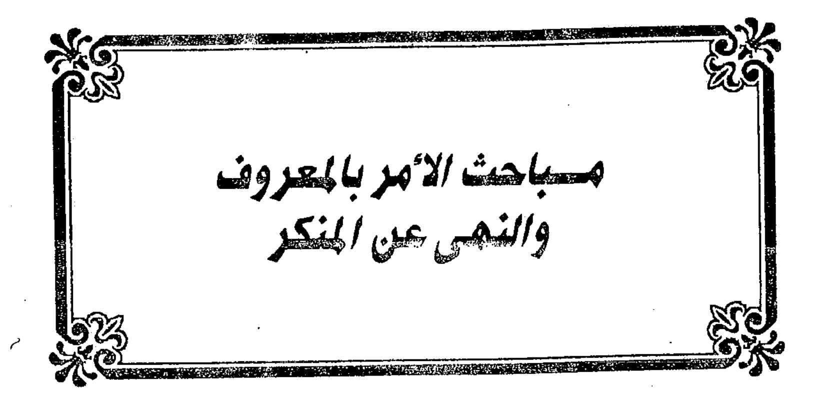
---

(١) المسمى بـ « حلية الأبرار وشعار الأخيـار فى تلخيص الدعوات والأذكار » وهو كتاب مفيد مشهور ـ بـ أذكار النووى ـ فى مـجلد مشتمل على (٣٥٦) باباً ابتدأ فيه بالذكر ، ثم ذكر الأمور الإنسانية من أول الاستيقاظ من النوم إلى نومه فى الليل ، ولنفاسته وقيمـته العلمية قال بعضـهم : بع الدار واشتر الأذكار ، شرحـه عدد من العلماء ، ومن أحـسنه شرح ابن عـلان المكى المسـمى ـ بـ « ***الفتـوحات الربانيـة على الأذكار النووية*** » ـ راجع « كشف الظنون » (١ / ٥٣٠) .

(٢) وهو العلامة الشيخ شمس الدين محمـد بن محمـد ابن الجزرى الشافعى المتوفى سنة (٧٣٩هـ) .

و« عدة الحصين الحصين » هو من الكتب الجامعة للأدعية و الأوراد والأذكار الواردة فى الأحاديث والآثار ، ذكر فـيه أنه أخرجه من الأحاديث الصحـيحة ، وأبرزه عدة عند كل شدة ولما أكمل ترتيبه طلبه عدوه ـ وهو تيمور ـ فهرب منه مختفيا ، وتحصن بهـذا الحصن ، فـرأى سيـد المرسلين ﷺ جالسـاً على يمينه ، وكـانه عليه الصـلاة والسلام يقول له : « *ما تريد؟* » فقال : يا رسـول الله ، ادع الله لى وللمسلمين ، فرفع يديه فـدعا ثم مسح بهـما وجهه الكريم ، وكـان ذلك ليلة الخميس ، فـهرب العدو ليلة الأحد ، وفرج الله سبحـانه وتعالى عنه وعن المسلمين ، ببركة ما فى هذا الكتاب الجامع ، ما لم يجمعه مجلدات من التأليف .

فـرغ من تأليفـه سنة (٧٩١ هـ) ، ولهـذا الحصن شـروح منهـا : « الحرز الثـمين للحصـن الحصين » للملا علـى القارئ ، و « تحفـة الذاكرين » للعـلامة الشـوكانى صاحب « نيل الأوطار » .   راجع « كشف الظنون » (١ / ٥١٥) .



مـباحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من شعائر الدين

(واعلموا معاشر الإخوان) ـ جعلنا الله وإياكم من القوامين بالقسط ، الآمرين به ـ أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : من أعظم شعائر الدين ، وأهم المهمات على المؤمنين؛ وقد أمر الله بذلك فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ وحث عليه ، ورغب فيه ، وشدّد فى تركه فقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ الآيه[٣] .

وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾[٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « *من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان* »[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أيها الناس ، مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم ، وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم* » .

«*إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقاً ، ولا يقرِّب*

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٧١ . (٤) سورة المائدة : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .
(٥) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، والأربعة إلا النسائى ، وغيرهم من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ] .

أجلا ، وأن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم،ثم عُمُّوا بالبلاء »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »[٢] .

وسئل صلوات الله عليه عن خير الناس ؟ فقال : « أتقاهم للرب ، وأوصلهم للرحم ، وآمَرُهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر »[٣] .

التحذير من ترك هذه الشعيرة

وبلغنا أن الله تعالى عذب قرية فيها ثمانية عشر ألفاً ؛ أعمالهم كأعمال الأنبياء غير أنهم كانوا لا يغضبون لله .

فقد تبين واتضح أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا رخصة لأحد فى تركهما عند القدرة والإمكان ، وأن من أضاع ذلك وتساهل فيه فهو متهاون بحق الله ، وغير معظِّم لحرماته كما ينبغى ، وقد ضعُف إيمانه وقلَّ من الله خوفه وحياؤه .

فإن كان سكوته رغبة فى الدنيا،وطمعاً فى الجاه والمال ، ويخشى أنه إذا أمر أو نهى سقطت منزلته ،وضعف جاهه عند من أمرَه أو نهاه من العصاة والظلَمة ؛ فقد عظم إثمه،وتعرض بسكوته لسخط ربه ومقته .

فأما إذا سكت عن الأمر والنهى لعلمه أنه يحصل له إذا أمرَ أو نهَى مكروه فى نفسه أو ماله ؛ فقد يجوز له السكوت إذا تحقق ذلك ،وكان المكروه الذى يحصل له شديداً وله وقع ظاهر ، ولو أمر ونهى مع ذلك كان له أجر عظيم ،وثواب جزيل ، وكان ذلك منه دليلاً على محبة الله وإيثاره على نفسه ، وعلى نهاية الحرص على نصرته لدينه ؛ كما قال

(١) [رواه الأصبهانى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .
(٢) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والنسائى ، وابن ماجه ، والطبرانى ، من حديث أبى سعيد ، وأبى إمامة ـ رضى الله عنهما ـ] .
(٣) [رواه أبو الشيخ ، والبيهقى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

تعالى : ﴿ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[1] .

وما أحسن حال العبد إذا ضُرِب أو حُبِسَ أو شُتِم بسبب قيامه بحقوق ربه ، وأمره بطاعته ، ونهيه عن معصيته !! ذلك دأب الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين ؛ كما هو منقول فى أخبارهم ، ومعروف عن سيرهم وآثارهم .

ولا خير فى الجبن والضعف المانعين من نصرة الدين ، ومجاهدة الظالمين والفاسقين ، لردهم إلى طاعة الله رب العالمين .

فإن الغضب لله ، والغيرة عند ترك أوامره ، وارتكاب نواهيه وزواجره ، شأن الأنبياء والصديقين ؛ وبذلك وصفوا ، واشتهروا وعُرفوا ؛ كما ورد فى الحديث : « ***أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يغضب لنفسه ، فإذا انتهك شىء من حرمات الله تعالى لم يقم لغضبه شىء*** »[2] .

وكما قال عليه الصلاة والسلام فى حق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : « ***قوله الحق ، وماله فى الناس من صديق*** »[3] .

وقال تعالى فى وصف أحبابه من المؤمنين : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[4] .

فتبين أن المؤمن الكامل لا يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٧ .

(٢) فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظُلِمَها قط ما لم ينتهك من محارم الله شىء ، فإذا انتهك من محارم الله شىء ،كان من أشدهم فى ذلك غضبا » [رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى فى « الشمائل » ، وأبو داود] .

(٣) روى الترمذى عن على - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا ، تركه الحق وماله من صديق »] .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

المنكرات حتى يغيِّرها ، أو يحال بينه وبين ذلك بما لا طاقة له على دفعه .

وأما المنافق ومـن ضعف إيمانه جدا ، فـإذا رأوا المنكرات تعلَّلوا وعذَرُوا أنفسهم بالأعـذار الركيكة التى لا يقـوم بها حجـة عند الله وعند رسوله ﷺ .

وتراهم إذا شُتموا أو ظُلموا بشىء من أمـوالهم يقومون أتمَّ القيام ويغضبون أشد الغضب .

ومن فعل معهم ذلك يخاصمونه ويصارمونه الزمان الطويل ، ولا يفعلون شيـئا من ذلك مع المصرِّين على الظلم والمنكر ، المضيِّـعين لحقوق الله ، وأن المؤمنين الصـادقين على العكـس من ذلك ، يغضـبـون لله ولا يغضبون لأنفسهم ، ويقـاطعون من عصى الله وترك أمره ، ويصارمونه إذا لم يقبل الحق ، ويصفحون ويتجاوزون عمن ظلمهم أو شتمهم .

فانظـروا الفرق ما بين الـفريقين ، وكونوا مـع أحسنهم فـريقا ، وأقومهم طريقا ، ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كفائى

(ثم) إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على الكفاية ؛ فحـيث قام به البـعض من المسلمين سـقط الحرج بقـيامهم عن الـباقين ، واخـتص الثواب بالقـائمين فـقط ، وحيث قـصَّروا فيـه كلهم عمَّ الإثم والحرج كل عالم بالمنكر منهم ، يستطيع إزالته وتغييره بيدٍ أو لسان .

كيف يغيِّر المنكر ؟

وأول ما يجب عند مشاهدة المنكر : التعريف،والنهى بلطف ورفق وشـفـقـة ؛ فـإن حصل بـذلك المقـصـود ، وإلا انتقـل منه إلى الوعظ

---

(١) سورة الأعراف : الاية ١٢٨ .

والتخـويف ، والغلظة فى القـول والتعنيف ؛ ثم إلى المنـع والقهر بـاليد وغيرها ، ومباشرة تغيير المنكر بالفعل .

أما الرتبتان الأوليان : التـعريف باللطف ، والوعظ والتخويف ؛ فهما عامتـان ، والغالب فيهما الاستطاعة ، ومدعى العجـز عنهما متعلّل ومعتذر فى الأكثر بما لا يقوم به عذر .

وأما الرتبة الثالثة التى هى المنع بالقهر ، وتغييرُ المنكر باليد ؛ فلا يستطيعه ويتمكن منه فى الأكـثر إلا من بذل نفسه لله تعالى ، وجاهد بماله ونفسه فى سبيل الله ، وصار لا يخاف فى الله لومة لائم ، أو كان مأذونا له فى تغيير المنكر من جهة السلطان .

والحاصل ـ أن الإنسان يأتى من ذلك بما يستطيع ، ولا يقصّر فى نصرة دين الله ، ولا يعتذر فى إسـقاط ذلك بالأعذار التى لا تصح ، ولا يسقط بها ما وجب عليه من أمر الله .

الأخذ بالرفق عليه مدار كبير

(واعلم) ـ أن الأخذ بالرفق واللطف، وإظهار الشفقة والرحمة ، عليه مدار كبيـر عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ فعليك به ، ولا تعدل عنه ، ما دمت ترجو نفعه وحصول المقصود به .

وفى الحديث : « ***مـاكـان الرفق فى شىء إلا زانه ، ومـا نُزع من شىء إلا شانه*** »[1] .

وورد أيضاً : « ***إنه لا يأمـر بالمعـروف وينهى عن المنكر إلا رفـيق فيما يأمر به ، رفيق فيما ينهى عنه*** »[2] .

---

(١) [رواه ابن حبان من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ ورواه مسـلم من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ بلفظ : « **إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه** »] .

(٢) قال الحافظ العـراقى : حديث : ***لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفـيق فيما يأمر به ، رفـيق فيـما ينهى عنه ، حليم فيـما يأمـر به ، حليم فيمـا ينهى عنه ، فقـيه***=

وكذلك ينبغى للإنسان أن يكون عاملا بما يأمر به ، مجتنباً لما ينهى عنه ؛ فإنه يكون لكلامه وقع فى القلوب ، وهيبة فى الصدور ، وقد ورد الوعيد الشديد فى حق من يأمر بالخير ولا يأتيه ، وينهى عن الشر ويأتيه ، وهذا هو الأفضل والأولى ، وإلا فعلى الإنسان أن يأمر وينهى وإن كان غير عامل بما يدعوا إليه ؛ فإن العالم الذى لا يعمل بعلمه ولا يعلّمه الناس أخس حالاً ، وأشد عقاباً من الذى يعلم ولا يعمل . والله أعلم .

التحذير من المداهنة فى الدين

(واحذروا) ـ معاشر الإخوان أرشدكم الله ـ من المداهنة فى الدين ، ومعناها : أن يسكت الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعن قول الحق وكلمة العدل ، طمعاً فى الناس ، وتوقعا لما يحصل منهم من جاه أو مال ، أو حظ من حظوظ الدنيا ؛ فقلما فعل ذلك أحد إلا أذله الله وأهانه ، وسلط عليه الناس ، وحُرم ما يرجوه مما فى أيديهم .

وأما المداراة ـ فهى مباحة ، وربما تندب ، ومعناها : أن يبذُل الإنسان شيئاً من دنياه لصلاح دينه ، أوصلاح دنياه ، أو سلامة عرضه من مذمة أهل الشر ؛ وفى الحديث : « *ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة* »[1] .

= **فيما يأمر به ، فقيه فيما ينهى عنه** » لم أجده هكذا ، وللبيهقى فى « الشعب » من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « من أمر بمعروف فليكن أمره بالمعروف » اهـ « المغنى » (٢ / ٣٣٤) .

قلت : ويغنى عنه ما رواه البخارى ، ومسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله** » فهو يتناول كل الأمور بما فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والله أعلم .

(١) [رواه البيهقى ، والحاكم من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ وللديلمى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً : « ذابوا بأموالكم عن أعراضكم » قالوا : يا رسول الله كيف ؟ قال : « **تعطون الشاعر ومن يخاف لسانه** » .
=

فإذا استكفى الإنسان ما يخافه من شر الأشرار بما لا يضره في دينه ، لم يكن عليه في ذلك بأس ولا جناح إن شاء الله ، ولكن العدول عن الأشرار ومجانبتهم أحسن من ذلك وأحوط .

وهذا الذي ذكرناه إنما يكون عند الابتلاء بهم ، وإلا فلا رخصة لمؤمن تقي في الاختلاط بأهل الشر وأهل الباطل ، بل عليه مجانبتهم والاحتراز منهم .

التحذير من التجسس والخوض في عيوب الناس

وكذلك فاحذروا من التجسُّس ، وهو طلب الوقوف على عورات الناس المستورة ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « *من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف بيته ..* » الحديث[2] .

= ومما يدور على ألسنة الناس : « **المداراة عن العرض صدقة** » قال النجم : لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وهو في معنى: « **ما وقى المرء به صدقة** » وفي رواية « حسنة » .
قلت : ولتلك الحديث ألفاظ متقاربة :
* « ما وقى الرجل به عرضه فهو له به صدقة » [ذكره البغوي]
* « ما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة » [رواه البيهقي ، وذكره صاحب « الكشف » (١/ ٤٨١) .
* « **ما وقى المرء عرضه به فهو صدقة** » [ذكره العراقي في المغني »] .
* « **ما وقى به المؤمن عرضه فهو له صدقة** » [ذكره صاحب « الإتحاف »
* « **ما وقى به عرضه كتب له به صدقة** » [ذكره السيوطي في « الدر المنثور »] .
وفي « كشف الخفا » حول حديث : « **داروا سفهائكم** » قال في « التمييز » وهو دائر على الألسنة بزيادة « **بثلث أموالكم** » وقد سئل عنه الحافظ ابن حجر ؟ فلم يتكلم عليه ، ولم أقف عليه مرفوعاً ، وما أشبهه بالموضوع . اهـ « كشف الخفاء » (١/ ٤٨١) (٢/ ٣٩١) « موسوعة أطراف الحديث النبوي » (٩/ ٣٣٦) .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٢) [رواه الترمذي ، وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ورواه أبو داود من حديث أبي برزة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ و أبو يعلى بإسناد حسن من حديث البراء ـ رضي الله عنه ـ] .

وعليكم بستر عورات المسلمين ، والكف عن ذكـرها وإشاعتها ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من ستر مسلمـا ستره الله فى الدنيا والآخرة** »(٢) .

ولا يكثـر الخوض فـى عيـوب الناس وذكـر مسـاويهم وكـشف عوراتهم ، إلا كل منافق ممقوت .

والذى يجب على المسلم إذا رأى من أخيه المسلم عورة أن يسترها عليه ، وأن ينصحه فى السر بلطف وشفقة .

« ***والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه*** »(٣) .

ومن الواجب على من رأى منكرا لا يستطيع تغييره والنهى عنه ، أن يبـغض فاعله ، ويكرهه ويكره فـعله بقلبـه ؛ كما قـال عليه الـصلاة والسلام : « ***فإن لم يسـتطع فبـقلبه*** » ويبغض المصـرِّين على المعاصى من القـرابات ، وعليـه أن يفـارق ذلك الموضع ، فـإن مـشـاهدة المنكرات وحضورها بالاختيار غير جائز .

ومن نهاهُ عن منكر فلم ينته وأصرّ على منكره ، فعليه أن يهجره ويجانبـه حتى يترك المنكر ، ويتـوب إلى ربه منه ؛ وقد قال عليـه الصلاة والسلام « ***من أوثق عرى الإيمان الحبُّ فى الله ، والبغض فى الله*** »(٤) .

---

(١) سورة النور : الآية ١٩ .

(٢) [حديث صحـيح . روا مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسـائى، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ، وعبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهم ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم، والأربعة من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [رواه الإمام أحمد ، والبيهقى ، والطبرانى لكن بلفظ : « **إن أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتُبغض فى الله** »] .

التحذير من كراهية الحق

(**وليحذر**) كلّ الحذر من أُمِر بمعروف ونُهِيَ عن منكر ـ من الكبر والأنفة وردِّ الحق والقول لآمره وناهيه : عليك نفسك ! وما فى معنى ذلك من الكلام المصرِّح بكراهية الحق ؛ فإنه يخشى عليه عند ذلك من نزول مقت الله به ، وحلول غضبه عليه ، ويكون حاله كحال من قال الله فيه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[1] .

وأما الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر فلا عليه من ذلك ، وإن رُدَّ عليه قوله كان أبلغ فى ثوابه ، وأعظم فى أجره ؛ فليصبر ويحتسب .

(**وليكن**) قصده تخليص نفسه وتخليص أخيه من الإثم ، وليكن حاله كحال من وقع أخوه المسلم فى هلكة أو ورطة من الورطات ، كحرق أوغرق وهو قادر على تخليصه وإنقاذه ؛ بل أولى ، فإن هلاك الدين والتعرض لسخط رب العالمين أشد وأعظم من هلاك الدنيا ، وتلف النفوس لا يفوت به إلا مفارقه هذه الحياة الفانية ، وهذه الدار الزائلة . بل لا مناسبة ولا مقاربة بين إتلاف الدين وبين تلف الدنيا ، وإن الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ساع فى خلاص نفسه ونجاتها ، سواء أخذ بقوله أم لم يؤخذ به .

وقد بلغنا « *أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه ، فيقول له : مالك إلى ! وما بينى وبينك معرفة . فيقول له : كنت ترانى على الخطأ والمنكر فلا تنهانى* »[2] .

وفى الحديث : « *مثل القائم فى حدود الله ، ومثل الواقع فيه كمثل قوم استهموا على سفينة،فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسلفها ،*

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٦ .

(٢) [قال الحافظ المنذرى : ذكره رزين ، ولم أره] « الترغيب » (٣ / ٢٣٣)

فكان الذين من أسفل إذا استقوا الماء يمرون على من فوقهم فقالوا : لو خرقنا خرقاً في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا ؟؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »(١) .

والمعنى : أن الذى يأمر وينهى ساع لنفسه ، ومجتهد فى نجاتها بالسلامة مما جعل الله عليه من الإثم لو سكت عن الأمر والنهى مع الاستطاعة ، وبما يرجو من ثواب الله وكريم وعده ، الذى وعد به من نصر دينه وقام بأمره ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(٣) .

آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ومن أهم الآداب وآكدها على من أمر بمعروف أو نهى عن منكر: مجانبةُ الكبر والتعنيف ، والتعيير والشماتة بأهل المعاصى ؛ فإن ذلك قد يبطل الثواب ويوجب العقاب ، وربما يكون داعياً إلى رد الحق وعدم قبوله والاستجابة له .

(فليحذر) كل الحذر من ذلك ، وليكن رفيقاً ليناً ، رحيما متواضعاً مخفوض الجناح ، والله الموفق والمعين ، وبه الثقة وعليه التكلان .

ثم إنا قدمنا فى أول التأليف طرفا من الكلام على الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وذلك عند ذكر قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ الآية(٤) .

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، والترمذى من حديث النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه] .

(٢) سورة الحج : الآية ٤٠ .

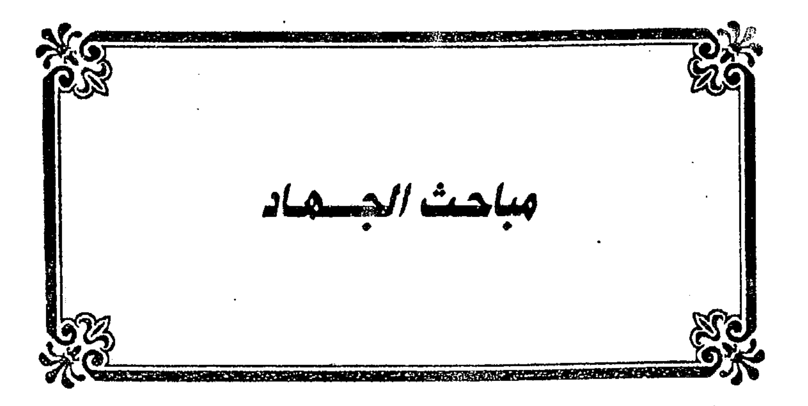
(٣) سورة محمد : الآية ٧ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

وقد أعدنا ههنا بعض الكلام الذين ذكرناه هنالك لمناسبة المحل ، ولأجل زيادة الإقناع ، وشدة الحرص على تأثر القلوب لرجاء الانتفاع .

فإن هذا الأصل « *أعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر* » جدير بطول الكلام ، وتكرره لعظم موقعه من الدين ، وعموم نفعه للمسلمين ، ومسيس حاجتهم إليه ؛ سيما وقد رأينا من يتساهل من الناس في ترك هذا الأمر حيث لا عذر له فيه ؛ ولاضير عليه لو قام به ، فدعانا ذلك إلى الإكثار والتكرار - والأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى .

❊ ❊ ❊



مباحــث الجــهـاد

مكانة الجهاد فى الإسلام

وقد رأينا أن نذكر طرفاً مما ورد فى الجهاد من الآيات والأخبار فى الأمر بالجهاد فى سبيل الله ، وفى فضله ، تتميما لفائدة ، وهذا الموضع من أنسب المواضع لذكر ذلك ، لأن الجهاد من أقسام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو أعلاها ، وأشرفها وأفضلها ، لأنه أمر برأس المعروف الذى هو التوحيد والإسلام ، ونهىٌ عن أفحش المنكرات والآثام ، الذى هو الكفر والإشراك بالله .

وأول الجهاد الدعوة إلى الإسلام ، ثم القتال بالسيف .

وقد ورد فى الجهاد من الآيات والأخبار ما يطول ذكره، ويتعذر حصره ، ونحن نذكر من ذلك شيئاً يسيراً تبركاً بذكر هذا الأصل الشريف من أصول الدين ، الذى أعز الله به الإسلام والمسلمين ، وأذل به الشرك والمشركين ، قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ الآية[4] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٦ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٣ .
(٣) سورة النساء : الايتان ٩٥ ، ٩٦ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٥ .
(٥) سورة التوبة : الآيات ٢٠ ـ ٢٢ .

وقال تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١) وقال تعـالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٣) .

وقال رسـول الله ﷺ : « *جاهدوا المشركين بأمـوالكم وأنفسكم وألسنتكم* »(٤) .

وسئل عليه الصلاة والسلام عن أفـضل الأعمال؟ فقال : « ***إيمان بالله والجهاد فى سبيل الله*** »(٥) .

وسئل أيضا عليه الصـلاة والسـلام : أى العـمل أفضـل ؟ فقال « ***الإيمان بالله ورسوله*** » *قيل : ثم ماذا ؟ قال* « ***الجـهاد فى سبيل الله*** ». *قيل : ثم ماذا ؟ قال:* « *حج مبرور* »(٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***اغزوا فى سبـيل الله ، من قاتل فى سبـيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة*** »(٧) والفواق : ما بين الحلـبتين ؛ قاله

---

(١) سورة التوبة:الآية ٤١ . (٢) سورة الحج:الآية ٣٩ . (٣) سورة التوبة:الآية ١١١ .

(٤) [حديث صحيـح . رواه أبو داود ، والنسائى ، و الدارمى من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [حديث صحيح . رواه البخارى ،ومسلم من حديث أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٦) [حديث صحـيح . رواه الخبارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسـائى ، وابن خزيمة من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٧) [رواه الترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ، وروى الإمام أحـمد عن عمرو بن عَبسة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « **من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة حرم الله على وجهه النار** »] .

النووى ـ رحمه الله ـ .

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أى الناس أفضل ؟ فقال « **مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله** » . قال : ثم من ؟ قال : « **ثُم مؤمن فى شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره** »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها** »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى ، وإيمان بى ، وتصديق برسلى ، فأنا ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه بمانال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ، ما منكم أحدٌ يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلم ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك ، والذى نفس محمد بيده ، لولا أن يشقَّ على المسلمين ما قعدتُ خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل ، ثم أغزوفأُقتل** »[3] .

الكلم : هو الجرح .

وقيل : يا رسول الله ، ما يعدل الجهاد؟ قال : «**لا تستطيعونه**» فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول « **لا تستطيعونه** » ثم قال فى

(١) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والأربعة إلا ابن ماجه . والحاكم بإسناد على شرطهما من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) تتمة الحديث : « **وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها** » [رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وغيرهم من حديث سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم واللفظ له ، والامام أحمد ، والنسائى ، والبيهقى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

الثالثة : « *مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتُر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله* »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن فى الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض* »[٢]

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ما اغبرّت قدما عبد فى سبيل الله فتمسَّه النار* »[٣] .

وقال ﷺ : « *لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى مسلم أبداً* »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً بكت من خشية الله ، وعينا باتت تحرس فى سبيل الله* »[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من رمى بسهم فى سبيل الله كان له كعدل مُحرَّر* »[٦] .

وقال ﷺ : « *من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده، فإن شِبَعه وريَّه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة* »[٧] يعنى حسنات

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم واللفظ له من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحيح . رواه البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه البخارى، والبيهقى من حديث أبى عبس ـ رضى الله عنه ـ].

(٤) [حديث صحيح . رواه الترمذى، والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ].

(٥) [رواه أبو نعيم فى « الحلية » والأصبهانى لكن بلفظ : « **كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله تعالى ، وعينا سهرت فى سبيل الله تعالى ، وعينا خرج منها مثل رأس الذبابة من خشية الله تعالى** »] .
وذكره صاحب « الاتحافات السنية » باللفظ الذى ذكره المؤلف (٢٤٩) .

(٦) [رواه أبو داود ، والترمذى ، والحاكم من حديث أبى نجيح : عمرو بن عبسة ـ رضى الله عنه ـ وفيه بدل « **كان له كعدل محرر** » « **فهو له عدل محرر** » .

(٧) [حديث صحيح . رواه البخارى ، والنسائى ، وغيرهما عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

فضل تجهيز الغزاة

وللنفقـة فى سبيل الله،وإعـانة الغزاة،فـضل وثواب عظيم ؛ قال صلى الله عليـه وسلم : « *من جـهّز غازيـا فى سبيـل الله فقد غـزا ، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا* »(١) .

وجاء رجل إلى رسـول الله ﷺ بناقة مـخطومة فـقال : هذه فى سبيل الله ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « *لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة* »(٢) .

وقـال ﷺ : « *من أنفق نفـقة فى سـبيل الله كتب لـه سبـعمائة ضعف* »(٣) .

وروى عنه ﷺ : « *أن من أنفق على الغـازى ولم يغـزُ، فله بكل درهم سبعـمـائة درهم ، ومن أنفق على نفـسـه فى الغـزو فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم* » (٤) .

فضل الرباط في سبيل الله

وللرباط فى سبيل الله فضل عظيم ، قال عليه الصلاة والسلام : « *رباط يوم فى سبيل الله أفضل من ألف يوم فيما سواه من المنازل* »(٥) .

وورد : « *أن من مات مـرابطا أجرى عـليه أجره ورزقـه إلى يوم القيامة وأمن من فتنة القبر* »(٦) .

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى . ومـسلم ، والأربعة إلا ابن ماجه من حديث زيد ابن خالد ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحيح . رواه مسلم عن أبى مسعود الأنصارى ـ رضى الله عنه] .

(٣) [حديث صحيح . رواه النسائى . والترمـذى ، وقال : حديث حسن ، وابن حبان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

(٤) [رواه ابن ماجه عن عدد من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ]

(٥) [رواه النسائى ، والتـرمذى من حديث عـثمان بن عفـان ـ رضى الله عنه ـ ، قال الترمذى : حديث حسن غريب] .

(٦) نص الحديث : « **من مات مرابطاً فى سـبيل الله أجرى عليه أجـر عمله الصالح الذى كان يعمل،وأجرى عليـه رزقه ، وأمن من الفتّان ،وبعثه الله يوم القـيامة آمنا من الفزع الأكبر** » [رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ،والطبرانى فى « الكبير »و « الأوسط »] .

فضل الشهادة فى سبيل الله

وأما فضل الشهادة فى سبيل الله فأعظم من أن يحاط به ، وأجلُّ وأكبر من أن يأخذه حدٌّ ومقدار ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)﴾[٢] .

وقال ﷺ : « *إن للشهيد عند الله سبع خصال : أن يغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلّى حلية الإيمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقاربه* »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ليس شىء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تهراق فى سبيل الله . وأما أثران : فأثر فى سبيل الله ، وأثر فى فريضة من فرائض الله* »[٤] .

وقال ﷺ : « *ما يجد الشهيد من ألم القتل إلا كما يجد أحدكم*

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) سورة محمد : الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٣) [حديث حسن . رواه الإمام أحمد، والطبرانى من حديث عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ ورواه الترمذى ، وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « للشهيد عند الله ست خصال » .

(٤) [ورواه الترمذى من حديث أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ وقال: حديث حسن غريب].

من مسِّ القرصة »(١)

مقر أرواح الشهداء

وورد : « *أن أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ، تأكل من ثمر الجنة وتشرب من أنهارها ، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش* »(٢) .

وورد : « *أن الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة* »(٣) .

وسئل عليه الصلاة والسلام : « هل يفتن الشهيد فى قبره ؟ فقال: « *كفى ببارقة السيوف فتنة على رأسه ..* » الحديث(٤) .

وجوب الاخلاص لله فى الجهاد

ومن أهم الأمور على المجاهد فى سبيل الله ، وأوجبها عليه وآكدها فى حقه ـ الإخلاص لله فى جهاده ،وأن يريد به وجه الله تعالى ،

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه، والدارمى ، وابن حبان من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢) فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « *إنه لما أصيب إخوانكم يوم أحد ، جعل الله أرواحهم فى جوف طير خُضر . ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش . فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أحياء فى الجنة . لئلا يزهدوا فى الجنة ، ولا ينكلوا ـ أى يجبنوا ـ عند الحرب ؟ فقال الله تعالى : « أنا أبلغهم* عنكم، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾ إلى آخر الآيات (سورة آل عمران : الآيات ١٦٩ ـ ١٧١) [رواه أبو داود] .
ورواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح من حديث كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ ولفظه : « إن أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة ، أو شجر الجنة » .

(٣) نص الحديث : « ما أحدٌ يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا . وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » وفى رواية : « لما يرى من فضل الشهادة » [رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [رواه النسائى] .

ونصرة دينه وإعــلاء كلمته ، دون غرض آخــر من مراءاة الناس ، وطلب الذكر والمنزلة عندهم ، ونيل غنيمة أو شيء من حظوظ الدنيا .

وقد قال عليـه الصلاة والسلام : « ***من غزا فى سبيل الله ولم ينو إلا عقـالا فله ما نوى*** » ، وقال رجل : يا رســول الله ، إنى أقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يرى موطني؟ فلم يرد عليه حتى نزلت : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[1] .
وقيل : يا رســول الله ، الرجل يقاتل للمـغنم ، والرجل يقاتــل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ؟ فأى ذلك فى سـبيل الله ؟ فقال ﷺ : « ***من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله*** »[2] .

وفى حديـث الثلاثة الذين قــال فيهــم عليه الصــلاة و السلام : « ***إنهم أول خلق الله تُــسعر بهم النار*** » ـ قال عليـــه الصـــلاة والسلام : « ***ورجل قُتل فى سبيل الله فأتــى به وعرفه نعمته فعرفهـا ، قال : فما عملت فيها ؛ قال : قاتلت في سبيلك حـتى قتلت ، فيقول الله تعالى : كذبت ، بل أردت أن يقال هو جرىء فقــد قيل ، ثم يؤمر به فيسحب عـلى وجهه حتى يلقى فى النار*** » الحديث[3] .

وقال ﷺ : « ***أكثر شـهداء أمتى أصحاب الفرُش ، وكم من قتيل***

---

(١) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

(٢) المذكور مؤلف من ثلاثة أحـاديث : فقوله ﷺ : « من غزا فى سـبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى » [رواه النسائى ، وابن حبـان فى « صحيحه » من حـديث عبادة ابن الصامت ـ رضى الله عنه ـ] .
وحديث : « ***قال رجل : يا رسول الله: إنى أقف الموقف ...*** » [رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .
وحـديث : « ***الرجل يقاتل لـلمغنم ..*** » [رواه البخـارى ، ومسلم ، والأربــعة من حديث أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والنســائـى ، والترمــذى وحسنه ، وابن حبان فى « صحيحه » وابن خزيمة من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

بين الصفين الله أعلم بنيته »(١) .

فينبغى للمـجاهد أن يحترز كل الاحتـراز من الرياء ، وإرادة غير وجه الله بجـهاده ، ولينـخلص نيتـه لله، وليبـالغ فى ذلك عند القـتال ، وليزدد من التحفظ والاجتهاد فى إصلاح الـنية ؛ مخافة أن يقتل على غير كمال الإخلاص فيحبط عـمله ، ويبطل أجره ، وتكون خاتمته والعياذ بالله غيرحسنة ، ويصير أمره فى غاية الخطر .

تحريم الفرار من الزحف

(ومما يجب) على المجاهد أن يحذره ويحترز منه غاية الاحتراز ـ الفرار من الزحف حيث لا يجـوز الفرار ، فقد عدَّ عليـه الصلاة والسلام ذلك من الموبقات ، ومن الكبائر المهلكات .

وقال علـيه الصلاة والـسلام : « *ثلاث لا ينفع مـعـهن عـمل : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف* »(٢) .

تحريم الغلول فى الغنيمة

وكذلك يجـتنب الغلول كل الاجتناب ؛ فإن إثمـه عظيم ، وقد ورد فيه عن رسول الله ﷺ تشديدات هائلة .

ومـعناه : أن يأخذ شـيـئاً من الغنيـمـة مخـتـصـا به دون بقيـة المجاهدين ، ودون علمهم بذلك ورضاهم . والله أعلم .

(وينبغى) لكل مسلم أن ينوى الجـهاد ، ويحدث نفسـه به حتى يسلم من الوعيد الوارد فى ترك ذلك ؛ قـال عليه الصلاة والسلام : « من

---

(١) [قال الحافظ العراقى : أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ، وفيه عبد الله بن لهيعة] « المغنى » (٣٦٢/٤) .
(٢) [رواه الطبرانى عن ثوبان ـ رضى الله عنه ـ] .

مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شُعبة من النفاق »[١] .

* * *

(وينبغى) الإكثار من سؤال الشهادة؛ قال عليه الصلاة والسلام : « **من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه** »[٢] .

اللهم اجعلنا من المجاهدين فى سبيلك بأموالهم وأنفسهم ابتغاء مرضاتك، بفضل ومنتك يا كريم .

وقد ذكرنا هذه الأحرف الوجيزة فى الجهاد تيمناً وتبركا بذكره، وكراهية أن يخلو هذا الكتاب منه، ورجاء ورغبةً فى أن يقف عليها أحد من المسلمين، فتنبعث له نية صالحة على الجهاد فى سبيل الله فيجاهد، فيكون لنا فى ذلك نصيب من ثواب المجاهدين وأجرهم؛ « **فإن الدال على الخير كفاعله، ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شىء** »[٣] كما فى الحديث الصحيح .

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب .

من الجهاد مجاهدة النفس

(فقد علمتم) معاشر الإخوان ـ رحمكم الله ـ فضل الجهاد فى سبيل الله ومكانته من الدين؛ فمن استطاع الجهاد وتمكن منه فليجاهد، وليبادر ويشمرٍّ ولا يتكاسل ولا يقصِّر، ومن لم يستطع ولم يتمكن فعليه

---

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم، وأبو داود، والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحيح . رواه مسلم من حديث سهل بن حنيف ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) حديث : « الدال على الخير كفاعله » [رواه الإمام أحمد، والبزار، والطبرانى، وأبو يعلى، وابن أبى الدنيا عن عدد من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ] .
وأما حديث : « من دعا إلى هدى . . الخ » [فرواه الإمام أحمد، ومسلم، والأربعة من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

بحسن النية فى الجهاد ، وكثرة الدعاء للمجاهدين ، وإعانتهم بما يقدر عليه ، وليشتغل بمجاهدة نفسه وهواه فى طاعة ربه ومولاه ، فإن ذلك من أقسام الجهاد ، قال ﷺ : « ***المجاهد من جاهد هواه، والمهاجر من هجر ما نهاه الله عنه*** »(١) .

وبلغنا أنه عليه الصلاة والسلام قال لبعض أصحابه وقد قدموا من الجهاد ـ: « *رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس*»(٢) .

قتال المسلمين بعضهم بعضاً من أعظم الكبائر

ثم إن من أكبر الكبائر الموبقات ، وأعظم الجرائم المهلكات ـ قتالُ المسلمين بعضهم بعضاً على الرياسة والملك ، وحظوظ الدنيا والحميَّة والعصبية التى هى من أمور الجاهلية ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار، قالوا : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه***

---

(١) هذا مؤلف من حديثين : الحديث الأول : « **المجاهد من جاهد هواه** » [رواه النسائى كما قاله الحافظ المناوى] .
الحديث الثانى : « والمهاجر .. الخ » [رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) [قال الحافظ ابن حجر : هو مشهور على الألسنة ، وهو من كلام إبراهيم بن عيلة اهـ . وقال العجلونى : الحديث فى « الإحياء » ، قال العراقى : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر ، ورواه الخطيب فى « تاريخه » عن جابر بلفظ « قدم النبى ﷺ من غزاة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **قدمتم من خير مقدم ، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر** » قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : « **مجاهدة العبد هواه** » . اهـ .
والمشهور على الألسنة « **رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الأكبر** » دون باقيه ، ففيه اختصار . انتهى « كشف الخفاء » (١/ ٥١٢) .

(٣) سورة النساء : الآية ٩٣ .

كان حريصاً على قتل صاحبه »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام فى خطبة يوم النحر فى حجة الوداع : *« إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعـراضكم ؛ كحرمة يومكم هذا ، فى شهركـم هذا ، فى بلدكم هذا ، وَيْحكُمْ انظروا لا ترجعوا بعـدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »* الحديث[2] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : *« سباب المؤمن فـســوق ، وقتاله كفر »*[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : *« لن يزال الرجل فى فُسحة من دينه مالم يُصب دماً حراماً »*[4] .

وقـال ﷺ : *« لزوال الدنيـا أهون على الله من قـتل مـؤمن بغيـر حق*[5] *، ولو أن أهل سمـواته وأهل أرضه اشتركـوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار »*[6] .

وقال : عليه الصلاة والسلام : *«من أعان على قـتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله »*[7] .

---

(١) [حديـث صحيح . رواه الإمـام أحمـد ، والشيـخان ، وأبو داود ، والنسائى من حديث أبى بكرة ـ رضى الله عـنه ـ ورواه ابن ماجه من حـديث أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [متفق عليه من حديث أبى بكرة : نفيع بن الحارث ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، والأربعة إلا أبا داود من حديث ابن مسعود وغيره] .

(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما] .

(٥) [رواه البيهقى من حديث البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ ورواه مسلم، والترمذى ، والنسائى من حـديث عبد الله بن عـمرو ـ رضى الله عنهـما ـ بلفظ « **لزوال الدنيـا أهون عند الله من قـتل رجل مـسلم** » وروى النسائى ، والبـيهقى أيضـا من حديث بريدة ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « **قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** » .

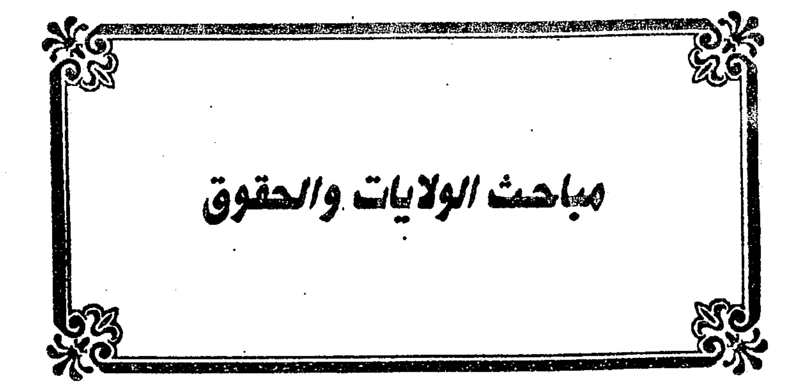
(٦) [رواه الترمذى ، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٧) [رواه ابن ماجه ، والأصبهانى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

والتشديدات فى هذا الباب كثيرة هائلة ، فليحذر المسلم من ذلك كل الحذر ، ولا يعـرّض نفسـه للوقوع فى سخط الله وغـضبـه ، ولعنته وعذابه العظيم ، والإياس من رحمته .

نسأل الله العـافيـة والسلامة من جـميع أنواع الخـزى والبلاء فى الآخرة والأولى ، لنا ولأحبابنا وكافة المسلمين .

* * *



مباحث الولايات والحقوق

مبحث الولايات

ثم إنا نرى أن نذكر ههنا شـيئاً يسيرا مما يتـعلق بالولايات ، فإن هذا الموضع من أنسب المواضع لذكر ذلك .

خطر الولايات

(واعلموا) معاشر الإخوان ـ أمدنا الله وإياكم بدوام التوفيق ـ أن التعرض للولايات فيه خطر ، وأن الدخول فيـها والتقليد لعهدتها من أثقل الأمور وأشـقها ؛ فينبـغى للمؤمن المشفق على دينه ، الحـريص على نجاة نفسه وسـلامتها وخلاصهـا ، أن يحترز من الولايات ، ويتباعـد عنها ما وجد إلى ذلك سبيلا .

ثم إن من أهم الـولايات ـ الإمـارة والـسلطنة ، ثم الـقـضـــاء والحكم، ثم الولاية على أمـوال اليتـامى والأوقاف ، ونحـو ذلك ، وفى جميعها خطر .

قال ﷺ فـى الإمارة :« *أولها ملامة ، ووسطها ندامـة ، وآخرها عذاب يوم القيامة* » الحديث[1] .

وقال عليه الصلاة و السلام : « *ما من وال يلى عشـرة فما فوق ذلك إلا جيء به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، فكه عدله ، أو أوبقه جوره* »[2] .

وورد : أن « *الوالى يوقف على جسـر جهنم ، فإن كان مـحسناً نجا ، وإن كان مسيئاً انخرف به الجسر فهوى فى جهنم سبعين خريفا* »[3] .

وورد أيضاً « *ليـودن رجال لو أن ذوائبـهم ـ أى شعر رءوسـهم ـ*

(١) [رواه الطبرانى بإسناد حسن من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه الإمام أحمد من حـديث أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ ورواته ثقات إلا يزيد بن أبى مالك] .

(٣) الحديث بهذا المعنى [رواه الطبرانى مـن حديث بشر بن عاصـم ـ رضى الله عنه ـ] .

عَلِّقت بالثريا بين السماء والأرض، ولم يلوا من أمر المسلمين شيئا »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام فى القضاء : « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قضى بالجهل فهو فى النار ، ومن قضى بالجور فهو فى النار ، ومن قضى بالعدل فحرىٌّ أن ينجو كفافا » أى لا له ولا عليه ؛ الحديث[٣] .

ما يجب على من ولى أمرا من أمور المسلمين

وبالجملة ـ فالبعد من الولايات هو الحزم والذى ينبغى ، فإن بلى العبد بها فليعرف ما لله عليه فيها ولعباده ، ثم ليجتهد ويشمر فى الوفاء بذلك وفى إقامته ، والعمل به من غير تفريط ولا إضاعة ، ولاعجز ولا تقصير ؛ فبذلك ينجو من الوعيد الوبيل ، ويفوز بالثواب الجزيل .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ليوم من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة ، وحدٌّ يقام فى الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين

---

(١) نص الحديث كاملاً : « ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم معلقة بالثريا يدلون بين السماء والأرض ، وإنهم لم يلوا عملاً » [رواه ابن حبان فى « صحيحه » والحاكم واللفظ له وقال :« صحيح الإسناد] .

(٢) [رواه أبو داود ، والترمذى واللفظ له وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) الحديث كاملاً : هو أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال لابن عمر : اذهب فكن قاضيا ، قال : أو تُعفينى يا أمير المؤمنين ؟ قال : اذهب فاقض بين الناس ، قال : تعفينى يا أمير المؤمنين ؟ قال :عزمت عليك إلا ذهبت فقضيت ، قال : لا تعجل ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ » قال : نعم ، قال : فإنى أعوذ بالله أن أكون قاضيا ، قال : وما يمنعك ، وقد كان أبوك يقضى ؟ قال : لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان قاضيا فقضى بالجهل كان من أهل النار ، ومن كان قاضيا فقضى بالجور كان من أهل النار ، ومن كان قاضيا فقضى بحق أوبعدل سأل التفلّت كفافا » فما أرجو منه بعد ذلك . [رواه أبو يعلى ، وابن حبان فى « صحيحه » والترمذى باختصار عنهما] .

صباحا »[١] .

وورد : « *أن الإمام العادل مستجاب الدعوة* »[٢] « *وأنه لا يستخف به إلا منافق* »[٣] « *وأنه أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله* »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن* » الحديث[٥] .

والمقسطون : هم أهل العدل والإنصاف .

وأما من ولى وجار وظلم فويلٌ له من عذاب الله وعقابه.

وكم ورد فى خزيه ومقته من الأخبار والآثار ، وإن تمتع فى الدنيا قليلا فسوف يقاسى فى الدار الآخرة من الوبال والنكال ما يتمنى عنده أنه لم يخلق ، ولم يكن شيئاً مذكورا ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشقّ عليهم ، فاشقُق عليه ، ومن رفق بهم فارفق به* »[٦] .

وورد : أنه « *ما من وال يموت يوم يموت غاشاً لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة* »[٧] .

---

(١) [رواه الطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » وإسناد « الكبير » حسن من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) يقول المصطفى ﷺ : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبوب السماء ، ويقول الربّ : وعزتى لأنصرنّك ولو بعد حين** » [رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى « صحيحيهما »] .

(٣) لم أعثر على من خرجه .

(٤) [رواه البخارى ، ومسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والنسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٦) [حديث صحيح . رواه مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ] .

(٧) [متفق عليه من حديث معقل بن يسار ـ رضى الله عنه ـ] .

(**فعليك**) أيها الـوالى الموفق ـ بنصح رعيـتك ، وبالرفق بهم ، وبحسن النظر فى أمورهم ، وكمال التعهد والتفقد لهم فى جميع أحوالهم ، ولا تغـفل عنهم ولا تَلْهُ ، فإن الله سـائلك عـما استرعـاك ، وكل راع مسئول عن رعيته .

التحذير من الظلم

(**وإياك ثـم إياك**) والظلم والجور على الرعـية ! فإن فـيه هلاك دنياك وآخرتك .

وكما يحرم عليك أن تظلم رعـيتك فكذلك يحرم عليك أن تمكن بعضهم من ظلم بعض ، وكذلك تحـرم عليك الإضاعة لأمورهم ، وترك النظر فيها .

قال عـمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : لو مـاتت سخلة على شاطىء الفرات ضياعا لخشيت أن أسأل عنها . (انتهى) .

فكيف بإضاعة الأيتام ، والأرامل ، ومساكين المسلمين ، وضعفائهم !

ما يجب على القاضى

(**وعليك**) أيها القاضى المبارك ـ بالاحتراز والتثبت فى قضائك ، حتى يتبين لك الحق الذى لا شك فيه فتقضى به .

(**وإياك**) والانحراف والميل إلى أحـد المتخاصـمين ! وإن وجدت شيـئاً من ذلك فـأمسك عن القضـاء ، حتى يصـيرا عندك بمثـابة واحدة ، بحيث لا تبالى : لأيهما يكون الحق ، أو يكون عليه ، وإلا هلكت .

(**وإياك**) وقبول الرُّشا فإنها من السحت ، وقد لعن عليه الصلاة والسلام « ***الراشى ، والمرتشى ، والساعى بينهما*** »[1] .

---

(١) [رواه أبو داود ، والتـرمذى وقـال : حديث حسن صـحيح ، وابن ماجه بلفظ : « لعنة الله على الراشى والمرتشى » وابن حـبان فى « صـحيـحه » والحـاكم وقال : صحيح الإسناد ، كلهم من حديث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(واحكم) بما أنزل الله بين عباد الله ، فإنـه عزَّ من قائل كريم يقول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُـم بِـمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِـرُونَ ﴾[1] و ﴿ الظَّالِمُونَ ﴾[2] و﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾[3] فى آيات بينات محكمات فى كتاب مجيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد .

الولاية على الأيتام أخطر الولايات

(وأما) الولاية على أموال الأيتام - فهى من الأمور الخطرة ، وفيها عُسر ومشقة ؛ فينبغى ويتأكد على من بُلى بذلك أن يبالغ فى الاحتراز والاحتياط ، وأن يجتهد غاية الاجتهاد فى حفظ أموالهم وتنميتها ، وليحذر من تفريطها وإضاعتها ، ومن أكلها وتبذيرها، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[5] .

وقد عدّ عليه الصلاة والسلام أكل مال اليتيم فى السبع الموبقات ، والكبائر المهلكات[6] .

ويقرب من أكل مال اليتيم فى الإثم والحرج : أكل مال الأوقاف ظلما وتعدِّيا ، فينبغى الاحتراز من ذلك ، وغاية التوقى عنه ، ومن توليها رأساً إيثارا للسلامة ، و بعداً عن مواضع الخطر ومظانِّ الحرج . والله أعلم .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤ . (٢) سورة المائدة : الآية ٤٥ .
(٣) سورة المائدة : الآية ٤٧ . (٤) سورة النساء : الآية ٢ .
(٥) سورة النساء: الآية ١٠ . (٦) قال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات » [رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

ما يجب على الرجل من العدل فى أهل بيته

وكما يجب على الوالى العدلُ فى أهل ولايته ، ومجـانبة الظلم والجـور عليـهم ، والإضاعـة والإهمـال لأمورهـم ـ فكذلك يجب على الرجل فى أهل بيته العدلُ والإنصاف ، واجتنابُ الظلم والإهمال ، فإنهم رعيته ، وله الولاية الشرعية عليهم .

وقد ورد : « *أن الرجل يكتب من الجبـارين ومـا يملك إلا أهل بيته* »(١) أى فيظلمهم ويجور عليهم .

نسأل الله اللطف والعافـية ، والتحقق بالتقوى والاسـتقامة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

برُّ الوالدين وصلة الأرحام

(واعلمـوا) مـعاشـر الإخوان ـ جـعلنا الله وإياكم من البـارِّين المحسنين، القائمين بحقوقه تعالى ، وبحقوق عباده ابتغاء وجهه ومرضاته ـ أن بر الوالدين ، وصلة الأرحام والأقربين ، وحسن القـيام بالأهل والعيال والمملوكين ، والإحـسان إلى الجيـران والأصحاب وسـائر المسلمين ؛ كل ذلك مما أمر الله به وحث عليه ، ورغب فـيه وندب إليه ، ونهى عن تركه وإغفاله ، وتوعد على إضاعته وإهماله .

(أما الوالدان) فقد أمر الله ببرهما والإحسان إليهما ، ونهى عن عقوقهما ،وشدد فى ذلك أبلغ التشديد ،وحذر عنه أبلغ التحذير ، وذلك فى كتابه العظيم ،وعلى لسان رسوله الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾(٢)

---

(١) [رواه أحمد بن منيع ، والحـارث بن أبى أسامة فى « مسنديهما عن على ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً « أن الرجل ليكـــتب جـباراً ومـا يمـــلك غير أهل بيته » « الكشف » (١/ ٣٩٥) .

(٢) سورة الاسراء : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

وقال تعـالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[1] .

فـانظروا ـ رحمـكم الله ـ كيف قـرن تعـالى الأمـر بالإحسـان للوالدين مع توحيده وعبادته ، وكيف قرن شكرهما بشكره .

وقال تعـالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا.. ﴾ الآية إلى آخرها ، والآية التى تليها[3] .

وقال عبـد الله بن مسعود ـ رضى الله عنـه ـ :سألت رسول الله ﷺ : أىُّ الأعمال أحب إلـى الله ؟ فقال « *الصلاة لوقتها* » . قلت : ثم أىٌّ ؟ قال: « *برُّ الوالدين* » قلت: ثم أىٌّ ؟ قال: « *الجهاد فى سبيل الله* » [4] .

وقال علـيه الصلاة والـسلام : « *رضـا الله فى رضـا الـوالدين ، وسخطه فى سخط الوالدين* »[5] .

وقال علـيه الصلاة والـسلام : « *ثلاث لا ينفـع مـعـهن عـمل : الاشراك بالله ، وحقوق الوالدين، والفرار يوم الزحف* »[6] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أكبر الكبـائر ثلاث: الإشراك بالله،*

---

(١) سورة لقمان : الآية ٢٤ . (٢) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأحقاف : الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم] .

(٥) [حديث صحيح . رواه الترمذى ورجح وقفه ، وابن حيان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ورواه الطبرانى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ إلا أنه قال : « **طاعة الله طاعة الوالد ، ومعصية الله معصية الوالد** » ورواه البزار بلفظ : « **رضا الرب تبارك وتعالى فى رضـا الوالدين ، وسخط الله تبارك وتعالى فى سخط الوالدين** » .

(٦) [رواه الطبرانى فى « الكبير » من حديث ثوبان ـ رضى الله عنه ـ] .

وعقوق *الوالدين* ، وشهادة *الزور* » الحديث[1] .

وقال ﷺ : « *رغم أنف من أدرك أبويه عنـد الكبر أحـدهمـا أو كلاهمـا فلم يدخلاه الجنة* »[2] أى فلم يبرهمـا براً يكون سببـا فى دخوله الجنة .

وخص به البر عند الكبر لاشتداد حاجة الإنسان عند كبره إلى من يبره ويقوم به ،ويتعاهده أكثر من حاجته إلى ذلك قبل الكبر . والله أعلم .

وروى عن الله تعـالى أنه قـال : « *من أصبح مُرضيـاً لوالديه ، مسـخطاً لي فأنا عـنه راض ، ومن أصبح مـرضياً لى مـسخطاً لوالديـه فأنا عليه ساخط* »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « *بروا آباءكم يبركم أبناؤكم ، وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم* »[4]

---

(١) نص الحديث : « **ألا أنبئـكم بأكبر الكبائـــر ثلاثاً ؟** » قلنا : **بلى يا رســول الله قال: « الإشراك بالله وعقوق الوالدين** » وكان متكئاً فجلس ، فقال : « **ألا وقول الزور ، وشهادة الزور** » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .[رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « **رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه** » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « **من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة** » [رواه مسلم] .

(٣) لم أعثر على من خرجــه ، وروى البيــهقى فى « الشــعب » من حديث ابن عبــاس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مـفتوحـان إلى الجنة ، ومن أمسى فـمثل ذلك ، وإن كـان واحداً فـواحداً ، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلمـا ، ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مـفتوحان إلى النار، وإن كان واحداً فواحداً ، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما** » .
ورواه ابن وهب فى « الجـــامع » بلفظ : « **من أصبح مطيعـا لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ، وإن كـان واحداً فواحـداً ومن أمسى عاصيا لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار ، إن كـان واحداً فواحداً** » قال رجل : **وإن ظلماه ؟** قال : « **وإن ظلماه ، وإن ظلـماه ، وإن ظلماه** » . « المشكاة » (٤٩٤٣) « المـغنى مع الإحياء » (٢ / ٢١٦) .

(٤) [رواه الطبرانى بإسناد حسن من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ورواه أيضا هو وغيره من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ] .

وقال ﷺ لرجل استأذنه في الجهاد : « *أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم قال : « ففيهما فجاهد* »[١] .

وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال : ما حق الوالدين على ولدهما ؟ فقال « *هما جنتك ونارك* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام :« *من سره أن يمد له في عمره ، ويزاد له في رزقه؛ فليبر والديه ، وليصل رحمه*» [٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ثلاثة حرَّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاقُّ لوالديه ، والديوث الذى يقر الخبث في أهله* »[٤] .

وورد : « *أن بر الوالدين أفضل من الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله* » [٥].

« *وأن العاق لوالديه لا ينظر الله إليه يوم القيامة* »[٦] « *وأنه لم يرح رائحة الجنة* »[٧] .

---

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وأبو داود ، وغيرهما من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه -] .

(٢) [رواه ابن ماجه من حديث أبى أمامة - رضى الله عنه -] .

(٣) [رواه الإمام أحمد عن أنس - رضي الله عنه - ورواته محتج بهم في الصحيح] .

(٤) [رواه الإمام أحمد واللفظ له ، والنسائى ، والبزار ، والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال الحاكم : صحيح الإسناد] .

(٥) قال الحافظ العراقى : لم أجده هكذا ، وروى أبو يعلى ، والطبرانى في « الصغير » و« الأوسط » من حديث أنس - رضى الله عنه - : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه ، قال : « هل بقى من والديك أحد ؟ » قال : أمى ، قال : « قابل الله في برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » وإسناده حسن .

(٦) قال ﷺ : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه » [رواه النسائى ، والبزار] .

(٧) الحديث بهذا المعنى رواه الطبرانى في « الصغير » و« الأوسط » .

وبالجـملة ـ فـحق الوالدين أعظم الحـقـوق بعـد حق الله وحـق رسوله ؛ فعليك ببـرهما وبالإحسان إليـهما ، وبطاعتهـما وخفض الجناح لهما ، وبتـقديمهما فى البر والصلة والمعـروف ، على نفسك وعلى أهلك وأولادك ؛من غير منَّة عليهما ولا استثقالهما،وعُدَّ حاجتهما إليك ورغبتهما فى برك وخدمتك إياهما ، من أعظم ما منّ الله به عليك ، ووفقك له .

بر الوالدة أضعاف بر الوالد

(واعلـم) ـ أن بر الوالدة أضعـاف بـر الوالد ، كـمـا ورد فى الحديث،ولعل السبب فى ذلك ما تقاسيه الوالدة من تعب الحمل ومشاقه، ومشقة الوضع،ومئونة الرضاع والتربية،ومزيد الحنانة والشفقة. والله أعلم.

وقد قال رجل للنبى ﷺ : من أحق الناس بحسن صحبتى ؟-أى ببرى وصلتى ـ فقال له ﷺ : *« أمك » قال: ثم من ؟ قـال : « أمك » قال: ثم من ؟ قال : « أمك » قال: ثم من ؟ قال : « أبوك »*[1] .

برُّ الوالدين بعد الوفاة

وكمـا يجب على الإنسان أن يبـر والديه فى حيـاتهمـا ، كذلك ينبغى له أن يبـرهما بعـد وفاتهمـا ، وذلك بالدعاء والاستـغفار لهـما ، وبالتصدق عنهما ، وبقضاء ديونهما وتـنفيذ وصاياهما ، وبصلة أرحامهما وبرِّ أصدقـائهما وأهل مودتهـما : فذلك كله من تمام البر كـما وردت به الأحاديث .

وفى الدعاء للميت وفى الاستغفار له،والتصدق عنه نفع له كثير.

فينبغى للإنسان أن لا يغفل عن ذلك فى حق والديه خصوصا ، وفى حق غيرهم من الأقارب وذوى الحقوق عليه ، والمسلمين عموما .

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

مسامحة الأولاد

ثم إنه ينبغى ويستحب للوالدين أن يُعينوا أولادهم على برهم بالمسامحة ، وترك المضايقة فى طلب القيام بالحقوق ، ومجانبة الاستقصاء فى ذلك ؛ سيما فى هذه الأزمنة التى قل فيها البر والبارون ، وفشا فيها العقوق وكثر العاقُّون ؛ فإذا فعل ذلك وسامح أولاده سلمهم وخلصهم من إثم العقوق ، ومما يترتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ، وحصل له من ثواب الله وكريم جزائه ما هو أفضل وأكمل ، وخير وأبقى من بر الأولاد .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *رحم الله والداً أعان ولده على برّه* »(1) .

(وليحذر) الوالدان كل الحذر ـ من الدعاء على ولدهما العاق ؛ فإن ذلك يزيده ضرراً وفسادا وعقوقا ، ويعود بعض ما يتولد من ذلك من الضرر على الوالدين فى الدنيا ، ودعاء الوالد مستجاب .

فينبغى له أن يدعو له ولا يدعو عليه ، فقد يصلحه الله ببركة دعائه ، فيعود باراً فينتفع الوالد ببره وتقر عينه به ، ويفوز الولد بثواب البر ، ويسلم من إثم العقوق. والله الموفق والمعين .

حقوق الأولاد على الآباء

ثم إن للأولاد على الوالد حقوقا ـ وذلك فى القيام بكفايتهم ماداموا محتاجين إلى ذلك ، وفى تأديبهم وحسن تربيتهم وهدايتهم إلى الأخلاق المحمودة ، والصفات الحسنة، والخصال الجميلة ، وحفظهم وصيانتهم من أضداد ذلك ، وتحسين أسمائهم ، وأن يختار لهم الأمهات المباركات من المنابت الحسنة الصالحة ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام :

---

(1) [أخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى « كتاب الثواب » من حديث على بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ بسند ضعيف ، ورواه النوقاتى من رواية الشعبى مرسلاً] «المغنى»(٢/ ٢١٧) .

« *تخيروا لنطفكم الأكفاء فإن العرق دسّاس* »[1] .

وعليه أيضاً أن يسوِّى بينهم فى العطية ، وأن لا يقدم أحدا منهم على أحد بمجرد ميل الطبع واتباع هوى النفس .

وأهم مـا يتــوجـه على الوالد فـى حق أولاده ـ تحسين الآداب والتربيــة ، ليقع نشوءهم على مـحبة الخيـر ومعرفـة الحق ، وتعظيم أمور الدين ، والاستهانة بأمور الدنيا وإيثار أمور الآخرة .

فمن فـرط فى تأديب أولاده وحسن تربيتــهم ، وزرع فى قلوبهم محبة الدنيا وشهواتهــا ، وقلة المبالاة بأمور الدين ، ثم عقّوه بعد ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه ، والمفرِّط أولى بالخســارة ! وأكثر العقوق الفاشى فى هذه الأزمنة سببه التفريط فيما ذكرناه ؛ كما يعرف ذلك من تأمله وأحسن النظر فيه . **فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !**

صلة الأرحام

وأما صلة الأرحام وهم الأقارب ـ فقال تعالى فى الأمر بصلتهم: **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾**[2] .

وقال تعالى فى معرض الـثـنـاء على قــوم اختارهم ورضـيهم : **﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾**[3] .

---

(١) [رواه ابن ماجه ، والدارقطنى ، والحاكم ، والبيـهقى من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ مخـتصراً دون قوله « فإن العرق » وروى أبو منصـور الديلمى في « مـسند الفـردوس » من حـديـث أنس ـ رضى الله عنه ـ « **تزوجوا فى الحجر الصـالح فإن العرق دساس** » وهو ضعيف] .

وروى ابن عـدى ، وابن عسـاكر عن عـائشة ـ رضى الله عنهـا ـ بلفظ : « **تخيروا لنطفـــكم ، فإن النســاء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتــهن** » . « المغنى » (١/ ٤١) « الكشف » (١/ ٣٥٨) .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٦ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٢١ .

ومما أمر الله به أن يوصل : الأرحام .

وقال الله تعالى في الزجر عن قطيعة الرحم والتحذير منها : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾[٢] .

فقاطع الرحم ملعون فى نص الكتاب .

وقد قال على بن الحسين - رضى الله عنهما - يوصى بعض بنيه : إياك وصحبة قاطع الرحم ! فإنى وجدته ملعونا فى ثلاثة مواضع من كتاب الله . انتهى .

وقال رسول الله ﷺ : « *من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت* »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من سره أن يمدَّ له فى عمره ، ويُوسع له فى رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه* »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *قال الله عز وجل أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى ، فمن وصلها*

---

(١) سورة الرعد : الآية ٢٥ .

(٢) سورة محمد : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) [حديث صحيح . رواه الشيخان عن أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

(٤) [رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى « زوائده » والبزار بإسناد جيد ، والحاكم من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما -] .

وصلته ، ومن قطعها قطعته »[1] .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »[2] أى قاطع رحم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الرحمة لا تنزل على قـوم فيهم قاطع رحم »[3] .

فإذا كـانت الرحمة لا تنزل على الـقوم بسبب كـون قاطع الرحم معهم ، فكيف يكون حال القاطع نفسه ؟ وكيف يكون مقت الله له وقطعه إياه من كل خير !!

(فعليكم) ـ رحمكم الله ـ بصلة الأرحـام ، وإياكم وقطيعـتهم فإنهـا من أعظم الآثام ، وعقوبتـها معـجلة فى الدنيا ، مع مـا يدخر الله تعالى للقاطع فى الآخرة من شديد العقاب ، وأليم العذاب .

وكذلك يعـجل ثواب البر والصـلة فى الدنيا ، مع مـا يدخر الله للواصل من عظيم الثواب ، وكريم المآب .

وقد قال ﷺ : « أسرع الخـير ثواباً ـ البرُّ وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقاباً ـ البغى وقطيعة الرحم »[4] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « مـا من ذنب أجدر أن يعـجل الله

---

(١) تتمة الحديث القدسى : « ومن بَتَّها بَتَّه ، إن رحمتى سبقت غضبى » [رواه الإمام أحمد ، والبخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى عن ابن عوف ـ رضى الله عنه ـ والحاكم ، والخرائطى ، والخطيب عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [متفق عليه من حديث جبير بن مطعم ـ رضى الله عنه ـ]

(٣) [رواه البيهقى فى « الشعب » من حديث عبد الله بن أبى أوفى] .

(٤) [رواه ابن ماجه من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ ورواه الطبرانى فى « الأوسط » من حديث جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ بلفظ : « يا معشر المسلمين ، اتقوا الله ، وصلوا أرحـامكم ، فإنه ليس من ثواب أسـرع من صلة الرحم . وإياكم والبـغي فإنه ليس مـن عقوبة أسـرع من عقوبة البـغى ، وإياكم وعقوق الـوالدين ، فإن ريح الجنة توجـد مـن مـسـيـرة ألف عـام ، والله لا يجـدها عـاق ، ولا قـاطع رحم .. الحديث » .

لصاحـبه العـقوبة فى الدنيا مع مـا يدخر له فى الآخـرة من البغى وقطيـعة الرحم »[1] .

(قلت) : فثواب البر والصلة معجل ومؤجل ، وعقاب العقوق والقطيعة كذلك . نسأل الله العافية .

وينبغى للانسان أن يصل أرحامــه وإن لم يصلوه ، ويحسن إليهم وإن لم يحسنوا إليه .

قال عليه الـصلاة والسلام : « *ليس الـواصل بالمكافـىء ، ولكن الواصل هو الذى إذا قُطعت رحمه وصلها* »[2] .

وينبغــى له أيضاً ـ أن يصبـر على أذاهم إن آذوه ، ولا يكافـئهم بإساءتهم إن أســاءوا إليه ؛ بل يعفـو ويصفح ، ويصل ويحـسن ، وكلما آذوه وأساءوا فـى حقـه كانت الصلة لهم آكـد ، وكانت الصـدقة عليـهم أفضل .

قال عليه الـصلاة والسلام : « *أفضل الصـدقة الصـدقة على ذى الرحم الكاشح* »[3] وهو الذى يضمر العداوة لقريبه المحسن إليه .

وفى حديـث الرجل الذى قال للنبى ﷺ : إن لى قـرابة أصلهم ويقطعونى ؟ فذكر الحـديث حتى قال فى آخره : « *ولا يزال مـعك من الله ظهـير مـادمت على ذلك* »[4] يعنى على برهـــم وصلـتـهم وإن قطعـوا وأساءوا .

---

(١) [رواه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم من حديث أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صــحيح . رواه البخـارى واللفـظ له ، وأبو داود ، والترمـذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [رواه الطبرانى ، وابن خزيمة فى « صحيحــه » والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم من حديث أم كلثوم بنت عقبة ـ رضى الله عنها ـ] .

(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

فضل الصدقة على ذوى الأرحام

وكذلك ينبغى للإنسان أن لا يتعدى بصدقته أقاربه وأرحامه المحتاجين ، فيتركهم ويتصدق على غيرهم ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « *المعتدى فى الصدقة كمانعها* »(١) .

وورد : « *أن من يتصدق على الأجانب مع علمه بحاجة أقاربه إلى صدقته لا يقبل الله صدقته* »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الصدقة على الأجانب صدقة ، والصدقة على الأقارب اثنتان : صدقة وصلة* »(٣) .

(**قلت**) : ومحل ذلك ما لم تشتد حاجة الأقارب ، وإلا فهم أحق بالصدقة من غيرهم ، وإذا وسعت الصدقة القريب والبعيد فاشتركوا فيها ، كانت على البعيد صدقة فقط ، وعلى القريب صدقة وصلة .

وأما إذا تعدى بصدقته ، وترك أقاربه مع العلم بحاجتهم ، فقد أساء وظلم ، وصدقته غير مقبولة كما ورد .

وكلما كان الرحم أكثر قرابةً كان حقه آكد ، وكانت صلته أوجب .

ويكون القريب الضعيف المسكين المحتاج أولى بالبر والصلة من القريب الغنى ، وذلك لأنه يصير للقريب المسكين حقان : حق القرابة ، وحق المسكنة .

---

(١) سبق لنا تخريجه فى مباحث الزكاة .

(٢) نص الحديث : « **يا أمة محمد : والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل ، وله قرابة محتاجون إلى صلته ، ويصرفها إلى غيرهم ، والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة** » [رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ورواته ثقات.

(٣) نص الحديث : « **الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذوى الرحم ثنتان : صدقة وصلة** » [رواه النسائى ، والترمذى وحسنه ، وابن خزيمة ، و ابن حبان فى « صحيحيهما » والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ولفظ ابن خزيمة قال : « **الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى القريب صدقتان : صدقة وصلة** » .

وقد قـرن الله بين الأمر بالإحسان إلى القـرابة والمساكين فى آيات من كتـابه ؛ مثل قـوله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾[1] .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ﴾[2] إلى غير ذلك .

فـلا شك أن صلة من له حـقان مـعـاً أولى من صلة من له حق واحد .

(فليجتهد) العبد الموفق فى صلة أرحامه وأقاربه ، بكل ما يمكنه ويستطيعـه من برّ ومعروف ، وهدية وصدقة ، وزيارة ومـؤانسة ، ويفعل مع كل منهم ما يناسـبه من ذلك ، ويكون فيه برّه وصلتـه وإيناسه ، ولا يقصر فى صلة أرحـامه كسلاً وبخلاً واستخـفافا بحق الرحم ، التى عظم الله أمرها ، وأكـثر الوعـيد فى قطيـعتـها، وعلى العـبد بذل الاستـطاعة والمقدور. وعلى الله الإعانة والمسامحة .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ***بلّوا أرحامكم ولو بالسلام***[3] » . أى صلوهم بما تقدرون عليه .

وقد عمّت فى هذا الزمان قطيعـة الأرحام ، وقلة المبالاة بصلتهم وتعهدهم،ولعل السبب فيما حدث ،عم العباد والبلاد من ضنك المعاش ، وضعـف الأرزاق ، وقلة ذات اليد هو القطيـعة للأرحـام التى قد فـشت وانتشرت فى هذه الأيام ، وقد وردت الأحـاديث بأن صلة الأرحام منسأة فى الآجال ، مثراة فى الأمـوال ، وأن الله تعالى قد بسط الرزق لأقوام ،

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٦ . (٢) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

(٣) [رواه البزار عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ والطبـرانى من حديث أبى الطـفيل ـ رضى الله عنه ـ والبيهقى من حديث أنس وسويد بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ] . « الجامع الصغير » (١٢٦/١) .

وأكثر لهم الأموال ،وما نظر إليهم منذ خلقهم ؛ لعدم صلتهم أرحامهم فتكن القطيعة وترك الصلة على الضد من ذلك . والله أعلم.

البر بالأهل والعيال

(**وأما الأهل والعيال**) ـ ونعنى بالأهل ههنا الزوجة والزوجات . وبالعيال كل من يكون فى نفقة الإنسان ، وتحت نظره وكفالته ؛ فيجب عليه القيام بنفقتهم وكستوتهم ، ورعاية حقوقهم وإرشادهم إلى وظائف دينهم ، وما فيه سلامتهم ونجاتهم فى الدار الآخرة .

وعليه أيضاً ـ أن يُلزمهم القيام بما يجب عليهم من أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وقد قال الله تعالى فى حق النساء : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾[3] .

وقال النبى ﷺ : « *استوصوا بالنساء خيراً* »[4] .

وقد أكثر عليه الصلاة والسلام من الوصية بالنساء ، وحث على الرفق بهن ، وحسن المعاشرة لهن ، وقال عليه الصلاة والسلام : « *خياركم خياركم لنسائهم* »[5] .

وقال ﷺ: « *خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى* »[6] .

فينبغى للإنسان أن يكون حسن المعاشرة مع نسائه ، لطيف الأخلاق ، شفيقاً رفيقاً ، صبوراً على جفائهن وسوء أخلاقهن ، ويكون كثير

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ . (٢) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٤) [حديث صحيح .رواه البخارى ،ومسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [رواه الترمذى ، وابن حبان فى « صحيحه » من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال الترمذى : حديث حسن صحيح] .

(٦) [حديث صحيح . رواه ابن حبان فى « صحيحه » من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ ورواه ابن ماجه ، والحاكم من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

المسامحة لهن فيما يجب له من الحقوق عليهن .

وأما ما يجب عليهن من حقوق الله فيكلفهن بالقيام به ، ولا تجوز المسامحة والمساهلة فى ذلك .

وكذلك ينبغى له أن لا يملّك المرأة أمره، ويوليها نفسه وماله ، كما يفعله بعض الأغبياء والمغفلين ، وذلك من الأمور المستقبحة شرعاً وعقلا ، فإن المرأة حكمها حكم المملوك والتابع ، فمن جعل المملوك متبوعاً ، والتابع متبوعاً فهو معكوس منكوس .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة* » الحديث[1] .

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ : ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه إلا أكّبه الله فى النار .

وجوب العدل بين الزوجات

وإذا كان للرجل زوجتان أو زوجات لزمه العدل بينهن ، فإن لم يعدل وقع فى الإثم والحرج ، قال النبى ﷺ: « ***من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط*** »[2] .

حق الزوج على زوجته

وأما حق الزوج على زوجته فهو من أعظم الحقوق ، ولها فى القيام به ثواب كثير ، وعليها فى إضاعته وإهماله إثم كبير .

قال عليه الصلاة والسلام : « ***لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها*** »[3] لعظم حقه عليها .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والبخارى ، والترمذى ، والنسائى من حديث أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه الترمذى وتكلم فيه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما] .

(٣) [رواه ابن ماجه من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ ورواه الحاكم من حديث معاذ ـ رضى الله عنه ـ ورواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال: حديث حسن صحيح] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة* »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إذا صلت المرأة خمسها ، وصمت شهرها ، وحفظ فرجها ، وأطاعت زوجها، قيل لها : ادخلى من أى أبواب الجنة شئت* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *لا ينظرالله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر زوجها وهى لا تستغنى عنه* »[٣] .

وقال ﷺ : « *إذا دعا الرجل زوجته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح* »[٤] .

فيجب على المرأة طاعة زوجها وترك المخالفة له ، وأن لا تأذن فى بيته ولا تتصدق من ماله ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ورضاه؛ فإن فعلت شيئاً من ذلك بدون إذن أثمت ، وإذا دعاها إلى فراشه لم يجز لها الامتناع إلا لعذر شرعى .

وبالجملة ـ فحق الزوج على زوجته عظيم ، حتى إنه ورد عن النبى ﷺ : « *لو كان بالرجل جراحة من رأسه إلى قدمه فلحستهاالمرأة بلسانها لم تقم بحقه عليها* »[٥] .

فينبغى للمرأة أن تجتهد فى القيام بحق زوجها وأن لا تقصر فى

---

(١) [رواه ابن ماجه ، والترمذى وحسنه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .
(٢) [رواه الإمام أحمد ، والطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ ورواه ابن حبان من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ بلفظ متقارب] .
(٣) [رواه النسائى ، والبزار بإسنادين ، رواة أحدهما رواة الصحيح . والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .
(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٥) الحديث بهذا المعنى [رواه البزار ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] « الترغيب (٣ / ٥٤) .

القيام به ، لتفوز بثواب الله ورضاه ، وتنجو من عذابه وسخطه .

وينبغى للزوج أن يسامح زوجته بعض المسامحة ، ولا يستقصى عليها فى طلب القيام بالحقوق فيوقعها فى الحرج ، فإن النساء ناقصات عقل ودين ، والغالب عليهن التساهل والتغافل عن حقوق الأزواج ، ومن سامح سامحه الله ، ومن تجاوز تجاوز الله عنه .

الترغيب فى الزواج

(واعلموا) ـ رحمكم الله ـ أن للنكاح فضلا وفوائد ومنافع دنيوية وأخروية ، وقد ورد الترغيب فيه كتاباً وسنة : قال تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « *يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء* » (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر* » (٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح* » (٥) .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣ .
(٢) سورة النور : الآية ٣٢ .
(٣) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، واللفظ لهما ، وأبو داود ، و الترمذى ، والنسائى من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .
(٤) [رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ] .
(٥) [رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***تناكحوا تكاثروا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة*** »[١].

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتّقِ الله فى النصف الباقى*** »[٢].

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور .

(قلت): وفى النكاح فراغ للقلب من وساوس الشيطان فيما يتعلق بالنساء ، وربما يعرض ذلك للإنسان وهو فى صلاته واقفاً بين يدى الله ، أو وهو يتلو القرآن ، أو وهو فى ذكر الله ، فيقع فى سوء الأدب مع الله .

وفى النكاح غض للبصر ، وتحصين للفرج .

وقد ورد فى فضل ذلك ، وفى التحذير من تركه ، من شواهد الكتاب والسنة مالا يخفى على ذى علم وبصيرة ، قال الله تعالى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***النظر سهم مسموم من سهام إبليس*** » الحديث[٤] .

وفى النكاح من الصبر على معاشرة النساء بالمعروف ، والقيام بحقوقهن ، والإنفاق عليهن وعلى العيال فضل كبير ، وفيه فضل التسبب

---

(١) [رواه عبد الرزاق ، والبيهقى عن سعيد بن أبى هلال مرسلاً لكن بلفظ : « تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » وفى رواية : « تناكحوا تناسلوا فإنى ... الحديث » قال فى « المقاصد » جاء معناه عن جماعة من الصحابة: فأخرج أبو داود ، والنسائى ، والبيهقى ، وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعاً : « تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » راجع « الكشف » (١ / ٣٨٠) .

(٢) [رواه البيقى من حديث أنس - رضى الله عنه - ورواه الطبرانى، والحاكم بلفظ : « من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الباقى » .

(٣) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٤) [رواه الطبرانى ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

فى تحـصـيل أولاد صـالحين يعبـدون الله تعـالى ، ويدعـون لآبائهم ، ويستغفرون لهم فى حياتهم وبعـد وفاتهم ؛ وربما مات بعضهم قبل البلوغ فيحصل لوالديهم من ثواب ذلك الحظ العظيم .

وفى تربيـتهم ـ أعنى الأولاد ـ وحـسن القيام بـهم سيَّمـا البنات منهم ـ ثواب كثير ، وفضل كبير .

وقد قـال عليه الصـلاة والسلام: « *دينارٌ أنفـقتـه فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك* »[1] .

وقال ﷺ : « *ما أطعمت نفـسك فهو لك صدقـة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة* »[2] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *إذا مـات ابن آدم انقطع عـمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له* »[3] .

أجر من مات له أولاد

وقال ﷺ : « *مـا من مسـلم يموت له ثلاث من الولد لم يبلغـوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم* »[4] .

وفى رواية « فقالت امرأة : واثنان ! فقال أو اثنان »[5] .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « *لأن أقدِّم سقطاً أحب*

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) [رواه الإمام أحمد بإسناد جيد من حديث المقدام بن معديكرب ـ رضى الله عنه ـ] .
(٣) [رواه أبو داود ، والترمـذى ، والنسائى ، والبـخارى فى « **الأدب المفرد** » عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٤) [حديث صحيح . رواه الشيخـان ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ] .
(٥) تتمة الحديث « **قالت المرأة : ياليتنى قلت : واحدة** » [رواه النسائى] .

إلى من أن أخلف خمسين فارساً يجاهدون فى سبيل الله »[١] .

وورد : « أن الأطفال يُعطون آنية فيها من شراب الجنة فيسقون آباءهم فى موقف القيامة وبالناس من الكرب والعطش مالا يعلمه إلا الله ، وأنهم يقفون على أبواب الجنة ويأبون أن يدخلوها حتى يدخلها آباؤهم ؛ فيأمر الله بإدخال آبائهم معهم الجنة برحمته »[٢] .

فضل الرزق بالبنات

وقال عليه الصلاة والسلام : « من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفُلهن وجبت له الجنة ألبتة ، قيل : يارسول الله ، وإن كانتا اثنتين ؟ قال : « وإن كانتا اثنتين » ؟؟ قال : فرأى بعض القوم أن لو قال واحدة ، لقال : واحدة[٤] .

وقال ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يُهنها ولم يؤثر ولده - يعنى الذكور - عليها أدخله الله الجنة »[٥] .

ومعنى « يئدها » يدفنها حية ، كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك .

وقد يصدر من بعض الناس الأغبياء إذ أُخبر بحدوث بنت له أو لغيره من الكلمات البشعة الدالة على كراهية الأنثى ، وعدم الرضا بها مالا ينبغى ، وذلك من المكروهات والمستقبحات ، وهو قريب مما وصف

---

(١) فى « الإحياء » « لأن أقدم سقطاً أحبّ إلىّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله » ، قال الحافظ العراقى : لم أجد فيه ذكر « **مائة فارس** » وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - « **لسقط أقدّمه بين يدى أحب إلىّ من فارس أخلفه خلفى** » (٤ / ٤٨٩) وراجع « موسوعة الأطراف » (٦ / ٥٥١) .

(٢) الحديث بهذا المعنى كما يقول الحافظ العراقى : لا يوجد له أصل يعتمد عليه . « الإحياء » (٢ / ٢٧) .

(٣) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى من حديث عائشة - رضى الله عنها -] .

(٤) [رواه الإمام أحمد ، والبزار ، والطبرانى فى « الأوسط » ولكن بدل « يؤدبهن » « يؤويهن »] .

(٥) [حديث صحيح . رواه أبو داود ، والحاكم من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما -] .

الله به أهل الجاهلية في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وجهه مسودًا وهو كظيم ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[(١)]

(فليحذر) المؤمن التقى من ذلك ـ أعنى كراهية الأنثى ـ ومن إهانتها ، ومن إيثار ولده الذكر عليها، فإنه لا يدرى فيمن تكون البركة والعاقبة الحسنة .

اختيار الزوجة الصالحة

(وينبغي) لمن أراد التزوج ـ أن يتحرَّى ذات الدين والخير والصلاح ، وإن كانت فقيرة وغير فائقة في الجمال ، فقد حث عليه الصلاة والسلام على ذات الدين ، ورغّب فيها وقال : « ***فاظفر بذات الدين تربت يداك*** »[(٢)] .

فلا ينبغي للانسان أن يتزوج المرأة لمالها وجمالها فقط ، فإن ذلك مكروه .

قال عليه الصلاة والسلام . « ***لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوّجوهن على الدين*** » الحديث[(٣)]

العزوبة

ثم إن من قصد ترك النكاح تفرُّغاً للعلم والعبادة ، وتباعداً عن شواغل الدنيا وعلائقها ، وكان مع ذلك فارغ القلب عن الميل إلى النساء والركون إليهن ، فإنه لا بأس عليه فى تركه ولا جناح ، فقد رأى ذلك وأخذ به جماعة من صالحى السلف والخلف ـ رحمهم الله ـ وقد قيل لبعضهم : ألا تتزوج ؟ فقال : قد عجزت عن تقويم نفسى ، أفأضم إليها نفساً ثانية !

وقيل مثل ذلك لآخر منهم فقال : لو قدرت على تطليق نفسى لطلقتها .

---

(١) سورة النحل : الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) الحديث كاملاً : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » [رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) تتمة الحديث : « ولأمة خرماء ـ أى مقتطعة الأطراف ـ سوداء ذات دين أفضل » [رواه ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ] .

وقيل لبشر بن الحارث[1] ـ رحمه الله ـ :إن الناس يتكلمون فيك، يقولون : إنك تارك للسنة ؟؟ يريدون التزوج ، فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفريضة . (انتهى) .

(قلت) فينبغي لمن أراد التزوج أن يتزوج بنيَّة الإستعانة على الدين والآخرة ، ومن ترك فينبغي أن يترك بنية التحفظ على الدين وإيثار جانب السلامة والاحتياط ؛ فيكون في تزوجه وتركه على نية صالحة يصلح التقرب بها إلى الله .

فأما من يعوِّل في نكاحه ، وفي ترك النكاح على حظوظ الدنيا وأغراضها ، وبواعث الطبع والشهوة ، فهو بعيد من الصواب والتأسي بصالحي السلف ، والله الموفق والمعين لاربَّ غيره .

---

(١) هو أبو نصر بشر بن الحارث المروزي الزاهد ،الإمام الرباني ، المعروف ببشر الحافي ، كان ـ رضي الله عنه ـ ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد ، وتفرد بوفور العقل ، وأنواع الفضل ، وحسن الطريقة ، وعزوف النفس ، وإسقاط التكلف والفضول ، وكان كثير الحديث ، إلا أنه لم ينصب نفسه للراوية ، وكان يكرهها ، ودفن كتبه لأجل ذلك .

ولد سنة ١٥٠ هـ بمرو ، ولم يملك بشر ببغداد ملكا قط ، وكان لا يأكل من غلة بغداد ورعا ، لأنها من أرض السواد التي لم تقسم،وكان في حداثته يطلب العلم ، ويمشي في طلبه حافيا حتى اشتهر بهذا الإسم ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمها الله على النار** » (رواه الإمام أحمد والبخاري والترمذي والنسائي) فرأى بشر أن طالب العلم يمشي في سبيل الله ، فأحب تعميم قدميه بالغبار ، ولم يتزوج بشر قط ، ولم يعرف النساء .

وقال لابن أخته عمر: يا بني اعمل فإن أثره في الكفين أحسن من أثر السجدة بين العينين .

وقال : ليس شئ من أعمال البر أحب إلي من السخاء ، ولا أبغض إلي من الضيق وسوء الخلق .

وأصاب في الطريق كاغدة مكتوبا فيها اسم الله عز وجل وقد وطئتها الأقدام،فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية ، فطيب بها الكاغدة وجعلها في شق حائط ، فرأى فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له : يا بشر طيبت اسمي لأطيبنّ اسمك في الدنيا والآخرة .

ومن كلامه : لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس ـ يعني اطلاع الناس على صفات كماله ـ .

=

الإحسان إلى المماليك

وأما الإحسان إلى المماليك والأرقاء - فقد ورد الأمر به والحث عليه ، قال الله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾[(١)] .

وقال ﷺ : « *للمولك طعامه وكسوته بالمعروف ، وألا يكلف من العمل ما لا يطيق* »[(٢)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون ، فما أحببتم فامسكوا ،وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله ؛ فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم* »[(٣)] .

وقال رجل : يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « *اعف عنه في كل يوم سبعين مرة* »[(٤)] .

وورد أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام : « *لا يدخل الجنة سيّء الملكة* »[(٥)] وهو الذي يسيء إلى ما ملكت يمينه .

= ويقول : من لم يحتج إلى النساء فليتق الله تعالى ، ولا يألف أفخاذهن ، ولو أن رجلا جمع أربع نسوة يحتاج إليهن ما كان مسرفاً .

توفي - رضي الله عنه - سنة ٢٢٧هـ وقد بلغ من العمر ٧٥هـ سنة ، وحشد الناس لجنازته ، وأخرجت جنازته بعد صلاة الصبح ، ولم يحصل في القبر إلا في الليل .

ورؤي بشر في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وأباح لي نصف الجنة وقال لي : يا بشر لو سجدت لي على الجمر ، ما أديت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادي .

وعن القاسم بن منبه قال : رأيت بشراً في النوم ، فقلت ، ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، وقال يا بشر : قد غفرت لك ولكل من تبع جنازتك ، قال : فقلت : يا رب ولكل من أحبني ، قال : ولكل من أحبك إلى يوم القيامة - رضي الله عنه وأرضاه » « الرسالة القشيرية » (ص ١١) « الطبقات الكبرى » (١/ ٦٢) « شذرات الذهب » (٢/ ٦١) .

(١) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٢) [حديث صحيح . رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -] .

(٣) قال الحافظ العراقي : هو مفرق في عدة أحاديث : فروى أبو داود حديث علي - رضي الله عنه - كان آخر كلام رسول الله ﷺ : « **الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم** » وفي « الصحيحين » من حديث أنس - رضي الله عنه - كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : « **الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم** » ولهما من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - « **أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم** »وفي رواية لأبي داود : « **من يلايمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون ،واكسوهم مما تلبسون ، ومن لا يلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله** » . « الإحياء » (٢/ ٢١٩) .

(٤) [رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح غريب من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -] .

ومن الإساءة إلى المملوك : أن لا يقوم له بما يكفيه من الطعام واللباس ، وأن يكلفه من الخدمة فوق ما يطيق ، وأن يشتمه ويضربه بغير حق ؛ فإن فعل به شيئاً من ذلك اقتص له منه فى الدار الآخرة كما وردت به الأحاديث .

ومهما ضربه أو شتمه على أمر يستوجب به ذلك ، فعليه أن لا يجور ، ولا يتجاوز الحدّ ، وإن عفا وصفح كان ذلك أحسن وأجمل، وكان له فيه الثواب العظيم من الله عز وجل .

وعلى من ملك شيئاً من الحيوانات والبهائم أن يتعهدها ويتفقدها، ويحسن النظر عليها ؛ يتولى ذلك بنفسه ، أو يوليه من يثق به من أولاده وخدمه ؛ فإنه إن لم يفعل ذلك وقع فى الإثم والحرج ، وفى الحديث : « *إن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض* »[1] .

الإحسان إلى الجيران

وأما الإحسان إلى الجيران فقد أمر به الله فى قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[2] .

وقد عظم رسول الله ﷺ حق الجار ،وحثّ على الإحسان إليه ، وبالغ فى النهى عن إيذائه ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : « *مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه* »[3] أى يجعل له نصيبا من الإرث فى مال جاره .

وقال عليه الصلاة والسلام: « *من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره* »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من آذى جاره فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله* »[5].

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٣) [متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر ـ رضى الله عنهم ـ] .

(٤) متفق عليه من حديث أبى شريح ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) تتمة الحديث : « ومن حارب جاره فقد حاربنى ، ومن حاربنى فقد حارب الله عز وجل » [رواه أبو الشيخ ابن حبان فى « كتاب التوبيخ » من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *والله لا يؤمن من لم يـأمن جـاره بوائقه* »[١] يعنى بذلك شره وأذاه وفتنته . والله أعلم .

وحق الجار عظيم ، والإحـسان إليه من أهم المهـمات فى الدين ، ولا يتم الإحسان إلا بكف الأذى عنه ، واحتمال الأذى منه إن آذاك ، مع اصطناع المعروف وبذل الإحسان إليه حسب الاستطاعة ، وذلك وصف كل مؤمن كامل الإيمان كمال قال عليه الصلاة والسلام : « *أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا* »[٢] .

وأحق الجيران بالإحسان الأقرب منهم بابا إليك فالأقرب .

وفى الحديث : « *إن من الجيـران من له ثلاثة حقـوق : وهو الجار المسلم ذو القرابة ، ومنهم من له حقان وهو الجار المسلم ، ومنهم من له حق واحد وهو الجار الذمى* »[٣] .

فانظر كـيف أثبت للجار الذمى حق الجوار مع كفـره ، تعرف به عظيم تأكد حق الجار ، ومحله من الدين .

(فعليك)ـ رحمك الله ـ بالإحـسان إلى جيـرانك حسب الإمكان بعد كف الأذى عنهم مطلقاً ، واحتمال الأذى منهم إن كان ، واستعن بالله واصبر ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[٤] .

وقد ذكر الإمام حجة الإسلام فى « الإحياء » وغيره حديثا جامعا فيـما ينبغى للجـار أن يفعله مع جاره ، فـقال ـ رحمه الله ـ : قـال عليه

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان من حديث أبى هريرة وغيره] .

(٢) تتمة الحديث : « *وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا* » [رواه الترمذى ، وابن ماجـه واللفـظ له من حديث أبى هريرة ـ رضـى الله عنه ـ بالشطـر الأولـى فقط « الإحياء » (٢ / ١٨٢) .

(٣) الحديث بهذا المعنى [رواه الحسن بن سفيان ، والبزار فى « مسنديهـما » وأبو الشيخ فى « كـتاب الثـواب » وأبو نعيم فى « الحليـة » من حديث جـابر ـ رضى الله عنه ـ وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وكلاهما ضعيف] .

(٤) سورة فصلت : الآية ٣٥ .

الصلاة والسلام: « *أتدرون ما حق الجار ؟ حق الجار إن استعان بك أعنته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر جدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له ؛ فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقُتار* (١) *قدرك إلا أن تغرف له منها ، أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده ! لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله* » (انتهى)(٢) .

وقد كان السلف الصالح يبالغون في الإحسان إلى الجيران ، وكف الأذى عنهم إلى الغاية والنهاية ؛ حتى بلغنا أنه كثر الفأر في دار بعضهم فقيل له : لو اقتنيت هراً ؟ فقال : أخاف أن يهرب الفأر منه إلى ديار الجيران ؛ فيكون ذلك من الأذى لهم .

الإحسان إلى الأصحاب

وأما الإحسان إلى الأصحاب فهو مأمور به ، ومرغب فيه ، ومندوب إليه ، وللأصحاب حقوق تجب مراعاتها ، وتتأكد المحافظة عليها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾(٣) .

وروى عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : « *ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعةً من نهار إلا سئل عن صحبته يوم القيامة هل أقام فيها حق الله أو أضاعه* »(٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *خير الأصحاب خيرهم لصاحبه ،*

---

(١) القُتار : بضم القاف ، ريح القدر والشواء ونحوهما .
(٢) [رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » وابن عدي في « الكامل » من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ والحديث المذكور ضعيف] « الإحياء مع المغني » (٢ / ٢١٣) .
(٣) سورة النساء : الآية ٣٦ .
(٤) لم أعثر على من خرّجه .

وخير الجيران خيرهم لجاره »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما تحاب اثنان إلا كان أحبهما إلى الله أشدّهما حبا لصاحبه » وفى رواية « أرفقهما بصاحبه »[٢] .

فضل المحبة فى الله ولله تعالى

وأصل الصحبة صدق المحبة وصفاء المودة ، ومهما كان ذلك فى اللهولله فثوابه عظيم .

قال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىَّ ، والمتجالسين فىَّ ، والمتزاورين فىَّ ، والمتباذلين فىَّ »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظلَّ إلا ظلى »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سره ن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله »[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ فذكرهم حتى قال ـ ورجلان تحابا فى الله ،اجتمعا على ذلك

---

(١) [رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال السيوطى : حديث حسن] .

(٢) [أخرجه ابن حبان ، والحاكم من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وقال : صحيح الإسناد] (أفاده الحافظ العراقى فى « المغنى ») .

(٣) [رواه مالك من حديث معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ وإسناده صحيح ، ورواه الإمام أحمد ، وابن حبان ، والحاكم ، والقضاعى من حديث عبادة بن الصامت بلفظ : « حقّت محبتى للمتحابّين فىّ ، وحقّت محبتى للمتواصلين فىّ ، وحقّت محبتى للمتناصحين فىّ وحقّت محبتى للمتزاورين فىّ . وحقّت محبتى للمتبادلين فىّ ، المتحابّون فىّ على منابر من نور ، يغبطهم بمكانهم النبيّون والصدّيقون والشهداء » .

(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والحاكم من حديث أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وتفرقا عليه ..» الحديث[1] .

فإذا أحب الإنسان الإنسان وألِفَه وصاحبه لأنه يحب الله ويعمل بطاعته كان ذلك من المحبة فى الله تعالى .

وإذا أحبه وصحبه لأنه يعينه على دينه ويساعده على طاعة ربه فقد أحبه فى الله .

وإذا أحبه وصحبه لأنه يعينه على دنياه التى يستعين بها على أخراه فقد أحبه فى الله تعالى .

وإذا أحبه وصحبه لأنه وجد طبعه يميل إليه ونفسه تأنس به ، أو لأنه يعينه على دنياه وأسباب معاشه التى يتمتع بها فتلك محبة طبيعية ليست من المحبة لله فى شىء ، وتلك صحبة نفسانية اقتضاها ميل الطبع ولكنها مباحة ، ولعلها لا تخلو من خير إن شاء الله تعالى .

أما إذا أحبه وصحبه لأنه يعينه على المعصية والظلم ، ويساعده على أسباب الفسق والمنكر ، فتلك محبة وصحبة مذمومة قبيحة ، وهى فى سبيل الشيطان ، وليست من الله فى شىء ، وهى التى تنقلب فى الآخرة عداوة ، وربما انقلب فى الدنيا قبل الآخرة ؛ قال الله تعالى : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

لا تصحب إلا الصالحين

(فينبغى) لك أيها الأخ أن لا تحب ولا تصحب إلا أهل التقوى والعلم، وأهل الزهد فى الدنيا من عباد الله الصالحين، وأوليائه المؤمنين ؛ فإن المرء مع من أحب فى الدنيا والآخرة كما فى الحديث الصحيح ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : « المرء مع جليسه ، والمرء على دين خليله،

---

(١) [متفق عليه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وقد تقدم] .
(٢) سورة الزخرف : الآية ٦٧ .

فلينظر أحدكم من يخالل »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من الجليس السوء* »[2] .

فصحبة المتقين والصالحين قربة إلى الله ، وهى الصحبة المحمودة المشكورة ، وفى فضلها وردت الأخبار والآثار الكثيرة ، وهى المحبة لله وفى الله التى عظم فضلها وثوابها ، وارتفع قدرها ومحلها من الدين .

وأما صحبة الأشرار ، ومن لا خير فى صحبته من الغافلين المعرضين عن الله وعن الدر الآخرة ،

فهى الصحبة المذمومة الممقوتة ، لأن أهل الشر والفساد يتعين بغضهم فى الله ، وتجب مباعدتهم ومجانبتهم ؛ وذلك من المهمات فى الدين .

ومن أحب فى الله ولله من برٍّ من عبد الله واتقى ، أبغض ـ لا محالة ـ من عصى الله وأعرض عن طاعته ، فإن الحب فى الله والبغض فى الله متلازمان ، لا يصح أحدهما بدون الآخر ، وهما من الدين بمنزلة عالية رفيعة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « *أوثقُ عُرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله* »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أفضل الأعمال الحبُّ فى الله*

---

(١) [حديث صحيح أو حسن] رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وحسنه ، والحاكم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ولكن ليس فيه الشطر الأول من الحديث « المرء مع جليسه » .

(٢) ذكره الإمام الغزالى فى « الإحياء » (٢ / ١٧٢) وهو قول أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ ويروى مرفوعاً .

(٣) [رواه الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ والخرائطى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

ورواه البيهقى فى « الشعب » من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بلفظ : « **يا أبا ذر ، أى عرى الإيمان أوثق ؟** » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « **الموالاة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله** » .

والبغض في الله »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله ..* » الحديث [٢].

وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام : « *لو عبدتني بعبادة أهل السماء وأهل الأرض وحبٌّ فيَّ ليس ، وبغض فيَّ ليس ، ما نفعك ذلك عندي* »[٣] .

وقال عيسى عليه السلام : « *تحبَّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقرَّبوا إلى الله بالبعد عنهم ، واطلبوا رضا الله تعالى بسخطهم* »[٤] .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ : مقاطعة الفاسق قربان إلى الله . (انتهى) .

فتبين بما ذكرنا : أنه ينبغي للمؤمن ويتعين عليه أن يحب أهل الخير والدين والعلم والصلاح أحياء وأمواتا ، ويبغض أهل الباطل والفساد والظلم والفسوق أحياء وأمواتا .

وينبغي له أيضا : أن يختار صحبة الأخيار والأبرار ، ويجتنب صحبة الأشرار والفجار .

وفي الحديث : « *لا تصحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي* »[٥] وأن من لم يجد مؤمناً تقياً ، براً صالحاً يصحبه ويعاشره ،

---

(١) [رواه أبو داود من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ ورواه الإمام أحمد عنه بلفظ « **أتدرون أي الأعمال أحبّ إلى الله تعالى ؟** » قال قائل : الصلاة والزكاة ، وقال قائل : الجهاد ، قال النبي ﷺ : « **إن أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب في الله والبغض في الله** » .

(٢) لم أعثر على من خرّجه . (٣) ذكره الإمام الغزالي في « الإحياء » (٢ / ١٥٩) .

(٤) تتمة القول : قالوا : « **يا روح الله فمن نجالس ؟ قال : جالسوا من تذكّركم الله رؤيته ، ومن يزيد في عملكم كلامه ، ومن يرغبكم في الآخرة عمله** » . « الإحياء » (٢ / ١٥٩) .

(٥) [رواه أبو داود ، والترمذي ، والدارمي من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ] .

فالعزلة والانفراد خير له وأصلح ، من مخالطة أهل الشر والفساد ، فإن خلطة المفسدين عظيم ضررها ، كثير شرها ، وفيها آفات كثيرة ، وبليات هائلة عاجلة وآجلة ، فمنها استراق الطبع من الطبع من حيث لا يشعر الإنسان ، ومنها أن مشاهدة أهل الغفلة والإعراض عن طاعة الله تقتضى الأنس بهم ، والميل إلى ما هم عليه من سوء الحال ، وتهوّن على القلب وقوع المعاصى ، وتجرّ إلى التشبه بهم ، والاستحسان لأقوالهم وأفعالهم ، وفى ذلك يقول الشاعر :

عن المرء لا تسلْ وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال الآخر :

ما يُبرىء الجرباء قربُ سليمةٍ منها ولكن السليمة تجربُ

وبهذا السبيل تعرف ما فى خلطة الأخيار وأهل الصلاح من المصالح والمنافع ، والفوائد العاجلة والآجلة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ***مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك : إما أن يحذيك ـ أى يعطيك ـ ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه رائحة طيبة ، ومثل الجليس السوء كنافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة منتنة*** »(١) .

(**فإن قلت**) : قد يصحب الإنسان صاحباً من أهل الخير والطاعة ، ثم يطرأ عليه ما يغير ذلك من الغفلة والمعصية ، فما الذى ينبغى لصاحبه أن يعامله به ؟

(**فأقول**) : ينصحه باللطف والرفق حتى يرده إلى الله، فإن رجع وإلا وعظه وأغلظ عليه وخوّفه بالله ، فإن لم ينفع فيه ذلك وأيس معه جانبه وأعرض عنه ، وانتظر فيه أمر الله ، فإن عاد إلى ما كان عليه من الخير عاد له ، وإلا فلا خير فى صحبة من لا خير فيه .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الشيخان من حديث أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ ورواه أبو داود ، والحاكم من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ بلفظ متقارب] .

(**فإن قلت**) : الذى ينبغـى للانسان ويتعين علـيه ، بغضُ أهل المعاصى ومجانبتُهم ، وتركُ المعـاشرة والمخالطة لهم ، ومع ذلك فالإنسان مأمـ. بالنصـيحة للمسلمين عـموما ، وبأن يدعو أهل الشر والمعـصية إلى الخير والطاعة ؟

(**فأقول**) : الأمر كذلك ، ولكن النصيحة والدعوة إلى الخير لا تقتضى معاشرة ومخالطة ، بل إذا لقيهم ورأى للنصيحة والدعوة إلى الخير موضعـاً فيهم فـعل ذلك معهم ، وإن قصـدهم بذلك وكان من أهله إلى أماكنهم من غير مـعاشرة ولا مخالطة فهو أيضـا مأمور به ومندوب إليه ، من أهله وفى مـحله ، فـاعلم ذلك ، ولا يُلبس عليك الشـيطان ، فـإن السبيل واضح ، والحق غير ملتبس بالباطل .

حسن اختيار الصاحب

(**ثم اعلم**) ـ أنه ينبغى لك إذا قصدت صحبة أحد ومصادقته ، ليكون جليساً وأنيساً ومعاوناً على أمور آخرتك ودنياك ـ أن تقدم قبل عقد الصحبة واختيارها حسن النظر والاخـتبار ، والتفتيش عن أحوال من تريد أن تصحبه وتتـخذه صديقا ، فإن كان يصلح لذلك صحبـته وإلا تركته ، فليس كل أحد يصلح للصحبة والمعاشرة ، ورب صحـبة لم تتقدمها الخبرة وحسن النظر تعودُ وحشةً وعداوةً فى أسرع وقت .

صفات الصاحب الصالح

وقد قـال حجة الإسلام ـ رحـمه الله ـ : إذا أردت صحبـة أحد فراع فيـه خمس خصال : العقـل ، والخُلق الحسن ، والصلاح ، وأن لا يكون حـريصـا على الدنيـا ، وأن لا يكـون كذاب .(انـتهى كـلامـه مختصراً) .

وهو الغاية فى ذلك والكفاية .

ثم إذا نعقـدت الصحبـة ؛ وتمت المودة بينك وبين صاحبك فـقد توجهت عليـك له حقوق لابد لك من القـيام بهـا ، وإلا كانت الصحـبة

صورة بلا حقيقة ، لا نفع فيها ولا طائل لها .

حقوق الصحبة

وحقوق الصحبة كثيرة ، وجملتها : أن تحب له ما تحب لنفسك من الخير ، وأن تكره له ما تكرهه لنفسك من الشر ، وأن تنزله منزلة نفسك فى الاهتمام بأموره ، والسعى فى مصالحه ، وقضاء حوائجه ، والسرور ، بمساره ، والاغتمام بمكارهه ، وأن تجتهد فى إدخال السرور عليه بكل وجه أمكنك ، وأن تحفظه حاضراً وغائباً وحياً وميتاً ، وأن تحسن الوفاء مع أهله وأولاده وأقاربه بعد مماته ، وفى حياته كذلك ، وأن تواسيه من مالك عند حاجته ، وإن آثرته على نفسك كان أحسن وأفضل ، على مثل ما كان عليه السلف الصالح ـ رحمة الله عليهم ـ فقد كانت لهم سيرٌ وأفعال مع من صحبهم وعاشرهم محمودةٌ مشهورة ، حتى كان أحدهم يأتى إلى بيت صديقه فى غيبته فيأكل من طعامه ، ويأخذ من متاعه ما أراد ، وكان الآخر يفعل مع أخيه كذلك .

وقيل لبعضهم : أخوك أحب إليك أم صديقك ؟ فقال : إنما أخى ـ أى من النسب ـ إذا كان صديقى .

وقال بعضهم لبعض من قدم عليه : هل يُدخل أحدكم يده فى جيب أخيه فيأخذ منه ما أراد ؟ فقال : لا ، فقال : لستم إذاً بإخوان .

وكان الرجل منهم يقوم بأولاد صديقه وأهله بعد وفاته ، حتى إنهم لا يفقدون من أبيهم إلا وجهه ؛ وحكاياتهم فى ذلك كثيرة معروفة .

وهذا أمر قد تُوُدِّع منه من زمان سابق ، ولم يبق من الأخوة فى الله والصداقة إلا صور ورسوم لا حاصل تحتها ! وقدأشبع الكلام فى شرائط الصحبة وحقوقها وآدابها ، الإمام حجة الإسلام فى كتاب الصحبة من « **الإحياء** »[1] ، وذكر من ذلك فى « **بداية الهداية** » نبذة صالحة .

---

(١) « الإحياء » (٢ / ١٥٧ ـ ١٩٠) .

وعلى الجملة ، فكل ما يجب عليك لعامة المسلمين من الحقوق ، أو يستحب ، ففعل ذلك مع الصديق والصاحب آكد وجوباً ، وأكثر استحقاقا .

حق المسلم على المسلم

ثم إن للمسلم على المسلم حقوقاً كثيرة ؛ وقد ذكرنا منها طرقاً فى رسالة « المعاونة »[1] فانظره إن شئت ، وقد قال رسول الله ﷺ : « *حق المسلم على المسلم ست ؛ فقيل : وما هى يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمّته ، وإذا مرض فعُده ، وإذا مات فاتبعه* »[2] .

ومن أكد حقوق المسلم على المسلم : النصيحة فى الدين ، والمعاونة على البر والتقوى ، والحث على طاعة الله رب العالمين .

ومن أهم الحقوق : ستر العورات ، وتفريج الكُربات ، والمعاونة فى المهمات ، وقضاء الحاجات ، وإغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم ، وإعانة الضعيف ، والتيسير على المعسر ، والتوقير للكبير ، والرحمة للصغير ، وأن لا يؤذى أحدا من المسلمين ، ولا يستخف به ، ولا يحتقره ولا يخذله ، ولا يسخر منه ولا يستهزىء به ، وألا يغش أحدا من المسلمين ، ولا يحسده ولا يحقد عليه ، ولا يظن به السوء ، وأن يهتم بأمور المسلمين ، ويفرح بمسارهم ، ويغتم بما يسوؤهم ، وأن يحب لسائرهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه**

---

(١) (ص ١٣٨) الطبعة الثانية ـ مجلس إحياء كتب التراث الإسلامى ـ .

(٢) [حديث صحيح . رواه الشيخان من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ورواه الترمذى، وابن ماجه من حديث علىّ ـ رضى الله عنه ـ « **للمسلم على المسلم ست** » وذكر منها « **ويحب له ما يحب لنفسه** » وقال : « **وينصح له إذا غاب أو شهد** »] .

ما يحب لنفسه »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام « *المسلم للمسلم كالبنيـان يشد بعضه بعضا* »[2] .

وقال عليه الـصلاة والسلام :« *من لم يهـتم بأمـر المسلمين فليس منهم* »[3] .

وقال عليه الـصلاة والسلام: « *ليس منا من لم يـرحم صغـيـرنا ويوقر كبيرنا* »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من غشنا فليس منا* »[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *انصر أخاك ظالماً أو مظلوما* » فقال رجل : ننصره إذا كان مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال ﷺ « *تمنعه من الظلم فذلك نصرةٌ له* »[6] .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشـيخان . والأربعة إلا أبا داود عن أنس ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى من حديث أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ ولكن بلفظ « المؤمن للمؤمن » بدل « المسلم للمسلم »] .

(٣) [رواه البـيهـقى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ مـرفوعـاً بلفظ : « من أصبح لا يـهتم للمسلمين فليس منهم » ورواه الحاكم من حديث حذيفة ـ رضى الله عنه ـ والطبرانى فى « الأوسط » من حديث أبى ذر وكلاهما ضعيف بلفظ : « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » واللفظ الذى ذكره المؤلف ، رواه أبو نعيم فى « تاريخ أصبهان »] .

(٤) [حديث صـحيح . رواه التـرمذى من حديث أنـس ـ رضى الله عنه ـ ورواه الإمام أحمد ، والترمـذى أيضاً من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهـما ـ ورواه البخارى فى « الأدب المفرد » وأبو داود من حديث عبـد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ بسند جيد] .

(٥) [رواه الترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال السيوطى : حديث صحيح] .

(٦) [حديث صحـيح . رواه الإمـام أحمد ، والبخارى ، والتـرمذى من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ ورواه الدارمى ، وابن عساكـر من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ بلفظ « انصر أخـاك ظالما أو مظلوما إن يك ظالمـاً فاردده عن ظلمه . وإن يك مـظلوما فانصره » وسنده حسن] .

وقال علـيه الصلاة والسـلام : « **لا تحاسدوا ولا تناجشـوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم عـلى بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحـقره ولا يكـذبه ، التقوى ههنا ـ ويشير بيده الشريفة إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم،كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من نَفَّسَ عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كـرب يوم القيامة ، ومن يسّر على مـعسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مـسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ..*» الحديث[2] .

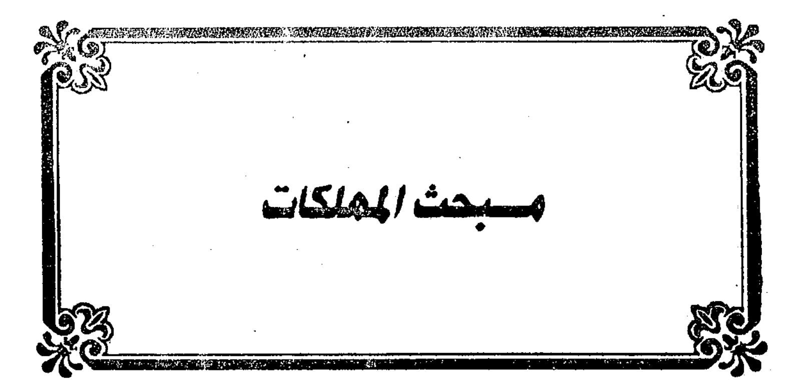
وقال عليه الصلاة والسلام : « **من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته** »[3] والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١) [حديث صـحيح . رواه مسلم ، والإمـام أحمد من حـديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث صـحيح . رواه مـسلم ، وأبو داود ، والترمذى واللفظ لـه ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما] .

(٣) الحديث كاملاً : « *المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلـما ستره الله يوم القيامة* » . [رواه الشيـخان ، وأبو داود من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .



مــبحث المهلكات

المحرمات والشبهات والطيبات

(واعلموا)معاشر الإخوان ـ أغنانا الله وإياكم بحلاله عن حرامه ، وبطاعتــه عن معصـيته ،وبفـضله عمن سواه ـ : أن الورع عن المحــرمات والشبــهات ، وطلب الحلال والأكل منه مع اجـتناب الحرام اكتســاباً وأكلا وغير ذلك ، كل ذلك من أهم المهمات فى الدين ، ومن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله رب العالمين ؛ قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[1] .

وقال تعــالى : ﴿ **وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾[2] .

وقال تعــالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ** ﴾ الآية والتى بعدها[3] .

وقال رسول الله ﷺ : « *خير دينكم الورع* »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***يا أبا هريرة ، كن ورعاً تكن أعبد الناس...*** » الحديث [5] .

وقال عليه الـصلاة والسلام :« *طلب الحلال واجـب على كل مسلم* »[6] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٦٨ . (٢) سورة المائدة : الآية ٨٨ .

(٣) سورة النساء الآيتان ٢٩ ، ٣٠ . (٤) [حديث حسن. رواه أبو الشيخ فى«الثواب» من حـديث سعد ـ رضــى الله عنه ـ ورواه الطبرانى فى « الأوسط » والبـزار بإسناد حسن من حديث حذيفــة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « **فضل العلم خير من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع** » .
وفى « المعاجم الثلاثة » للطبرانى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل العبادة الفقه ، وأفضل الدين الورع** »] .

(٥) تتمة الحديث : « **وكن قنعاً تكن أشكر الناس ، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورةَ من جاورك تكن مسلماً ، وأقلَّ الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب** » . [رواه ابن ماجه ، والبيهقى فى « الزهد الكبير »] .

(٦) [رواه الطبرانى فى « الأوسط » من حـديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وإسناده حسن إن شاء الله ـ] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *طلب الحلال فريضة بعد الفريضة* »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا* » ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[3] ثم ذكر *الرجل أشعث أغبر يطيل السفر ، يمد يديه إلى السماء يا ربُّ يا ربُّ ! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب له؟* »[4] .

وقال ﷺ : « *لا يدخل الجنة لحم نبت من سُحت* »[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به* »[6] .

وقال عليه الصلاة والسلام « **لأن تجعل فى فيك ترابا خير لك من أن تجعل فيه طعاماً حراماً** »[7] .

وقال ﷺ : « **من اكتسب مالا من غير حله ، فإن تصدَّق به لم يقبل منه ، وإن أنفق منه لم يبارك له فيه ، وإن تركه خلف ظهره كان زاده إلى النار** » الحديث[8] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من اشترى ثوبا بعشرة دراهم**

(١) [رواه الطبرانى ، والبيهقى من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) سورة المؤمنون : الآية ٥١ .   (٣) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .
(٤) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ] .
(٥) [رواه ابن حبان فى « صحيحه » من حديث جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ] .
(٦) [رواه الترمذى من حديث كعب بن عجرة ـ رضى الله عنه ـ وحسنه] .
(٧) نص الحديث : « *لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابا خير له من أن يجعل فى فيه ما حرم الله* » [رواه البيهقى فى « الشعب » عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال السيوطى : حديث ضعيف]
(٨) الحديث بهذا المعنى [رواه الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

،وفيه درهم من حرام ، لم يقبل الله له صلاة مادام عليه »[١] .

فإذا كان هـذا في الثوب الذى يكون عُشر ثمنه حـراماً ، فكيف يكون الحال لو كان الثمن كله من الحرام ! ؟ وإذا كان هذا فى الثوب الذى يكون على ظاهر الجسد ، فكيف يكون الحال فى الطعام الذى يكون فى باطن الجسد ، ويجرى فى اللحم والدم والعروق والعظام ، وسائر أجزاء البدن!؟ فتأملوا ذلك جيداً ،وأمعنوا فيه النظر ، واتقوا الله واحذروا .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : لا يقبل الله صلاة امرىء وفى جوفه لقمة حرام[٢] .

وقال ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا[٣] ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، لم يتقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز[٤] .

ويقال : إن فى التوراة : من لم يبال من أين مطعمه لم يسألْ الله من أى أبواب النار أدخله .

وقال سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ : مثل الذى ينفق فى طاعة الله من الحرام مثل الذى يغسل الثوب المتنجس بالبول .(انتهى) .

وذلك لا يطِّهر الثوب ؛ ولكنه يزيد فى نجاسته .

وقال ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ رَدُّ درهم من شبهة أحب إلى الله من التصدق بمائة ألف درهم ، ومائة ألف ومائة ألف ، حتى عدّ ستمائة ألف[٥] .

---

(١) [رواه الإمام أحمد من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) ذكره فى « الإحياء » (٢ / ٩١) .
(٣) الحنايا : جمع حنية ، وهى القوس ، والمراد حتى صرتم كالأقواس فى الانحناء من طول الركوع والسجود وكالأوتار فى النحافة والهزال من شدة الجوع .
(٤) ذكره فى الأحياء » (٢ / ٩١) .
(٥) راجع « الأحياء » (٢ / ٩١) .

وقال سهل بن عبد الله التُستري[1] رحمه الله : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ، علم أو لم يعلم ، ومن أكل الحلال أطاعت

---

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى ، أحد أئمة القرم ، القدوة العارف ، الورع الزاهد ، كبير المتكلمين فى علوم الإخلاص و الرياضات ، وعيوب الأفعال ، صحب خاله محمد بن سوار ، ولقى ذا النون المصرى بمكة سنة خروجه إلى الحج ، وكان صاحب كرامات يقوم الليل كله .

ومن درر كلامه : الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا انتبهوا ندموا ، وإذا ندموا لم تنفعهم الندامة .

ويقول : شكر العلم العمل ، وشكر العمل زيادة العلم .

ويقول : والذى يلزم الصوفى ثلاثة أشياء : حفظ سرّه ، وأداء فرضه ، وصيانة فقره .

ويقول : أصولنا ستة : التمسك بكتاب الله ، والإقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، وأداء الحقوق .

ويقول : لامعين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ﷺ ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليه .

ويقول : من كان اقتداؤه بالنبى ﷺ لم يكن فى قلبه اختيار لشئ من الأشياء سوى ما أحب الله ورسوله .

ويقول : الدنيا كلها جهل إلا العلم منها ، والعلم كله وبال إلا العمل به ، والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه ، والإخلاص أنت منه على وجل حتى تعلم هل قبل أم لا .

ويقول : من أحب أن يطلع الناس على ما بينه وبين الله فهو غافل .

وسئل عن الولى ؟ فقال : هو الذى تولت أفعاله على الموافقة .

ويقول : غالطة الولى للناس ذل ، وتفرده عز ، وقلما رأيت وليا لله عز وجل إلا منفرداً .

ويقول : ما من ولى لله صحت ولايته إلا ويحضر إلا مكة فى كل ليلة جمعة لا يتأخر عن ذلك .

ويقول : طوبى لمن تعرف بالأولياء ، فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاته من الطاعات ، وإن لم يستدرك شفعوا عند الله فيه ، لأنهم أهل الفتوة .

ويقول: إذا قام العبد بما لله تعالى عليه فحقيق على الله أن يقوم بما كان العبد قائماً به .

ويقول : من كملت إيمانه لم يخف من شئ سوى الله .

هذا ، وتوفى ـ رحمه الله ـ سنة (٢٨٣ هـ) وله من العمر نحو ثمانين سنة ـ رضى الله تعالى عنه وأرضاه ـ « الرسالة القشيرية » (ص ١٥) « طبقات الشعرانى » (١ / ٦٧) « شذرات الذهب » (٢ / ١٨٢) .

جوارحه ، وَوُفّق للخيرات[1] .

وكـان السلف ـ رحمـهم الله ـ يقولـون : كل ما شـئت فمـثله تعمل. (انتهى) .

(قلت) : والذى يأكل الحرام والشبهات وإن عمل بالطاعات فى الظاهر ، فطاعاته غير مقبولة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[2] ولقوله عليه الصلاة والسلام : « ***إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً*** » .

ولابد أن يعـرض لآكل الحرام فى طاعـته من العـوارض الظاهرة والباطنة ما يفسدها عليه، ويحبطها ويخرجها عن كونها طاعة ، ومن تأمل ذلك وجرَّبه من نفسه أو من غيره عرفه إن لم يكن مغرورا مستدرجاً .

فـقد تبين لكـم واتضح : أن الحرام يجب اجـتنابه بكل حـال ، ويتعين الاحتراز منه ، والبعد عنه بكل وجه .

اتقاء الشبهات

وأمـا الشبـهات فـيتـأكد اجـتنابها وربما وجب ، وفى الحـديث الصحيح : « ***من اتقى الشبهـات فقد استبـرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام*** »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***دع ما يريبك إلى ما لا يريبك*** »[4] (انتهى) .

والشبـهات كل شيء تتـشكك فيـه ، وتتردد فى كـونه حلالا أو حراماً ، شكا وتردداً ينشأ عن أسـباب متعارضة ؛ فما كـان من الشبهات أصله الحل ، ثم طرأ الشك فى تحريمه فيجوز الأخذ فيه بالأصل ، والورع

---

(١) راجع « الإحياء » (٢ / ٩١) . (٢) سورة المائدة : الآية ٢٧ .

(٣) [هذه قطعة من حديث النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ رواه البخارى، ومسلم] .

(٤) [رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن حبـان ، والحاكم ، من حديث الحســن بن على ـ رضى الله عنهما ـ وقال الترمذى : حديث حسن صحيح] .

عن هذه الشبهة فضيلة مهمة، وما كان من الشبهات أصله التحريم، ثم طرأ الشك فى حله ، فهذه شبهة يجب اجتنابها اعتمادا على الأصل .

وأقسام الشبهات كثيرة متفاوتة ، والورع عن سائرها مهمٌ متأكد ؛ إلا ما كان من ذلك يرجع إلى الوسوسة والأوهام ، التى لا مستند لها ولا سبب يدل عليها ، مثل أن يقول الإنسان : أموال الدنيا كلها شبهات ، وليس يخلو أصولها عن شئ من المعاملات الفاسدة ، والأيدى المعتدية - فأنا أتركها جملة ، أو آخذ ما أحتاج إليه منها من غير تفرقة .

فمثل هذا وسواس وتنطُّع ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *هلك المتنطِّعون* » قالها ثلاثا[1] .

وأمثلة الوسوسة كثيرة ، وترجع إلى كل توهم وتشكك ، لا يستند إلى سبب معروف .

ولا ينبغى للإنسان أن يقول : ما بقى فى الدنيا من الحلال شىء - يعذر بذلك نفسه فى ترك الورع والاحتياط ، فإن ذلك قول فاسد

قال الإمام الغزالى : الحلال بيِّن والحرام بيِّن - كما قال عليه الصلاة والسلام - وذلك فى زمانه عليه السلام ، وكذلك يكون فى كل زمان ، وإنما تختلف الأزمنة فى قلة الحلال وكثرته باختلاف صلاح الأزمنة وفسادها .

قال : والحلال كثير والحرام كثير ، وليس الحرام بالأكثر ، ولابد فى كل زمان من وجود الأقسام الثلاثة : الحلال ، والحرام ، والشبهات على وفق ما أخبر به رسول الله ﷺ فى قوله « *الحلال بين ..* » الحديث ، انتهى كلامه - رحمه الله - بمعناه .

(**ثم اعلموا**) - رحمكم الله - أنا قد نبهنا على الشبهات بما قدمناه فيها من الكلام المجمل الوجيز ، وقد أطال الكلام فيها ، وفى تفاصيل

---

(١) [رواه الإمام أحمد] .

أقسامها حجة الإسلام فى كتاب الحلال والحرام من « الإحياء » فمن أراد شفاء الغليل فى ذلك فعليه بالكتاب المذكور [١] ؛ فقد ذكر بعض العلماء ـ رحمه الله ـ : أنه لم يؤلف فى الإسلام مثل ذلك الكتاب .

(قلت): وجميع « الإحياء » لم يؤلف فى الإسلام مثله فى فنّه، كما يعرف ذلك ويتحققه من نظر فيه وتأمله من أهل العلم والإنصاف.

أقسام المحرمات

(ثم اعلموا) ـ رحمكم الله ـ أن المحرمات على قسمين :

(القسم الأول) شيء محرَّم فى عينه ، وذلك كالميتة والدم والخمر، ومالا يحل أكله من الطير والسباع والحيوانات والحشرات، وهذا القسم لا يحل منه قليل ولا كثير بوجه من الوجوه ، إلا عند الاضطرار .

وهو : أن يشرف الإنسان على الهلاك ثم لا يجد غيره ، فعند ذلك يحل له التناول منه ، قال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣] .

(القسم الثانى من المحرمات) شيء هو حلال فى نفسه ولكنه مملوك لغيرك ؛ فمهما كان شيء منها مملوكا لغيرك لم يحل أخذه لك ، ولا تناوله إلا بوجه صحيح سائغ فى الشرع ؛ كالشراء ، والنذر ، والهدية ، والهبة ، والصدقة ، والإرث ، إلى غير ذلك من الوجوه الشائعة فى الشرع .

---

(١) « الإحياء » (٢ / ٨٨ ـ ١٥٦) .
(٢) سورة المائدة : الآية ٣ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٧٣ .

فإن أخذت شيئا من ذلك بغـير وجه شرعى صار محرماً عليك ، وصرت بأكله أوشربه و لبسه آكلا أوشاربا ولابساً للحرام .

والوجوه المحرَّمة كـثيرة ؛ مثل الغضب ، والسـرقة ، والخيانة ، والربا ، وغير ذلك .

وكذلك إذا كان مال الإنسان الذى تعامله أو تأخذه من يده حراما لم يفدك الأخذ من ماله ، وإن كان بوجـه سائغ فى الشرع ،مثال ذلك : أن يهدى إليك أو يبيع لك على وجه صحيح ـ من تعلم أن مـاله حرام ـ شيئاً من ماله ذلك ؛ فليس تُصَيِّرهُ المعاملة الصحيحة فيما بينك وبينه حلالاً مـهمـا كان حـراما ؟؟ وهذا موضع إشـكال ، وقد يغلط فـيه من لابصيرة له، فعُلم أن المعاملة وإن كانت صحيحة لا تصيِّر الحرام حلال، وأن المعاملة الفاسدة يصير بها الحلال حراما !كالذى تعامله معاملة غير صحيحة من رباً ونحوه على مال حلال ، فيصير بها ذلك المال الحلال حراماً .

الناس فى المعاملة أقسام ثلاثة

(**ثم اعلموا**) ـ رحمكم الله ـ أن الناس بالنسـبة إلى المعاملة فى أمور الدنيا على ثلاثة أقسام :

(**القـسم الأول**) المعـروفون بالصـلاح والخـير والورع ، تجـوز معاملتهم مطلقا من غير سؤال ولا تفتيش .

(**والقسم الـثانى**) هم المجهـولون الذين لا تعرفـهم بصلاح ولا تخليط ، وأحوالهم مستورة عنك ؛ فهؤلاء أيضاً تجوز معاملتهم مطلقاً . ولكن يسـتحب السـؤال والتفـتـيش إن أمكن برفق ودون إيذاء ، وهو من الورع المستحب ، أعنى السؤال .

(**والقسم الثالث**) هم المعروفـون بالتخليط وقلة الورع ، وكـثرة المجازفة، فى بيعهم وشرائهم ومعاملتهم ، وهؤلاء ينبغى للإنسان المتقى أن لا يعاملهم رأسا ؛ فـإن احتاج إلى معاملتـهم تأكد عليه أن يقدم التـفتيش والسؤال عما يأخذه من أيديهم ، وذلك من الورع المهم .

فأما إذا علـم أو غلب على ظنه فى شخص معين أن جمـيع ماله حرام ، فيحرم عليه معاملته .

وكذلك إذا علم أن ماله حرام ، وأن الحلال فى يده عزيز نادر .

وقـد سأل ابن المبـارك ـ رحمـه الله ـ بعض وكلائه عن شـخص يعـامل السلطان ، هل يعـامله أم لا ؟ فقـال له : إن كان لا يعـامل إلا السلطان فقط فلا تعامله ، وإن كان يعامل السلطان ويعامل غيره فعامله ، (انتهى) .

الحث على القناعة ومجانبة الإسراف

(**قلت**) : ومن أراد التورع والتحرى وإيثـار الحلال ، فينبغى له أن يتصف بالقناعة من الدنيا ، وأن يـرغب فى التقلل منها ، وأن يجانب الإسراف والتوسع والميل إلى شهواتهـا ؛ **فقد قال السلف الصالح** : الحال لا يحتمل السرف .

ومن توسع وتبسـط فى لذات الدنيـا احـتاج ـ لا مـحـالة ـ إلى مباشرة أسباب لا تتم بل لاتتأتى إلا باقتحام شُبهات ، بل باقتحام حرمات كمـا يعرف ذلك من جرَّبه من أهل الإنصـاف والنصيحة لأنفـسهم، دون الحمقى المغرورين والأغبيـاء الجاهلين ، الذين ترى أحدهم يتناول الشبهات والمحرمات ، ويدّعى لنفـسه أنه يتناول الحلال ويتحراه ، ويقـيم لنفسه فى ذلك الحجج الساقطة ، ويطـلب لها التأويلات البعيـدة ! والتقوى والورع هو الواجب والمتـعين ، فإذا لم يكن فـلا أقل من الإنصاف والاعـتراف ، وملازمة الانكسار والاستغفار .

وقد قيل لبعض السلف الصلاح [١] ـ رحـمـهم الله ـ : من أين تأكل ؟ فقـال : من حيث تأكلون ، ولكن ليس من يأكل وهـو يبكى مثل من يأكل وهو يضحك . والله سبحانه أعلم .

---

(١) وهو بشر الحافى ـ رحمه الله تعالى ـ راجع « الإحياء » (٢ / ٩٢) .

سيرة السلف الصالح فى الورع

فقد تبين لكم أن الورع ملاك الدين ، وسـبيل أهل الحزم واليقين من المؤمنين ، وقد كان للسلف الصالح ـ رحمهم الله ـ العناية التامة البالغة بالورع ، ولهم فـيـه النظر الدقـيق ، وحكاياتهم فـى ذلك مشـهـورة ، وسيرهم فيه معروفة ومذكورة .

وقد بلغنا أن ابن سيرين[1] ـ رحمه الله ـ: اشترى من دهن الزيت

---

(١) هو أبو بكر محـمد بن سيـرين ، شيخ البـصرة ، إمام المعـبرين ، وكان ذا خـشوع وسمت ، وكـان لا يدع أحداً يمشى بصحـبته إذا خـرج إلى مكان ، ويقول : إن لم يكن لك حاجه فارجع .
ولما حبس ـ رضى الله عنه ـ فى دين قـال له السجان : إذا جـاء الليل فاذهب إلى دارك ، وأت بكرة النهار ، فقال : لا أعينك على خيانة أمانتك .
وكان يقول : سبب حبسى ، أننى عيرت رجلا بدين كان عليه ، فعوقبت بذلك .
وكان يقول : من الظلم البين لأخـيك أن تذكر شر ما فيه ، وتكتم خيـر ما فيه عند غضبك .
ويقول : لو أن للذنوب ريحا ، لما قدر أحد أن يدنو منى لكثرة ذنوبى .
وكان إذا سئل عن الرؤيا ؟ يقول للسائل : اتق الله فى اليقظة فلا يضرك ما رأيت فى النوم .
وقال له رجل : اجعلنى فى حل ، فـإنى قد اغتبتك ، فقـال : إنى أكره أن أحلّ ما حرّم الله عز وجل من أعراض الناس ، ولكن يغفر الله لك .
وكان ـ رضى الله عنه ـ إذا دخل منزلا لم ير أحد إلا ذكر الله لصلاحه .
وكان يـقول : مـا أهون الورع ، فقـيل : وكيف هو هـين ؟ فـقـال : إذا رابك شئ فدعه .
وقال : رأيت يوسف النبى ـ على نبينا وعليـه الصـلاة والسلام ـ فى النوم ، فقلت له : علمنى تعبير الرؤيا ، قال : افتح فاك ، ففتحته ، فتفل فيه ، فأصبحت ، فإذا أنا أعبّر الرؤيا ـ قاله ابن قتيبة ـ .
وكان غاية فى العلم ، نهاية فى العبادة، روى عن كثير من الصحابة وروى عنه الجمع الغفير من التابعين ، وأريد على القضاء فهرب إلى الشام ، ثم أتى المدينة .
وله فى التعبير عجائب :
* قال له رجل : رأيت على سـاق رجل شعـراً كثيـراً . فقال : يركـبه دين ويموت فى السجن ، فقال الرجل : أنت هو ، فاسـترجع ، ومات فى السجن ، وعليه أربعون ألف درهم ـ قضاها عنه ولده أو بعض إخوانه ، وقوم ماله بستمائة ألف درهم .

حِبَاباً (١) كثيرة بمال كثير ، فوجد فى واحد منها فأرة ميتة فصبّها كلها ، وقال : أخاف أن تكون الفأرة قد ماتت فى المعصرة وجرى عليها الزيت كله .

وكان سفيان الثورى - رحمه الله - إذا لم يجد الحلال الصافى يأكل الرمل ويمكث عليه الأيام .

ورجع ابن المبارك (٢) من مرو - بخراسان - إلى الشام فى قلم استعاره ونسى أن يرده على صاحبه .

= * وقالت له امرأة : رأيت كأن القمر دخل فى الثريا فنادى مناد من خلفى : قضى على ابن سيرين ، فاصفر لونه وقام - وهو آخذ ببطنه - فقالت له عمته : مالك قال : زعمت هذه المرأة أنى أموت إلى سبعة أيام ، فدفن فى اليوم السابع .

* وقال له رجل : رأيت طيراً سمينا ما أعرفه تدلى من السماء ، فوقع على شجرة وجعل يلتقط الزهر ، ثم طار ، فتغير وجه ابن سيرين ، وقال : هذا موت العلماء . توفى - رحمه الله - سنة ١١٠ هـ « الطبقات » للشعرانى (١ / ٣١) « الشذرات » (١/ ١٣٨) .

(١) جمع حُبّ أى الجرة الكبيرة .

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى الإمام المجمع على إمامته وجلالته فى كل شئ ، الذى تستنزل الرحمة بذكره ، وترجى المغفرة بحبه ، وهو تابعى التابعين ، وكان أبوه تركيا مملوكا لرجل من همدان ، وأمه خوارزمية ، ولد - رضى الله عنه - سنة (١١٨هـ) وتوفى سنة (١٨١هـ) .

قال الحسن بن عيسى : اجتمع جماعات من أصحاب بن المبارك ، فقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ، فقالوا : جمع العلم والفقة والأدب والنحو واللغة و الشعر والفصاحة والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والشدة فى رأيه ، وقلة الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه .

وقال سفيان بن عيينة : لقد كان فقيها عابداً عالماً زاهداً سخياً شجاعاً .

وقال عبد الرحمن بن مهدى : الأئمة أربعة : الثورى ، ومالك ، وحماد بن زيد ، وابن المبارك .

وقال أبو أسامة : ابن المبارك فى أصحاب الحديث كأمير المؤمنين فى الناس .

ولما قدم ابن المبارك وهارون الرشيد بالرقة ، أشرفت أم ولد له من قصر ، فرأت الغبرة قد ارتفعت ، والنعال قد تقطعت ، وانجفل الناس ، فقالت : من هذا ؟ قالوا عالم من خراسان يقال له : ابن المبارك ، فقالت : هذا - والله - الملك ، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بالسوط والخشب ، والشرط والأعوان .

وقال محمد بن سعد : طلب ابن المبارك العلم، وروى رواية كثيرة وصنّف كُتبا كثيرة=

ورجع إبراهيم بن أدهم[1] ـ رحمه الله ـ من القدس إلى البصرة في ردِّ تمرة سقطت في تمر اشتراه حال الوزن ، وغفل عن ردها حينئذ .

= في أبواب العلم وصنوفه ، وقال الشعر في الزهد والحث على الجهاد ، وسمع علما كثيراً ، وكان ثقة مأموناً حجة كثير الحديث .

كان ـ رضي الله عنه ـ يقدم النظر في سير الصحابة والتابعين على مجالسة علماء عصره .

وكان يقول : من شرط العالم أن لا تخطر محبة الدنيا على باله .

ويقول : كيف يدعي رجل أنه أكثر علماً وهو أقل خوفاً وزهداً .

ويقول : رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية .

ويقول : أربع كلمات انتخبن من أربعة آلاف حديث : لا تثقن بامرأة ، ولا تغترن بمال ، ولا تحمل معدتك مالا تطيق ، وتعلم من العلم ما ينفعك فقط .

ويقول : لأن أرد درهما من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بستمائة ألف ألف .

وقيل له ما التواضع ؟ قال : التكبر على الأغنياء .

ويقول : على العاقل أن لا يستخف بثلاثة : العلماء والسلطان والإخوان ، فإن من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه ، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته .

توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٨١ هـ وله ثلاث وستون سنة ، ودفن بهيت ـ مدينة معروفة على الفرات ـ .

« تهذيب النووي » (١ / ٢٨٥) « طبقات الشعراني » (١ / ٥٠) .

(١) هو أبو إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي ، الزاهد الورع . كان من أبناء الملوك ، فخرج يوما متصديا فأثار ثعلبا أو أرنبا ، وهو في طلبه . فهتف به هاتف : يا إبراهيم ، ألهذا خلقت ؟ أم بهذا أمرت ، تكرر ذلك ثلاث مرات ، فنزل عن دابته ، ورفض الدنيا ، وأخذ في عمل الآخرة . ومن كلامه ـ رضي الله عنه ـ :

من علامة العارف بالله أن يكون أكبر همه الخير والعبادة،وأكثر كلامه الثناء والمدحة .

ويقول : اطلبو العلم للعمل فإن أكثر الناس قد غلطوا ، حتى صار عملهم كالجبال وعملهم كالذر .

وقال له بعض العلماء : عظني ، فقال : كن ذنبا ولا تكن رأساً ، فإن الذنب ينجو والرأس يذهب .

ويحكى عنه أنه قال : أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار .

وكان بمكة ، فسئل ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله عز وجل ؟ قال : يبلغ من كرامته على الله تعالى لو قال للجبل : تحرك لتحرك ، فتحرك الجبل ، فقال : ما إياك عنيت ، وفي رواية « لو أن مؤمنا قال لذاك الجبل زل لزال ، قال : فتحرك=

وكان ذو النون المصرى[1] - رحمه الله - محبوساً ، فحملت إليه امرأة صالحة طعاماً حلالا من ثمن غزلها فرده وقال : جاءنى على طبق ظالم - يعنى به يد السجان - وكانت أرسلته له على يده .

= أبو قبيس ، فقال : اسكن إنى لم أعنك . قال : فسكن .
وسأله شريك عما كان بين على ومعاوية فبكى ، فندم شريك على سؤاله إياه فرفع رأسه فقال : إنه من عرف نفسه اشتغل بنفسه، ومن عرف ربه اشتغل بربه عن غيره .
ويقول : حب لقاء الناس من حب الدنيا ، وتركهم من ترك الدنيا .
ويقول : لم يصدق الله من أحب الشهرة .
ويقول : كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب .
وقال : تريد تدعو ؟ كل الحلال ، وادع بما شئت .
وقال : محال أن تواليه ولا يواليك .
ويقول : رأيت فى النوم كأن قائلا يقول لى : أو يحسن بالحر المريد أن يتذلل للعبيد ، وهو يجد عند مولاه ما يريد .
وقال خلف بن تميم : كنا مع إبراهيم بن أدهم فى سفر له ، فأتاه الناس ، فقالوا : إن الأسد قد وقف على طريقنا ، قال : فأتاه فقال : يا أبا الحارث ، إن كنت أمرتَ فينا بشئ فامض لما أمرت به ، وإن لم تكن أمرت فينا بشئ فتنح عن طريقنا ، قال فمضى وهو يهمهم . فقال لنا إبراهيم بن أدهم : وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول : اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واحفظنا بركنك الذى لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلك وأنت الرجاء ، قال إبراهيم : إنى أقولها على ثيابى ونفقتى فما فقدت منها شيئاً .
ويقول خلف بن تميم : كان إبراهيم بن أدهم فى البحر فعصفت الريح واشتدت ، وإبراهيم ملفوف فى كسائه ، فجعل أهل السفينة ينظرون إليه ، فقال له رجل منهم : يا هذا ، ما ترى ما نحن فيه من هذا الهول ، وأنت نائم فى كسائك ؟ قال : فكشف إبراهيم رأسه ، فأخرجه من الكساء ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال : اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك ، قال : فسكن البحر حتى صار كالدهن .
توفى - رضى الله عنه - سنة ١٦٢ هـ « الحلية » (٧ / ٣٦٧) « الرسالة » (ص ٨) « الطبقات الكبرى » (١/ ٥٩) « الشذرات » (١ / ٢٥٥) .

(١) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ،وقيل : الفيض بن إبراهيم المعروف بذى النون المصرى - وكان أبوه نوبيا - أوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا، سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر ، فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ، ورده إلى مصر مكرما .
وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكى ويقول : إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذى النون .
=

= عن سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون يقول مدار الكلام على أربع : حب الجليل ، وبغض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل .

ويقول ـ رضى الله عنه ـ : من علامات المحب لله عز وجل ، متابعة حبيب الله ﷺ : فى أخلاقه و أفعاله وأوامره وسننه .

ويقول : لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاماً .

ويقول العلماء : أدركنا الناس : وأحدهم كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهداً وبغضاً ، وأنتم اليوم كلما ازداد أحدكم علماً ازداد فى الدنيا حبا وطلبا ومزاحمة ، وأدركناهم ـ وهم ينفقون الأموال فى تحصيل العلم ـ وأنتم اليوم تنفقون العلم فى تحصيل المال .

ويقول : يا معشر المريدين ، من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بإظهار الجهل ، والزهاد بإظهار الرغبة ، والعارفين بالصمت .

وسئل عن السفلة من الخلق من هم ؟ فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله تعالى ، ولا يتعرفه .

ويقول : لكل شئ علامة ، وعلامة طرد العارف عن حضرة الله تعالى انقطاعه عن ذكر الله عز وجل .

ويقول : من القلوب قلب يستغفر قبل أن يذنب ، فيثاب قبل أن يطيع .

وقال له رجل : إن امرأتى تقرأ عليك السلام فقال ـ رضى الله عنه ـ : لا تقرؤنا من النساء السلام .

ويقول : لحنا فى العمل وأعربنا فى الكلام فكيف نفلح .

ويقول : ليس بعاقل من تعلم العلم فعرف به ، ثم آثر بعد ذلك هواه على عمله ، وليس بعاقل من طلب الانصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره ، وليس بعاقل من نسى الله فى طاعته وذكر الله تعالى فى مواضع الحاجة إليه .

ويقول : العجب كل العجب من هؤلاء العلماء ، كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق ـ وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق ـ .

ويقول : من تقرب إلى الله تعالى بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه .

ويقول : كن عارفا خائفاً ، ولا تكن عارفاً واصفا .

توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة (٢٤٥ هـ) بالجيزة ، وحمل فى قارب ، مخافة أن ينقطع الجسر من كثرة الناس مع جنازته ، ورأى الناس طيوراً خضراً ترفرف على جنازته حتى وصلت إلى قبره ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ

« الرسالة القشيرية » (ص ٩) « الطبقات الكبرى » للشعرانى (١ / ٥٩) .

وكان بعضهم عند إنسان محتضر بالليل ، فلما مات المحتضر قال لهم : اطفئوا السراج ، فإنه من الآن صار فى ملك الورثة .

وقال بعضهم : كنت مسافراً فتهتُ فى الطريق واشتد علىَّ العطش ، فاستقبلنى جندى وسقانى شربة من ماء ، فعادت قساوتها على قلبى ثلاثين سنة .

وحكاياتهم فى ذلك أكثر من أن تحصى - قصدنا بهذا اليسير منها التبرك بذكرهم ؛ لأن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين .

وليعلم العاقل البصير تفاوت ما بين السلف والخلف ، ويعقل ويعرف فى أى زمان هو ، وأى ناس الذين هو منهم وبين أظهرهم .

أكل الحلال ينوِّر القلب وأكل الحرام يظلمه

(ثم اعلموا) - رحمكم الله - أن أكل الحلال ينوِّر القلبَ ويرقّقه ويجلب له الخشية من الله ، والخشوع لعظمته ، وينشط الجوارح للعبادة والطاعة ، ويزهِّد فى الدنيا ، ويرغِّب فى الآخرة ، وهو سبب فى قبول الأعمال الصالحة ، واستجابة الدعاء ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام لسعد ابن أبى وقاص[1] - رضى الله عنه - : « *أطب طُعمتك تُستجب*

(١) هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن أهيب ، ويقال له : ابن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب القريشى الزهرى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وآخرهم موتا ، وتوفى - ﷺ - وهو عنهم راض ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أمر الخلافة إليهم .
وأسلم قديماً بعد أربعة ، وقيل : بعد ستة - وهو ابن سبع عشرة سنة - وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى ، وأول من أراق دما فى سبيل الله تعالى ، وهو من المهاجرين الأوائل ، هاجر إلى المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إليها ، شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد كلها ، وكان يقال له : فارس الإسلام ، وأبلى يوم أحد بلاء شديداً ، وكان مجاب الدعوة ، وحديثه فى دعائه على الرجل الكاذب عليه من أهل الكوفة - وهو أبو سعدة - وأجيبت دعوته فيه فى ثلاثة أشياء مشهور فى « الصحيحين » .
روى له عن رسول الله ﷺ (٢٧٠ حديثاً) وروى عنه ابن عمر ، وابن عباس ،=

دعـوتك »[1] .

وأما أكل الحرام والـشبهات فصـاحبه على الضد من جـميع هذه الخيرات : يقسِّي القلب ويظلمـه ، ويقيِّد الجوارح عن الطاعات ، ويرغِّب في الدنيا ، وهو سبب في عدم قبول الأعـمال الصالحة ورد الدعاء ؛ كما في الحديث : إنه عليـه الصلاة والسلام « ذكر الرجل أشـعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء يا ربّ ! ومطعمه حرام . . » الحديث ، وقد تقدم.

فاحرصوا على أكل الحـلال ، وعلى اجتناب الحرام كلَّ الحرص ، وليس الورع خاصاً بالأكل فقط ، بل هو عام في جميع الأمور .

= وجابر بن سـمرة ، والسائب بن يزيد ، وعائشـة ـ رضي الله عنهم ـ وروى عنه من التابعين أولاده الخمسة : محمد وإبراهيم وعامر ومصعب وعائشة ، وجماعات آخرون .
واستعمله عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على الجيوش التي بعثها إلى بلاد الفرس وكان أمير الجيش الذين هزموا الفرس بالقادسية وبجلولاء وغنموهم ، وهو الذي فتح المدائن ومدائن كسرى ، وهو الذي بنى الكوفة ، وولاه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ العراق .
عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : أقبل سعد ، فقال النبي ﷺ : « هذا خالي ، فليرني امرؤٌ خاله » [رواه الترمذي] .
وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما قدم النبي ﷺ المدينة أرق فقال : « ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني » إذ سمعنا صوت السلام فقال : « من هذا ؟ » قال : أنا سعد ، وفي رواية : ودعا له . [رواه الشيخان ، والترمذي ، والنسائي] .
وعن أبي إسحاق قال : كان أشد أصحاب رسول الله ﷺ أربعة : عمر ، وعلي ، والزبير ، وسعد .
ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ، ولزم بيته ، ولم يقاتل في شئ من تلك الحروب .
وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص ـ أن أباه حين رأى اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وتفرقتهم ، اشترى أرضا ميتة ، ثم خرج واعتزل فيها بأهله .
وفي يوم أحد قال له رسول الله ﷺ : « ارم فداك أبي وأمي » [رواه الشيخان]
وعن الزهري قال : رمى سعد يوم أحد ألف سهم .
توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة (٥٥هـ) وقيل : (٥١ هـ) وقيل غير ذلك ، توفي بقصره بالعقيق على عشرة أميال ، وقيل : سبعة من المدينة ، وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة ، وصلى عليه بالمدينة ، ودفن بالبقيع .
وكان ـ رضي الله عنه ـ آدم طوالا ذا هامة ، ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف ، فقال : كفنوني فيها ، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر ـ وهي علي ـ وإنما كنت أخبؤها لهذا .
راجع « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ٢١٣) « الإصابة » (٣ / ٦١) .

(١) [رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ] .

الحث على الكسب الحلال

(وعليكم) بالاكتساب من الحلال ، فـإن الاكتساب مأمور به ، وفيه فضــل وثواب كـثير ، مهما صلــحت فيه النــية ، قال النبى ﷺ : « *أطيب ما أكل الرجل من كسب يمينه* »[1] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *من أمسى كالاً من عمـل الحلال أمسى مغفورا له* »[2] .

فلْينوِ الإنسان باكتسابه صيانة دينه، وصيانة وجهه عن الحاجة إلى الناس ، وكفاية نفـسه وعياله ، والتصــدق بما فضل من كسبه عن حـاجته على المحتاجين من عباد الله تعالى ، فيكون بذلك عاملاً للآخرة .

تحذير هام

(وليـحذر) كل الحـذر : من أن يشـتـغل بسـبـب الكسب عن فرائض الله ، أو يـقع بسبـبه فى محـارم الله ، فيـخسر بذلك فـى دنياه وأخراه ، وذلك هو الخسران المبين .

وقد قـال بعض السلف ـ رحـمهم الله ـ :الرجـال ثلاثة : رجل شغله معـاده عن معاشه فهـذا من الفائزين ، ورجل شغله معاشـه ومعاده فهذا من المقتصدين ،ورجل شغله مـعاشه عن معاده فهذا من الظالمين ـ أو قال: من الهالكين ـ (انتهى) .

ما يجب على أهل الحرف

فـإن كنت ممن يكتسب بـصنعة أو حـرفة فـعليك بالنصح فـيهـا للمـسلمين ، وبالإحسـان والإتقان لصنعـتك وحرفتك حـسب الإمكان ،

(١) الحديث بهذا المعنى [رواه البخارى ، وابن مـاجـه من حديـث المقدام بن معديكرب ـ رضى الله عنه ـ والإمام أحمد ، والطبرانى ، والحاكم ، وأبو الشيخ ، وغيرهم من حديث رافع بن خديج ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه الطبرانى فى « الأوسط » من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ والأصبهانى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

وفى الحديث : « *إن الله يحب المؤمن المحترف* »[(1)] .

(وإياك) والكذبَ والغشَّ ، وكثرةَ الإخـلاف بالوعد ، ومن غدٍ بعد غدٍ ،واحذر كل الحذر من التساهل فى[(2)] العمل ، بترك إتقان الحرفة ، ومعاملةً من لا يعرفها كما ينبغى،فتتساهل فى حقوقه،وتغُرّه لقلة معرفته.

وقـد ورد : « *وَيْلٌ للتـاجـر من لا ، والله ، وبلى، والله ، وويل للمحترف من غدٍ بعد غدٍ* »[(3)] .

ما يجب على التجار

وإن كنت ممن يكتسب بالتجارة والبيع والشراء ـ فعليك فى جميع معاملاتك باجتناب المعاملات الفاسدة ، والمحرمة والمكروهة .

وتعلَّم ذلك وتفَقَّه فيه،لابدَّ لك من ذلك ،ولا رخصة فى تركه.

قـال عمـر بن الخطاب ـ رضى الله عنهُ ـ :لا يبع فى سـوقنا ولا يشتر من لم يتفقَّه ،فإن من لم يفقه أكَلَ الربا وهو لا يعلم .(اهـ بمعناه) . والحال كما ذكر ـ رضى الله عنه ـ[(4)].

(وعليك) فى تجارتك بملازمة الإحسان والعدل ، وسلوك سبيل المسامحـة والفضل ، وترك المشاحَّة والاستـقصاء ؛ فإن ذلك أكثـر للبركة وأنمى للتجارة .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *رحم الله عبداً : سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى* »[(5)] .

---

(١) [رواه الطبرانى فى « الكبير » والبيهقى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) وفى بعض النسخ (من التساهل فى ترك إتقان . . .) .

(٣) قال الحافظ العراقى : لم أقف له على أصل ، وذكـر صاحب « مسند الفردوس »من حديث أنس بغير إسناد نحوه .

(٤) نص مقولة عمر ـ رضى الله عنه ـ : لا يتـجر فى سوقنا إلا من فقه وإلا أكل الربا .
[وقال على ـ رضى الله عنه ـ : من اتجر قبل أن يتـفقه ارتطم فى الربا ثم ارتطم ثم ارتطم ـ أى وقع وارتبك ـ « مغنى المحتاج » (٢/ ٢٢) .

(٥) [حديث صحيح . رواه البخارى،وابن ماجه من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أفضل المؤمنين : رجل سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى ، سمحاً إذا قضى* »[(١)] .

ولا تبع ولا تشتر شيئاً إلا بإيجاب وقبول صحيحين ، فإن المعاطاة بدون لفظ لا تكفى فى انعقاد البيع ، وقد أجازها بعضهم فى المحقَّرات ، ومال إليه حجة الإسلام فى « الإحياء » وأطال الكلام فى المعاطاة هنالك ، وعلى كل حال فالبيع والشراء بالإيجاب والقبول فى كل شئ أحسن وأحوط .

اجتناب الكذب والحلف فى المعاملة

(وعليك) باجتناب الكذب رأساً ، وقول : أخذته بكذا وأعطيت عليه كذا ، ولا أبيع إلا بكذا ، وأنت فى قولك غير صادق فتخسر من حيث ترجو الفائدة ، ولا تحلِفْ بالله على البيع والشراء ، ولا تتعود ذلك ؛ فإن الدنيا بأسرها أصغر وأحقر من أن يحلف بالله عليها مع الصدق ، فكيف مع الكذب !

ولا حاجة إلى الأيمان ، وفى الحديث : « *إن الله يبغض البيّاع الحلاّف* »[(٢)] .

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « *اليمين مَنْفَقَة للسلعة ، مَمْحَقة للبركة والكسب* »[(٣)] .

---

(١) [حديث حسن . رواه الطبرانى عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ لكن بلفظ : « أفضل المؤمنين رجل سمح البيع ، سمح الشراء ، سمح القضاء ، سمح الإقتضاء » « الجامع الصغير » (١ / ٥١) .

(٢) نص الحديث كاملاً : « إن الله يحب ثلاثة ، ويبغض ثلاثة ... قلت : فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله ؟ قال : « المختال الفخور ، وأنتم تجدونه فى كتاب الله المنزل « إن الله لا يحب كل مختال فخور » والبخيل المنّان ، والتاجر أو البائع الحلاف » [رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن خزيمة] .

(٣) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبَر وصدق* »[١] .

حرمة الغش والخداع والتلبيس

(واحذر) كل الحذر من الغش والخداع والتلبيس ، وكتمان عيوب المبيع ؛ فإن ذلك محرم شديد التحريم ، وقد يفسد به البيع من أصله ، وقد مرَّ ﷺ على رجل يبيع طعاماً ، فأدخل يده فيه فمست أصابعه بللا فقال : « **يا صاحب الطعام ما هذا ؟** » فقال : أصابته السماء - يعني المطر - فقال عليه الصلاة والسلام « *هلا جعلته ظاهراً حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا* »[٢] .

وفي رواية : أنه رأى داخل الطعام رديئاً فقال لصاحبه : « *هلا بعت هذا على حدته، وهذا على حدته! من غش المسلمين فليس منهم* »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبيَّنا، بورك لهما في بيعهما ،وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما* »[٤] .

فلا يحل لأحد أن يبيع المعيب إلا ويُبيِّن ما فيه من العيب ، فإن لم يبين وكان من الحاضرين من يعلم ذلك وجب عليه أن يبين ، وقد ورد الحديث بذلك ، وهو من النصح الواجب .

ومن الغش المحرَّم : خلط جيد المتاع برديئه ، وبيعهما على حدة واحدة تلبيساً وخداعاً .

ومنه : إدخال الدرهم الزائف في الدراهم الجيدة ؛ وذلك مما لا يجوز .

---

(١) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، كلهم من حديث رفاعة - رضي الله عنه -] .

(٢) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والأربعة إلا النسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -] .

(٣) [رواه الإمام أحمد ، والبزار ، والطبراني من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - ورواه أبو داود بنحوه عن مكحول مرسلاً] .

(٤) [متفق عليه من حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه -] .

فإن أعطاه الزائف بنقصان وجده بين الدراهم مسامحة ، وكان يعرف من حاله أنه سيُرَوِّجهُ على مسلم آخر فى بيع ثان لم يحلَّ ذلك .

فلا خلاص من النقد الردى الذى يخالف نقد البلد إلا بأن يرميه فى بئر ونحوها ؛ كما كان يفعل ذلك بعض السلف الصالح ، أو يذهب به إلى الصائغ ليخرج ما فيه من الفضة الخالصة ، فيكون هذا صالحاً ، ويكون الغش الذى فيه من نحاس ونحوه نافعاً على قدره .

ومن لم تسمح نفسه بذلك فليحترز من أخذ الدراهم الزائفة التى لا يجوز المعاملة عليها ، وإذا وقع فى يده الدرهم الزائف وكان يعرف صاحبه الذى عامله عليه ، فليرده على صاحبه إن لم تسمح نفسه بإتلافه ولا يروِّجه على مسلم آخر فيأثم بذلك .

حرمة التطفيف فى الكيل والوزن

وليتَّق التاجر ربه فى كل شئ ، ولا سيما فى المكيال والميزان ؛ فإن الخطر فيهما عظيم ، قال الله تعالى ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)** ﴾ الآيات[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام للتجار : « ***إنكم وَليتم أمراً هلكت فيه الأمم السابقة : المكيال والميزان ...*** » الحديث[2] .

فلابد له من العدل ، وهو أن يأخذ ويعطى على حدٍّ سواء ، ويحترز ويحتاط ، وإن أرجح قليلا إذا أعطى ، ونقص قليلا إذا أخذ ، كان ذلك أفضل وأحوط ، كان بعض السلف الصالح يفعل ويقول : لا أشترى الويل من الله بحبة ، يريد الويل المذكور فى قوله تعالى : ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ** ﴾ وأراد بالحبَّة هنا القدر اليسير من المال .

---

(١) سورة المطفيفين الآيات ١ ،٢، ٣ .

(٢) [رواه الترمذى ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال الحافظ المنذرى : والصحيح عن ابن عباس موقوف . كذا قاله الترمذى ، وغيره] .

نبذة من أدب التجار

(ومن الفضائل) فى حق المتَّجر: إقالة النادم، والتيسير على المعسر، والتجاوز عن الموسر ، وإقراض المستقرض ، وقضاء حاجة المحتاج .

قال عليه الصلاة والسلام : « *من أقال نادماً بيعتَه أقال الله عثرته يوم القيامة* »[١] .

وفى الحديث الصحيح : « *إن الله أتى بعبد لم يعمل خيراً قط ،غير أنه كان يداين الناس ، وكان يأمر غلمانه بالتيسير على المعسر ، والتجاوز عن الموسر ، ويقول : لعل الله يتجاوز عنا ؛ فقال الله له : نحن أولى بذلك منك ؛ فتجاوز عنه* »[٢] .

وقال ﷺ : « *كل قرض صدقة* »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *رأيت ليلة أسرى بى على باب : الصدقةُ بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر* .. » الحديث[٤] .

بياعات محرّمة

(وليحذر) كل الحذر : من البيع على بيع أخيه ، والشراء على شراء أخيه ؛ ومثال ذلك : أن يقول للبائع أو المشترى فى زمن الخيار : أنا أبيعُك غير هذا بأرخص منه ، أو أشترى منك هذا بأكثر مما اشتراه ؛ وذلك محرم منهى عنه .

وكذلك النجَش : وهو أن يزيد فى ثمن السلعة من غير رغبة فيها ليَغُر غيره من المسلمين .

(١) [رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، فى « صحيحه » واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما] .

(٢) الحديث بهذا المعنى [رواه الشيخان من حديث حذيفة ، وعقبة بن عامر ، وأبى مسعود الأنصارى ـ رضى الله عنهم ـ] .

(٣) [رواه الطبرانى ، والبيهقى من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وإسناده حسن] .

(٤) [رواه ابن ماجه ، والبيهقى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ] .

(وليحذر) أيضاً : من احتكار الطعام ؛فإنه محرَّم شديد التحريم ، وقد وردت فيه أخبار فيها تشديدات هائلة ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « *من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه* »[1]

وقوله عليه الصلاة والسلام : « **الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون** »[2] .

وقوله عليه الصلاة السلام : « **لا يحتكر لا خاطئ** »[3] .

وقال ﷺ : « *من احتكر طعاماً أربعين يوماً ثم تصدق به لم يكن له كفارة* »[4] .

وفى الحديث : « *إن الحاكرين وقتلة النفوس يحشرون يوم القيامة معاً* »[5] .

ومعنى الاحتكار : أن يشترى الإنسان الطعام فى أوقات الغلاء وشدة حاجة الناس إلى الأطعمة ، ثم يخبؤه ويحبسه ليبيعه بأغلى ، فإن أخذه فى وقت الرخص على نية أن يدَّخره للغلاء ، أو كان من غلته زائداً على حاجته فادّخره على تلك النية ،لم يخلُ فى ذلك من كراهة شديدة، وصار فى خطر عظيم ، من محبته ورغبته فى غلاء الأسعار ، ولو سلم من ادِّخار الطعام لسلم من محبة الغلاء ، الذى فيه أعظم المشقة على المسلمين، وقد كان السلف الصالح يكرهون البيع والشراء فى الأطعمة ،

---

(١) [رواه الإمام أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، والحاكم من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما -] .

(٢) [رواه ابن ماجه ، والحاكم من حديث عمر - رضى الله عنه -] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الترمذى ، وابن ماجه ، ورواه مسلم ، وأبو داود بلفظ : « **من احتكر طعاماً فهو خاطئ** »] .

(٤) قال الحافظ المنذرى : ذكره رزين فى « جامعه » ولم أجده .

(٥) قال الحافظ المنذرى : ذكره رزين أيضاً ، وهو مما انفرد به مهنأ بن يحيى عن بقية بن الوليد ،عن سعيد بن عبد العزيز ، عن محكول ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - وفى هذا الحديث والذى قبله نكارة ظاهرة . والله أعلم .

لما فى ذلك من التعرض لضرورة الإنســان ؛ بحيث يكره السعة والرخاء ، ويحب القحط والغلاء .

حرمة التعامل بالربا

وأما المعاملة بالربا : فإثم عظيم ، وحُوبٌ كـبير ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[١] .

فمن ذا الذى يقوى على محاربة الله ورسوله!نعوذ بالله تعالى من المقت والبلاء ، ودرك الشقاء ! وقد لعن رسول الله ﷺ عليه وسلم *« آكل الربا ومؤكله وشاهده وكاتبه »*[٢] .

وعدَّ عليـه الصلاة والسـلام أكل الربا فى السبع الموبـقات ؛ التى منها *« الإشراك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله »*[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : *« الربا ثلاثة وسبعـون باباً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه »*[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : *« أربعـة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نـعيمهـا : مدمن الخـمر ، وآكل الربا ؛ وآكل مال اليـتيم بغير حق ، والعاق لوالديه »*[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام: *« الذهب بالذهب،والفضة بالفضة ، والبُرُّ بالبـر ، والشعير بالشـعير ، والتمـر بالتمر ، والملح بالملح ، مـثلا بمثل*

(١) سورة البقرة : الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٢) [حديث صـحيح . رواه مسلم ، والأربعة ، وابن حـبان من حديث ابن مسـعود ، وجابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهم ـ] .

(٣) [حديث صحيـح . رواه الشيخـان ، وأبو داود ، والنسـائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [رواه الحاكم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وقال : صحيح الإسناد] .

سواء بسواء ، يداً بيد ، وإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد »[١] .

فقد بيّن عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث حكم الربا ؛ فليس لأحد بعد ذلك سبيل إلى الخلاف وترك الامتثال ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣]

فمن باع ذهباً بذهب ، أو فضة بفضة : أو براً ببرّ ، أو ذرة بذرة أو تمراً بتمر ، لزم أن يكون ذلك مثلا بمثل ؛ يدا بيد .

فإن اختلف النوع كالبر بالذرة ، أو الذرة بالتمر ، جازت المفاضلة ، ووجب التقابض فى الحال .

وفى الباب فروع ومسائل كثيرة محلها كتب الفقة ؛ وهذا جملة القول فى ذلك .

(فاحذروا) معاشر الإخوان ـ رحمكم الله ـ من الربا غاية الحذر ، واحترزوا منه غاية الاحتراز ، فإن الله تعالى حرمه وحذره على عباده ، وجعله خبيثاً ممحوقا لا خير فيه ولا بركة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ﴾[٥] .

---

(١) [حديث صحيح . رواه مسلم من حديث عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ] .
(٢) سورة الحشر : الآية ٧ . (٣) سورة النور : الآية ٦٣ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٧٦ . (٥) آل عمران : الآيات ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

فتأملوا وانظروا ، واتقوا الله واحذروا .

بيع النسيئة جائز

(واعلموا) ـ أن فى بيع النسيئـة بسعر يزيد عن السعـر الحاضر سَعة عن الربا ، وهو جائز مباح ، فيأخذ به الراغب فى أرباح الدنيا .

اتقاء حيل الربا

(وإياكم) وما يتعاطاه بعض الجهال الأغـبياء المغرورين الحمقى ـ من استحلالهم الربا فى زعمهم بحيل أو مخادعات ، ومناذرات يتعاطونها بينهم ، ويتوهمون أنهم يسلمون بها من إثم الربا ، ويتخلصون بسببها من عاره فى الدنيا وناره فى العقبى ، وهيهات هيهاتَ ! إن الحيلة فى الربا من الربا ، وإن النذر شئ يتـبرر به العـبد ، ويتـبرع ويتقـرب به إلى ربه ، لا يصلح النذر إلا كـذلك ، وقرائن أحوال هؤلاء تدل عـلى خلاف ذلك ، وقد قال عليـه الصلاة والسلام : « *لا نذر إلا فيمـا ابتغى به وجـه الله* »(١) وبتقدير أن هذه المناذرات علـى قول بعض علماء الظاهر تؤثر شيئـاً ، فهو بالنسبة إلى أحكام الدنيا وظواهرها لا غير ، فأما بالنسبة إلى أحكام الباطن وأمور الآخرة فلا .

ومن تأمل كلام علماء الدين ـ أرباب البصائر ـ وجدهم مجمعين على ذلك ، وقد قال حـجة الإسلام ـ فيمن يحتال فـى إسقاط الزكاة ـ : بأن ينذر ماله لغـيره فى آخر الحـول ؛ وذكر صوراً تشبـه هذا ، ثم قال : وهذا كله من الفقـه الضارّ ، ومن قال بجـوازه فيعنى بـذلك قطع المطالبة بالنسبة إلى أحكام الدنيا ، أما إذا رجع الأمر إلى أحكم الحاكمين ، وجبار الجبابرة ، فليس يعنى ذلك شيئاً ـ (انتهى كلامه بمعناه) .

وقـد حلّت ببنى إسـرائيل أنواع العـقـوبات من الله ؛ لما أخـذوا بأمثـال هذه الحيل والمخـادعات ، كـما يعـرف ذلك من عنده علم يسـير

---

(١) [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود] .

الأولين ، ولولا خشـية الإطالة لأوردنا من ذلك طرفاً، وخيـر الكلام ما قلَّ ودلَّ ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾[1] .

حرمة أكل أموال الناس بالباطل

والربا من أكل أموال الناس بالباطل ، وجـهات أكل أموال الناس بالباطل كـثير ، وقـد نهى الله عن جميع ذلك بقـوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾[2] .

فمن جهات أكل أموال الناس بالبـاطل جميع ما يأخذه السلاطين الظلمـة وأعـوانهم من أمـوال المسلمين : من الجـبـايات ، والمكوس ، والعشـور ، وغيـر ذلك ، وذلك محرم شـديد التحـريم ، والمأخوذُ ـ مِن الحرام السحت الذى لا شبهة فيه .

والمكّاس والعشّار من المتعرضين لسخط الله ومقته ، وقد ورد فى ذمِّهم وشدة عقاب الله لهم الأخبار الكثيرة ، قال عليه الصـلاة والسلام : « *لا يدخل الجنة صاحب مكس* »[3] .

قال يزيد بن هارون[4] ـ رحمه الله ـ : يعنى العشار .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٢) سورة النساء : الآية ٢٩ .

(٣) [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والحاكم من حديث عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال السيوطى : حديث صحيح] .

(٤) هو يزيد بن هارون الواسطى المتوفى سنة (٢٨٦ هـ) .
قال أحمد بن سنان : ما رأيت عالماً قط أحسن صلاة منه ، كان يقوم كأنه اسطوانة .
وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : من طلب الرياسة فى غير أوانها حرمها وقت أوانها .
وكان إذا صلى العشاء لا يزال قائماً يصلى حتى الغداة نيفاً وأربعين سنة .
وكان عيناه جميلتين ، فلم يزل يبكى حتى ذهبت إحداهما وعمشت الأخرى .
وقال له مرة إنسان : أين تلك العينان الجميلتان ؟ فقال : ذهب بهما بكاء الأحزان فى الأسحار .
ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ « الطبقات الكبرى » للشعرانى (١ / ٥٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن صاحب المكس فى النار* »[١] .

ومن أكْلِ أموال الناس بالباطل : ما يؤخذ ظُلماً بالغصب والنهب والسرقة والخيانة فى الأمانات ، وما يقتطعه الإنسان من أموالهم بالأيمان الفاجرة وشهادات الزور ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « *من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام . « *اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة* »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه » قال ذلك لشدة ماحرَّم الله من مال المسلم على المسلم[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام فى السرقة : « *لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده* »[٥]

وقال عليه الصلاة والسلام فى الخيانة « *آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان* »[٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *لا إيمان لمن لا أمانة له* »[٧] .

---

(١) [حديث صحيح. رواه الإمام أحمد، والطبرانى من حديث رويفيع بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ].

(٢) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان من حديث عائشة وسعيد بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والطبرانى ، والبيهقى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٤) [رواه ابن حبان فى «صحيحه» من حديث أبى حميد الساعدى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والإمام أحمد ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٦) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٧) [حديث ضعيف . رواه الطبرانى فى « الأوسط » من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

وقــال ﷺ : «لا دين لمن لا أمــانة له، ولا صــلاة ولا زكــاة له » الحديث(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث متعلقـات بالعرش : الرحم تقول : اللهم إنى بك فلا أقطع ، والأمانة تقول : اللهم إنى بك فلا أخان ، والنعمة تقول : اللهم إنى بك فلا أكفر »(٢) .

اليمين الفاجرة من الكبائر

وأما اقـتطاع أموال المسلمين بالأيمان الفـاجرة ، وشـهادة الزور ، فذلك من الكبائر، وفـيه من الوعيد الشديد الهائل مالا يـخفى، قال عليه الصلاة والسلام « من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين فاجرة فليتبـوأ مقعده من النار »(٣) .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « من حلف على مـال امرىء بغـير حق لقى الله تعالى وهو عليه غضبان »(٤) .

قال عبد الله بن مسـعود ـ رضى الله عنه ـ ثم قرأ رسول الله ﷺ مصـداقه من كتـاب الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ إلى آخر الآية(٥) .

---

(١) [رواه الطبرانى ، وعبد الرزاق في « مصنفه »] .

(٢) [حديث ضعيف . رواه البيهقى من حديث ثوبان ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [رواه الإمام أحمـد ، والحاكم ، والطبرانى ، وابن حبـان ، من حديث الحارث بن البرصـاء ـ رضى الله عنه ـ وورواه الطبرانى ، والحـاكم من حديث جابر بن عـتيك ـ رضى الله عنه ـ بـلفظ : « من اقتـطع مال امرئ مسلم بيمـينه حرّم الله عليـه الجنة ، وأوجب له النار » .

وورواه مسلم ، والنسـائى ، وابن ماجه من حديث أبى أمامـة إياس بن ثعلبة ـ رضى الله عنه ـ بلفظ « من اقتطع حق امـرئ مسلم بيمـينه ، فقـد أوجـب له النار ، وحرّم عليه الجنّة » قالوا : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : « وإن كان قضيباً من أراك » .

(٤) [حديث صحيح . رواه الشيخـان ، والأربعة إلا النسـائى من حديث ابن مسعـود ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٧٧ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***الكبائر : الإشراك بالله وحقوق الوالدين ، واليمين الغموس*** »[١] .

قال الحافظ المنذرى[٢] ـ رحمه الله ـ : سُمّيت اليمين الغموس غموساً لأنها تغمس صاحبها فى الإثم فى الدنيا ، وتغمسه فى النار فى الآخرة (انتهى)[٣] .

---

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، والترمذى ، والنسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) هو الحافظ الكبير زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد المنذرى ، الشافعى الأصل ثم المصرى المولد والوفاة .

ولد فى شعبان سنة (٥٨١ هـ) وسمع من الارتاحى ، وأبى الجود ، وابن طبرزد ، والحافظ على بن المفضل ، وآخرين .

وروى عنه الدمياطى ، وابن دقيق العيد ، والشريف عز الدين ، وآخرون .

ولى مشيخة دار الحديث الكاملية ، وانقطع بها عشرين سنة مكبا على العلم والإفادة ، وينخرج به العلماء فى فنون من العلم ، كان عديم النظير فى معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه ، عالماً بصحيحه وسقيمه ، ومعلوله وطرقه ، متبحراً فى معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله ، قيما بمعرفة غريبه وإعرابه واختلاف ألفاظه ، ماهراً فى معرفة رواته وجرحهم وتعديلهم . ووفياتهم ومواليدهم وأخبارهم . إماما حجة . ثبتا ، ورعاً ، متحريا فيما يقوله ، متثبتا فيما يرويه .

قال الحافظ الذهبى : كان صالحاً زاهداً متنسكا ، ولم يكن فى زمانه أحفظ منه .

وقال ابن ناصر الدين : كان حافظاً كبيراً ، حجة ثقة ، عمدة ، له كتاب « الترغيب والترهيب » و « التكملة لوفيات النقلة » .

ومن مؤلفاته : « مختصر مسلم » و « مختصر سنن أبى داود » وله عليه حواشى مفيدة ، وخرّج بعض أحاديث « المهذب » بأسانيده فى مجلد ، وصل فيه إلى قبيل البيع .

توفى ـ رحمه الله ـ فى ذى القعدة سنة (٦٥٦ هـ) ودفن بسفح المقطم . « طبقات ابن قاضى شهبة » (٢ / ١١١) « شذرات الذهب » (٥ / ٢٧٧) .

(٣) « الترغيب والترهيب » (٢ / ٦٢١) .

واليمين الغموس : هى التى يقتطع بها الإنسان شيئاً من مال أخيه المسلم ، وإن كان ذلك شـيئا يسيـراً ، حتى قال عليه الصلاة والسـلام : « *ولو قضيباً من أراك* »[1] .

شهادة الزور من الكبائر

وأما الاقتطاع من أموال الناس بشهـادة الزور ، فإن شهد به غيره بشهادة باطلة وهو يعلم ذلك ويريده ، فيأثم المشهود له والشاهد ، فيكون الشاهد على مثل ذلك ممن باع آخرته بدنيا غيره .

والشهادة الزور من أكبر الكبائر كما فى الحديث الصحيح .

وقال عليه الصلاة والسلام: « ***عدلت شهادة الزور ـ الإشراك بالله*** » قالها ثلاث مرات[2] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « ***لا تزول قدمـا شاهد الزور حـتى يوجب الله له النار*** »[3] .

الرشوة من السحت

ومن أكل أموال الناس بالبـاطل : ما يأخذه الحكام والعـمال من الرُّشا والهدية ، ورشوات الحكام وهدايا العمال من السحت الحرام ، وقد لعن عليه الصـلاة والسلام : « ***الراشى والمرتشى والـرائش وهو السـاعى بينهما*** »[4]

(١) [رواه مسلم ،والنسائى ،وابن ماجه ،وفى رواية « وإن كان سواكاً » رواه الطبرانى ، والحاكم] .

(٢) [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ،والطبرانى ، والبيهقى ، وابن عساكر بعضهم من حديث خريم بن فاتك ـ رضى الله عنه ـ والآخر من حديث أيمن بن خريم] .

(٣) [رواه ابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح الإسـناد من حديـث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [رواه الإمام أحمد ، والبزار ، والطبرانى من حديث ثوبان ـ رضى الله عنه ـ] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***هدايا العمال غُلول*** »(١) والعمال هم الذين يستعملهم السلطان على الأمور .

حرمة السؤال إلا لضرورة شديدة

ومما يتأكد الاحتراز عنه ، ويتعين على كل مؤمن أن يصون نفسه منه : مسألة الناس إلا عند الضرورة أو الحاجة الشديدة التى لابد منها ، ولا غنى عنها ، قال رسول الله ﷺ : « ***لا تحل المسألة لغني ولا لذى مرة سوى*** »(٢) والمرة : هى القوة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس على وجهه مُزعة لحم*** »(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***مسألة الغنيّ نار ، إن أعطى قليلاً فقليل ، وإن أعطى كثيرا فكثير*** »(٤) .

وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغنى الذى لا تحل معه المسألة فقال : « ***قدر غدائه وعشائه*** »(٥) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب***

---

(١) [رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه عن أبى حميد الساعدى ـ رضى الله عنه ـ وعند أبى يعلى عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ « ***هدايا العمال حرام كلها*** » ، ولابن عساكر عن عبد الله بن سعد ـ رضى الله عنه ـ « ***هدايا السلطان سحت وغلول*** » ورواه الطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بلفظ : « الهدية إلى الإمام غلول » ولعبد الرزاق عن جابر ـ رضى الله عنه ـ « هدايا الأمراء سحت » . « الكشف » (٢ / ٤٤٥)] .

(٢) [رواه الترمذى من حديث حُبشى بن جنادة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ و« المُزعَة » هى القطعة] .

(٤) [رواه البزار من حديث عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) نص الحديث : « وما الغنى الذى لا تنبغى معه المسألة ؟ قال : « قدر ما يغدّيه أو يعشيه » [رواه رزين من حديث حُبشى بن جنادة ـ رضى الله عنه ـ] .

خير له من أن يسأل الناس أعطوه ، أو منعوه »(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *استغنوا عن الناس ولو بشَوْص السواك* »(٢) .

حرمة الخمر

وقد رأينا ـ أن نذكر هاهنا شيئاً مما ورد فى تحريم الخمر وذمّها ، وهذا الموضع من الكتاب من أنسب المواضع لذكر ذلك ؛ لأنه فى تتمة الكلام على الورع عن المحرمات من المأكولات والمشروبات وغيرها .

والخمر من الأشربة التى حرمها الله وحظرها ، ونهى عنها فى كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله الأمين ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « *لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن* »(٤) .

فناهيك بها حرمة ومذمة لشىء إذا تعاطاه الإنسان فارقه الإيمان !؟

وقال عليه الصلاة والسلام : « *لعن الله الخمر وشاربها وساقيها*

(١) [حديث صحيح . رواه البخارى ، وابن ماجه ، وغيرهما من حديث الزبير بن عوام ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه البزار ، والطبرانى بإسناد جيد ، والبيهقى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) سورة المائدة : الآيتان ٩٠ ، ٩١ .

(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، والأربعة إلا ابن ماجه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه »[١] زاد في رواية « وآكل ثمنها »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر » الحديث[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مدمن الخمر إن مات لقى الله كعابد وثن »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثه لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر »[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر »[٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الخمر جُمَّاع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة »[٧] .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجُعلت عدلاً للشرك »[٨] أي في الأثم .

---

(١) [رواه أبو داود واللفظ له ، وابن ماجه من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما -] .
(٢) [رواه ابن ماجه] .
(٣) تتمة الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُشرب عليها الخمر » [رواه الطبراني عن ابن عباس - رضى الله عنهما -] .
(٤) [رواه الإمام أحمد ، ورجاله رجال الصحيح . وابن حبان في « صحيحه » من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما -] .
(٥) [رواه الإمام أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم من حديث أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه -] .
(٦) [رواه الحاكم من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - وقال : صحيح الإسناد] .
(٧) قال الحافظ المنذري : ذكره رزين ، ولم أره في شئ من أصوله . « الترغيب » (٣ / ٢٥٧) .
(٨) [رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من شرب الخمر خرج نور الإيمان من جوفه* »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *كل مسكر حرام ،وإن على الله عهدا لمن يشرب الخمر أن يسقيه من طينة الخبال* ـ قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال :« *عرق أهل النار أو عصارة أهل النار* »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ، ثم إن شربوا فاجلدوهم،ثم إن شربوا فاجلدوهم،ثم إن شربوا فاقتلوهم** »[٤] .

قال الحافظ المنذرى ـ رحمه الله تعالى ـ : قتل شارب الخمر قد جاء من غير ما وجه صحيح ، وهو منسوخ والله أعلم (انتهى) [٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الخمر أم الخبائث* »[٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة* »[٧] .

---

(١) [رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه البزار من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والنسائى من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [رواه أبو داود،وابن حبان فى « صحيحه » من حديث معاوية ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) « الترغيب والترهيب » (٣ / ٢٦٤) .

(٦) رواه بهذا اللفظ القضاعى عن ابن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ بسند حسن، ورواه الدارقطنى وغيره عن عمرو مرفوعاً بلفظ : « اجتنبوا الخمر أم الخبائث » ورواه الطبرانى فى « الأوسط » بلفظ :« الخمر أم الفواحش»ولابن أبى عاصم عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ « اجتنبوا الخمر فإن رسول الله ﷺ سماها أم الخبائث » ، وللطبرانى فى « الكبير » و« الأوسط » عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعاً « الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر،من شربها وقع على أمه وخالته وعمته » راجع « الكشف » (١ / ٤٥٩) .

(٧) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم ، والأربعة إلا ابن ماجه من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ولكن بلفظ : « ومن شرب الخمر في الدنيا فمات ـ وهو يدمنها ـ لم يشربها فى الآخرة » ورواه البيهقى بلفظ : « من شرب الخمر فى الدنيا ولم يتب لم يشربها فى الآخرة وإن دخل الجنة »] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « *من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا* »[1] .

والوارد في تحريم الخمر وذمها والتحذير منها كثير شهير ، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفقه الله .

(فاحذروا) عباد الله ـ رحمكم الله ـ من هذا الشراب الخبيث ، الذى حرمه الله ، وجعل السخط والمقت والخزى حظَّ شاربه فى الدنيا والآخرة .

ومن ابتلى بشربها فليتب منها من قبل أن تحل به العقوبة ، أو يموت فيصير إلى النار وسخط الجبار .

نسأل الله لنا ولكم العافية والسلامة من جميع البليات .

وجوب مراقبة القلب والجوارح

(واعلموا) معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم ممن صلحت سريرته وعلانيته ، واستقام باطنه وظاهره على اعتقاد الحق والعمل به ـ أن من أهم المهمات على كل مؤمن : مراقبة قلبه وجوارحه ومراعاتهما ، وبذل الجهد فى حفظهما وكفهما عن مساخط الله ومكارهه ، واستعمالهما بمحابِّ الله ومراضيه ، وقد قال تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾[2].

والقلب والجوارح من أعظم نعم الله على عباده ؛ فمن استعملها بطاعته وزينها بمحابه ، وصرف كلاً منها فيما خُلق له فقد شكر النعمة ، وحفظ الحرمة ، وأحسن الخدمة ، وله عند الله جزاء الشاكرين وثواب المحسنين ؛ إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ومن أرسل قلبه

---

(١) [رواه الترمذى وحسّنه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وهو جزء من حديث عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ورواه النسائى موقوفاً عليه مختصراً .] .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

وجوارحه فى مخالفة الأمر ، وأهملها وأضاعها ، ولم يحفظها ، فقد كفر نعمة الله فيها ، واستوجب الذم والعقوبة من الله بسببها ، وستشهد عليه بين يدى الله بما عمل بها من معاصى الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] .

أما القلب فهو رئيس الجوارح وأميرها ، وعليه بُدُوُّ صلاحها وفسادها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « *ألا وإن فى الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب* »[3] .

وأما الجوارح فنعنى بها الأعضاء السبعة : العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل .

حفظ العين

فأما العين - فهى نعمة عظيمة من الله على عبده ، وقد خلقها له لينظر بها فى عجائب مصنوعاته فى أرضه وسمواته ؛ فيزداد بذلك معرفة ويقينا بربه ، وطاعة وخدمة له .

وليهتدى بها فى الظلمات ، ويستعين بها على الحاجات ، فإن استعملها فيما خلقت له كان من المطيعين الشاكرين .

وإن أطلقها وأرسلها فيما حرم الله عليه من النظر إلى النساء الأجانب ، والصور الجميلة بباعث الشهوة ، فقد عصى وتعرض للعقاب والبلاء .

---

(١) سورة النور : الآية ٢٤ .   (٢) سورة يس : الآية ٦٥ .

(٣) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - وقد سبق] .

فليحذر المؤمن من ذلك كل الحذر ، ومن النظر إلى أحد من المسلمين بعين الاستصغار والاحتقار والاستخفاف ، ومن التطلع إلى عورات المسلمين وغيوبهم .

وكذلك ينبغى له أن لا يكثر النظر إلى شهوات الدنيا ومباحاته التى تدعو النفس إلى الرغبة فيها ، فإن ذلك ربما فرّق القلب ، وأقبل به على عمارة الدنيا وجمع حُطامها ، والإعراض عن الآخرة وترك الاستعداد لها ؛ فحفظ النظر عن ذلك مهمٌّ ومتأكد ،سيما على المتوجهين المقبلين على الله والدار الآخرة .

وأما النظر إلى المحرمات : من النساء الأجنبيات ، والصور المشتهيات التي لاتحل ـ فذلك محرم شديد التحريم ، قال الله تعالى : **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾** (١) .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ***النظر سهم مسموم من سهام إبليس،من تركها مخافة من الله أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها فى قلبه*** »(٢) .

وقال عيسى عليه السلام : « ***النظرة تزرع فى القلب شهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة*** »(٣) .

حفظ الأذن

وأما الأذن ـ فهى من أعظم النعم ، وقد خلقت للعبد ليستمع بها كلام ربه وسنة نبيه ، وكلام العلماء والحكماء من صالحى عباد الله ، فيستفيد بذلك سلوك سبيل مرضاة الله ، وينتفع بها فى معاشه الذى

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) [رواه الطبرانى ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وروى الإمام أحمد من حديث أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « **ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ، ثم يغضّ بصره ، إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه** » ، ورواه الطبرانى بلفظ « **ينظر إلى امرأة أول رمقة** » ، والبيهقى وقال : إنما أراد ـ إن صح ـ والله أعلم : أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورّعا »] .

(٣) لم أعثر على من خرجه .

يستعين به على معاده ـ أعني الأذن ـ فإن أصغى بها إلى استماع ما حرم الله عليه : من كذب ، وغيبة ، وكلام قبيح ، فقد كفر النعمة ولم يشكرها ؛ لأنه قد استعملها في غير ما خلقت له .

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ : ولا تظننَّ أن الإثم يختص به القائل دون المستمع ، فإن المستمع شريك القائل ، وهو أحد المغتابين .(**انتهى**) .

فالمستمع إلى الخير شريك في ثوابه ، والمستمع إلى الشر شريك في إثمه . والله أعلم .

حفظ اللسان

وأما اللسان ـ فهو من أعظم نعم الله على عبده، وفيه خير كبير، ونفع كثير ، لمن حفظه واستعمله فيما خلق له : وفيه شر كثير ، وضرر عظيم ، لمن أضاعه واستعمله في غير ما خلق له .

وقد خلقه الله تعالى للعبد ليكثر به من ذكره وتلاوة كتابه ، ولينصح به عباده ويدعوهم به إلى طاعته ، ويعرفهم ما يجب عليهم من عظيم حقه ، وليظهر به ما في ضميره من حاجات دينه ودنياه .

فإن استعمله بذلك كان من الشاكرين ، وإن شغله واستعمله بخلاف ما خلق له كان من الظالمين المعتدين .

ثم إن أمر اللسان مهم جداً ، وهو أغلب أعضاء العبد عليه ، وأقواها في سياقته إلى الهلاك إن لم يضبطه ويكفّه عما حرم الله عليه .

وفي الحديث : « ***وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم*** »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***من كان يؤمن بالله اليوم الآخر***

(١) [رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه: كلهم من حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال الترمذي : حديث حسن صحيح] .

فليقل خيراً أو ليصمت »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « رحم الله امرأ قـال خيـراً فغنم ، أو سكت عن شر فسلم »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صمت نجا »[٣] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « كل كـلام ابن آدم عليـه لا له: إلا ذكراً لله، أو أمرا بمعروف، أو نهيا عن منكر »[٤] .

وقال عليـه الصلاة والـسلام : « إن الرجل ليـتكلـم الكلمـة من رضـوان الله مـا يظن أن تبلغ مـا بلغت ، يكتـب الله له بهـا رضـوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها فى النار سخطه إلى يوم يلقاه »[٥] .

وفى الحديث الآخر : « إن العبد ليتكلم بالكـلمة ما يلقى لها بالاً فيهوى بها فى النار أبعد من الثُّريّا »[٦] .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [حديث حسن . رواه ابن المبارك عن خالد بن أبـى عمـران مرسلاً ، والبيهقى فى « الشعب » عن أنس ـ رضى الله عـنه ـ وعن الحسن مرسـلاً ، ورواه أبو الشيخ عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ وسنده ضعيف] .

(٣) [رواه الإمام أحمد ، والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ وسنده ضعيف] .

(٤) [رواه الترمذى ، وابن ماجه ، وابن أبى الدنيا من حديث أم حبيبة زوج النبى ﷺ ، قال الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس] .

(٥) [رواه الإمام مـالك ، والترمذى وقال : حـديث حسن صحـيح ، والنسائى ، وابن ماجـه ، وابن حبان ، والحاكـم وقال : صحيح الإسناد وكـلهم من حديث بلال بن الحارث المزنى ـ رضى الله عنه ـ] .

(٦) [رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : «ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيهـا ـ أى ما يتفكر هل هى خير أو شر ؟ ـ يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » .
ورواه الترمـذى ، وابن ماجـه بلفظ : « إن الرجل ليتـكلم بالكلمة لا يرى بهـا بأساً يهوى بها سبعين خريفاً » . =

فخطر اللسان عظيم ، وأمـرُه مخُوف ، ولا ينج منه إلا الصمت وترك النطق إلا عند الحاجة بقـدْرها ، ويكون له فى تلاوة كتاب الله وفى الإكثـار من ذكر الله ، شـغلٌ شاغل عن الخوض فى البـاطل ، وفيـما لا يعنيه من الكلام .

من أعظم آفات اللسان : الكذب

ومن أعظم آفات اللسان : الكذب ، وهو الإخـبار بغير الواقع ، سواه أثبت به منفياً كأن يقـول : وقع كذا لما لم يقع ، أو نفى به ثابتاً كأن يقول : لم يقع كذا لما قد وقع ،وإثم ذلك عظيم ، وهو مناقض للإيمان ، وصاحبـه متعرِّض بـسببه للعنة الرحـمن؛قال الله تعـالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[2] .

وقـال عليـه الصـلاة والسـلام : « *من أراد أن يـلـعن نفـسـه فليكذب* »[3] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *إن الكذب يهدى إلى الفجـور ، وإن الفجور يهـدى إلى النار ولا يزال العبد يكذب ويتـحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً* »[4] .

وسُئل عليه الصلاة والسلام : أيكذب المؤمن ؟ فقال : « *لا ، إنما*

= وروراه مالك ، والبـخارى ، والنسائى ، والحاكـم وقال : صحيح على شـرط مسلم بلفظ : « وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » هذا لفظ البخارى ، ولفظ الحاكم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمـة ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوى بها سبعين خريفاً فى النار » .] راجع « الترغيب والترهـيب » (٣ / ٥٣٦) .

(١) سورة النحل : الآية ١٠٥ . (٢) سورة آل عمران : الآية ٦١ .

(٣) لم أعثر على من خرجه .

(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومـسلم ، وأبو داود ، و الترمذى وصححه من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

يفترى الكذب الذين لا يومنون بآيات الله ... » الحديث[1] .

من أعظم آفات اللسان : الغيبة

ومن أعظم آفات اللسان : الغِيـبُة ، وهى ذكرك أخاك المسلم فى غَيـبته بما يكره لو سـمعه ، وسواء ذكـرته بنقص فى دينه أو بدنه أو أهله أوولده ، حتى مِشيته وثوبه وسائر ما يتـعلق به ، وسواء فى ذلك النطقُ باللسان والكتابة والإشارة باليد ، كـذلك قال العلماء ـ رحمهم الله ـ مثل الإمام الغزالى والإمام النووى وغيرهما .

الغيـبة محرّمـة شديدة التحريم ؛ قـال الله تعالى : ﴿ **وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2] .

فشـبه الله تعـالى المغتـاب الظالم بآكل لحم أخيـه المسلم ميتاً ، وناهيك بذلك ذماً وزجراً عن الغيبة !

وقد قـال رسول الله ﷺ : « *كلُّ المسلم على المسـلم حرام دمـه وماله وعرضه* »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الربا اثنان وسبعـون بابا ، أدناها مثل أن ينكح الرجلُ أمّـه : وإن أرْبَى الربا استطالةُ الرجل فى عِرض أخـيه المسلم* »[4] .

وقالت عـائشة ـ رضى الله عنها ـ لرسول الله ﷺ : حـسبك من

---

(١) [رواه ابن عبد البرّ فى « التمهيد » بسند ضعيف من حديث عبد الله بن جراد ـ رضى الله عنه ـ ورواه ابن أبى الدنيا فى « الصـمت » وجعل السائل أبا الدرداء ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والترمذى] .

(٤) [رواه الطبرانى فى « الأوسط » من حديث البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ] .

صفـية كذا وكـذا ! قال بعض الرواة : ـ تعنى أنهـا قصيـرة ـ فقـال عليه السلام : « *لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحـر لمزجَتْه* »(١) أى لو خلطت بماء البحر لَغيَّرته وأنتَنته من فحشها وقبحها .

وقالت امرأة : ما أطولَ ذيل فلانة ! فـقال عليه الصلاة والسلام : « *الفُظِي الفُظِي* »(٢) فأخرجت من فمها قطعـة لحم ؛ فصارت بهذه الكلمة الواحدة الغريبة آكلة من لحمها .

(فانظروا) عباد الله ما أفحش الغيبة وأقبحها ! وما أهون الوقوع فيها على الناس إلا من رحم الله ، وقليلٌ ما هم !

(واعلم) ـ أن من الواجب عـليك إذا رأيت من أخـيـك المسلم عـيبـاً أو نقصـاً يمكنك إزالتـه : أن تذكر له ذلك فـى الخلوة على سبـيل النصيحة ؛ فإن عجزت عن ذلك ،أو لم توفق له فذلك نقص فيك ، فلا تجمع إليه نقصاً آخر أقبح منه ، وهو أن تهتك ستره ، وتذكر عيوبه للناس فى غيبته ؛ فتجمع على نفسك مصيبتين ، وتجر إليها بليتين .

من أعظم آفات اللسان : النميمة والسّعاية والسب ونحوه

ومن أعظم آفـات اللســان : النميـمـة ، وهى نقل كـلام الناس بعضهم إلى بعض ، يقصد بذلك الإفسادَ والفتنة بينهم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ ﴾(٣) .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « **لا يدخل الجنة قـتَّـات** »(٤) وهو النـمام .

(١) [رواه أبو داود ، والترمـذى ، والبيهقى من حـديث عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ قال الترمذى : حديث حسن صحيح] .

(٢) [رواه ابن أبى الدنيا ، وابن مردويـه فى « التفسيـر » وفى إسناده امرأة لا تعرف] « المغنى » (٣ / ١٤٤) .

(٣) سورة القلم : الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٤) [حديث صحيح . رواه البخـارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والتـرمذى عن حذيفـة ـ رضى الله عنه ـ] .

وقـال عليه الصلاة والسـلام : « *شـرار عبـاد الله المشّـاءون بالنميمة ، المفرّقون بين الأحبة* »[١] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *إن النميمة والحقد فى النار ، لا يجتمعان فى قلب مسلم* »[٢] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *ليس منى ذو حـقد ولا نميـمة ولا كهانة ولا أنا منه* »[٣] ثم تلا : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا . . . ﴾ . . » الآية[٤] .

ومن أقبح أنواع النميـمة وأفحشها : ما كـان منها إلى السلاطين والولاة ونحوهم ـ وتسمى السِّعاية ـ يقصد بها صاحبها إغراء الوالى بإيذاء من سعَى به إليه ، وأخذِ ماله ، وجلب الشرِّ له ، وإثمها عظيم ، مضاف على إثم النميمة التى تكون بين عامة الناس .

ومن آفات اللسان : شـتم المسـلم وسبُّه فى الوجه ؛ قال ﷺ : « *سِباب المؤمن فسـوق وقتاله كفر* »[٥] .

وقال علـيه الـصلاة والـسلام : « *المتسـابَّان شيطانان يتـهاتران ويتكاذبان* »[٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من الكبائر السَّبتان بالسبة* »[٧]

---

(١) الحديث كاملاً : « خيار عبـاد الله الذين إذا رُءُوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة ، والمفرقون بين الأحبـة ، الباغون للبراء العنت ـ أى العيب ـ [رواه الإمام أحمد وابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا من حديث عبد الرحمن بن غنم] .

(٢) [رواه الطبرانى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن بسر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٥٨ .

(٥) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، والأربعة إلا أبا داود] .

(٦) [رواه ابن حبان عن عياض بن جمان ـ رضى الله عنه ـ] .

(٧) [الحديث كاملاً : « *من الكبائر استطالة الرجل فى عـرض رجل مسلم ، ومن الكبائر السبتان بالسبة* » [رواه ابن أبى الدنيـا عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وهو حـديث حسن] .

ومن آفات اللسان : السخرية بالمسلم ،والاستهزاء به ، والضحك منه استخفافا واحتقاراً له ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ الآية(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم* »(٢) .

ومن آفات اللسان : اليمين الفاجرة ، وشهادةُ الزور ، واللعنُ ، وقولُك للمسلم يا كافر ، والقطعُ بالشهادة على أحد من أهل القبلة بكفر أو بدعة أو فسق ، من دون أن يتحقق ذلك يقينا ، والدعاء على المسلمين بالشر ، والوعد الكاذب ، وكلامُ ذى الوجهين ، وسائر الكلام القبيح ، والقول الفاحش الذى يُستحيا منه ، والمراء والجدالُ ، ومنازعة الناس فى الكلام ، وكثرةُ الخصومة ، والخوضُ فيما لا يعنى .

وقد وردت فى ذم جميع ذلك الآياتُ والأخبار الكثيرة الشهيرة .

فعلى المؤمن الناظر لنفسه ، الشفيق على دينه : أن يكون كما قال عليه الصلاة والسلام : « *من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت* »(٣) .

وآفاتُ اللسان كثيرة ، قد عدَّ الإمام حجة الإسلام منها عشرين آفة فى كتاب آفات اللسان من « الإحياء » وأشبع الكلام فى ذلك على ما يليق بجلالة قدره وسعة علمه ، ـ فرضى الله عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً ـ .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١١ .
(٢) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وغيره من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .
(٣) سبق لنا تخريجه .

حفظ البطن

وأما البطن فحفظه وضبطه من أهم المهمات ، وذلك بكفِّه عن الحرام والشبهات ، ثم عن فضول الشهوات ، وعن الشِّبَع من الحلال .

فأما الحرام والشبهات ـ فقد تقدم الكلام عليهما فى باب الورع .

وأما التوسع فى الشهوات ، والإكثارُ من الشبع ـ فذلك مكروه ، وفيه آفات كثيرة ومضرَّات عديدة : منها قسوةُ القلب ، وكسلُ الأعضاء عن الطاعة ، وقلة نشاطها للعبادة ، وقلةُ الفهم للعلم والحكمة ، وقلةُ الرحمة والشفقة على ضعفة المسلمين وأهلِ الحاجة منهم ، ويخشى من ذلك ـ أعنى الاتساع فى أكل الشهوات وكثرة الشبع ـ الوقوعُ فى اقتحام الشبهات بل والمحرمات .

قال حجة الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ الشبع من الحلال أصل كل شر ؛ فكيف من الحرام ! (انتهى) .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ؛ فإن كان لا محالة : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه* »[1] .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « *شرار أمتى الذين غُذُّوا بالنعيم ،وبنيت عليه أجسامهم ، وإنما همة أحدهم ألوانُ الطعام وألوان الثياب ، ويتشدقون فى الكلام* »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **أطول الناس شبعاً فى الدنيا أطولهم جوعاً فى الآخرة** »[3] .

---

(١) [رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان من حديث المقدام بن معد يكرب ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه ابن أبى الدنيا ، والبيهقى ، والبزار ، والطبرانى فى « الكبير و « الأوسط » والحاكم بألفاظ متقاربة] .

(٣) [رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث أبى جحيفة ـ رضى الله عنه ـ ولكن=

وقال على - كرم الله وجهه - : من كان همه ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منها .

فعلى المؤمن أن يكف نفسه عن الشهوات عِفةً وقناعةً، وزهادةً فى الدنيا، وإذا أكل فليقتصر على ما دون الشبع عفةً ، ولْيأكل ما وجد من الحلال من غير قصد لما كان ألذّ وأوفق للطبع ، وإن تحرَّى الأخشَن الأدنى كان أقرب للتقوى ، وأقلَّ للكلفة ، وأبعدَ عن الشهوات ، وأشبهَ بِهَدْى السلف الصالح .

وقد كان أكثر طعام رسول الله ﷺ من الشعير ، وكان يعُجن ويخبز له منه من غير أن ينخَل فإن المناخل حادثة ، وكان يمكث هو وأهله عليه الصلاة والسلام الأشهر على التمر والماء ، لا توقَد لهم نار لطعام ولا لغيره .

وعلى المؤمن إذا أكل أن يأكل بالأدب ، واتباع السنة فى ذلك : من التسمية عند الابتداء ، والحمد لله فى الآخر ، ويأكل بنية الاستعانة على طاعة الله ، والتقوِّى على عبادته ، إلى غير ذلك من الآداب التى وردت بها الأخبار .

حفظ الفرج

وأما الفَرج - فحفظه مُهِمٌّ ، وأمره مخطر ، وقد أثنى الله فى كتابه على المؤمنين من عباده ، فقال فى أثناء وصفهم : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) ﴾[1] .

= بدل « أطول » « أكثر » فى الموضعين ، ورواه الترمذى ، وابن ماجه ، والبيهقى من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - بلفظ : « كفّ عنّا جشاءك ، فإن أكثرهم شبعاً فى الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة » ، ورواه الطبرانى بإسناد حسن بلفظ « إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غداً فى الآخرة » .

(١) سورة المؤمنون : الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ .

وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يُدْخِل الناس النار فقال : « *الأجوفان : الفم والفرج* »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من وقاه الله شر ما بين لَحيَيه ورجليه دخل الجنة* »[2] .

(فعليك) أيها المؤمن بحفظ فرجك ، واستعن على ذلك بحفظ قلبك عن التفكر فيما لا يحل لك ، وبحفظ بصرك عن النظر إلى مالا يجوز لك النظر إليه ، وفى الحديث : « *العين ترى ، والنفس تتمنى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه* »[3] .

التحذير من الزنى واللواط والاستمناء باليد

وتبَاعَدْ كل البعد ، واحذر كل الحذر من الزنى ومن اللواط ؛ فإنهما من الفواحش المهلكة والكبائر الموبقة ، وقد حرمهما الله تحريماً شديداً ، ونهى عنهما نهياً أكيداً فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

---

(١) الحديث كاملاً « سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « *تقوى الله وحسن الخلق* » وسئل عن أكثر ما ما يدخل النار . . . الحديث » [رواه الترمذى وصححه ، و ابن ماجه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه الترمذى وحسنه ، وابن حبان فى « صحيحه » من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ورواه ابن أبى الدنيا بلفظ : « من حفظ ما بين لحييه »] .

(٣) نص الحديث كاملاً : « **كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا،فهو مدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنّى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه** » [رواه الشيخان ، أبو داود ، والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٣٢ .

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ ﴾ الآية[١] .

وقال رسول الله ﷺ: « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن** »[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: « **المقيم على الزنى كعابد وثن** »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن الزناة يأتون تشتعل فروجهم ناراً** »[٤] أى يأتون يوم القيامة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم :شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر** »[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام . « **إن الزنى يجلب الفقر** »[٦] .

وورد : « أنه يأتى على أهل الموقف ريح منتنة تؤذى كل برٍّ وفاجر غاية الأذى ، فيقال لهم : هذه رائحة فروج الزناة »[٧] .

وفى الحديث الصحيح أنه ﷺ رأى الزناة والزوانى فى التنور ، يأتيهم لهب النار من أسفله فيصيحون ويرتفعون[٨] ، وذلك من أنواع تعذيب الله إياهم فى البرزخ ؛ وقال الله تعالى فى ذكر إهلاكه قوم لوط ،

---

(١) سورة الفرقان : الآيات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) [حديث صحيح . رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [رواه الخرائطى ، وغيره من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [حديث ضعيف ، رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن بسر ـ رضى الله عنه ـ وفيه بدل « فروجهم » « وجوههم »] .

(٥) [حديث صحيح . رواه مسلم،والنسائى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٦) [رواه البيهقى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ورواه البزار بلفظ : « **وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة** »] .

(٧) الحديث بهذا المعنى [رواه ابن أبى الدنيا ، والخرائطى ، وغيرهما من حديث على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ] .

(٨) [رواه البخارى من حديث سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ] .

حين عملوا الفاحشة وأصروا عليها : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾[1] .

قيل فى بعض التفاسير : وما هى من الظالمين الذين يعملون بعملهم ، وبلغنا أن رجلين كانا يعملان هذه الفاحشة الخبيثة في بيت ، ومن فوق سقفه حجر من الحجارة التى أرسلت على قوم لوط ؛ فخرق الحجر السقف ، ووقع عليهما فأهلكهما ؛ فبلغ ذلك بعض السلف فقال صدق الله ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أخوف ما أخاف على أمتي : عمل قوم لوط* »[2] .

وقال ﷺ : « *لعن الله سبعة من خلقهم من فوق سبع سموات وردَّد اللعنة على واحد منهم ثلاثا ، ولعن كل واحد لعنة تكفيه ، قال : « ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من ذبح لغير الله ، ملعون من أتى شيئاً من البهائم ، ملعون من عقّ والديه ، ملعون من جمع بين المرأة وبنتها ، ملعون من غيَّر حدودَ الأرض ، ملعون من ادعى إلى غير مواليه* »[3] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « *أربعة يُصبحون فى غضب الله ، ويمسون فى سخط الله* » قلت : من هم يا رسول الله ؟ قال « *المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذى يأتى البهيمة ، والذى يأتى الرجال* »[4] .

---

(١) سورة هود : الآيتان ٨٢ ، ٨٣ . (٢) [رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد كلهم من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [رواه الطبرانى فى « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح إلا محرز بن هارون التيمى ، ورواه الحاكم من رواية هارون أخى محرز وقال : صحيح الإسناد] .

(٤) [رواه الطبرانى ، والبيهقى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وما ورد فى تحـريم الزنى واللواط ، وفى عقوبة مرتكبـهما كثـير شهير ، وحسبك بهما قبحا وتحريماً ونكالا : ما رتّب الله عليهما فى الدنيا قبل الآخرة من الحد والعقوبة .

وبيان ذلك : أن الزانى والزانية مـهما قامت عليهـما البينة بالزنى فإن كانا بكرين جُلدا مائةً ، وغُرِّبا عن أوطانهما عاما ، وإن كانا محصنَين رُجما بالحجارة حتى يموتا ، وإن كان أحـدهما محصنًا والآخر بكرا ، كان لكل واحد حكمه .

وأما اللواط فحـدّه كحد الزنى على القول الصـحيح ؛ وفى قول يقتل الفاعل والمفعول به ، وقد ورد به الحديث[1] ، وفى بعض الأقوال : أنهما يُحْرَقان بالنار[2] ـ نسأل الله العافية من كل بلية .

وأما إتيان البـهيمة ـ فـهو من العظائم ، وفاعله ملعـون كما فى الحديث المتـقدم ، وفى الحـديث الآخر : « *من وقع على بهـيمة فـاقتلوه واقتلوها* »[3] .

وأما الاستمناء باليد ـ فهو قبيح مذموم ، وفيه آفات وبليات كثيرة وقد يبتلى به بعض الناس ،فليتق ويحذر ! وفى بعض الأحاديث : « *لعن الله من نكح يده* »[4] .

---

(١) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من وجدتموه يعمل عمل قـوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفـعول به** » [رواه أبو داود ، والتـرمذى ، وابن ماجه ، والبيهقى] .

(٢) قال الحـافظ المنذرى : حرق الـلوطية بالنار أربعـة من الخلفاء : أبو بكر الصـديق ، وعلى ابن أبى طـالـب ، وعبـد الله بن الزبيـر ـ رضى الله عنـهم ـ وهشـام بن عبـد الملك . « الترغيب والترهيب » (٣ / ٢٨٩) .

(٣) [رواه الطبرانـى ، والدارقطنى ، ورواه ابن ماجـه ، والإمام أحمـد ، والبيـهقى ، والدارقطنى أيضاً بلفظ : « *من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة* » .
وفى رواية لأبى داود ، وغيره من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « **من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه** » .

(٤) قال الحافظ ابن حجر :حديث « **ملعون من نكح يده** » الأزدى فى « الضعفاء » وابن=

وقال ﷺ : « *أهلك الله أمة كانوا يعبثون بفروجهم* »[(١)] .

اللهم يا عليم يا خبير ، طهّر قلوبنا من النفاق ، وحصّن فروجنا من الفواحش ، والطف بنا والمسلمين .

حفظ اليدين والرّجلين

(وأما اليدان) ـ فعليك ببسطهما في الصدقات ، وإعانة المسلمين في الحاجات ، وفي كتابة العلم والحكمة ، وفي اكتساب الحلال بنية الاستعانة على الدين ، واحفظهما على أن تضرب بهما مسلماً أو تؤذيه بغير حق ، أو تأخذ بهما ما لا يجوز لك أخذه من أموال المسلمين ؛ كالأخذ بالظلم والخيانة والمعاملات الفاسدة .

وأما الرِّجلان ـ فإياك أن تمشي بهما إلى حرام أو معصية ، أو إعانة على باطل ، أو إلى باب سلطان ظالم ، أو إلى لهو ولعب ، وما لا خير فيه ولا نفع ، ولا تمش بهما إلا إلى الخيرات والصالحات : مثل طلب العلم النافع ، والسعي إلى المساجد لإقامة الصلوات في الجماعات والعمل بوظائف العبادات ، مثل زيارة الإخوان في الله ، وقضاء حوائج المسلمين ، وإقامة حقوقهم من عيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ؛ ونحو ذلك من أعمال البر وأفعال الخير .

وبالجملة ـ فجوارحك من أعظم نعم الله عليك ، وقد خلقها لك لتستعين وتسعى بها إلى طاعته ؛ فإن استعملتها فيما خُلقَت له من الطاعات والموافقات فقد شكرت وصرت من المحسنين ، وإن استعملتها في

= الجوزي من طريق الحسن بن عرفة في جزءه المشهور ، من حديث أنس بلفظ « **سبعة لا ينظر الله إليهم** » فذكر منهم « **الناكح يده** » وإسناده ضعيف ، ولأبي الشيخ في « كتاب الترهيب » من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي ، وكذلك رواه جعفر الفريابي من حديث عبد الله بن عمرو ، وفيه ابن الهيعة و هو ضعيف اهـ « تلخيص الحبير » (٣ / ١٨٨) .

(١) [ذكره ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢ / ١٤٤) ط ـ الهند] .

غير ما خلقت له وهو المعاصى والمخالفات فقد كفرت نعمة ربك ، وخُنته فى أمانته التى ائتمنك عليها ، فإن الجوارح من الأمانات التى ائتمنك عليها ربك ، وقد انتهى الكلام فى الجوارح السبع على وجه مختصر جامع .

حفظ القلب

وقصدنا الآن : أن نذكر شيئاً يسيراً فيما يتعلق بالقلب الذى هو سيد الجوارح ، وملِك الأعضاء ، وهو معدن العقائد والأخلاق والنيات المذموم منها والمحمود ، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة إلا إن طهّره وزكاه عن القبائح والرذائل ،وزيّنه وحلاّه بالمحاسن والفضائل ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾[1] .

ثم إن الأخلاق المذمومة والخصال الممقوتة فى القلب كثيرة، وكذلك الأخلاق المحمودة والخصال المحبوبة ، التى ينبغى للمؤمن أن يحلّى بها قلبه كثيرة أيضاً .

وقد استوفى الكلام فى ذلك كله الإمام حجة الإسلام فى النصف الثانى من « الإحياء » فى ذكر المهلكات والمنجيات ، وكلامه فى هذه الفنون هو المعوَّل عليه والمرجع إليه ؛ لكماله فى العلم والعبادة ، والزهد والمعرفة ، ولأنه جمع فى ذلك كلام من تقدمه من السلف الصالح ومشايخ الطريق ، وقد اقتفى آثاره ، واقتبس من أنواره : من جاء بعده من أهل هذا الشأن من علماء المسلمين وصالحيهم ، من أهل سائر الآفاق والبلدان ؛ كما يعرف ذلك ويعلمه تحقيقا من له رسوخ فى هذه العلوم ، وغوصٌ واطلاع على أسرار طريق الله .

---

(١) سورة الشمس : الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

فإذا علمت ذلك وعرفته ـ فاعلم أن الصفات المذمومة فى القلب أمراض له ، وقد تؤديه إلى الهلاك فى الدنيا والآخرة ؛ فلا غنى للمؤمن عن علاج قلبه ، ولابد له من السعى فى تحصيل الصحة والسلامة له ، فإنه لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

وإذا عرفت أن صفات القلب المذمومة والمحمودة كثيرة ، والنظر فيها يطول ، وقصدنا الاختصار والايجاز ، وقد أحلنا فى طلب الاستقصاء فى ذلك على ماشرحه حجة الاسلام فى « الإحياء » فإننا ننبه الآن بكلام قريب على شئ من المهلكات التى يجب تزكية القلب عنها ، وعلى شئ من المنجيات التى يجب تحلية القلب بها ، ونقتصر من جملة ذلك على ما يعم وجوده ، ويغلب وقوعه ، وتشتد الحاجة إليه .

من أعظم أمراض القلوب : الشك فى الدين

فأول ذلك ـ أنه يجب على الإنسان أن يزكى قلبه ، ويطهره من رذيلة الشك فى الله ورسوله والدار الآخرة ، فإن ذلك من أعظم أمراض القلوب المهلكة فى الآخرة ، والتى تضر ضرراً عظيماً . خصوصاً عند الموت ، وقد تؤدى ـ والعياذ بالله ـ إلى سوء الخاتمة . وهذا الشك قد يبتلى به بعض الناس .

فلا يجوز لمن وجد شيئا من ذلك أن يضمره فى نفسه ، ويطويه فى قلبه ، فيلقى الله شاكاً ، بل يجب عليه أن يجتهد فى إزالة ذلك ، ويسعى فى نفيه عنه بكل ما يمكنه .

وأنفعُ الأشياء فى إزالته سؤال العلماء بالله تعالى وبدينه : أهل اليقين والخشية والزهد فى الدنيا ، فإن لم يصادف واحداً منهم فلينظر فى كتبهم التى ألفوها فى علوم التوحيد واليقين .

ولست أعنى بالشك ما يجده الإنسان من الخواطر والوساوس فى أمور الإيمان بما يَعلم بطلانه ، ويجد قلبه مصمما على خلافه ، ونفسه

كارهة له ونافرة عنه ، فإن ذلك هو الوسوسة ، ويكفى الإنسان فيها أن يكرهها ويعرض عنها ويستعيذ بالله منها .

من أعظم أمراض القلوب : الكبر والخيلاء

ومن أعظم أمراض القلوب وصفاتها المهلكة : الكبر ، وهو من صفات الشياطين ؛ قال تعالى فى إبليس اللعين : ﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(١) .

والمتكبر بغيض إلى الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾(٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٣) .

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبرين ، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾(٤) .

والمتكبر مصروف عن آيات الله ، كما قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾(٥) .

وقال رسول الله ﷺ : « *يقول الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته فى النار* »(٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *يحشر المتكبرون يوم القيامة مثل الذَّر فى صورة الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان* » الحديثَ (٧) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٤ .
(٢) سورة النحل : الآية ٢٣ .
(٣) سورة لقمان : الآية ١٨ .
(٤) سورة غافر : الآية ٣٥ .
(٥) سورة الأعراف : الآية ١٤٦ .
(٦) [رواه أبو داود ، وابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان فى « صحيحه » من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ورواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ بلفظ: « *العز إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعنى عذبته* »] .
(٧) [رواه النسائى ، والترمذى واللفظ له ، وقال : حديث حسن] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من تعاظم فى نفسه ، واختال فى مشيته ، لقى الله وهو عليه غضبان* »(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *بينما رجل ممن كان قبلكم يجرُّ إزاره من الخيلاء إلا خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة* »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام :« *لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر* » فقال رجل : يا رسول الله ، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « *إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ـ يعنى ردَّه ـ وغمط الناس* »(٣) يعنى احتقارهم وازدراءهم .

فمن تعاظم فى نفسه وأعجب بها ،واحتقر الناس واستصغرهم ، فهو المتكبر الممقوت .

والكبر إنما يكون فى القلب ، ولكن تكون له علامات فى الظاهر تدل عليه ، فمنها : حبُّ التقدم على الناس ، وإظهار الترفع عليهم ، وحبُّ التصدر فى المجالس ، والتبخترُ والاختيال فى المِشْية ، والاستنكافُ من أن يُرد عليه كلامه وإن كان باطلا . والامتناعُ من قبوله ، والاستخفافُ بضعفة المسلمين ومساكينهم .

ومنها : تزكيةُ النفس والثناء عليها ، والفخرُ بالآباء من أهل الدين والفضل ، والتبجحُ بالنسب ، وذلك مذموم ومستقبَح جداً ، وقد

(١) [رواه الإمام أحمد ، والبخارى فى « الأدب » والطبرانى فى « الكبير » والحاكم من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) [رواه النسائى ، والإمام أحمد ، والبزار ، ورواه الشيخان بلفظ : « **بينما رجل يمشى فى حلّة ، تعجبه نفسه ، مرجّل رأسه ، يختال فى مشيته ، إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة**] .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم ، والترمذى من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

يبتلى به بعض أولاد الأخيار ممن لا بصيرة له ،ولا معرفة بحقائق الدين .

ومن افتخر على الناس بنسبه وبآبائه ذهبت بركتهم عنه ، لأنهم ما كانوا يفتخرون ولا يتكبرون على الناس ، ولو فعلوا ذلك لبطل فضلهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من بَطَّأَ به عمله لم يسرع به نسبه »(١).

وقال ﷺ : « يا فاطمة(٢) بنت محمد .

---

(١) [هذا قطعة من حديث أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ [رواه مسلم ، والأربعة ، وابن حبان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح على شرطهما] .

(٢) كنيتها أم الهاد ، وهى أصغر بنات النبى ﷺ ، وأحبّهن إليه ، أنكحها رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بعد وقعة أحد ، وقيل : إنه تزوجها بعد أن بنى رسول الله بعائشة بأربع أشهر ونصف ، وبنى بعد تزويجه إيّاها بسبعة أشهر ونصف ، وكان سنها يوم تزوّجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ـ وهى أسن من عائشة ـ رضى الله عنها ـ بنحو خمس سنين ـ وتوفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ، ولها من العمر ٢٧ سنة وقيل ٣٠ ، وقيل : ٣١ ، وقيل ٣٥ ، وصلي عليها على ، وقيل : العباس ، وأوصت أن تدفن ليلاً .

قال فى « الإصابة » : قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها [أخرجه الطبرانى] .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : خط النبى ﷺ أربعة خطوط فقال : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية » [أخرجه الحاكم ، وغيره] .

وعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً : « خير نساء العالمين أربع : مريم ، وآسية ، وخديجة ، وفاطمة » [رواه ابن حبان ، وغيره] .

وعن المسور بن مخرمة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول : « فاطمة بضعة منى ، يؤذيني ما آذاها ، ويَرِيْبُنى ما رابها » [رواه الشيخان] .

وعن على ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ لفاطمة : « إن الله يرضى لرضاكِ ، ويغضب لغضبك » [رواه الطبرانى ، والحاكم] .

وعن زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « على ، وفاطمة ، والحسن والحسين ـ أنا حرب لمن حاربهم ،وسلمٌ لمن سالمهم » [أخرجه الطبرانى] .

وعن وأم رافع ـ رضى الله عنها ـ قالت : مَرضت فاطمة ، فلما كان اليوم الذى توفيت قالت لى : يا أمة ، اسكبى لى غسلاً ، فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ، ثم لبست ثيابا لها جدداً ، ثم قالت : اجعلى فراشي وسط البيت ، فاضطجعت عليه ، واستقبلت القبلة ، وقالت: يا أمة ، إنى مقبوضة الساعة ، وقد اغتسلت ،=

ويا صفية(١) عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، اشتروا أنفسكم من النار ..» الحديث(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لأحمر على أسود ، ولا لعربى على عجمى إلا بتقوى الله ، أنتم من آدم وآدم من تراب »(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لينتهين أقوام عن الفخر بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان »(٤) .

فالفضل والكرم بالتقوى لا بالنسب ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥) .

ولو أن الانسان كان من أتقى الناس وأعلمهم وأعبدهم ، ثم تكبر على الناس وافتخر عليهم لأحبط الله تقواه وأبطل عبادته ، فكيف بالجاهل المخلّط الذى يتكبر على الناس بتقوى غيره ، وصلاح غيره من آبائه وأجداده ! فهل هذا إلا جهل عظيم ، وحمق فظيع ! ؟ وإن الخير كله فى التواضع والخشوع والخضوع لله .

= فلا يكشفن لى أحد كنفا ـ أى جانبا ـ فماتت ، فجاء على فأخبرته ، فاحتملها ، ودفنها بغسلها ذلك .
[رواه ابن سعد ، وأحمد بن حنبل] .
ونزل فى قبرها على والعباس والفضل بن عباس ، وولدت لعلى : الحسن ، والحسين ، وزينب ، وأم كلثوم ـ رضى الله عنها وعنهم أجمعين ـ راجع « تهذيب الأسماء » (٢/ ٣٥٢) « الإصابة » (٨ / ٢٦٢) .

(١) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ ، ووالدة الزبير بن عموام ـ أحد العشرة ـ وهى شقيقة حمزة ، أسلمت وهاجرت مع ولدها الزبير ، وروت وعاشت إلى خلافة عمر ، قاله أبو عمر راجع « الإصابة » (٨ / ٢١٢) .

(٢) [الحديث بهذا المعنى رواه البخارى ، ومسلم ، والإمام أحمد ، والطبرانى ، وابن سعد ، وأبو عوانة ، و غيرهم] .

(٣) [رواه البيهقى من حديث جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) الحديث بهذا المعنى [رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، والبيهقى بإسناد حسن] .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

قال عليه الصلاة والسلام : « ***من تواضع رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله*** »[1] .

وإن حب الخمول والاختفاء ، وكراهية الشهرة والظهور لَمن أخلاق صالحى المؤمنين .

والرضا بالدون من المجلس ، ومن اللباس والطعام وسائر أمتعة الدنيا كذلك أيضاً ، فاحرص أيها المؤمن على ذلك .

من أعظم آفات القلوب : الرياء

ومن أعظم المهلكات ـ الرياء . وقد سماه رسول الله ﷺ بالشرك الأصغر ، والشرك الخفى .

ومعنى الرياء : طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة ، كالذى يصلى ويصوم ، ويتصدق ويحج ، ويجاهد ويقرأ القرآن ، ليعظمه الناس لذلك ويكرموه ، أو يعطوه من أموالهم ـ فذلك هو المرائى ، وعمله مردود ، وسعيه خائب ؛ سواء فعل له الناس ما أمَّله منهم أو لم يفعلوه له ، وقد قال تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)** ﴾[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء***

---

(١)] رواه البيهقى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ والحديث كاملاً : « من تواضع لله رفعه الله ، فهو فى نفسه صغير ،وفى أعين الناس عظيم ،ومن تكبّر وضعه الله ، فهو فى أعين الناس صغير ، وفى نفسه كبير ، حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير » ، وفى رواية للطبرانى : « ومن تكبّر قصمه الله » .

(٢) سورة الكهف : الآية ١١٠ . (٣) سورة الشورى : الآية ٢٠ .

(٤) سورة الماعون : الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

عن الشرك، فمن عمل أشرك فيه غيرى فأنا منه برئ ونصيبى لشريكى»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام : *« من صيام يرائى فقد أشرك ، ومن صلى يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك »*[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : *« من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه ، ومحق ذكره ، وأثبت اسمه فى النار »*[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : *« من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ، وأساء الصلاة حيث يخلو ؛ فتلك استهانة استهان بها ربّه تبارك وتعالى »*[٤] .

فالرياء مهلك وخطره عظيم ، والاحتراز منه واجب مهم ، وأشد أنواعه : أن يتجرّد باعث الرياء فى العبادة ، بحيث يصير الإنسان متجرد القصد إلى الناس حريصاً على اطلاعهم ونظرهم إليه ، ولم يجد باعثا على العمل غير ذلك أصلا ، ودون ذلك : أن يقصد بعمله التقرب إلى الله تعالى وطلب ثواب الآخرة ، مع مراءاة الناس وطلب المحمدة عندهم والمنزلة ـ وهذا قبيح محبط للثواب ، والذى قبله أقبح وأحبط وأخطر ، ولا يخلو صاحبه من الإثم والعقاب .

فعلى المؤمن أن يجتهد فى دفع الرياء عن نفسه ، وأن لا يكون له نية ولا قصد فى جميع طاعاته وعباداته إلا التقرب إلى الله ، وطلب ثواب الآخرة ؛ فبذلك يخلص من الرياء ، ويسلم من شره وبليّته إن شاء الله تعالى.

---

(١) [رواه ابن ماجه ، وابن خزيمة فى « صحيحه » والبيهقى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ورواة ابن ماجه ثقات] .

(٢) [رواه البيهقى من حديث شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) [رواه الطبرانى فى « الكبير » من حديث الجارود ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) [رواه عبد الرزاق ، وأبو يعلى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ورواه ابن جرير الطبرانى مرفوعاً أيضاً وموقوفا على ابن مسعود ـ وهو أشبه ـ] .

ومهما خاف على نفسه الرياء فليُخْفِ أعماله ويفعلها فى السر، حيث لا يطلع عليه الناس ، فـذلك أحــوط وأسلم ، وهو أفضــل مطلقاً - أعنى العمل فى السرّ حتى لمن لم يَخفْ على نفسه الرياء - إلا للمخلص الكامل ، الذى يرجو إذا ظهر العمل أن يقتدى به الناس فيه .

نعم ومن الأعـمال مالا يتـمكن الإنسان من فـعله إلا ظاهراً : كتعلم العلم وتعليمه ، وكالصــلاة فى الجماعة ، والحج والجهاد ، ونحو ذلك ؟ .

فمن خـاف من الرياء حال فعله شيـئاً من هذه الأعمال الظاهرة، فليس ينبغى له أن يتركه ، بل عليـه أن يفعله ،ويجتهد فى دفع الرياء عن نفسه ،يستعين بالله تعالى ، وهو نعم المولى ونعم المعين .

من أعظم آفات القلوب : الحسد والحقد والغشّ

ومن المهلكات : الحســدُ للمسلمين ومـحبة الشـر لواحد منهم ، وإضمارُ العداوة والغش والحقد لهم ،وقلةُ الرحمة بهم ،والشفقةِ عليهم ، وسوء الظن بهم ؛ فكل لك من الصفات المهلكة .

(أما الحسد) فحسبك به ذمًّا وقبـحاً أن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ بالاستعاذة من شرّ الحاسد ، كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان فقال تعالى ، ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إياكم والحسدَ ، فـإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب* »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يجتمع فى جوف عبد: الإيمانُ والحسد** »[3]وهذا شديد فتأمله .

---

(١) سورة الفلق : الآية ٥ .

(٢) [رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والبيهقى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

(٣) الحديث كاملاً : « لا يجتمـع فى جوف عبد مؤمن غـبارٌ فى سبيل الله وفـيح جهنم =

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ..** » الحديث[1] .

ومعنى الحسد : أن يجد الإنسان فى صدره وقلبه ضيقاً وحرجاً ، وكراهيةً لنعمة أنعم الله بها على عبد من عباده فى دينه أو دنياه ، حتى أنه لَيحب زوالها عنه ، وربما تمنى ذلك وإن لم تصر إليه .

وذلك منتهى الخبث ، فمن وجد شيئاً فى نفسه من هذا الحسد لأحد من المسلمين فعليه أن يكرهه ويخفيه فى نفسه ، ولا يظهره بقول ولا بفعل ؛ فلعله أن ينجو بذلك من شره .

وفى الحديث : « **ثلاث لا يخلو منهن أحد: الحسد ، والظن ، والطيَرة ، أفلا أنبئكم بالمخرج من ذلك : إذا حسدت فلا تَبْغِ ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيَّرت فامض** »[2] أى لا ترجع بسبب الطيرَة عن الأمر الذى تريده .

وإن عمِل الحاسد على ضد ما يتقاضاه الحسد من الثناء على المحسود ، والسعى فى إكرامه ومعاونته ، كان له فى ذلك فضل ، وهذا من أنفع الأدوية فى إزالة الحسد أو تضعيفه .

ولا بأس بالغبطة ـ وهى أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التى تراها على أخيك من فضل الله ، ثم كان ذلك من النعم الدينية كالعلم والعبادة كان محموداً ، وإن كان من النعم الدنيوية كالمال والجاه المباح كان ذلك

= ولا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد » [رواه ابن حبان فى « صحيحه » ومن طريق البيهقى] .

(١) [حديث صحيح . رواه مالك ، والشيخان ، وغيرهم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) [رواه الحافظ الأصفهانى فى « كتاب الإيمان » عن الحسن مرسلاً بلفظ « ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة : الحسد ، والظن ، والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها .... الحديث » .

ورواه أبو الشيخ فى « التوبيخ » والطبرانى عن حارثة بن النعمان بسند ضعيف بلفظ « ثلاث لازمات لأمتى : سوء الظن ، والحسد ، والطيرة . فإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فاستغفر الله ، وإذا تطيّرت فامض »] . « الجامع الصغير مع الفيض » (٣ / ٣٠٤) .

جائزاً مباحاً .

وأما حبّ الشر لأحد من المسلمين ، وإضمار الغش والعداوة والحقد - فحسبك زاجراً عنه قوله عليه الصلاة والسلام : « *لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه* »(١) .

وقال الصلاة والسلام : « *من غش المسلمين فليس منهم* »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن قدَرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غشٌّ لأحد فافعل وذلك من سنتى* »(٣) .

من آفات القلب : قلة الرحمة بالمسلمين وسوء الظن بهم

أما قلة الرحمة بالمسلمين والشفقة عليهم ، فذلك يدل على قساوة القلب ، وعلى الفظاظة والغلظة ؛ وكل ذلك مذموم وقبيح ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « *ارحَم من فى الأرض يرحمْك من فى السماء*(٤) *ارحم ترُحم*(٥) ، *إنما يرحم الله من عباده الرحماء* »(٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام: « لا تنزع الرحمة إلا من شقى »(٧) .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، والأربعة إلا أبا داود عن أنس - رضى الله عنه -] .

(٢) [عن أبى هريرة - رضى الله عنه - رواه الطبرانى ، والبخارى فى « التاريخ الكبير » ورواه الترمذى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - بلفظ « من غشنا فليس منا »] .

(٣) لم أعثر على من خرجه .

(٤) [رواه الطبرانى عن جرير - رضى الله عنه - والطبرانى ، و الحاكم عن ابن مسعود - رضى الله عنه - وهو حديث صحيح] .

(٥) [رواه الإمام أحمد ، والخطيب فى « تاريخ بغداد » و البخارى فى « الأدب المفرد » كلهم بلفظ : « ارحموا ترحموا »] .

(٦) [رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والإمام أحمد ، والبيهقى ، والطبرانى ، وابن أبى شيبة فى « مصنفه »] .

(٧) [رواه أبو داود ، واللفظ له ، والترمذى ، وابن حبان فى « صحيحه » من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال الترمذى : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح] .

ومن لم يجد فى قلبـه رحمة وشفقـة على جميع المسلمين سـيّما على أهل المصائب والبلايا ، وأهل الضعف والمسكنة ـ فـذلك لقساوة قلبه ، وضعف إيمانه، وبعده عن ربه .

(وأما سوء الظن بالمسلمين) فمذمـوم قبيح ، وقد قـال عليه الصلاة والسلام : « *خَصلتان ليس فوقـهما شئ من الخيـر : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فـوقهما شئ من الشر : سوء الظن بالله ، وسوء الظن بعباد الله* »[1] .

ومعنى الظن بالمسلمين : أن تظن بهم السوء فى أقوالهم وأفعالهم التى ظاهرها الخير ، وتظن بهم خلاف ما يظهرون من ذلك ـ هذا غايته .

وأيضاً ـ أن تنزل أفعـالهم وأقواهلم التى تحتمل الخـير والشر على جانب الشـر مع إمكان تنزيلها على جـانب الخير ؛ فـذلك من سوء الظن أيضاً ، ولكنه دون الأول ، وحسن الظن بالمسلمين خلاف ذلك كله ، فما كان من أفعالهم وأقوالهم ظاهره الخير حـملته على الخير ، وظننت فيهم الخير ،وما كان من الأقوال والأفعال يحتمل الخير وغيره نزّلته على الخير ، فاعمل على ذلك جهدَك ، واستعن بالله تعالى . والله ولى التوفيق .

من أعظم الآفات :حبُ الدنيا

ومن المهلكات العظيـمة ـ حبّ الدنيـا وإرادتها ، وشـدة الحرص عليها والرغبـة فيها ، وحب الجاه والمال ، وكثرة الحـرص عليهما والشح والبخـل ، فجمـيع هذه المذكورات من الـصفات المهلـكات ، والأخلاق المذمومـات، ومَن أحب الدنيا وأرادها، واشتـد حرصه عليـها ، وعظُمت رغبته فيها فقد تعرض بذلك لخطر عظيم ، ووعيد من الله شديد .

قال الله تعـالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي

(١) لم أعثر على من خرّجه .

الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[2] .

وقال تعالى مزهدًا لعباده في الدنيا ومذكرًا لهم بذهابها وفنائها : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[4] .

وقال تعـالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) ﴾[5] .

وقال نبـى الله عليه الصـلاة والسلام: « *حب الدنيــا رأس كل خطيئة* »[6].

وقال عليه الصلاة والسلام : « *لو كانت الدنيـا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء* »[7] .

وقال ﷺ « *الدنيـا دار من لا دار له ، ومـال من لا مال له ، ولهـا يجمع من لا عقل له* »[8] .

---

(١) سورة هود : الآيتان ١٥ ، ١٦ . (٢) سورة الإسراء : الآية ١٨ .
(٣) سورة الكهف : الآية ٤٥ . (٤) سورة الحديد : الآية ٢٠ .
(٥) سورة النازعات : الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .
(٦) [رواه ابن أبى الدنيا ، والبيهقى فى « الشعب » عن الحسن مرسلاً ، قال السيوطى : ضعيف] .
(٧) [حديث صحيح . رواه الترمذى ،والضياء عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ] .
(٨) قال السيوطى : رواه الإمام أحمد ، والبيهقى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ والبيهقى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ موقوفاً] « الجامع الصغير » (٢ / ١٧) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكراً لله ، وعالماً، أو متعلماً* »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب* »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من أصبح همُّه الدنيا شتَّت الله عليه أمره ، وفرَّق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له* »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الزهادة في الدنيا تَريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تكثر الهمَّ والحزَن ؛ والبَطالة تقسِّي القلب* »[٥]

وقال عليه الصلاة والسلام : « *نجا أول هذه الأمة بالزهد واليقين، وسيهلك آخرها بالحرص وطول الأمل* »[٦] .

---

(١) [حديث حسن . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ والطبراني في « الأوسط » عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) بداية الحديث : « دعوا الدنيا لأهلها ، من أخذ من الدنيا ... الحديث » [رواه البزار من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان] .

(٣) [رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٩٥, ١٩٦) (٢/ ٢٣٧)وابن سعد في « الطبقات الكبرى » من حديث سلمان الفارسي ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) تتمة الحديث : « ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » [أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ بسند جيد ، والترمذي من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ بسند ضعيف نحوه] , « المغنى » (٤ / ٢٢٠) .

(٥) [رواه القضاعي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ورواه الطبراني عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ وإسناده مقلوب بلفظ : « الزهد في الدنيا يُريح القلب والجسد »] « الكشف » (١/ ٥٣٢) « الترغيب » (٤ / ١٥٧) .

(٦) [رواه ابن أبي الدنيا ، والأصبهاني من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضى الله عنه ـ] .

وما ورد من الآيات والأخبار والآثار فى ذم الدنيا ، وذم المحبين لها ، والرغبة فيها ، وذم الحرص عليها ، خارج عن الحصر ، وتصانيف العلماء - رحمة الله عليهم - من السلف والخلف مشحونة بذلك .

بيان المراد من الدنيا فى معرض الذم

ثم إن الدنيا عبارة عن كل ما على وجه الأرض من المشتهيات واللذات ، وأصناف الأمتعة التى تشتهيها النفوس وتميل إليه ، وتحرص عليها .

وقد جمع الله أصول ذلك كلّه فى قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[1] .

فمن أحبّ ذلك ورغب فيه ، واشتد حرصه عليه ، وليس له غرض فى ذلك إلا مجرد التمتع والتلذذ والتنعم ، صار بذلك من جملة المحبين للدنيا والراغبين فيها ؛ فإن أفرط به ذلك وغلب عليه، حتى لم يبال من أين أخذ الدنيا من حلال أم حرام، وحتى اشتغل بسبب حرصه على الدنيا وسعيه لها عما فرض الله عليه من طاعته، ووقع بسببه فيما حرّم الله عليه من معصيته ؛ فقد تحقق فى حقه الوعيد الوارد فى المحبين للدنيا ، والمريدين لها ، والراغبين فيها من غير شك ، وصار أمره فى نهاية الخطر ، إلا أن يتداركه الله بتوبته قبل مماته ، وقبل خروجه من هذه الدار .

من أعظم الآفات : حب الجاه والمال

وأما حبُّ الجاه والمال ، وكثرة الحرص عليهما - فمذموم جداً ؛ قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤ .

الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾(٣) .

وقال عليه الصلاة السلام : « *ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غَنَم بأفسدَ لها من حب المال والسرَف في دينَ الرجل المسلم* »(٤) .

ومعنى ذلك : أن حب المال وحُبَّ الجاه يفسدان دين صاحبهما أكثر مما يفسد الذئبان الجائعان إذا أرسلا في الغنم . فمن اشتد حرصه على الجاه ، وطلب المنزلة ، والتعظيم في قلوب الناس، فقد تعرّض بذلك لآفات كثيرة ؛ كالكبر ، والتزين ، والتصنُّع ، وترك التواضع للحق وأهله ؛ وكراهية الخمول ، إلى غير ذلك من البليّات .

وفي الحديث : « *إن الله يحب من عباده الأتقياء الأخبياء الأبرياء* »(٥) .

وفيه « *رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرين لا يُعبأ به لو أقسم على الله لأبرّه* »(٦) .

ومن اشتدَّ حرصه على المال فقد تعرض بذلك لأخطار عظيمة ، وبليّات جسيمة ؛ إن لم يحفظه الله ويتداركه برحمته .

---

(١) سورة القصص : الآية ٨٣ . (٢) سورة المنافقون : الآية ٩

(٣) سورة التغابن : الآية ١٥ . .

(٤) [رواه الترمذي ، والنسائي من حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال الترمذي : حسن صحيح ، رواه الطبراني من حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - والبزار من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -] .

(٥) [رواه ابن عساكر في « **تهذيب تاريخ دمشق** » بلفظ : « **إن الله يحب من خلقه الأصفياء ..** »] .

(٦) [رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، والحاكم ، وأبو نعيم ، والبزار ، والخطيب بألفاظ متقاربة] .

والمذموم من حبّ الجـاه والمال ومن الحرص عليهمـا : شدةُ ذلك وإفراطُه ، حتى يطلبهـما الإنسان ويتسبب فى حصـولهما بكل وجه يمكنه من جائز وغير جائز ، ويصير بهمـا فى شغل شاغل عن التفرغ لعبادة الله وذكره ، كما يقع ذلك كثيراً لبعض المفتونين الغافلين عن الله تعالى .

فأمـا مَنْ طلب ذلك بنيـة صالحـة للاستـعانة به علـى الآخرة ، وصيانة الدين والنفس عن تعدِّى الظالمين ، وعن الحاجة إلى الناس ، ولم يشتغل بسبب ذلك عن عبادة الله تعالى وذكره ،ولم تفارقه التقوى والخوف من الله ،فذلك مما لا بأس به ولا حرج فيه ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وعلى كل حال ـ فـقلة الحرص على الجاه والمال ، وتركُ الرغـبة فيهما أسلم وأحوط ،وأقرب إلى التقوى ، وأشبه بَهدْى السلف الصالح .

من أعظم الآفات : الشحُّ والبخل

وأما الشحُّ والبخل : فقبيحان مهلكان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)] .

وقال تعـالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[(٢)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *اتقوا الشُّح ؛ فـإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم وستحلوا محارمهم* »[(٣)] .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *البخـيل بعيـد من الله ، بعيـد من الناس، بعيد من الجنة ، قريب من النار ..* » الحديث[(٤)] .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ .

(٣) [حديث صحيح . رواه مسلم من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) الحديث كاملاً : « السخى قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والجاهل السخـى أحب إلى الله من عابد بخـيل » وفى رواية « عالمٌ بخيل » [رواه الترمـذى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال التـرمذى: إنما هو عن عائشة مرسلاً] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *السخاء شجرة فى الجنة وأغصانها فى الدنيا ؛ فمن تعلق بغصن منها قاده إلى الجنة ؛ فلا يلج الجنة إلا سخىٌّ ،والبخل شجرة فى النار وأغصانها فى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها قاده إلى النار ، فلا يلج النار إلا بخيل* »(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ألا وإن كل جواد فى الجنة ، حتمٌ على الله وأنا به كفيل ، ألا وإن كل بخيل فى النار ،حتمٌ على الله وانا به كفيل* »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الجاهل السخىُّ أحبُّ إلى الله من العالم البخيل* »(٣) .

فقد علمت شدة ذم الشح والبخل وقبحهما :

والشح : هو البخل المفرط الشديد ، وهو كما قال بعض العلماء ـ رحمهم الله ـ : حرص الإنسان على أخذ ما فى أيدى الناس .

وأما البخل : فهو بخل الإنسان بما فى يده ، وغايته أن يبخل الإنسان بإخراج الحقوق الواجبة عليه فى ماله ، كالزكاة وما فى معناها ، ومن كان كذلك فهو البخيل حقاً ، المتعرض للذم والوعيد الواردين فى البخل .

وأما من بخل فى الإنفاق فى وجوه اخيرات ، وطرائق القرُبات مع التمكن من ذلك ـ فحاله أهون من حال الذى قبله ، ويسمى بخيلا

---

(١) [رواه الترمذى ، وابن حبان فى « الضعفاء » وابن عدى ، والدارقطنى فى « المستجاد » عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ والبيهقى ، وأبو نعيم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ والطبرانى فى « الأوسط » عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ] .

(٢) تتمة الحديث : قالوا : يا رسول الله من الجواد ومن البخيل ؟ قال : « **الجواد من جاد بحقوق الله عز وجل فى ماله ، والبخيل من منع حقا من حقوق الله ، وبخل على ربه ، وليس الجواد من أخذ حراماً وأنفق إسرافا** » [رواه الأصبهانى وهو غريب من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٣) سبق لنا تخريجه .

أيضاً لأنه آثر المال ورغب فى إمساكه ، وبخل ببذله فيما هو أرفع وأنفع له عند ربه : من الدرجات العلى ، والخيرات الباقية فى الدار الآخرة .

وما دام الإنسان يرجح إمساك المال على بذله فى محابِّ الله ومراضيه ، فهو غير خال عن شئ من البخل ، ولا يكون الإنسان جوادًا سخياً حتى يكون بذلك المال فى محابِّ الله أرجحَ عنده وأحب إليه من إمساكه ، فاعلم ذلك واعمل عليه ، والله يتولى هداك .

من الآفات المهلكة : الغرور

ومن المهلكات الغرور ـ ومعناه : أن يلبِّس الإنسان على نفسه ، ويريها الأمور على خلاف ما هى عليه ، وذلك لضعف بصيرته فى الدين، وقلة معرفته بحقائقه ، ولجهله بآفات الأعمال ومكائد الشيطان ، ولغلبة هوى النفس عليه ، وركونه إلى أمانيها وخُدَعها ، وقد قال الله تعالى محذِّراً لعباده من الغرور : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾(١) .

وقال تعالى فى وصف بعض المغترين : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى* »(٤) .

وأنواع الغرور كثيرة ، وأصناف المغترين من المطيعين ومن

---

(١) سورة فاطر : الآية ٥ . (٢) سورة الكهف : الآية ١٠٤ .

(٣) سورة الحديد : الآية ١٤ .

(٤) [رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم من حديث شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ قال السيوطى : صحيح] .

العاصين كثيرة .

ومن أمثال الغرور فى أهل الطاعات : أن يطلب الإنسان العلم ويسوِّف العمل ، ثم يحتج لنفسه بما ورد فى فضل العلم وفضل طلبه ، ويغفل عما ورد من الذم والوعيد الشديد فى حق من لا يعمل بعلمه .

ومنها - أن يتعلم ويعلِّم للرياسة والطمع فى الناس ، ويظن بنفسه أنه يتعلم ويعلِّم لله ، ولا يناقش نفسه ولا يختبرها بأحوال أهل الإخلاص .

ومنها - أن يكثر الصلاة والقيام ، وأفعال الخير ، ثم يعجَب بنفسه ، وينظر إلى حوله وقوته ،وينسى مِنَّة الله عليه فى توفيقه وهدايته ؛ والعُجب محبط للأعمال،أو يرائى بعبادته ويطلب بها المنزلة عند الناس ، ويظن بنفسه الإخلاص وإرادة التقرب إلى الله .

وقد قال أبو الدرداء[1] - رضى الله عنه - : حبذا نومُ الأكياس

---

(١) هو عويمر ، وقيل : عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى ، الفقيه الزاهد الحكيم ، أسلم يوم بدر . وشهد ما بعد أحد من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، واختلفوا فى شهوده أحداً ، والأصح أنه شهدها وأبلى فيها .
عن شريح بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ يوم أحد : « نعم الفارس عويمر » وقال : « هو حكيم أمتى » [رواه ابن سعد ، والحاكم ».
وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسى .
وكان - رضى الله عنه - تاجراً قبل البعث ، ثم حاول التجارة بعد الإسلام فلم يجتمعا ، وولى قضاء دمشق فى خلافة عثمان ، وقال ابن حبان : ولاه معاوية قضاء دمشق فى خلافة عمر .
يقول - رضى الله عنه - : إنى لأدعو لسبعين رجلاً من إخوانى فى صلاتى ، أسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم .
روى له عن رسول الله ﷺ (١٧٩ حديثاً) وروى عنه خلائق من التابعين ، منهم : خالد بن ثعبان ، وعلقمة بن قيس ،وزيد بن وهب ، وأسد بن وداعة ،وابنه بلال ، وزوجته أم الدرداء الصغرى ، وابو إدريس الخولانى ، وسويد بن غفلة ، وآخرون .
توفى - رضى الله عنه - بدمشق فى خلافة عثمان سنة إحدى - وقيل : ثنتين وثلاثين=

وفِطرُهم ! كيف يغبنُون سهر الحمقى وصومهم ؛ ولَذرَة من صاحب يقين وتقوى ، أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين .

ومن أمثال غرور العصاة : أن يعصى الإنسان ثم يتوب ، ويستغفر بلسانه من غير معرفة بشرائط التوبة وتحقيقها ، ثم يظن بنفسه أنه قد تاب وقد غفر الله له .

ومنها ـ أن يكثر المعاصى ويصرّ عليها ، ويقصر فى الواجبات ، ثم يحتج لنفسه بالقدَر ، وأنه لا اختيار له ولا قدرة على ترك ما قد كُتب عليه ؛ وهذا غرور عظيم ، والقائل به مبتدع وليس من أهل السنة .

ومنها ـ أمانى المغفرة مع التقصير عن امتثال الأوامر واجتناب المحارم ، وقولُ بعض العصاة والمقصرين: إن الله غنيٌّ عنا وعن أعمالنا ، وليس تضره الذنوب ، ولا تنفعه الطاعات ، وهذا الكلام حق أريد به باطل ، وقد ألقاه الشيطان على قلب هذا المتمنى ، وأجراه على لسانه ليقطعه به عن المغفرة ، وعن السعى لها الذى أمره الله به .

ومنها ـ اتكال بعض العصاة والمخلّطين على صلاح آبائهم وأجدادهم من أهل العلم والصلاح ، مع ترك الاقتداء بهم فى أخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم الصالحة ، وذلك من الغرور المذموم ، والحمق الفاحش .

ومنها ـ اغترار بعض العصاة برؤية الصالحين وخدمتهم ، وحسن الظن بهم ، مع المجانبة والمباعدة لما هم عليه من الخير والصلاح ، والملازمة لطاعة الله .

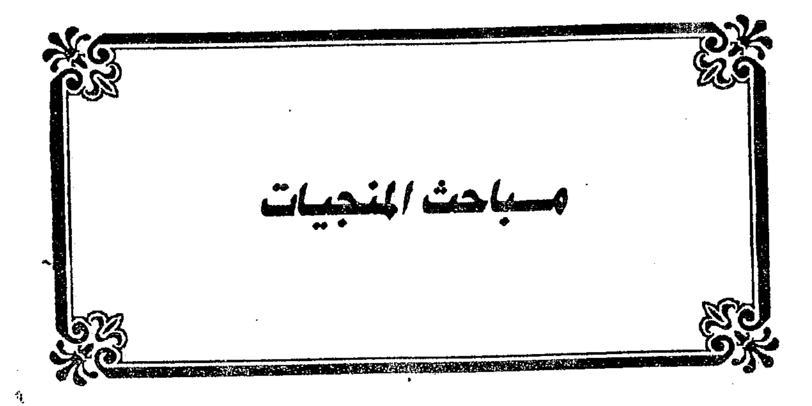
وأنواع الغرور كثيرة كما تقدم ، ولا يُنجِّى منها إلا الرجوعُ إلى

= من الهجرة، وقبره وقبر زوجته أم الدرداء الصغرى ـ بباب الصغير من دمشق ـ مشهوران وكان له امرأتان ، كل واحدة يقال لها : أم الدرداء ، صحابية وتابعية ، تزوج التابعية ـ واسمها هجيمة ـ بعد الصحابية ـ واسمها خيرة ـ .

راجع « تهذيب الأسماء » للنووى (٢ / ٢٢٨) « الإصابة » (٤ / ٦٢١) .

الله ، والاتكالُ على محض فضله وكرمه ، مع الجزم والاحتياط والتشمير في طاعته ، والجد والاجتهاد في عبادته ، ومع اجتناب معصيته ، والشكرُ له على ذلك مع الاعتراف بغـاية التقصير عـن القيام بأقل شئ من واجب حقه ، ومع مـلازمة الانكسار ، ونهايـة الافتقار إليه ؛ مـع دوام التضرع والدعاء ، ولزوم الاسـتغـفار آناء الليل والنهـار ، وما توفـيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *



مــباحث المنجيات

المنجيات

وأما المنجيات التى يجب تحلية القلب واتصافه بها فكثيرة ، فنذكرشيئاً من أمهاتها ومهماتها ، وننبه عليها بكلام مجمل وجيز ، إن شاء الله تعالى .

من أعظم المنجيات ـ التوبة

فمن أعظم المنجيات ـ التوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب .
وقد أمر الله عز وجل عباده بالتوبة ، ورغَّبهم فيها ، ووعدهم بقبولها فقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٥] .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام : « *التائب من الذنب كمن لا ذنب له* »[٦] .

وقال ﷺ: « ***إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ، حتى تطلع الشمس من مغربها*** »[٧] .

وقال ﷺ : « ***يا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا ، وصِلُوا الذى بينكم وبين ربكم***

---

(١) سورة النور : الآية ٣١ . (٢) سورة التحريم : الآية ٨ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٢ . (٤) سورة المائدة : الآية ٣٩ .
(٥) سورة الشورى : الآية ٢٥ . (٦) [حديث صحيح .رواه ابن ماجه، والطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ورواه ابن أبى الدنيا ، والبيهقى مرفوعاً من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .
(٧) [حديث صحيح .رواه مسلم،والنسائى عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ].

بكثرة ذكركم له »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ* »[2] ـ أى تبلغ روحه إلى الحلقوم حين الموت .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من تاب تاب الله عليه* »[3] .

شروط التوبة

(**ثم اعـلم**) ـ رحمـك الله ـ أن التوبة ليـست هى قـول العبـد بلسانه : أستغفر الله وأتوب إليـه ؛ من غير ندم بالقلب ، ومن غير إقلاع عن الذنب .

وقد ذكر العلـماء ـ رحمهم الله ـ للتوبة شـرائط لابد منها ، ولا تتم التوبة إلا بها ، وهى ثلاثة :

« **الأول** » ـ الندم بالقلب على الذنوب السالفة .

« **الثانى** » ـ الإقـلاع عن الذنب ، ومعناه أن لا يتـوب من ذنب وهو مقيم عليه وملازم له .

« **الثالث** » ـ العزم على أن لا يعود إلى الذنوب ما عاش ، وهذه الثلاثة لابد منهـا فى التوبة من الذنوب التى تكون بين العـبد وبين ربه ، ويزاد عليها « شرط رابع » فى الذنوب التى تكون بين العبد وبين غيره من العباد .

وبيان ذلك ـ أنه إن ظلم أحداً من الآدميين فى نفس أو عِرض أو مـال ، وجب عليه أن يرد حـقـه إليه بتـمكينه من القـصـاص فى المظالم النفسية ، ورد المظالم المالية ، وطلب الإحلال فى المظالم العِرْضِيَّة ، وعليه بذل جهـده فى ذلك وإمكانه ، وكذلك يجب عليـه إذا تاب من ترك شئ

(١) [رواه ابن ماجـه ، وابن عـدى فى « الضـعفاء » من حـديـث جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٢) [حديث حسن . رواه الترمذى ، وابن ماجه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [رواه مسلم من حـديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ولفظه « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** »] .

من الفـرائض اللازمـة كالصـلاة والزكـاة : أن يتدارك مـا فـاته من ذلك بالقضاء حسب الاستطاعة والإمكان .

فإذا تاب العبد من ذنوبه على الوجه الذى وصفناه ـ فينبغى له أن يكون بين الخوف والرجـاء ، ويرجو من ربه قبـول توبته بفضله وكـرمه ، ويخاف من عـدم قبول التـوبة ، مخافـة أنه لم يأت بالتوبة على وجهـها الذى أمره الله به ؛ فيكون غير تائب عند الله .

ويجب على كل مـؤمن وجوباً مـتأكـداً : أن يحتـرز من جمـيع الذنوب احترازاً كليا ، لأن فيها سخط الله ومقته ، وهى السبب فى جميع البليـات والهلَكات التى تحل بالعبـاد فى الدنيا والآخـرة ، ثم إن وقع فى شئ من الذنوب وجب عليـه أن يبـادر بالتـوبة إلى الله من ذنبـه من غيـر إصرار ، ولا إقامةٍ على الذنب ، ولا رضاً به .

وينبغى لكل مـؤمن : أن لا يزال تائباً إلى الله ، ومجـدداً للتوبة فى كل حال وحين ؛ وذلك لأن الذنوب كثيرة ،ومنها الصغائر ـ كبائر ، والذنوب الباطنة ، والذنوب الظاهرة ، وذنوب يعلمـها العبد ، وذنوب لا يعلمها ؛ وقد يؤاخذ بها من حيث إنه قصَّر فى طلب العلم بكونها ذنوباً ، أو من حيث إن لها مقدمات وسوابق داخلة فى العلم والاختيار .

الإكثار من الإستغفار

من المتـأكد المهم ـ الإكثـارُ من الإسـتـغفـار ؛ فقـد أمر الله به ، ورغَّب فيه فقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

وقـال تـعـالى لرسـوله ﷺ : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[2] .

وقال تعـالى فى وصف عباده المـصلين المحسنين : ﴿ وَبِالأَسْحَارِ

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٩ . (٢) سورة محمد : الآية ١٩ .

هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرَجا ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب* »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً* »[٣] .

وحسبك فى فضل الاستغفار ومنافعه وفوائده قولهُ تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٤] .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه نوح عليه السلام : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢)** ﴾[٥] .

فالتوبة والإستغفار من كنوز الخيرات ، ومن أعظم أبواب القربات والبركات ، ومن أوصال الوسائل إلى جميع خيرات الدنيا والآخرة ، فعليكم ـ رحمكم الله ـ بلزوم التوبة والإستغفار آناء الليل والنهار .

ثُم إن الشيطان لعنه الله قد يخدع بعض الأغبياء من المسلمين فيقول له : كيف تتوب وأنت لا تعرف من نفسك الثبات على التوبة ! وكم تعود إلى الذنب ! ويلقى عليه وساوس من هذا الجنس ، فليحذره المسلم ولا يغتر ، ولا يأخذ بتزويره وتلبيسه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام . « *ما أصرّ من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة* »[٦] .

---

(١) سورة الذريات : الآية ١٨ .

(٢) [رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .

(٣) [رواه النسائى فى « عمل اليوم والليلة » وابن ماجه من حديث عبد الله بن بسر ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٣٣ .

(٥) سورة نوح : ١٠ ، ١١ . ١٢ .

(٦) [حديث ضعيف . رواه أبو داود ، والترمذى عن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ] .

وعلى العبد أن يتوب ، ويسأل مـن ربه الإعانة والتثبيت ، ثم إن غلبتـه نفسه على العود إلى الذنب فَـلْيغْلبها على العـود إلى التوبة . والله الموفق والمعين .

من المنجيات ـ الرجاء والخوف

ومن المنجيات ـ الرجاء فى الله والخوف من الله .

والرجاء والخـوف من المقامات الشـريفة ؛ وقد وصف الله بهـما أنبياءه والمرسلين وأتباعهم بإحـسان من صالحى المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾[1] .

وقال تعـالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾[2] .

وقال تعـالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ** ﴾[4] .

وقال تعـالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ : « ***يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ..*** » الحديث[6] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٧ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٨ .
(٤) سورة الأنبياء : الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .
(٥) سـورة المؤمنون : الآية ٦٠ .
(٦) « **فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه** » [رواه البيهقى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تعـالى : يا ابن آدم ؛ إنك ما دعوتـنى ورجوتنى ، غفرتُ لك على مـا كان منك ولا أبالى ، ابنَ آدم ، لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، ابنَ آدم ، إنك لو أتيتنى بقُـراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقُـرابها مغفرة »(١).

وقال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى : وعـزتى، لا أجمع لعبدى خـوفين ولا أمْنين ، فإن هو خافنى فى الدنيا أمّنته يوم القـيامة ، وإن هو أمِننى فى الدنيا أخفْتُه يوم القيامة »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رأس الحكمة مخافة الله »(٣) .

ودخل ﷺ على شـاب يعوده وهو فى الموت فـقال له : « كيف تجدك ؟ » فقـال أخاف ذنوبى وأرجـو رحمة ربى ، فـقال عليـه الصلاة والسلام : « ما اجـتمعا فـى قلب عبد فى مـثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه مما يخاف »(٤) .

(واعلـم) ـ أن الخـوف زاجـر ، يزجـر الإنسـان عن المعـاصى والمخالفات ، والرجاء قائد ، يقود العـبد إلى الطاعات والموافقات ؛ فمن لـم يزجره خوفه عن معصية الله عزّ وجلّ ، ولـم يَقُدْهُ رجاؤه إلى طاعة الله تعالى ، كان خوفه ورجاؤه حديث نفس لا يُعتدّ بهما ،ولا يعول عليها ؛ لخلوهما عن ثمرتهما المقصودة ، وفائدتهما المطلوبة .

ثم الأفضل للمؤمن المستقيم على طاعة الله ـ أن يكون بين الخوف

(١) [رواه الترمذى من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ قال الترمذى : حديث حسن] .
(٢) [حديث ضعيف .رواه أبو نعيم فى «الحلية» عن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ] .
(٣) [حديث صـحيح . رواه الحكيم التـرمذى ، وابن لال عن ابن مـسـعود ـ رضى الله عنه ـ]
(٤) [رواه الترمذى وقال : غريب ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وقال النووى : إسناده جيد] .

والرجاء ، حتى يكونا كجناحى الطائر ، وكفّتى الميزان ، قال النبى ﷺ عليه وسلم : « *لو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه لا عتدلا* »(١) .

وأما المؤمن المخلّط الذى يخشى على نفسه من الوقوع فى ترك الطاعات ،وركوب المنهيات ـ فالأصلح له والأولى به،غلبة الخوف عليه ، فإن الخوف يقبض النفس ويزجرها عن طغيانها وتعدّيها ، ومن كان بهذا الوصف من غلبة النفس واستيلاء الشهوة ، وكان الرجاء مع ذلك غالباً عليه ، ربما كان سبباً فى هلاكه ، لأنه كلما ذكّر نفسه الأمارة بسعة رحمة الله ، وكثرة تجاوزه عن الذنوب ، ازدادت على الله تجرآً ، ومن طاعته تباعداً ، وفى معصيته وقوعاً ، فيهلك من حيث لا يشعر .

وقد وقع فى ذلك طوائف من عامة المسلمين المغترين بالله ، والرجاء على هذا الوصف هو الرجاء الكاذب ، وهو الاغترار بالله ، وليس من الرجاء المحمود فى شئ ، لأن الرجاء المحمود هو الذى يقود العبد إلى العمل بطاعة الله ، ويحمله على سلوك سبيل مرضاته .

(**فليحذر**) المؤمن الرجاء الذى يكون بهذه المثابة ، فإنه غرور من الشيطان ، وشرّ ساقه إليه فى معْرَض الخير .

وأما إذا نزل الموت بالإنسان ، فالأليق به غلبة الرجاء ، وحسن الظن بالله كيفما كان حاله ، لقوله عليه الصلاة والسلام . « **لا يموت** *أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله* »(٢) .

(**وليحذر**) المؤمن كل الحذر من الأمن من مكر الله ، ومن القنوط

---

(١) [هذا الحديث موجود فى « الدرر المنتشرة » للسيوطى(١٣٣) وفى « تذكرة الموضوعات» للفتنى ، و« الأسرار المرفوعة » للقارئ (٢٩٦) و « تنزيه الشريعة » لابن عراق (٢ / ٤٠٢) بلفظ « **لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه كانا سواء** » « موسوعة الأطراف » (٦ / ٧٨٨) .

(٢) [حديث صحيح . رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ] .

من رحمته ، قال تعالى : ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١] .

وقال تعالى ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾[٢] .

والأمن من مكر الله عـبارة عن تمحُّض الرجـاء ، وذهاب الخوف من الله بالكلية ، حتى لا يجوِّز أن الله يعذبه ويعاقبه .

وأمـا القنوط : فهـو عـبارة عن تمـحض الخوف وذهاب الرجـاء بالكلية، حتى لا يجوِّز أن الله يرحمه ويتجاوز عنه .

والأمنُ من مكر الله،والقنوطُ من رحمة الله : من كبائر الذنوب ، فاحذر منهـما أيها المؤمن ، وكن بين الخوف والرجـاء ، ولا تغتر بربك ، ولا تجترئ عليه ، فإن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم .

من المنجيات ـ الصبر على البلاء

ومن المنجـيـات العظيـمـة ـ الصبر عـلى بـلاء الله ، والشكر لنعماء الله ، والزهد فى الدنيا الشاغلة عن الله .

(أما الصبر) ففضائله عظيمـة ، وحاجة المؤمن إليه فى الأحوال كلّها داعيـة وعامة ، وما ورد فى الصبـر عن الله تعالى ، وعن رسول الله ﷺ من الأمر والترغيب : كثير منتشر ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[٥] .

وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾[٦] ، ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[٨] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٩٩ .
(٢) سورة الحجر : الآية ٥٦ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٥ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٤٦ .
(٦) سورة النحل : الآية ١٢٧ .
(٧) سورة الطور : الآية ٤٨ .
(٨) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[(١)] .

وقال رسـول الله ﷺ : « *من يصبـر يصبّره الله ، ومـا أعطى أحد عطاءً خيراً ولا أوسع من الصبر* »[(٢)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الصبر مِعْوَلُ المؤمن ، والصبر أميرُ جنود المؤمن* »[(٣)] .

وقال عليـه الصـلاة والسـلام : « *فى الصبـر على ما تكره خـير كثير* »[(٤)] .

وفى الخـبـر أو الأثر : « *إن الإيمان شطران : أحـدهمـا الصـبـر. والثانى الشكر* »[(٥)] .

فيحـتاج المؤمن حاجة شديدة إلى الصـبر عند ورود البلايا : من الشدائد والمصائب ، والفاقات والأذيات ـ بأن لا يجزع إذا نزل شئ منها ، بل يطمئن ويتوقر، ولا يضيق ولا يتضجر، ولا يشكو إلى الخلق؛ بل يرجع إلى الله بخشـوعه وخضوعـه ، ودعائه وتضرعـه ، ويحسن الظن بربه ، ويعلم يقيناً أن الله تعالى لم ينزل به ذلك البلاء إلا وله فيه خير كثير : من رفع الدرجات ، وزيادة الحسنات ، وتكفير السيئات، كما وردت بذلك الأخبار الشهيرة الكثيرة .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *ما يصـيب المؤمنَ من نَصَب، ولا وَصَب، ولا هَمٍّ حتى الشوكة يشاكها، إلا كفّر الله به من سيئاته* »[(٦)] .

ويحتاج المؤمن إلى الصبر حاجةً شديدةً عند فعل الطاعات ؛ بأن

(١) سورة الزمر : الآية ١٠ .
(٢) [متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ] .
(٣) قال الحافظ المنذرى : ذكره رزين العبدرى ، ولم أره .
(٤) [رواه الترمذى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ] .
(٥) [رواه أبو منصور الديلمى فى « مسند الفردوس » عن أنس ـ رضى الله عنه ـ ولفظه « **الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر** »] .
(٦) [متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ] .

لا يكسل عنها، وبأن يؤديها كما أمره الله من كـمال الحضور مع الله فيها ، والإخلاص لله ، وأن لا يكون بهـا مرائيـاً ، ولا متصنّعـاً للخلق ، ومن شأن النفس التـثاقل عن الطاعـة ، والتكاسل عنها ؛ فيـحتاج العـبد إلى إكراهها على ذلك بحسن الصبر .

ويحـتاج المؤمن إلى الصبـر حاجـةً شديـدةً فى كفٍّ نفســه عن المعاصى والمحرمات ، لأن النفس قد تدعو إليها ، وتتحدث بالوقوع فيها ، فيمنعهـا بحسن صبره عن فعل المعاصى ظاهراً ، وعن الـتحدث بها والميل إليها باطناً .

ويحتاج المؤمن حاجةً شديدةً إلى الصـبر عن الشهوات المباحات، التى تكون رغبة النفس فـيها مقصورة على التلذذ والتـمتع بالدنيا المجرد ؛ فإن الإنهماك فى ذلك ، والاسترسال معه يجرُّ إلى الشبهات والمحرمات ، ويكثر الرغـبة فى الدنيـا ، ويهيج الحرص عليـها ، ويحـمل على الإيثار للدنيا والأنس بها ، وعلى نسيان الآخرة والغفلة عـنها ؛ فـقـد عرفـت ـ رحمك الله ـ بماذكرناه حاجة المؤمن إلى الصبر فى عموم أحواله ، ودوام أوقاته ، فعليك به تفز بكل خير ، وتظفر بكل سعادة .

من المنجيات ـ الشكر على النعماء

(**وأما الشكر**) فهو من المقامات الشريفة ، والمنازل الرفيعة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾(٢) .

وقـال تعـالى : ﴿ اعْـمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِـبَـادِيَ الشَّكُورُ ﴾(٣).

وقال تعالى﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾(٤) .

(١) سورة النحل : الآية ١١٤ (٢) سورة سبأ : الآية ١٥ .
(٣) سورة سبأ : الآية ١٣ . (٤) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

وقال رسول الله ﷺ : « *من أعطىَ فشكر ، وابتُلي فصبر ، وظُلِمَ فغفر ، وَظَلم فاستغفر - ثم سكت عليه الصلاة السلام ، فقالوا : ماله يا رسول الله ؟ قال : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون* »[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً* » الحديث[(٢)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *أول من يدعى إلى الجنة الحمّادون الذين يحمَدون الله على كل حال* »[(٣)] .

وما ورد في فضل الشكر وفي الأمر به كثير .

وأصل الشكر - معرفة العبد بأن جميع ما به من النعم ، وما عليه منها في ظاهره وباطنه من الله تعالى ؛ تفضلا منه سبحانه وامتناناً .

ومن الشكر - الفرح بوجود النعم من حيث إنها وسيلة إلى العمل بطاعة الله ، ونيل القرب منه .

ومن الشكر - الإكثار من الحمد لله، والثناء عليه تعالى باللسان ؛ قال ﷺ : « *لو أعطى رجل من أمتي الدنيا بأسرها ، ثم قال الحمد لله ، كان قوله الحمد لله أفضل من ذلك كله* » الحديث[(٤)] .

---

(١) لم أعثر على من خرجه .

(٢) « وزوجةً مؤمنة تعينه على آخرته » [رواه الترمذي وحسّنه ، وابن ماجه و اللفظ له ، وفيه انقطاع] « المغنى » (٢ / ٣١) .

(٣) وفي لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » [رواه الطبراني ، وأبو نعيم في « الحلية » والبيهقي في « الشعب » من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -] .

وأخرج مسلم في « صحيحه » عن صهيب - رضي الله عنه - قال : « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سرّاء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

(٤) لم أعثر على من خرّجه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *الحمد لله تملأ الميزان* »(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة، ويشرب الشّربة فيحمده عليها* »(٢) .

ومن الشكر - العمل بطاعة الله - وأن يستعين بنعم الله على طاعته وأن يضع نعم الله فى مواضعها التى يحبها الله - وذلك هو غاية الشكر ونهايته ، وأن لا يتكبر بالنعم ، ولا يفتخر بها على عباد الله ، ولا يبغِ ولا يطغَى ، ولا يتعدى على العباد ، ومن فعل شيئاً من ذلك فقد كفر النعمة ولم يشكرها ، والكفرانُ سبب لسلب النعم وتبدلها بالنقم .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٣) أى بتركهم الشكر عليها .

فالتارك للشكر متعرض للسلب والهلاك، والشاكر متعرض للخير والمزيد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٤) .

ومن الشكر - تعظيم النعمة وإن كانت صغيرة ، نظراً إلى عظمة المنعم بها تبارك وتعالى ، ثم إن لله على عبده نعماً كثيرة لا تعدُّ ولا تحصى ، والعبد عاجز عن إحصائها فضلا عن القيام بشكرها ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٥) .

(وينبغى) للإنسان - أن لا ينظر إلى من فُضِّل عليه فى النعم على

---

(١) الحديث كاملاً : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك ، أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها » [رواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى من حديث أبى مالك الأشعرى - رضى الله عنه -] .

(٢) [رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث أنس - رضى الله عنه - وهو صحيح] .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٥٣ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

(٥) سوره النحل : الآية ١٨ .

سبيل الغبطة والاستكثار؛ فإنه ربما يزدرى نعمة الله تعالى عليه ويستحقرها، فلا يشتغل بشكـرها ، فيكون ذلك سبباً لسلبها عنـه ، وتحويلها منه، فلا يُعطَى الكثير الذى غبَط عليه أخاه ، ويُسلب مع ذلك القليل الذى قد أعطاه مولاه لتركه الشكر ، وعدم حفظه للأدب مع ربه ، وفى الحديث : « *انظروا إلى من هو دونكم،فهو أجدر أن لا تزدَرُوا نعمة الله عليكم* »[1] .

وقد فضل الله بعض العباد على بعض لأسرار له فى ذلك ، وحكم لا يطّلع عليها سواه، ولمنافع ومصالح لهم لا يحيط بعلمها غيره.

فلْيرضَ العبد بقسمة ربه ، وليشكره على ما أعطاه من نعمه ، وليسأله المزيد من فضله ؛ فإن خزائن السموات والأرض فى قبضته ، وجميع الخير بيده ، يفعل ما يشاء ، وهو على كل شئ قدير .

من المنجيات ـ الزهد فى الدنيا

(وأما الزهد فى الدنيا) فإنه من أفضل المنجيات ، وأجلّ القربات ، وقد قال الله تعالى مزهّداً لعباده فى الدنيا ﴿ **إنَّا جعلْنَا ما علَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عملاً (٧) وإنَّا لجاعلُون ما علَيْها صعيدا جُرُزًا (٨)** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **ومَا أُوتيتُم مّن شيْءٍ فمتَاعُ الْحيَاة الدُّنْيا وزينتُها ومَا عندَ اللَّه خيْرٌ وأَبْقَىٰ أَفَلا تعْقلُون (٦٠) أَفَمن وعدْنَاهُ وعْدًا حسنًا فهُو لاقيه كَمن متَّعْنَاهُ متَاعَ الْحَيَاة الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يوْمَ الْقيَامَة من الْمُحْضرين (٦١)** ﴾[3] .

وقال الله تعالى : ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧)** ﴾[4] .

---

(١) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ] .

(٢) سورة الكهف : الآيتان ٧ ، ٨ .

(٣) سورة القصص : الآيتان ٦٠ ، ٦١ .

(٤) سورة الأعلى : الآيتان ١٦ ، ١٧ .

وقال رسول الله ﷺ : « **ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس** »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعدَّ نفسك من أهل القبور** »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من أحب آخرته أضر بدنياه ، ومن أحب دنياه أضر بآخرته ؛ فآثروا ما يبقى على ما يفنى** »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من أصبح وهمُّه الآخرة جمع الله عليه أمره ، وحفظ عليه ضيعته ،وأتته الدنيا وهى راغمة ..** » الحديث[4] .

وحقيقة الزهد - خروج حب الدنيا ، والرغبة فيها عن القلب ، وهوانُ الدنيا على العبد ؛ حتى يكون إدبار الدنيا وقلة الشئ منها أحب إليه وآثر عنده من إقبال الدنيا وكثرتها .

هذا من حيث الباطن ، وأما من حيث الظاهر فيكون الزاهد منزوياً عن الدنيا ، ومتجافيا عنها اختيارا مع القدرة عليها ، ويكون مقتصرا من سائر أمتعتها : مأكلا وملبسا ومسكنا ، وغير ذلك على مالابد منه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « **ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب** »[5] .

فأما من أحب الدنيا بقلبه ، ورغب فيها ، وسعى لجمعها ، يقصد بذلك التنعم والتمتع بشهواتها ، فهو من الراغبين فى الدنيا ، وليس من الزهد فى شئ .

فإن مال إلى الدنيا ورغب فيها ، لا لتنعم ولكن لينفقها فى وجوه

---

(١) [رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدى - رضى الله عنه -] .

(٢) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - ورواه البخارى من غير زيادة : « وعد نفسك .. الحديث »] .

(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والحاكم عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه -] .

(٤) [رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت - رضى الله عنه - بسند جيد ، والترمذى من حديث أنس - رضى الله عنه - بسند ضعيف نحوه] .

(٥) سبق لنا تخريجه .

الخيرات والقربات ؛ فهو على خير إن وافق عمله نيته ، ولا يخلو فى ذلك من خطر .

وأما من طلب الدنيا ورغب فيها فلم يتيسر له، ولم يحصل على مطلوبه منها فبقى فقيراً لا شئ له ؛ فهذا هو الفقير وليس بالزاهد ؛ وله فى فقره فضل وثواب عظيم إن صبر عليه ورضى به .

وأما من تبسط فى الدنيا وتوسع فى شهواتها ، وادعى مع ذلك أنه غير راغب فيها ،ولا محب لها بقلبه ؛ فهو مدع مغرور ، لا تقوم له حجة بدعواه ،وليس له فى حالته تلك قدوة يقتدى به من الأئمة المهتدين، والعلماء الصالحين ،لا من السلف ولا من الخلف .فاعلم ذلك والله يتولى هداك .

من المنجيات ـ التوكل على الله تعالى

ومن المنجيات الشريفة ـ التوكلُ على الله ، والحبُّ لله ، والرضا عن الله ، وحسنُ النية مع الله، والإخلاصُ فى الظاهر والباطن لله .

(**أما التوكل على الله**) فهو من أشرف مقامات الموقنين ، وأعز ثمرات اليقين ؛قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *ولو توكّلتم على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصاً وتروح بِطاناً* »[6] .

---

(١) سورة النمل : الآية ٧٩ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .
(٣) سورة إبراهيم : الآية ١١ .
(٤) سورة المائدة : الآية ٢٣ .
(٥) سورة النساء : الآية ٨١ .
(٦) [رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم من حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ] .

وفى المأثور : « *حسبنا الله ونعم الوكيل* » قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قذف في النار ، وقالها محمد ﷺ والمؤمنون حين قيل لهم: ﴿ **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾[1] .

وقال بعض السلف الصالح ـ رحمه الله ـ : من رضى بالله وكيلا وجد إلى كل خير سبيلا .

وأصل التوكل : يقين القلب بأن الأمور كلها بيد الله وفى قبضته، وأنه لا ضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع غير الله ، ثم طمأنينة القلب وسكونه إلى وعد الله وضمانه ، حتى لا يضطرب ولا يتزلزل عند ورود الشدائد والفاقات ، وحتى لا يفزع ولا يرجع فى المهمات والملمات إلا إلى الله تعالى ، وإن رجع فى شىء من ذلك إلى الخلق ، كان فى الظاهر دون الباطن ، ويكون على موافقة الأمر الإلهى المشروع .

التوكل لا يقتضى ترك الأخذ بالأسباب

وليس شرط المتوكل أن يكون متجرداً عن أسباب الدنيا ، بل قد يكون ملابساً مع التوكل، ولكنه يكون معتمداً على الله لا على الأسباب.

وعلامة صدقه فى ذلك : أن لا يسكن إليها ، ولا يطمئن بها فى حالة وجودها ، ولا يتزلزل ولا يضطرب عند فقدها وتشوشها .

وقد يكون العبد متجرداً عن أسباب الدنيا ، وهو غير متوكل ، مهما كان متعلقاً بالأسباب ، وملتفتاً إلى الخلق وطامعاً فيهم .

ثم إن الأسباب على قسمين : دينية ودنيوية .فالأسباب الدينية : مثل العلوم النافعة ، والأعمال الصالحة التى لابد منها ؛ فلا بد لكل مسلم من إقامة تلك الأسباب والعمل بها ، مع الاعتماد على الله دونها .

(١) [رواه الإمام أحمد ، والطبرانى ، والبيهقى فى « الدلائل » وغيرهم] . والآية المذكورة من آل عمران : الآية ١٧٣ .

وأمــا الأسبــاب الدنيوية : فكــالحِرف والصناعــات ، وسائر مــا يتسبب به الناس لتحصيل معايشهم .

وهذه الأسباب لا يجـوز للإنسان ترك ما يحتــاج إليه منها ، ولا يستغنى عنه ، إلا إن كان عاجزاً لا يسـتطيع السعى والحركة ، أو كان ممن أقيم فى ذلك من عباد الله أهل المعرفة واليقين

وعلى كل حال فليس يجوز للإنسان أن يترك السبب لمعاشه الذى لابد له منه ، إلا إن كان عاجزا ، أو ممن أقيم فى التجريد من أهله

ويحرم علــى الإنسان أن يقعــد عن الاكتســاب الذى يقــدر عليه ويحتاج إليه ، ويترك نفسه وعيــاله ضباعاً يسألون الناس ويتشوّفون إلى مابين أيديهم

وقد قال عليــه الصلاة والسلام « *كفى بالمرء إثمــا أن يضيّع من يعول* »[1] والله سبحانه أعلم

من المنجيات ـ الحب فى الله تعالى

وأما الحب فى الله فــهو من أشرف المقــامات وأرفعهــا ، قال الله تعالى ﴿ والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهم ويُحبُّونه ﴾[3]

وقال علــيه الصلاة والســلام « *ثلاثة من كن فــيه وجد حــلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما* » الحديث[4]

وقال عليه الصلاة والسلام « *أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه . وأحبونى بحب الله* »[5]

---

(١) [حديث صحيح رواه الإمام أحمــد ، وأبو داود ، والحاكم ، والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ]

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٥ . (٣) سورة المائدة : الآية ٥٤

(٤) تتمة الحديث : « وأن يحب المرء لا يحبــه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفــر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » [رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، والأربعة إلا أبا داود من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ] .

(٥) « وأحبوا أهل بيتى لحبى » [حديث صحيح . رواه الترمذى ، والحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ]

ومعنى الحب لله تعالى : ميل وتعلق وتألُّه ، يجده العبد فى قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيع ، مصحوباً بنهاية التقديس والتنزيه ، وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى ، لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ، ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، نبهنا على هذا لأن بعض العامة الذين لا بصائر لهم إذا سمعوا بأحوال أهل الله وبأذواقهم فى محبة الله ـ قد تسبق إلى قلوبهم وأفهامهم وساوس وأوهام عظيمة الخطر ، شديدة الضر ، ثم إن من صدق فى محبة الله تعالى دعاه ذلك إلى إيثار الله على ما سواه ، وإلى التشمير لسلوك سبيل قربه ورضاه، وإلى الجد فى طاعته ، وبذل الاستطاعة فى خدمته ، وترك ما يشغل عن ذكره ، وحسن معاملته من كل شيء .

ومن أعظم ما يدل علي محبة الله : حسن الاتباع لرسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

من المنجيات ـ الرضا عن الله تعالى

(وأما الرضا من الله) فهو حال شريف عزيز ، قال الله تعالى : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط* »(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إن الله بحكمته جعل الرَّوح والفرج فى اليقين والرضا، وجعل الضيق والحرج فى الشك والسخط* »الحديث(٤) .

(١) سورة آل عمران : الآية ٣١ .   (٢) سورة المائدة : الآية ١١٩ .

(٣) [رواه ابن ماجه ، والترمذى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ وقال: حديث حسن غريب ، ورواه الإمام أحمد بلفظ : « إذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جذع فله الجزع » ورواته ثقات] .

(٤) [رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ولفظه : « إن الله عز وجل=

والراضى عن الله :هو الراضى بقضائه،فمهما قضى عليه سبحانه بما يخالف هواه ، وبما لا تشتهيه نفسه من مصيبة فى نفس أو مال ، أو بليَّة أو شدة أو فاقة ، فعليه أن يرضى بذلك ، ويطيب نفساً ، ولا يسخط قضاء الله ولا يجزع ، ولا يتبرم ، فإن الله تعالى له أن يفعل فى ملكه ما يشاء ، وليس له فى سلطانه منازع ولا معارض .

(وليحذر) العبد عند ذلك : من لو ، ولِمَ ، وكيف .

(وليعلم) أن الله تعالى حكيم عادل فى جميع أفعاله وأقضيته ، وأنه لا يقضى لعبده المؤمن بشىء وإن كرهته نفسه إلا ويكون له فيه خير وخيرة ، وعاقبة حسنة .

فليحسن ظنه بربه ، وليرض بقضائه ، وليرجع إليه بذلّه وافتقاره، ويقف بين يديه بخضوعه وانكساره ، وليكثر من حمده والثناء عليه فى يسره وعسره ، وشدته ورخائه . والحمد لله رب العلمين

من المنجيات ـ حسن النية والإخلاص لله تعالى

(وأما حسن النية والإخلاص لله) فذلك من أعظم المنجيات وأهمها ؛ قال الله تعالى : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « *إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل*

= بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين ،وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط »] « المغنى » (٤ / ٣٤٧) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٩ .

(٣) [حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، والبخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والبيهقى من حديث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ] .

امرئ ما نوى »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « إنما يبعث الناس على نياتهم »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من غزا ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « نية المؤمن خير من عمله »[٣] .

وذلك لأن النية عمل القلب ، والقلب أشرف من الجوارح فكان علمه خيرا من علمها ، ولأن النية تنفع بمجردها ، وأعمال الجوارح بدون النية لا نفع لها، وفى الحديث : « من هم بحسنة ولم يعمها كتبها الله عنده حسنة كاملة »[٤] .

(فعليك) - رحمك الله - بحسن النية وبإخلاصها لله ، ولا تعمل شيئا من الطاعات إلا أن تكون ناويا به التقرب إلى الله ، وابتغاء وجهه ، وطلب رضاه ، وإرادة الثواب الأخروى الذى وعد به سبحانه على تلك الطاعة من باب الفضل والمنة .

ولا تدخل فى شىء من المباحات - حتى الأكل والشرب والنوم - إلا وتقصد بذلك الاستعانة على طاعة الله ، وحصول التقوِّى به على عبادته تعالى ، فبذلك تلحق المباحات بالطاعات ، فإن للوسائل أحكام المقاصد ، والمغبونُ من غُبِن فى حسن النية .

(واجعل) لك فى طاعاتك ومباحاتك نيات كثيرة صالحة ،

---

(١) [حديث حسن . رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -] .

(٢) سبق لنا تخريجه فى مبحث الجهاد .

(٣) [رواه الطبرانى فى « الكبير » من حديث سهل بن سعد ، والنواس بن سمعان - رضى الله عنهما - والديلمى فى«المسند»من حديث أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه -] « الأشباه والنظائر » (ص٨) .

(٤) [حديث صحيح . رواه البخارى ، ومسلم من حديث أبى هريرة ، وابن عباس - رضى الله عنهم -] .

يحصل لك بـكل واحدة منها ثواب تام من فـضل الله ، وما عـجزت عنه من الطاعات والخيرات ، ولم تتمكن من فـعله فانوه واعزم على فعله عند الاستطاعة ، وقُل بصدق وعـزم وصلاح نية : لو استطعته لفـعلته ، فقد يحصل لك بذلك ثواب الفـاعل ـ كما بلغنا أن رجلا من بنى إسـرائيل مرَّ فى وقت مجـاعة على كُـثبـان من رمل ، فقـال فى نفسه : لـو كان هذه طعامـاً ، وكان لى لقـسمـته على الناس ، فـأوحى الله إلى نبيـنهم « قل لفلان: قد قبل الله صدقتك ، وشكر لك حسن نيتك » .

وفى المـأثور : *« إن الملائكة إذا صـعدوا بصـحيـفة العبـد إلى الله تعالى ، يقول الله سبحانه لهم : اكتبوا له كذا وكذا . فيقولون : إنه لم يعمله . فيقول تعالى « إنه نواه »* [١] .

وقال تعالى فى الإخلاص : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : « ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [٣] .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام : *« أخلص دينك يُجزك العمل القليل »* [٤] .

وسئل عليه الصـلاة والسـلام عن الإيمان فقال : *« هو الإخلاص لله »* [٥] .

---

(١) الحديث كاملاً : *« إن العبد ليعمل أعملاً حسنة فتصعد بها الملائكة فى صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول : القوا هذه الصحيفة ، فإنه لم يرد بما فيها وجهى . ثم ينادى الملائكة : اكـتبوا له كـذا وكذا ، اكتبو له كذا وكـذا . فيقـولون : يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك ، فيقول الله تعالى : إنه نواه »* [رواه الدارقطنى من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ بإسناد حسن] .

(٢) سورة البينة : الآية ٥ . (٣) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٤) عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال : ـ أى حين بعث إلى اليمن ـ: يا رسول الله أوصنى : قال : « أخلص دينك يكفك العمل القليل » [رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وأبو منصور الديلمى فى « مسند الفردوس »] .

(٥) لم أعثر على من خرجه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان منها خالصاً له ، وابتُغى به وجهه** »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من أخلص لله أربعين يوماً أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه** »[٣] .

ولمعنى الإخلاص : أن يكون قصد الإنسان فى جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب إلى الله ، وإرادة قربه ورضاه ، دون غرض آخر من مراءاة الناس ، أو طلب محمدة منهم ، أو طمع فيهم .

قال سهل بن عبد الله التُّسترى ـ رحمه الله تعالى ـ : نظر الأكياس فى تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا : أن تكون حركته وسكونه فى سره وعلانيته لله تعالى ، لا يمازجه شىء : لا نفسُ ولا هوى ولا دنيا. (انتهى) .

فالذى يعمل لقصد التقرب إلى الله ، وطلب مرضاته وثوابه : هو المخلص .

والذى يعمل لله ولمراءاة الناس هو المرائى : وعمله غير مقبول .

والذى يعمل لمراءاة الناس فقط ، ولولا الناس لم يعمل أصلاً أمره خطر هائل ، ورياؤه رياء المنافقين ـ نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية من جميع البليات .

من المنجيات ـ الصدق مع الله تعالى والمراقبة له

ومن المنجيات الفاضله الصدق مع الله ، والمراقبة لله ، وحسن التفكر ، وقصر الأمل ، وكثرة ذكر الموت ، والاستعدادُ له .

(١) [رواه ،أبو داود ،والنسائى من حديث أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ وإسناده جيد] .

(٢) [رواه ابن عدى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وذكره رزين العبدى فى « كتابه » قال الحافظ المنذرى : ولم أره فى شئ من الأصول التى جمعها ، ورواه الحسين بن الحسين المروزى فى « زوائده » فى كتاب « الزهد » لابن المبارك ، وأبو الشيخ ابن حبان مرسلاً] .

(أما الصدق) فقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (٢) .

وقال تعـالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَـالٌ صَدَقُوا مَا عَـاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ (٤) .

وقال عليه الـصلاة والسلام : « *الصدق يـهدى إلى البـر ، والبر يهدى إلى الجنة ، وما يزال العبد يصـدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً . والكذب يهـدى إلى الفجور ، والفجـور يهدى إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّابا* » (٥) .

وأول الصدق ـ مجانبة الكذب في جميع الأقوال ؛ ثم إن للصدق مدخلا فى جميع الأعمال والنيات ، والأحوال والمقامات .

ومعنى الصـدق فيها : الثبـات عليها ، والإتيان بهـا على الوجه الأحسن الأكمل الأحوط ، مع بذل الاستطاعة ، ونهاية الجد والتشمير لله فى الظاهر والباطن .

(وأما المراقـبة لله) فمعناها : اسـتشعار قـرب الله من العبد على الدوام ، وإحاطته به ، ومعيتـه له ، اطلاعه عليه ، ونظره إليه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ (٦)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١٩ . (٢) سورة المائدة : الآية ١١٩ .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ . (٤) سورة الأحزاب : الآية ٢٤ .
(٥) [متفق عليه من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وقد تقدم] .
(٦) سورة الأحزاب : الآية ٥٢ . (٧) سورة طـه : الآية ٤٦ .

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢] .

وقال ﷺ : « *الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك* » [٣] .

فالمراقبة من مقام الإحسـان ، ومن تحقق بها أثمرت له الخشية لله تعالى ، والحياء من الله تعالى (وضدها) أن يراه (الله) حيث نهاه ، ويفقده حيث أمـره ، أو يراه متثاقلاً عن طاعته ، متكاسلا عن عبادته ، مشتغلا عن خدمته ، غافلا عن ذكره وحسن معاملته

من المنجيات ـ حسنُ التفكر واستقامته

(وأما حسن التفكر واستقامته) ففيه منافع كثيرة ، وفوائد عظيمة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ [٤]

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [٥]

وقال تعالى : ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [٦]

وروى عن النبى ﷺ : « *تفكُّرُ ساعة خير من عبادة سنة* » [٧]

وقال على كرم الله وجهه . لا عبادة كالتفكر

---

(١) سورة ق : الآية ١٦ . (٢) سورة الحديد : الآية ٤

(٣) [رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ] .

(٤) سورة البقرة : الآيتان ٢١٩ ، ٢٢٠ . (٥) سورة الرعد : الآية ٣ .

(٦) سورة يونس : الآية ١٠٣ . (٧) [رواه ابن حبان فى « كتاب العظمة » من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ لكن بلفظ : « ستين سنة » وإسناده ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى « الموضوعات » ورواه أبو منصور الديلمى فى « مسند الفردوس » من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ بلفظ : « ثمانين سنة » وإسناده ضعيف جداً ، ورواه أبو شيخ من قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما بلفظ : « خير من قيام ليلة »] أفاده الحافظ العراقى فى « المغنى » (٤ / ٤٢٣) .

والفكر على أنواع كثيرة ، وأشرف أنواعه وأفضلها : الفكر فى أفعال الله وآياته ، وعجائب مصنوعاته فى أرضه وسمواته ، ومن أحسن التفكر فى ذلك أثمر له زيادة المعرفة بالله ، وهى الإكسير الأكبر .

ومن أنواعه ـ التفكرُ فيما لله عليك من النعم والآلاء الدينية والدنيوية ؛ وحسنُ التفكر فى ذلك يثمر زيادة الحب لله ، ويحُث على الشكر لله .

ومن أنواعه ـ أن تتفكر فى عظم حق الله عليك ، وكثرة تقصيرك عن القيام بحقوق ربوبيته ، وحسن التفكر فى ذلك يثمر الخوف والخشية والحياء من الله تعالى ، ويبعث على التشمير والجد فى طاعته وإقامة حقه تعالى .

ومن أنواعه ـ التفكر فى الدنيا وسرعة زوالها ، وكثرة أكدارها وأشغالها ، وحسنُ التفكر فى ذلك يثمر الزهد فى الدنيا ، والتجافى عنها وقلة الرغبة فيها .

ومن أنواعه ـ التفكر فى الآخرة وبقائها ، وفى نعيمها ودوام لذاتها وسرورها ، وحسنُ التفكر فى ذلك يثمر إيثار الآخرة ، وكثرة الرغبة فيها ، والتشمير فى العمل لها .

ومجارى الفكر كثيرة ، وكلما كانت بصيرة العبد أنفذ ، وكان علمه أغزر وأوسع ، كان تفكيره أعظم وأكثر .

من المنجيات ـ قصر الأمل وكثرة ذكر الموت

(**وأما قصر الأمل وكثرة ذكر الموت والاستعداد له**) فنفع ذلك عظيم ، وفضله كثير ؛ فإن من قُصر أمله ، وكثر للموت ذكره ، جدَّ فى صالح العمل ، وترك التسويف والكسل ، وزهد فى الدنيا ورغب فى العقبى ، وبادر بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى ، وتباعد عما يشغله عن طاعة الله وعن سلوك سبيل مرضاته .

ومن طال أمله ، وقلَّ للموت ذكره ،كان على الضد من ذلك .

وقد ذكـرنا فى أوائل هذا التـصنيف ـ قبـيل الكلام على العلم ـ طرفاً صالحاً فى فـضل قصر الأمل ؛ واستشعـار قرب الأجل ، وما يتعلق بذلك ، فأغنانا ذلك عن إطالة الكلام فيه ههنا .

وعن الحســن البصرى ـ رحمه الله ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ***أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم يارسول الله، قال:« قصِّروا فى الأمل، وأثبتوا آجالكم بين أبصاركم ، استحيوا من الله حقَّ الحياء*** » [1] .

وكان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه : « ***اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خـير الآخرة ، وأعوذ بك من حـياة تمنع خير الممـات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل*** » [2] .

وقالت عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ :« يا رسول الله ، هل يحشر مع الشهـداء غيرهم ؟ فـقال : « نعم ، من يذكر الموت فـى اليوم والليلة عشرين مرة » [3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ***أكثروا من ذكر هازم اللذات ، فإنه يمحِّص الذنوب ويزهّد فى الدنيا*** » [4] .

ولما سئل عليه الصلاة والسلام عــن معنى الشرح المذكور فى قوله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسـلام فهو على نورمن ربِّه** ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : « ***إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصـدر وانفسح*** » قيل : فــهل لذلك من علامــة ؟ قال : نعم « ***التـجافى عن دار الغـرور ،***

---

(١) [رواه ابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » من حديث الحسن مرسلاً] .
(٢) [رواه ابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » من رواية حوشب عن النبى ﷺ] .
(٣) ذكره الغزالى فى « الإحياء « (بيان فضل ذكر الموت) (٤/ ٤٥٠) .
(٤) تتمـة الحديث : « فإن ذكرتموه عند الغنــى هدمه ، وإن ذكرتموه عند الفقـر أرضاكم بعيشكم » [رواه ابن أبى الدنيا عن أنس ـ رضى الله عه ـ قال السيوطى: ضعيف] .

والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله » [١] .

قال الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ فى « البداية » : وتفكَّر فى قصر عمرك ، وإن عشت مثلا مائة سنة بالإضافة إلى مقامك فى الدار الآخرة وهى أبد الآباد .

(وتأمل) أنك كيف تتحمل المشقة والذل فى طلب الدنيا شهراً أو سنة ، رجاء أن تستريح بها عشرين سنة ، فكيف لا تتحمل ذلك أياماً قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد .

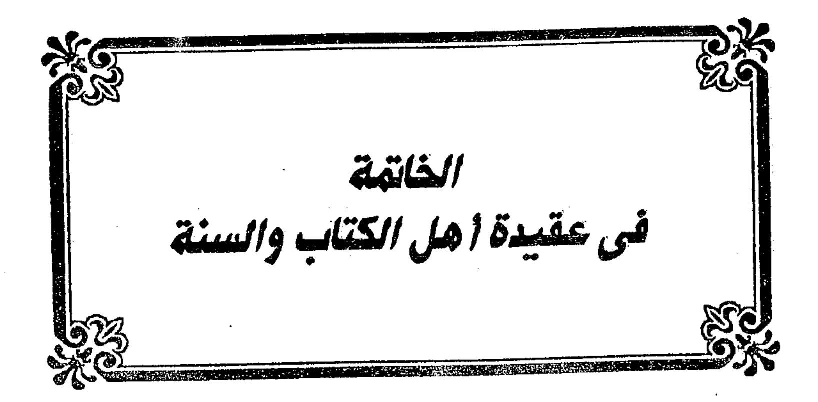
ولا تطوِّل أملك فيثقل عليك عملك ؛ وقدِّر قرب الموت ، وقل فى نفسك : أتحمل المشقة اليوم فلعلى أموت الليلة ، وأصبر الليلة فلعلى أموت غداً ؛ فإن الموت لا يهجم فى وقت مخصوص وحال مخصوص ، ولابد من هجومه ، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة ، ولعله لم يبق من أجلك إلا نفس واحد أو يوم واحد .

فكرر هذا على قلبك كل يوم ، وكلِّف نفسك الصبر على طاعة الله يوماً يوماً ، فإنك لو قدَّرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى ، نفرت واستعصت عليك .

فإن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له ، وإن سوّفت وتساهلت جاءك الموت فى وقت لا تحتسبه ، وتحسرت تحسراً لا آخر له ـ وعند الصباح يحمد القوم السُّرَى ، وعند الموت يأتيك الخبر اليقين ، ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين .

* * *

(١) [رواه ابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » والحاكم فى « المستدرك » من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ] .



الخاتمة
فى عقيدة أهل الكتاب والسنة

خاتمة الكتاب
فى عقيدة أهل السنة والجماعة

قال المؤلف ـ رحمـه الله تعالى ـ : (خاتمة الكتاب) فى عقيدة وجيزة ، جامـعة نافعة ـ إن شاء الله تعالى ـ على سبيل الفـرقة الناجية ، وهم أهل السنة والجماعة ، والسوادُ الأعظمُ من المسلمين .

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيـدنا محـمد وآله وصحـبه وسلم (وبعد) ـ .

فإنا نعلم ونعـتقد ، ونؤمن ونوقن ، ونشـهد : أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إله عظيمٌ ، مالك كبير ، لا ربَّ سوء ، ولا معبود إلا إياه ، قـديم أزلىٌّ ، دائم أبدىٌّ ، لا ابتـداء لأوَّليـتـه ، ولا انتـهـاء لآخريته ، أحـد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُـفواً أحد ، لا شبيه له ولا نظير ، **وليس كمثله شىء وهو السميع البصير** .

وأنه تعالى مقدَّس عن الزمـان والمكان ، وعن مشابهة الأكوان ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تعتريه الحادثات ، مستوٍ على عرشه على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، إستواء يليق بعـزِّ جلاله ، وعُلوِّ مجده وكبريائه .

وأنه تعالى قريب من كل موجـود ، وهو أقربُ للإنسان من حبل الوريد ، وعلى كل شىء رقيبٌ وشهيـدٌ ، حىٌّ قيومٌ ، لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ ، بديعُ السموات والأرض ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، *اللهُ خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيلٌ* .

وأنه تعالى عـلى كل شىء قديرٌ ، وبكل شىء عليمٌ ، قـد أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا ، وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير ، ويعلم السرَّ وأخـفى ، ويعلم ما فى البر والبحر ، **وما**

تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

وأنه تعالى مريدٌ للكائنات ، مدبرٌ للحادثات ، وأنه لا يكون كائن من خير أو شر ، أو نفع أو ضر - إلا بقضائه ومشيئته ؛ فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يحركوا في الوجود ذرة ، و يسكنوها دون إرادته لعجزوا عنه .

وأنه تعالى سميعٌ بصير ، متكلم بكلام قديم أزلى ، لا يشبه كلام الخلق .

وأن القرآن العظيم كلامه القديم ، كتابه المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وأنه سبحانه الخالق لكل شيء ، والرازق والمدبِّر والمتصرف فيه كيف يشاء ، ليس له في ملكه منازعٌ ولا مدافع ، يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، ويعذِّب من يشاء ، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .

وأنه تعالى حكيم في فعله ، عدل في قضائه ، لا يتصور منه ظلم ولا جور ، ولا يجب عليه لأحد حقٌ ، ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه في طرفة عين لم يكن بذلك جائراً عليهم ولا ظالما لهم ؛ فإنهم ملكه وعبيده ، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء - وما ربك بظلام للعبيد .

يثيب عباده على الطاعات فضلا وكرماً ، ويعاقبهم على المعاصى حكمةً وعدلاً ، وأن طاعاته واجبة على عباده بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

ونؤمن بكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله ، وبملائكة الله وبالقدر خيره وشرِّه .

ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، أرسله إلى الجن والإنس ، والعرب والعجم ، بالهُدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون ، وأنه بلَّغ الرسالة ، وأدَّ الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغُمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وأنه صادقٌ أمين ، مـؤيَّدٌ بالبراهين الصادقة والمعجزات الخارقة ، وأن الله فرض على العبـاد تصديقه وطاعته واتباعه ، وأنه لا يقـبل إيمان عبـد وإن آمن به سبـحانه حـتى يؤمن بمحـمد ﷺ ، وبجميع ما جاء به وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ .

ومن ذلك ـ أن يؤمن بسؤال منكر ونـكير للموتى : عن التوحـيد والدين والنبـوة ، وأن يؤمن بنعـيم القـبر لأهل الطاعـة ، وبعـذابه لأهل المعصية .

وأن يؤمن بالبعـث بعد المـوت ، وبحـشر الأجـساد والأرواح إلى الله ، وبالوقوف بين يدى الله ، وبالحساب ، وأن العبـاد يتفاوتون فيه إلى مُسامَح ومُناقَش ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب .

وأن يؤمن بالميزان الذى تُوزن فيه الحسنات والسيئات . وبالصراط ـ وهو جسر ممدود على متن جهنم ـ وبحوض نبينا محمد ﷺ الذى يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وماؤه من الجنة .

وأن يؤمن بشـفاعة الأنبـياء ثم الصـديقين والشهداء ، والعلماء الصالحين والمؤمنين ، وأن الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد ﷺ .

وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحـيد حتى لا يُخلَّد فيهـا من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وأن أهل الكفـر والشرك مخلدون فى النار أبد الآبدين ، ولا يخـفّفُ عنهم العـذاب ولا هم ينظرون ، وأن المؤمنين مخلدون فى الجنة أبداً سرمداً ، **لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين .**

وأن المؤمنين يـرون ربهم فى الجنة بأبصـارهم ، على مـا يليق بجلاله وقدس كماله .

وأن يعـتقـد فضل أصـحاب رسـول الله ﷺ وترتيبـهم ، وأنهم

عُدول خيار أمناء ، لا يجوز سبُّهم ولا القدح فى أحدٍ منهم .

وأن الخليفة الحقَّ بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثـمان الشهيـد ، ثم على المرتضى - رضى الله تعالى عنهم وعن أصحاب رسـول الله ﷺ أجمعين ، وعن التابعين لهـم بإحسان إلى ويوم الدين ، وعنا معهم برحمتك اللهم يا أرحم الراحمين - .

* * *



خاتمة الخاتمة

خاتمة الخاتمة

وتشتمل على سبعة أحاديث ، تحتوى على حكم جامعة ، ومواعظ نافعة من حديث رسول الله ﷺ :

(الحديث الأول) ـ عن جابر بن عبد الله[1] ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « *إن ابن آدم لفى غفلة عما خلق له . إن الله إذا أراد خلقه قال للملك أكتب رزقه ، أكتب أثره ، اكتب أجله ، أكتب شقيا أم سعيدا ، ثم يرتفع ذلك الملك ، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيآته ؛ فإذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان ، وجاء ملك الموت ليقبض روحه ؛ فإذا دخل قبره رُدّ الروح فى جسده ، وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فانتشطا كتاباً معقوداً فى عنقه، ثم حضرا معه، واحد سائقٌ وآخر شهيد* » ثم قال رسول الله ﷺ : « *إن قدامكم أمرا عظيما ما*

(١) هو أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل أبو محمد جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصارى السلمى ، أحد المكثرين فى رواية أحاديث رسول الله ﷺ : فقد روى عنه (١٥٤٠ حديثاً) روى عنه جماعة من الصحابة ، وجماعات من أئمة التابعين ، ومناقبه كثيرة ، استشهد أبوه يوم أحد فأحياه الله تعالى وكلمه ، وقال : يا عبد الله ، ما تريد ؟ فقال : أن ارجع إلى الدنيا فأستشهد مرة أخرى .

وثبت فى « صحيح مسلم » عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ، ولم أشهد بدراً وأحداً ، منعنى أبى ، فلما قتل أبى يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة قط .

وعنه قال : دفنت أبى يوم أحد مع رجل ، ثم استخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه [رواه البخارى] .

وكان لجابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم وكان آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتا بالمدينة ـ كما قاله قتادة ـ قال البغوى : وَهَمَ وآخرهم سهل بن سعد .

توفى ـ رضى الله عنه ـ بالمدينة سنة (٧٣ هـ) وقيل : (٧٨ هـ) وقيل : (٦٨ هـ) وهو ابن أربع وتسعين سنة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ « تهذيب الأسماء » (١ / ١٤٢) « الإصابة » (١/ ٥٤٦) .

تقدرونه ؛ *فاستعينوا بالله العظيم* » [ذكره الحفاظ السيوطى[1] ـ رحمه الله ـ تعالى فى « شرح الصدور » وقال : أخرجه ابن أبى الدنيا وأبو نُعيم] .

---

(١) هو جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبى بكر بن محمد بن أبى بكر الخضيرى السيوطى . الإمام المحقق الكبير ، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ، المحررة المعتمدة المعتبرة ، والتى وصلت نحو الستمائة مصنفاً ، سوى ما رجع عنه وغسله .

ولد ـ رضى الله عنه ـ بعد مـغرب ليلة الأحد مستـهل رجب ٨٤٩ هـ ، وكان يلقب بابن الكتب ، لأن أباه كان من أهل العلم ، واحتاج إلى مطالعة كتاب ، فأمر أمه أن تأتيـه بالكتاب من بين كـتبه ، فـذهبت لتأتى به فـجاءها المخـاض وهى بين الكتب فوضعتــه . ونشأ يتيماً ، وحفظ القرآن ،وله من العـمر دون ثمان سنين ، ثم حفظ عمدة الأحكام ، ومنهاج النووى ، و ألفية ابن مالك ، ومنهاج البيضاوى ، وعرض ذلك على علمـاء عصـره وأجازوه . وأخذ عن الجـلال المحلى . والزين العـقبى . والسراج عمر الوردى ، وأحـضره والده مجلس الحافظ ابن حجر الـعسقلانى . ثم اشتـغل بالعلم على عـدة مشايـخ . حتى برز فى جـميع الفنون . وفـاق الأقران . واشتهر ذكره ، وبعد صيته ، وحج سنة ٨٦٩ هـ وشرب من ماء زمزم لأمور منها : أن يصل فى الفـقة إلى رتبة الشـيخ سراج الدين البـلقينى . وفى الحديـث إلى رتبة الحافظ ابن حجر .

كان ـ رضى الله عنه ـ آية كـبرى فى سرعـة الكتابة والتـأليف . قال تلميـذه الشمس الداودى : عاينت الشيخ وقد كتب فى يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً . وكان مع ذلك يملى الحديث ، ويجيب عن المتعـارض منه بأجوبة حسنة ، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ورجاله وغريبه واستباط الأحكام منه . وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتى ألف حديث ، قال : ولو وجدت أكثر لحفظته . قال : ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك . ولما بلغ أربعين سنة أخذ فى التجرد للعبادة . والإنقطاع إلى الله ، والإشتغـال به صرفا ، والإعراض عن الدنيـا وأهلها ، كأنه لم يعرف أحداً منهم،وشرع فى تحرير مؤلفاته ،وترك الإفتاء والتدريس ،واعتذر لذلك . وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته . و يعرضون عليـه الأموال النفيسة فيردها . وأهدى إليه الغورى خصيا وألف دينار ، فـرد الألف وأخذ الخصى وأعتقه ، وجعله خادماً فى الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : لا تعد تأتينا بهدية قط ، فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك ، وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه .

ورؤى النبى ﷺ فى المنام والشيخ السيـوطى يسأله عن بعض الأحاديث ـ والنبى ﷺ يقول له : هات يا شيخ السنة ، ورأى هذه بنفسه هـو الرؤيا . والنبى ﷺ يقول له هات يا شيخ الحديث .

وللسيوطى كرامات ، قال الـشيخ عبد القادر : قلت له : كم رأيت النبى ﷺ يقظة ؟ فقال : بضعا وسبعين مرة .

=

(الحديث الثانى) عن عبد الرحمن بن سمرة[1] ـ رضى الله عنه ـ قال : خرج رسول الله ﷺ فقال : « إنى رأيت البارحة عجباً ! رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه ؛ فجاءه برُّه لوالديه فرده عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر ؛ فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين؛ فجاءه ذكر الله فخلّصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب ؛ فجاءته صلاته فاستنقذته من بين أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلتهب عطشاً كلما ورد حوضاً مُنع منه ؛ فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلامن أمتى ـ والنبيون قعود حلقاً حلقاً ـ كلما دنا لحلقة طردوه : فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبى ، ورأيت

= ومناقبه كثيرة لا تحصر ، ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها لكفى ذلك شاهداً لمن يؤمن بالقدرة .

توفى ـ رضى الله عنه ـ بعد أذان الفجر صباح يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى ٩٩١ هـ ودفن فى حوش قوصون خارج با ب القرافة .

راجع « الكواكب السائرة » (١/ ٢٢٦) « النور السافر » (ص ٥٤) « شذرات الذهب » (٨ / ٥١) « البدر الطالع » (١ / ٣٢٨) « جامع كرامات الأولياء » (٢ / ١٥٦) « معجم المؤلفين » (٥ / ١٢٨) .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد المناف العبشمى الصحابى ، أسلم يوم الفتح وصحب النبى ﷺ كان اسمه : عبد الكعبة ، وشهد مع النبى ﷺ غزوة تبوك ، ثم شهد فتوح العراق ، وهو الذى فتح سجستان وغيرها فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ ثم نزل البصرة .

روى له عن رسول الله ﷺ (١٤ حديثاً) .

روى عن النبى ﷺ وعن معاذ بن جبل .

وروى عنه ابن عباس ، وقتاب بن عمير ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وآخرون .

توفى ـ رضى الله عنه ـ بالبصرة سنة خمسين ، وقيل : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : توفى بمرو ، وأنه أول من دفن بمرو من أصحاب رسول الله . والصحيح الأول .

وكان ـ رضى الله عنه ـ متواضعا ، فإذا وقع المطر لبس برناً وأخذ المسحاة . وكنس الطريق . « تهذيب النووى » (١ / ٢٩٦) « الإصابة » (٤/ ٢٦٢) .

رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ،وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، فهو متحير فيها ؛ فجاءه حجه وعمرته واستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ؛ فجاءته صلة الرحم فقالت : يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ، ورأيت رجلا من أمتى يتقى وَهَجَ النار وشررها بيده عن وجهه ، فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتى أخذه الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم ، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خلقه ، فأخذه بيده فأدخله على الله تعالى ، ورأيت رجلا من أمتى قد هوت به صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ورأيت رجلا من أمتى قد خفت موازينه ، فجاءته أفراطه فثقلوا موازينه ، ورأيت رجلا من أمتى قائماً على شفير جهنم ، فجاءه وجله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلاً من أمتى هوى فى النار ، فجاءته دموعه التى بكى بها من خشية الله فى الدنيا فاستخلصته من النار ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ، فجاءته صلاته على فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلاً من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغُلّقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب فأدخلته الجنة ، ورأيت ناساً تقرض شفاههم فقلت: يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : المشاءون بالنميمة بين الناس ، ورأيت رجالا معلقين بألسنتهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا » .

[ذكره السيوطى أيضاً فى كتاب « شرح الصدور » ، وقال : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » والحكيم الترمذى فى « نوادر الأصول » والأصبهانى فى « الترغيب »] .

(الحديث الثالث) عن ركب المصرى [١]ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « *طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذلَّ فى نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالاً جمعه فى غير معصية ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله* » .

[ذكره الحافظ المنذرى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتاب « الترغيب والترهيب » . وقال : رواه الطبرانى .]

(الحديث الرابع) عن أسماء بنت عميس [٢] ـ رضى الله عنها ـ

---

(١) قال فى « الإصابة » : ركب المصرى : قال عباس الدورى : له صحبة ، وقال أبو عمر فيه : كندى : له حديث حسن فى آداب ، وليس هو بمشهور فى الصحابة ، وقد أجمعوا على ذكره فيهم ، وروى نصيح العنسى .
قلت : إسناد حديثه ضعيف ، ومراد ابن عبد البر بأنه حسن ، لفظه .
وقد أخرجه البخارى فى « تاريخه » والبغوى ، والباوردى ، وابن شاهين ، والطبرانى ، وغيرهم ، قال ابن منده : لا يعرف له صحبة .
وقال البغوى : لا أدرى أسمع من النبى ﷺ أم لا ؟
وقال ابن حبان : يقال : إن له صحبة ، إلا أن إسناده لا يعتمد عليه . « الإصابة » (٢ / ٤١٤) .

(٢) بنت معد بن الحارث بن تيم الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث ـ زوج النبى ﷺ ـ لأمها .
أسلمت أسماء قبل دخول دار الأرقم وبايعت ، ثم هاجرت مع جعفر إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله ومحمداً وعونا ، ثم تزوجها أبو بكر بعد قتل جعفر .
وعن سعيد بن أبى هلال قال : إن النبى ﷺ زوّج أبا بكر أسماء بنت عميس يوم حنين . [رواه عمر بن شبة فى « كتاب مكة » وهو مرسل جيد الإسناد] .
روى أسماء عن النبى ﷺ ، وروى عنها ابنها عبد الله بن جعفر ، وحفيدها القاسم ابن محمد بن أبى بكر ، وعبد الله بن عباس ـ وهو ابن أختها لبابة بنت الحارث ـ وسعيد ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وآخرون .
وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يسألها عن تفسير المنام ، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره .
وعنها ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال لها : « **لكم هجرتان ، وللناس هجرة واحدة** » [حديث صحيح] .
وفى مرسل الشعبى : قالت أسماء : يا رسول الله إن رجالاً يفخرون علينا ،=

قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « *بئس العبد عبد تخيّل واختال ، ونسى الكبير المتعال ! بئس العبد عبد تجبّر واعتدى ، ونسى الجبار الأعلى ! بئس العبد عبدٌ سها ولها ونسى المقابر والبلى ! بئس العبد عبد عتا وطغى ، ونسى المبتدأ والمنتهى ! بئس العبد عبد يَختُلُ الدنيا بالدين*[1] *! بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات ! بئس العبد عبد طمع يقوده ! بئس العبد عبد هوى يضله ! بئس العبد عبد رغب يذلّه* »

[رواه الترمذى وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه؛ وليس إسناده بالقوى] .

(**الحديث الخامس**) عن على ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ : « *إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، قيل وما هى يا رسول الله ؟ قال : إذا كانت المغنم دُولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعقَّ أمّه ، وبرَّ صديقه ؛ وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرِم الرجل مخافة شرِّه ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء ، أو خسفا أو مسخاً* » .

[رواه الترمذى وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه عن على ، وفيه الفرج بن فضالة وفيه مقال] .

= ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال : « بل بكم هجرتان » .
واوصى أبو بكرٍ الصديق ـ رضى الله عنه ـ أن تغسله أسماء بنت عميس .
واخرج ابن السكن بسند صحيح ،عن الشعبى قال : تزوّج على أسماءَ بنت عميس ، فتفاخر ابناها عبد الله بن جعفر ومحمد بن أبى بكر ، فقال كل منهما : أنا أكرم منك ، وأبى خير من أبيك ، فقال لها علىّ : اقضى بينهما ، فقالت : ما رأيت شاباً خيراً من جعفر ،ولا كهلا خيراً من أبى بكر ،فقال لها علىٌّ : فما أبقيت لنا ؟ راجع « الإصابة » (٨ / ١٤) .

(١) أى يطلب الدنيا بعمل الآخرة .

(الحديث السادس)عن أبى ذر[1] ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت : يا رسول الله ، مـا كانت صـحف إبراهيم عليه السـلام ؟ قال : « كانت أمثالا كلها : أيها الملك المسلَّط المبتلـى المغرور ، إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلموم ، فإنى لا أردها ولو كانت من كافر ، وعلى العـاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات : سـاعة يناجى فيهـا ربه، وساعة يحاسب فـيها نفسـه ، وساعة يتفكر فيهـا فى صنع الله ، وساعة يخلو فيها لحـاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث : تزود لمعـاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم ، وعلى العـاقل أن يكون بصيـراً بزمانه ، مقـبلا على شأنه ، حـافظاً للسانه ، ومن حسب كـلامه من عمله ، قلّ كـلامه إلا فـيما يعنيه، قلت :يا رسول الله ، فما كـانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : « كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ! عجبت لمن أيقن

(١) هو جندب بن جنادة بن سـفيان بن عـبيـد بن الرفيـقة بن حرام بن غـفار الغـفارى الحجازى ، وكان من السابقين إلى الإسلام ، ثبت فى « صحيح مسلم » أنه قدم إلى رسول الله ﷺ فى أول الإسلام فقال : يا رسول الله ، من اتبعك على هذا الدين ؟ قال : « حر وعبد » وأقام من غير طعام ولا شراب خـمس عشرة يوما وليلة إلا ماء زمزم ، وأسلم ورجع إلى بلاد قومه بإذن النبى ﷺ ، يدعوهم إلى الإسلام ، فتبعه بعضهم ، ثم هاجر إلى النبى ﷺ إلى المدينة و صحبه حتى توفى رسول الله ﷺ .
روى له عن رسـول الله ﷺ (٢٨١ حـديثاً) ، روى عنه ابن عـبـاس ، وأنس بن مالك ، وعـبد الله بن غنم ، وغيـرهم ، توفى ـ رضى الله عنه ـ بالربدة سنة (٣٢ هـ) وصلى عليه ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ .
وكان ـ رضى الله عنه ـ طويلاً عظيـماً ، زاهداً متـقللا من الدنيا ، وكان مـذهبه أنه يحرم على الإنسان ادخار ما زاد على حاجته ، وكان قوالا بالحق .
أخرج الطبـرانى من حديث أبى الدرداء قـال : كان رسول الله ﷺ يبـتدأ أبا ذر إذا حضر ، ويتفقده إذا غاب .
وعن عبـد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهمـا ـ قال سمعت رسـول الله يقول : « ما أقلت الغبراء ولا أظلّت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر » .
ويقول ﷺ : « يرحـم الله أبا ذر يعيش وحده ، ويموت وحدّه ، ويحـشر وحده » ـ رضى الله وأرضاه ـ « تهذيب الأسماء » (٢٢٩/٢) « الإصابة » (٧ / ١٠٩) .

بالنار ثم هو يضحك ! عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ! عجبت لمن رأى الدنيا وتقلُّبهـا بأهلها ثم اطمأن إليها ! عجبت لمن أيقـن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل » قلت : يا رسول الله أوصنى ، قـال : « أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس الأمـر كله » قلت : يا رسول الله زدنى . قـال : « عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك فى الأرض ، وذكرٌ لـك فى السماء » قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : « إياك وكـثرة الضحك ، فـإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » قلت : يا رسـول الله زدنى ، قال : « عليك بالصمت إلا من خـير ، فإنه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك ، قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : « عليك بالجهاد فإنه رهـبانية أمتى » قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : « أحب المساكين وجالسهم » قلت : يا رســـول الله زدنى ، قال : « انظر إلى من هو دونـك ولا تنظر إلـى من هو فوقك ، فـإنه أجدر أن لا تزدرى نعـمـة الله علي»، قلت يا رسـول الله زدنى ، قـال : « قل الحق ولو كان مرًا » قلت . يا رسول الله زدنى ، قـال : ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تأتـى ، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفـسك ، وتجد عليـهم فيمـا تأتى» ثم ضرب بيـده على صدرى فقال : « لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » .

[ذكره المنذرى فى كتاب « الترغيب والترهيب » وقال رواه ابن حبان فى « صحيحه » واللفظ له ، والحاكم . وذكر المنذرى الحديث الذى قبله فى الكـــتاب المذكور أيضـاً ـ رحمه الله تعالـى ـ وجزاه عن المسلمين خيرا] .

(**الحديث السابع**) عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أيضـاً عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « **يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محـرما فلا تظالموا ، ياعبادى كلكم ضالٌ إلا من**

هديتـه فـاستهـدونى أهدكـم، يا عبـادى ، كلـم جـائع إلا من أطـعمتـه ؛ فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته ؛ فاستكسونى أكسـكم ، يا عبـادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهـار ، وأنا أغفـر الذنوب جمـيعـاً ؛ فاسـتغـفرونـى أغفـر لكم ، يا عبـادى ، إنكم لن تبلغوا ضُـرِّى فـتـضرّونى ، ولن تـبلغوا نـفعى فـتنــفعـونى ، يا عـبـادى ، لو أن أوّلكم وآخـركم ، وإنسكم وجنَّكم ،كانوا علـى أتقى قلب رجل واحد منكم ،ما زاد ذلك فى ملكى شـيـئـاً ، يا عـبـادى ، لو أن أولكم وآخـركم ،وإنسكم وجنَّكم ،كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، يـا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فـى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحـد منهم مسألته ، ما نقص ذلك مما عند إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبـادى ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجـد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه » [رواه مسلم ، والترمذى ، وابن ماجه] .

وقد ختمنا الكتاب بـهذه الأحاديث من حديث رسول الله ﷺ ، كما افتتحناه بشىء منها ، تبركا وتيمناً بكلام رسول الله ﷺ .

ونرجو بذلك أن يجعل الله الكلام المؤلف بين ذلك مقبولا لديه ، ومقرَّبا إلى رضاه ، وفى سبيل طاعته وقربه ، وأن يغفر لنا ويتجاوز عنا ما وقع فيه من خطأ أو تخليط ،ومـا داخلنافيه من رياء أو تصنع للناس ، أو مبـاهاة أو إعجاب ، ونستـغفر الله من جمـيع ذلك ، ومن سائر الذنوب ونتوب إليه منها « ومن يغفـر الذنوب إلا الله » . « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب ارحيم » . « ربنا لاتؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كماحـملته على الذين من قبلنا ، ربَّنا ولا تحمِّلنا مـا لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغـفر لنا وارحـمنا ،

أنت مولانا فانصرنا على القوم الكـافرين » « لا إله إلا أنت سبحانك اللهم إنى أستغـفرك لذنبى ، وأسألك رحمـتك ، اللهم زدنى علماً ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى ، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

* * *

تم الكتاب بحمد الله وعونـه وحسن توفيقه . « **والحمد لله الذى هدانا لهـذا ومـا كنا لنهـتـدى لولا أن هدانا الله » « لقـد جـاءت رسل ربنا بالحق» . « سبـحان ربك رب العزة عـما يصفـون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين** » لا حول ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكان الفـراغ من إملاءه يوم الأحـد الثانى والعـشرين من شـهر شعبان المبارك سنة تسع وثمانين بعد الألف (١٠٨٩ هـ) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

[تم الكتاب بعونه تعالى]

يقول الفقير محمد نور الدين مربو بنجر المكى : فقد انتهيت من مراجعة وتصحيح هذا الكتاب فى صباح يوم السبت ١٠ شعبان ١٤١٧ هـ الموافق ٢١ ديسمبر ١٩٩٦ م بمدينة نصر بالقاهرة . ج . م . ع .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

« والحمد لله رب العالمين »

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للأستاذ محمد فؤاد . ط ـ دار الفكر

مختصر تفسير الطبرى للشيخ محمد على الصابونى ط ـ دار القرآن الكريم

روائع البيان للشيخ محمد على الصابونى . ط ـ مكتبة الغزالى

سنن الترمذى لأبى عيسى الترمذى . ط ـ دار الفكر

الشمائل المحمدية لأبى عيسى الترمذى ط ـ دار العلم

أخلاق العلماء للإمام الآجرى . ط ـ مجلس البنجرى .

حلية الأولياء للحافظ أبى نعيم . ط ـ دار الكتاب العربى

الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى . ط ـ إحياء التراث

رياض الصالحين للإمام النووى . ط ـ مكتبة الكليات الأزهرية

الأذكار للإمام النووى . ط ـ مصطفى الحلبى

مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى . ط ـ المكتب الإسلامى

الرياض النضرة للإمام الطبرى . ط ـ دار الكتب العلمية

الكبائر للإمام الذهبى ت ـ السيد العربى . ط ـ دار الخلفاء.

الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى . ط ـ دار الكتب العلمية

كنوز الحقائق للحافظ المناوى . ط ـ دار الكتب العلمية

تخريج الدلالات السمعية لأبى الحسن الخزاعى . ط ـ المجلس الأعلى

جلاء الأفهام للحافظ ابن القيم الجوزية . ط ـ دار الخلفاء .

الفتوحات الربانية لابى علان المكى للحافظ أبى نعيم . ط ـ المكتبة الإسلامية

فيض القدير شرح الجامع الصغير للحافظ المناوى . ط ـ دار المعرفة

الاتحافات النسية للحافظ المناوى . ط ـ دار المعرفة

التبيان فى آداب حملة القرآن للإمام النووى . ط ـ مؤسسة علوم القرآن
شرح الصدر بذكر ليلة القدر للحافظ الزين العراقى . ط ـ مكتبة القرآن .
جزء فى حديث ماء زمزم لما شرب له لابن حجر العسقلانى ط ـ مؤسسة قرطبة .
عون المعبود للشمس آبادى ط ـ المكتبة السلفية .
تحفة الأحوذى للحافظ المباركفورى . ط ـ دار الفكر .
نبوءات الرسول ﷺ للأستاد محمد ولى الله الندوى ط ـ دار السلام .
الأحاديث المسلسلة لمحمد نور الدين البنجرى . ط ـ إحياء كتب التراث الإسلامى .
الطبقات الكبرى لابن سعد . ط ـ دار الفكر .
الرسالة القشيرية للشيخ عبد الكريم القشيرى . ط ـ مصطفى الحلبى .
إحياء علوم الدين للإمام الغزالى . ط ـ دار المعرفة .
المغنى عن حمل الأسفار للحافظ العراقى ط ـ دار المعرفة
بستان العارفين للإمام النووى . ط ـ إحياء كتب التراث الإسلامية
اتحاف أهل الإسلام للفقيه ابن حجر الهيتمى ط ـ الكتب الثقافية
الجوهر المنظم فى زيادة القبر المكرم لابن حجر الهيتمى . ط ـ دار جوامع الكلم
تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى . ط ـ ددار الكتب العلمية
تلخيص الحبير لابن حجر العسقلانى . ط ـ الحجاز .
الإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى . ط ـ دار الكتب العلمية
طبقات الشافعية لابن حجر قاضى شهبة . ط ـ عالم الكتب
الطبقات الكبرى للشيخ عبد الوهاب الشعرانى . ط ـ دار الفكر
النور السافر عن أخبار القرن العاشر للشيخ العيدروسى .
شذرات الذهب للشيخ ابن العماد الحنبلى . ط ـ دار الفكر .
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزى ط ـ الآفاق الجديدة .

رسالة المعاونة للحبيب عبد الله الحداد — ط إحياء كتب التراث الاسلامى

النصائح الدينية للحبيب عبد الله الحداد. — ط ـ الناشر .

النصائح الدينية للحداد ت/ الشيخ حسنين محمد مخلوف. — ط ـ المدنى .

سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر لأبى الفضل المرادى . — ط ـ دار الكتب الإسلامية

فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأجيرللكردى . — ط ـ إحياء كتب الترث الإسلامى

كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لحاجى خليفة . — ط ـ دار الفكر

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني . — ط ـ دار الكتاب الإسلامى

جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهانى . — ط ـ مصطفى الحلبى

معجم المؤلفين للأستاذ رضا كحالة . — ط ـ إحياء التراث العربى

هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة للأستاذ أحمد حامد . — ط ـ الهلال .

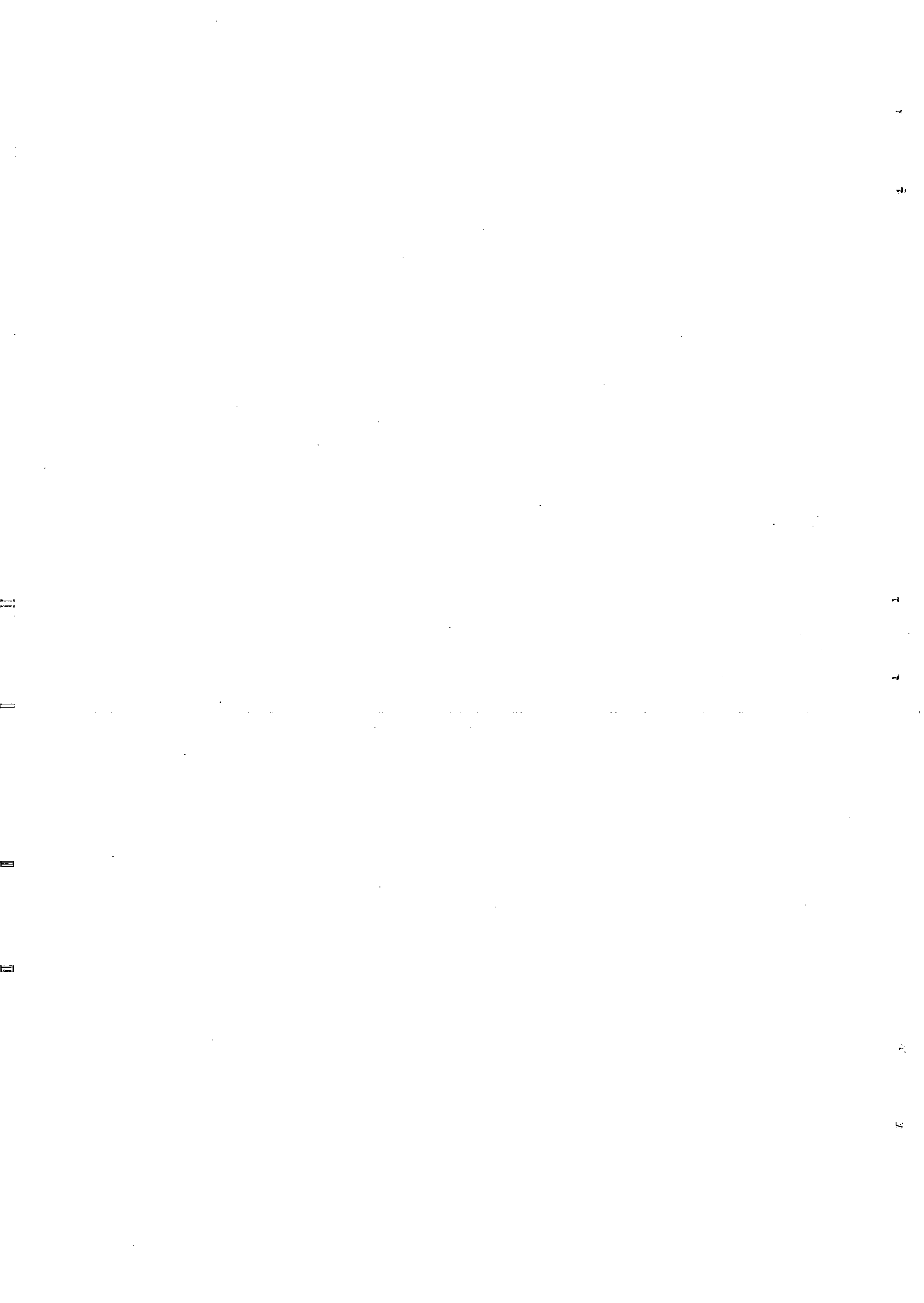
الإمام الحداد مجدد القرن الثانى عشر الهجرى للبدوى . — ط ـ دار الحاوى

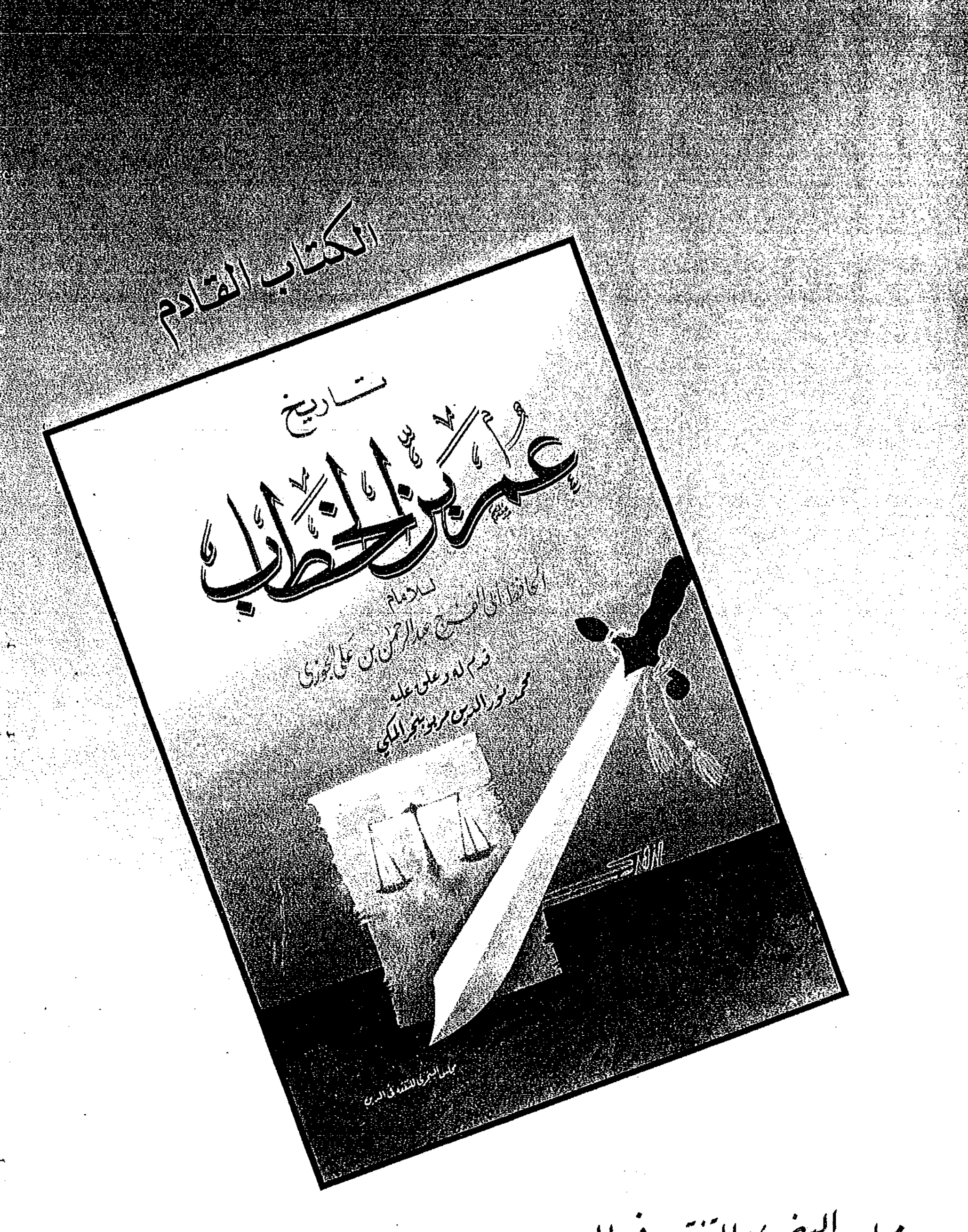
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكرللبنجرى . — ط ـ مجلس البنجرى

زمزم بين عجائب التاريخ ومكتشفات العلم لعويظا . — ط ـ دار الكلم الطيب .

فهرس الموضوعات


رقم الإيداع
٩٧ / ١٥٥٨
I.S.B.N.
977 - 19- 2496 - 6





مجلس البنجري للتفقه فى الدين